مشتمل الى قصة ابنا
واذ ابتلى ابراهيم

موجود اولان فتح الشان تفسير نده بو سوره لرد ركه سان اولمز

اول قرآندن ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون آيت كريمه سنه كلنجه سورة آل عمران اخرينه وبعضا سورة نساء اولمدن
سورة انعام سورة اعراف وأول انفال سورة هود سورة كهف سورة مريم سورة طه سورة انبيا
سورة حج اواخر سورة النور وسورة الفرقان سورة قصص سورة عنكبوت سورة لقمان سورة الم السجدة
سورة الشورى اواخر سورة الفتح بعض سورة الرحمن سورة الواقعة سورة الحديد سورة المجادلة سورة الحشر
سورة الممتحنة

مناولا انجه الى قوله تعالى
واذ ابتلى ابراهيم ربه

سورة ص تمام سورة الصافات سورة ق سورة الذاريات سورة والطور سورة والنجم سورة القمر بعض سورة الرحمن
سورة نساء بعضا مائده اسرى انعام اعراف توبه كهف مريم طه انبيا حج نور قصص عنكبوت

الجلد الاول

١١٩

MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
Kitap H. Alipaşa
Eski No 109
Yeni No
Tasnif No

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

الحمد لله الذي سهل لعباده المتقين الى مرضاته سبيلا • واوضح لهم طريق الهداية وجعل اتباع
الرسول عليها دليلا • واتخذهم عبيدا له فاقروا له بالعبودية ولم يتخذوا من دونه وكيلا • وكتب
في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه لما رضوا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبمحمد رسولا •
واقام لهم من الآيات الفصيحة والبراهين الصحيحة دليلا • والحمد لله الذي اقام في ازمنة الفترات
من يكون ببيان ما نزل المرسلين كفيلا • واختص هذه الامة بانه لا يزال طائفة على الحق لا يضرهم من
خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امره ولو اجتمع الثقلان على حربهم قبيلا • يدعون من ضل الى الهدى •
ويصبرون منهم على الاذى • ويبصرون بنور الله اهل العمى • ويحيون بكتابه الموتى فهم احسن الناس
هديا واقومهم قيلا • احمده ان علمنا كتابه فرتلناه ترتيلا • وفهمنا خطابه فتبتلنا اليه
تبتيلا • واشكره شكرا يكون زيادة نعمه كفيلا • واستغفره خاضعا ذليلا • معترفا مستقيلا •
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تثبت الشاهد اذا كان مسؤولا • وتونسه
اذا صار الى اللحد محمولا • واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي اتخذه نبيا ورسولا وخليلا •
وشرح صدره فكان بما القدس مغسولا • وانزل عليه يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا • صلى الله وسلم عليه
وعلى اله واصحابه الذين كسروا الصلبان ورتلوا القرآن ترتيلا • وملوا البسيطة تسبيحا وتقديسا
وتهليلا • وبعد • فهذا كتاب انتخبته لنفسي ولمن شاء الله من خلقه من كتب التفاسير
المصنفة • في سائر علومه المؤلفة • ولم اجعل لنفسي تصرفا سوى النقل والانتخاب • منتخبا احد التطويل
والاطناب • وجردته عن الاسناد وعن وجوه القرآت وعللها • وعن اشتقاق الكلمة وتصريفها •
ووجوه اعرابها الا قليلا في بعض المواضع التي تحتاج اليها • واقتصرت على معنى الكلمة وتفسير الآية
وسبب نزولها واختلاف العلماء في تاويلها وما يتعلق بها من الاحكام • واحاديث المصطفى خير الانام •
وما يناسبها من حكايات السلف الكرام • ومقتصرا في ذلك النفع لمستمعه من العوام • وعملته
تذكرة لنفسي • وذخيرة ليوم رمسي • وعملا صالحا بعد موتي • قال الله عز وجل ينبأ الانسان يومئذ
بما قدم واخر • وقال عز وجل علمت نفس ما قدمت واخرت • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث • صدقة جارية • او علم ينتفع به • او ولد صالح يدعو له • واسمه

أسال التوفيق لاتمام ما قصدت واليه ارغب فى تيسير ما اردت وان يجعله خالصا لوجهه
الكريم وان يتقبله منى انه هو السميع العليم وان ينفع به قاريه وكاتبه ومستمعه وجميع
المسلمين وهو حسبى ونعم الوكيل عليه توكلت واليه انيب ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

باب فى فضايل القران والترغيب فيه وفضل طالبه وقاريه ومستمعه والعامل به

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل القران على سايرالكلام كفضل الله عز وجل على سايرخلقه
وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله يقول الرب تبارك وتعالى من شغله
قراءة القران عن مسالتى اعطيته افضل ما اعطى السايلين قال وفضل كلام الله على سايرالكلام
كفضل الله تعالى على سايرخلقه رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ن وعن الحارث
الاعور عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتن
كقطع الليل المظلم قلت يارسول الله وما المخرج منها قال كتاب الله عز وجل فيه نبا من قبلكم
وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى
الهدى فى غيره اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط
المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلما ولا
يمله الاتقيا ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجايبه هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته
ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد فامنا به من علم علمه سبق ومن قال به صدق
ومن حكم به عدل ومن عمل به اجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم خذها اليك
يا اعور اخرجه الترمذي وقال حديث غريب ن وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله عز وجل فله حسنة والحسنة
بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف اخرجه الترمذى وقال
حديث حسن صحيح غريب ن وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رجل يارسول الله صلى الله عليه
وسلم اى الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذى يضرب
من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذى ن وعن عبد الله بن عمرو بن العاص

رضی الله عنها قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم یقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل کما
کنت ترتل فی الدنیا فان منزلک عند آخر آیة تقرأ بها ۝ اخرجه الترمذی وقال حدیث حسن صحیح ۝
وعن ابی هریرة رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم قال یجیء القرآن یوم القیامة
فیقول یارب حلّه فیلبس تاج الکرامة ثم یقول یارب زده فیلبس حلة الکرامة ثم یقول یارب
ارض عنه فیرضی عنه فیقال له اقرأ وارق ویزاد بکل آیة حسنة ۝ اخرجه الترمذی وقال
حدیث حسن ۝ وعن ابی سعید الخدری رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه
وسلم یقال لصاحب القرآن اذا دخل الجنة اقرأ واصعد فیقرأ ویصعد بکل آیة درجة حتی
یقرأ آخر شیء معه ۝ اخرجه ابن ماجة فی سننه ۝ واسند ابو بکر بن الانباری عن ابی امامة
الحمصی قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم من اعطی ثلث القرآن فقد اعطی ثلث النبوة ومن
اعطی بلثی القرآن فقد اعطی بلثی النبوة ومن قرأ القرآن کله فقد اعطی النبوة کلها غیر انه لا
یوحی الیه ویقال له یوم القیامة اقرأ وارق فیقرأ آیة فیصعد درجة حتی یجزر ما معه
من القرآن ثم یقال له اقبض فیقبض ثم یقال له اقبض فیقبض ثم یقال له اتدری ما فی یدیک
فاذا فی یده الیمنی الخلد وفی الیسری النعیم ۝ وعن علی بن ابی طالب رضی الله عنه قال قال
رسول الله صلی الله علیه وسلم من قرأ القرآن وتلاه وحفظه ادخله الله الجنة وشفعه
فی عشرة من اهل بیته کلهم قد وجبت له النار ۝ وقالت ام الدرداء دخلت علی عایشة
رضی الله عنها فقلت لها ما فضل من قرأ القرآن علی من لم یقرأه ممن دخل الجنة فقالت ان عدد
آی القرآن علی عدد درج الجنة فلیس احد دخل الجنة افضل ممن قرأ القرآن ۝ ذکره ابو محمد
مکی رحمه الله ۝ وقال ابن عباس رضی الله عنهما من قرأ القرآن واتبع ما فیه هداه الله من
الضلالة ووقاه یوم القیامة سوء الحساب وذلک بان الله عز وجل یقول فمن اتبع هدای فلا
یضل ولا یشقی ۝ قال ابن عباس فضمن الله عز وجل لمن اتبع القرآن ان لا یضل فی الدنیا ولا
یشقی فی الآخرة ۝ ذکره مکی ایضا ۝ وقال اللیث بن سعد رحمة الله علیه یقال ما الرحمة
الی احد اسرع منها الی مستمع القرآن یقول الله جل ذکره واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وانصتوا لعلکم ترحمون ۝ ولعل من الله واجبة ۝ وعن عبد الله بن عمرو رضی الله عنهما عن

صاحب القرآن

یجیء القرآن

قاری القرآن بیت یطلب شارة لاهل

اتبع القرآن هدایة لمن

رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قام بعشر ايات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة
آيه كتب من القانتين ومن قام بالف كتب من المقنطرين ٥ وعن ابى الدرداء رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القران افضل كل شئ دون الله فمن وقر القران فقد وقر الله
ومن لم يوقر القران فقد استخف بحرمة الله حرمة القران على الله كحرمة الوالد على ولده وعن
عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حملة القران هم المحفوفون برحمة
الله الملبسون نور الله المعلمون كلام الله من عاداهم فقد عادى الله ومن والاهم فقد والى الله ٥
يقول الله عز وجل يا حملة كتاب الله تحببوا الى الله بتوقير كتابه يزدكم حبا وتحببكم الى خلقه يدفع
عمن يستمع القران شر الدنيا ويلوى الآخرة ولمستمع اية من كتاب الله خير من ثبير ذهبا
ولتالى اية من كتاب الله خير مما تحت العرش الى تخوم الارض السفلى وعن ابى سعيد الخدرى
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور
منظومة بنور عند كل منبر ناقه من نوق الجنة ثم ينادى منادا اين من حمل كتاب الله اجلسوا على
على هذه المنابر فلا روع عليكم ولا حزن حتى يفرغ الله مما بينه وبين العباد فاذا فرغ الله عز وجل
من حساب الخلق حملوا على تلك النوق وزفوا الى الجنة وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة تعلم القران وعلمه الناس ولا تزال على هذه الحالة حتى يأتيك
الموت فانه ان اتاك وانت كذلك حجت الملايكة الى قبرك كما يحج المؤمنون الى بيت الله الحرام وعن
معاذ بن جبل رضى الله عنه قال كنت فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله حدثنا
بحديث ننتفع به فقال ان اردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والظل يوم الحرور
والهدى يوم الضلالة فادرسوا القران فانه كلام الرحمن وحرز من الشيطان ورجحان فى الميزان ٥
والآثار فى معنى هذا الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية والله الموفق للهداية ٥

باب كيفية تلاوة كتاب الله عز وجل وما فيها من الكراهة والتحريم واختلاف العلماء فى ذلك

٥ روى البخارى فى صحيحه عن قتادة قال سالت انسا رضى الله عنه عن قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان يمد مدا قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد
بالرحمن ويمد بالرحيم وعن ام سلمة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

مطلب قراءة رسول صلى الله عليه وسلم

يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقرأ ملك يوم
الدين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واخرجه ابو داود نحوه ٥ وروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال احسن الناس صوتا من اذا قرأ رأيته يخشى الله تعالى ٥ ورُوي عن
زياد النميري انه جامع القرآء الى انس بن مالك فقيل له اقرأ فرفع صوته وطرّب وكان رفيع
الصوت فكشف انس عن وجهه خرقة سوداء فقال يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون وكان رضي الله عنه
اذا رأى شيئا ينكره كشف الخرقة عن وجهه ٥ ورُوي عن قيس بن عُباد رحمة الله عليه انه قال
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون رفع الصوت عند الذكر ومن رُوي عنه
كراهة رفع الصوت عند قراءة القرآن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والقاسم بن محمد والحسن
وابن سيرين والنخعي وغيرهم وكرهه الامام مالك والامام احمد كلهم كره رفع الصوت بالقرآن
والتطريب فيه ٥ وروي عن سعيد بن المسيب انه سمع عمر بن عبد العزيز يؤم الناس فطرّب
في قراءته فارسل اليه سعيد يقول اصلحك الله ان الائمة لا تقرأ هكذا فترك عمر التطريب بعده
وروي عن القاسم بن محمد ان رجلا قرأ في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فطرّب فانكر ذلك
القاسم وقال يقول الله عز وجل كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية ٥
وسُئل الامام مالك عن التبرِ في قراءة القرآن في الصلاة فانكر ذلك وكرهه كراهة شديدة وانكر
رفع الصوت به وروى ابن القاسم عن الامام مالك انه سُئل عن الالحان في الصلاة فقال لا
يعجبني وقال انما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم ٥ واجازت طائفة
من العلماء رفع الصوت بالقرآن والتطريب به وذلك لان القارئ اذا حسن صوته بالقرآن كان اوقع
في النفوس واسمع في القلوب واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم
وبقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن وبقول ابي موسى الاشعري رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم
اذ سمعه وهو يقرأ من جوف الليل لو اعلم يا رسول الله انك تستمع لقراءتي لحبّرته لك تحبيرا واحتجوا
ايضا بما رواه عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح
في مسيره له سورة الفتح على راحلته فرجّع في قراءته ومن ذهب الى هذا الامام ابو حنيفة
واصحابه والامام الشافعي وابن المبارك والنضر بن شميل وهو اختيار جماعة من العلماء رضي الله عنهم ٥

مطلب مكروهات القرآن

التبر الرفع

حجـــه الامام مالك والامام احمد ومن وافقهما من العلماء على كراهة الالحان ورفع الاصوات
والتطريب قالوا فقول النبى صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم ليس على ظاهره وانما هو من
باب المقلوب ومعناه زينوا اصواتكم بالقران قال الخطابى وكذا فسره غير واحد من ائمة
الحديث زينوا اصواتكم بالقران وقالوا هو من باب المقلوب كما قالوا عرضت الناقة على الحوض
وانما هو عرضت الحوض على الناقة قال الخطابى ورواه طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة
عن البراء رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال زينوا القران باصواتكم اى الهجوا
بقراته واشغلوا به اصواتكم واتخذوه شعارا وزينة وقيل معناه الحض على قراءة القران
والدأب عليه وقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول زينوا اصواتكم بالقران قال القرطبى والى هذا المعنى يرجع قول النبى صلى الله عليه
وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران اى ليس منا من لم يحسن صوته بالقران كذلك تاوله عبد الله
ابن ابى مليكه قال عبد الجبار بن الورد سمعت ابن ابى مليكه يقول قال عبيد الله بن ابى
يزيد مر بنا ابو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة فسمعته يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من لم يتغن بالقران قال فقلت لابن ابى مليكه
يا ابا محمد ارايت اذا لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع ذكره ابو داود واليه
يرجع ايضا قول ابى موسى للنبى صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع لقراءتى لحبرت
صوتى بالقران وزينته وترتله وهذا يدل على انه كان يهز فى قراءته مع حسن صوته الذى
جبل عليه والتحبير التزيين والتحسين فلو علم ابو موسى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمعه
لمد فى قراءته ورتلها كما كان يقرا على النبى صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك زيادة فى حسن
صوته بالقراءة ومعاذ الله ان يتاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ان القران
يزين بالاصوات او بغيرها فمن تاول هذا فقد واقع امرا عظيما وهو ان يخرج القران العظيم
الى من تزينه وهو النور والضياء والزين الاعلا لمن البس بهجته واستنار بضيائه وقال
بعض العلماء ان الامر بالتزيين هو اكتساب القرآن وتزيينها باصواتنا تقديره زينوا القراءة
باصواتكم فيكون القران بمعنى القراءة كما قال تعالى وقران الفجر ان قران الفجر اى قراءة الفجر

وقوله تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه اى فاتبع قراءته وهذا كما جاء فى صحيح مسلم عن عبد الله
ابن عمر قال ان فى البحر شياطين مسجونة اوثقها سليمان عليه السلام يوشك ان تخرج فتقرأ
على الناس قرانا اى قرآءة وكما قال الشاعر فى عثمان رضى الله عنه ۝
ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرانا يعنى قراءة فيكون معناه
على هذا التاويل صحيحا الا ان يخرج القراءة التى هى التلاوة عن حدها على ما بينه فيمتنع
وقد قيل ان معنى يتغنى به اى يستغنى به من الاستغنا الذى هو ضد الافتقار من الغنا
يقال غنيت وتغانيت بمعنى استغنيت ويقال تغنى الرجل بمعنى استغنى واغنانا الله
وتغانوا اى استغنى بعضهم عن بعض والى هذا التاويل ذهب سفين بن عيينة ووكيع بن
الجراح ورواه سفين عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وقد روى ايضا عن سفين وجه
آخر ذكره اسحق بن راهويه اى يستغنى به عما سواه من الاحاديث والى هذا التاويل ذهب
البخارى لاتباعه الترجمة بقوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم والمراد
الاستغنا بالقران عن علم اخبار الامم وقيل ان معنى يتغنى بالقران اى يتحزن به
وهو ان يظهر على قاريه الحزن الذى هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته وليس من الغنيه
لانه لو كان من الغنه لقال يتغانى به ولم يقل يتغنى به والى هذا القول ذهب جماعة
من العلما منهم الامام ابو محمد بن حبان واحتجوا بما رواه مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه
رضى الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ولصدره ازيز كازيز المرجل من البكا
والازيز هو غليان القدر والوافق فى هذا الخبر سان واضح على ان المراد بالحديث التحزن
وعضد هذا ايضا بما روى الاسيه عن عبد الله رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقرا على فقرات عليه سورة النسا حتى اذا بلغت فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد
وجينا بك على هؤلا شهيدا فنظرت اليه فاذا عيناه تذرفان فهذه اربع تاويلات ليس
فيها ما يدل على القراة بالالحان والترجيع فيها وقد احتج ابو الحسن بن بطال المذهب
الامام الشافعى والامام ابى حنيفه ومن تابعهما من العلما على جواز ذلك فقال وقد وقع
الاشكال فى هذه المسئلة ما رواه ابن ابى شيبة قال حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنا موسى بن

طريق مطلق تفسير وتاويل

الازيز صوت غليان القدر

عُلى عن ابيه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا
القران وغنوا به واكتبوه فوالذى نفسى بيده لهو اشد تفصيا من المخاض من العقل قال
علماؤنا وهذا الحديث وان صح سنده فيرده ما يعلم على القطع والبتات من ان قراءة القران
بلغتنا متواترة عن كافة المشايخ جيلا فجيلا الى العصر الكريم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس فيها تلحين ولا تطريب مع كثرة المتعمقين فى مخارج الحروف وفى المد والادغام
والاظهار وغير ذلك من كيفية القرآت ثم ان فى الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز
ومد ما ليس بممدود فرجع الالف الواحدة الفات والواو الواحدة واوات والشهقة
الواحدة شهقات فيودى ذلك الى زيادة فى القران وذلك ممنوع وان واقع الترجيع والتطريب
موضع نبر وهمز صيروها نبرات وهمزات والنبره حيث ما وقعت بين الحروف فانما
هى همزة واحدة لا غير اما ممدودة واما مقصورة فان قيل فقد روى عبد الله
ابن المغفل رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير له سورة الفتح على راحلته
فرجع فى قراءته رواه البخارى وقال فى صفة الترجيع آ آ آ ثلاث مرات قيل ذلك
محمول على اشباع المد فى موضعه ويحتمل ان يكون حكاية صوته عند هز الراحلة كما يعترى
رافع صوته اذا كان راكبا من انضغاط صوته وتقطيعه لاجل هز المركوب واذا احتمل
هذا فلا حجة فيه وقد خرج ابو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ من حديث قتادة عن
عبد الرحمن بن ابى بكره عن ابيه قال كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم المد ليس فيها
ترجيع وروى ابن جريج عن عطا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مؤذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمح فان كان
اذانك سهلا سمحا والا فلا تؤذن اخرجه الدارقطنى فى سننه فاذا كان النبى صلى الله عليه
وسلم قد منع ذلك فى الاذان فاحرى ان لا يجوزه فى قراءة القران الذى حفظه الرحمن فقال
وقوله الحق انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال القرطبى رحمه الله هذا الخلاف الذى وقع بين العلما
رضى الله عنهم فى الترجيع والتلحين والتطريب انما يجوز اذا لم يفهم معنى القران بترديد الاصوات

تنقضى منه برئت تدر تلدى

عقل البعير بالعقال فيست شترا بشكال

وكثرة الترجيعات فان زاد الامر على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك حرام لا يجوز باتفاق العلماء كما يفعل القراء بالديار المصرية الذين يقرؤن امام الملوك والجنائز ويأخذون على ذلك الاجور والجوائز فضل سعيهم وخاب عملهم فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله ويهوّنون على انفسهم الاجتراء على الله بان يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه جهلا بدينهم ومروقا عن سنة نبيهم ورفضا لسير الصالحين فيه من سلفهم وتركوا ما يزين لهم الشيطان من اعمالهم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فهم في غيهم يترددون وبكتاب الله عز وجل يتلاعبون فانا لله وانا اليه راجعون لكن قد اخبر الصادق المصدوق ان ذلك سيكون فكان كما اخبر صلوات الله وسلامه عليه ذكر الامام الحافظ رزين وابو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل العشق ولحون اهل الكتابين وسيجيء بعدي قوم يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم اللحون ٥ واللحون جمع لحن وهو التطريب وترجيع الصوت وتحسينه بالقراءة والشعر والغناء قال علماؤنا ويشبه ان يكون هذا الذي يفعله قراء زماننا بين يدي الوعاظ في المجالس من اللحون الاعجمية التي يسمونها الانغام يقرؤن بها ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ والترجيع في القراءة ترديد الحروف كقراءة النصارى ٥ والترتيل في القراءة هو التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالشعر المرتل وهو المشبه بنور الاقحوان وهو المطلوب في قراءة القرآن قال الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا وسئلت ام سلمة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت ما لكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائي وابو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب والله تعالى اعلم بمراده ٥

باب التحذير من الرياء في القرآن والعلم وغيره

قال الله عز وجل واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقال تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وروى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد
فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت
ولكنك قاتلت ليقال جرى فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل
تعلم العلم وعلمه وقرا القران فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم
وعلمته وقرات القران قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرات القران ليقال هو
قارئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل وسع الله عليه واعطاه
من اصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل
تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل
ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار قال الترمذي في هذا الحديث ثم ضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار
يوم القيامة قال ابن عبد البر وهذا الحديث فيمن لم يرد بعلمه وجه الله تعالى
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من طلب العلم لغير الله او اراد به غير الله فليتبوا
مقعده من النار وخرج ابن المبارك في رقايقه عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى تخاض البحار
بالخيل في سبيل الله ثم يأتي اقوام يقرؤون القران فاذا قرأوه قالوا من اقرأ منا من اعلم منا ثم التفت
صلى الله عليه وسلم الى اصحابه وقال هل ترون في اولئكم من خير قالوا لا رسول الله قال اولئك
منكم واولئك من هذه الامة واولئك هم وقود النار وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا
من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها رواه ابو داود والترمذي وقال
حديث حسن وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا
بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم يتعوذ منه جهنم كل يوم مائة
مرة قيل يا رسول الله ومن يدخله قال القراء المراؤون باعمالهم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم لواديا ان جهنم لتتعوذ من شر ذلك

الوادي كل يوم سبع مرات ۝ وان في ذلك لجبا ان جهنم وذلك الوادي ليتعوذ ان بالله من شر
ذلك الجب وان في ذلك الجب لحية ۝ وان جهنم والوادي والجب ليتعوذون بالله من شر
تلك الحية سبع مرات اعدها الله للاشقيا من حملة القرآن الذين يعصون الله ۝ فيجب
على حامل القران وطالب العلم ان سقى الله في نفسه ويخلص العمل لله عز وجل فان كان تقدم
له شيء مما يكره فليبادر بالتوبة والانابة وليبتدئ الاخلاص في الطلب وعمله ۝ فالذي يلزم
حامل القران من التحفظ اكثر مما يلزم غيره كما ان له من الاجر ما ليس لغيره ۝ وعن ابي الدرداء
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله عز وجل في بعض الكتب او اوحى الى
بعض الانبيا قل للذين يفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة
ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذياب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر
من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزؤن لاتيحن لهم فتنة تذر الحليم منهم حيرانا رواه
الترمذي ۝ وخرج الطبري في كتاب ادب النفوس قال حدثنا ابو كريب محمد بن العلاء
الهمداني قال حدثنا المحاربي عن عمرو بن عامر البجلي عن ابن صدقة عن رجل من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم او من حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتخادع الله
فانه من يخادع الله يخدعه الله ونفسه يخدع لو يشعر قالوا يا رسول الله وكيف يخادع الله
قال تعمل بما امرك الله وتطلب غيره ۝ فاتقوا الرياء فانه الشرك وان المرائي يدعى يوم القيمة
على رؤوس الاشهاد باربعة اسماء ينسب اليها يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل عملك وبطل
اجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس اجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع ۝ وروى علقمة عن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كيف انتم اذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم
فيها الكبير وتتخذ سنة مبتدعة يجري عليها الناس فاذا غير منها شيء قيل قد غيرت السنة
قيل متى ذلك يا ابا عبد الرحمن قال اذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم وكثر امراؤكم وقل
امناؤكم والتمست الدنيا بعمل الاخرة وتفقه لغير الدين ۝ وقال سفيان بن عيينة
رحمة الله عليه بلغنا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لو ان حملة القران اخذوه بحقه وما
ينبغي لاحبهم الله ولكن طلبوا به الدنيا فابغضهم الله وهانوا على الناس وروي عن ابي حفص

زمانا
مطلب تحريف علماء

مسوك جمع مسك
بوست نام
كباش جمع كبش
قوچ،

يوم القيمة
مطلب نداء الله تعالى

مطلب

محمد بن علي في قول الله عز وجل فكبكبوا فيها هم والغاوون قال هم قوم وصفوا الحق والعدل بالسنتهم وخالفوه الى غيره ○ وسياتي لهذا الباب مزيد بيان ان شاء الله تعالى والله اعلم ○

باب ما ينبغي لحامل القرآن ان ياخذ به نفسه ولا يغفل عنه

قال العلماء رضي الله عنهم ينبغي لصاحب القرآن ان يخلص في طلبه لله عز وجل وان ياخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره في الصلاة وفي غير الصلاة ليلا يتساهل بدليل ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل حامل القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت ○ واذا قام صاحب القرآن فقراه بالليل والنهار ذكره وان لم يقم به نسيه ○ وينبغي ان يكون لله حامدا ولنعمه شاكرا وله ذاكرا وعليه متوكلا وبه مستعينا واليه راغبا وبه معتصما ولذنوبه ذاكرا وله مستغفرا ○ وينبغي له ان يكون خايفا من ذنبه راجيا عفو ربه ويكون الخوف في صحته اغلب عليه اذ لا يعلم ما ختم له ويكون الرجاء عند حضور اجله اقوى في نفسه لحسن الظن بالله عز وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن بالله الظن يعني انه يرحمه ويغفر له ○ وينبغي له ان يكون عالما باهل زمانه محفظا من سلطانه ساعيا في خلاص نفسه ونجاة مهجته مقدما ما بين يديه مما يقدر عليه من عرض الدنيا مجاهدا لنفسه في ذلك ما استطاع ○ وينبغي له ان يكون اهم امره عنده الورع في دينه واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما امره به ونهاه عنه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ينبغي لقاري القرآن ان يعرف ليله اذا الناس نايمون ونهاره اذا الناس مفطرون وببكايه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وبحزنه اذا الناس يفرحون ○ وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما لا ينبغي لحامل القرآن ان يخوض مع من يخوض ولا يجهل ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن لان في جوفه كلام الله عز وجل ○ وينبغي له ان ياخذ نفسه بالتصاون عن كل طرق الشبهات وبقلة الضحك والكلام في مجالس القرآن وغيرها مما لا فايدة فيه وياخذ نفسه بالوقار والحلم ○ وينبغي له ان يتواضع للفقرا ويتجنب التكبر والاعجاب ويتجافى عن الدنيا وابنائها

سطر مطلوب حامل القرآن

مع من يجهل عليه

ان خاف على نفسه الفتنة ۝ وان يترك الجدال والمراء ويأخذ نفسه بالرفق والادب ۝ وينبغي
له ان يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره ويسلم من ضرره وان لا يسمع ممن ذم عنده وبحاجب
من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكارم الاخلاق ويزينه ولا يشينه ۝ وينبغي
له ان يتعلم احكام القرآن فيفهم عن الله عز وجل مراده وما فرض عليه فينتفع بما يقرأ ويعمل بما
يتلوا فما اقبح لحامل القرآن ان يتلو فرايضه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده
وحلاله وحرامه واسراره وعجايبه وقصصه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلوا فكيف يعمل
بما لا يفهم معناه وما اقبح به ان يسأل عن علم ما يتلوه ولا يدريه فما من هذه حالته الا كمثل
الحمار يحمل اسفارا ۝ وينبغي لحامل القرآن ان يعرف الآيات المكية من المدنية ليفرق
بين ما خاطب الله به عباده في اول الاسلام وما ندبهم اليه في اخر الاسلام وما افترض الله في
اول الاسلام وما زاد عليهم من الفرايض في آخره فالمدني هو الناسخ للمكي في اكثر القرآن
ولا يمكن ان ينسخ المكي المدني لان المنسوخ هو المتقدم في النزول قبل الناسخ له ۝ ومن
كماله ان يعرف اعراب القرآن وغريبه فذلك مما يسهل عليه معرفة ما يقرأ ويزيل عنه
الشك فيما يتلوا ۝ وقد قال ابو جعفر الطبري رحمه الله سمعت الجرمي يقول انا منذ
ثلاثين سنة افتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه قال محمد بن يزيد وذلك ان الجرمي كان
صاحب حديث فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث اذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه
النظر والتفسير ثم ينظر في السنن الماثوره الثابته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبهما
يصل الطالب الى مراد الله عز وجل في كتابه العزيز وهي تفتح له احكام القرآن فتحا وقد قال
الضحاك في قوله تعالى كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب قال حق على كل من تعلم القرآن ان يكون
فقيها ۝ وذكر ابن ابي الحواري رحمة الله عليه قال اتينا الفضيل بن عياض رضي الله عنه ناسا
خمسة وثمانين ومايه ونحن جماعة فوقفنا على الباب فلم ياذن لنا بالدخول فقال بعض القوم ان
كان خارجا لشيء فسيخرج لتلاوة القرآن فامرنا قارئا فقرأ فاطلع علينا من كوة فقلنا السلام
عليك ورحمة الله فقال وعليكم السلام فقلنا كيف انت يا ابا علي وكيف حالك فقال انا من الله في
عافية ومنكم في اذى وان ما انتم فيه حدث في الاسلام فانا لله وانا اليه راجعون ما هكذا كنا

نطلب العلم ولكنا كنا نأتي المشيخة فلا نرى انفسنا اهلا للجلوس معهم فنجلس دونهم ونسترق
السمع فاذا مر الحديث سألناهم اعادته وقيدناه وانتم تطلبون العلم بالجهل وقد ضيعتم
كتاب الله عز وجل ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء ما تريدون وان في تعلمكم القرآن
شغلا لاعماركم واعمار اولادكم قلنا كيف يا ابا علي قال لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا اعرابه
ومحكمه من متشابهه وناسخه من منسوخه فاذا عرفتم ذلك استغنيتم عن فضيل وابن عيينة
ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس قد
جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ثم قال العلم فاذا حصلت هذه المراتب لقارئ القرآن
كان ماهرا بالقرآن وعالما بالفرقان وهو قريب على من قربه الله عليه ولا ينتفع بشيء مما ذكرنا حتى
يخلص النيه فيه لله جل ذكره عند طلبه او بعد طلبه كما تقدم فقد يبتدئ الطالب
للعلم يريد به المباهاة والشرف في الدنيا فلا يزال به فهم العلم حتى يتبين له انه على خطأ في اعتقاده
فيتوب من ذلك ويخلص لله تعالى فينفعه بذلك ويحسن حاله قال الحسن كنا نطلب العلم للدنيا
فجرنا الى الآخرة ثم قال حبيب بن ابي ثابت طلبنا هذا الامر وليس لنا فيه نية ثم جاءت
النية بعد ثم

باب في تعلم اعراب القرآن وتعليمه وفضل

ثواب من قرأ القرآن معربا قال ابن الانباري رحمه الله جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعن اصحابه وتابعيهم رضوان الله عليهم تفضيل اعراب القرآن والحض على تعليمه وذم اللحن والكراهية
لما وجب به على قراء القرآن ان ياخذوا انفسهم بالاجتهاد في تعلمه من ذلك ما روي عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه ثم وعن
ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فلم يعربه وكل به ملك يكتب
له بكل حرف عشر حسنات فان اعرب بعضه وكل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة فان
اعربه كله وكل به اربعة املاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه جردوا القرآن وزينوه باحسن الاصوات واعربوه فانه عربي والله يحب ان يعرب ثم
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قرأ القرآن فاعربه كان له عند الله اجر شهيد وقال مكحول

مطلب وجوب تعلم العربية

ان من قرا ما عراب كان له من الاجر ضعفان ممن قرا بغير اعراب ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي ۞ وروي سفين عن ابي حمزة قال قيل للحسن رضي الله عنه في قوم يتعلمون العربية فقال احسنوا يتعلمون لغة نبيهم صلى الله عليه وسلم ۞ وقيل للحسن رضي الله عنه ان لنا اماما يلحن قال اخروه ۞ وحكي ابن ابي مليكة رحمة الله عليه قال قدم اعرابي المدينة في خلافة عمر رضي الله عنه فقال من يقرئني مما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم قال فاقراه رجل برآة فقال فقال ان الله بريء من المشركين ورسوله بالجر فقال اعرابي وقد برئ الله من رسوله فان يكن الله برئ من رسوله فانا ابرا منه فبلغ عمر مقاله الاعرابي فدعاه فقال له يا اعرابي اتبرا من رسول الله فقال يا امير المومنين اني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن فسالت من يقرئني فاقرانى هذا سورة برآة فقال ان الله بريء من المشركين ورسوله فقلت او قد برئ الله من رسوله ان يكن الله بريء من رسوله فانا ابرا منه فقال عمر ليس هكذا يا اعرابي قال فكيف هي يا امير المومنين قال ان الله بريء من المشركين ورسوله فقال الاعرابي وانا والله ابرا مما برئ الله ورسوله منه فامر عمر ان لا يقرئ الناس الا عالم باللغة وامر ابا الاسود فوضع النحو ۞ وعن علي بن الجعد قال سمعت شعبة يقول مثل صاحب الحديث الذي لا يعرف العربية مثل الحمار عليه مخلاة لا علف فيها وقال ابن عطية اعراب القرآن اصل في الشريعة لان بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع ۞ قال ابن الانباري وجاء عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتابعيهم رضوان الله عليهم من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللغة والشعر ما بين مذهب النحويين في ذلك واوضح فساد مذهب من انكر ذلك عليهم من ذلك ما حدث ساعة روى ان ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا سالتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب وقال علي بن زيد بن جدعان سمعت سعيد بن جبير ويوسف بن مهران يقولان سمعنا ابن عباس رضي الله عنهما يسال عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا اما سمعتم الشاعر يقول فيه كذا وكذا وقال عكرمة سال رجل ابن عباس عن قول الله عز وجل وثيابك فطهر قال معناه لا تلبس ثيابك على غدر وتمثل بقول غيلان الثقفي ۞

فاني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من سوءة انتبع ۞ وسال رجل عكرمة

مطلب علم النحو سببه وضعه

مطلب اعانة العرب على فهم القرآن بديوان

عن الزنيم فقال هو ولد الزنا وتمثل ببيت شعر
زنيم ليس يعرف من ابوه ۞ بغي الامر ذو حسب لئيم ۞ وعنه ايضا قال الزنيم
هو الدعي الفاحش اللئيم ثم انشد يقول ۞ زنيم تداعاه الرجال زيادة ۞ كما زيد في عرض الاديم الاكارع ۞ اكارعه ۞
وسئل ايضا عن قوله تعالى ذواتا افنان قال ذوا اناطل واغصان ۞ ثم قال الم تسمع الى قول
الشاعر ۞ ما هاج ۞ شوقك من هديل حمامة ۞ تدعو على فنن الغصون حماما ۞
وقال نافع بن الازرق لابن عباس اخبرني عن قول الله عز وجل لا ماخذه سنة ما هي السنة
قال النعاس ۞ قال زهير بن ابي سلمى
لا سنة في طول الليل تاخذه ۞ ولا ينام ولا في امره فنل ۞ والمعنى في هذا كله والله اعلم

باب ما جاء عن الصحابة والتابعين في فضل تفسير القرآن واهله

من ذلك ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم
فقال له رجل جعلت فداك تصف جابرا بالعلم وانت انت فقال انه كان يعرف تفسير قوله
تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ۞ وقال مجاهد رحمة الله عليه احب الخلق
الى الله اعلمهم بما انزل الله ۞ وقال الشعبي رحل مسروق الى البصرة في تفسير اية فقيل
له ان الذي يفسرها رحل الى الشام فتجهز ورحل الى الشام حتى علم تفسيرها ۞ وقال عكرمة
في قول الله عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله طلبت اسم هذا الرجل الذي خرج
من بيته مهاجرا الى الله ورسوله اربع عشرة سنة حتى وجدته ۞ قال ابن عبد البر هو
ضمرة بن حبيب وسياتي ذكره ۞ وقال ابن عباس رضي الله عنهما مكثت سنتين اريد ان اسال عمر
عن المراتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعني الا مهابته فسالته
فقال هي حفصة وعائشة ۞ وقال اياس بن معوية مثل الذين يقرون القرآن وهم لا يعلمون
تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة ولا
يدرون ما في الكتاب ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤا ما في
الكتاب ۞

باب ما يلزم حامل القرآن وقارئه من تعظيم القرآن وحرمته

قال العلماء رضي الله عنهم من حرمة القرآن ان لا يمسه الا طاهرا ومن

مختصر حرمة قرآن

حرمته ان يتاكل ويتخلل فيطيب فاه اذ هو طريق القرآن ۞ قال يزيد بن ابي مالك رحمه الله
ان افواهكم طرق من طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم ۞ ومن حرمته ان يستوي
له قاعدا ان كان في غير صلاة ولا يكون متكئا ومن حرمته ان يتمضمض كلما تنخع لما روى
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يكون بين يديه تور من حجارة اذا تنخع تمضمض ثم اخذ في الذكر
ومن حرمته ان يستقبل القبلة لقراءته وكان ابو العالية رحمة الله عليه اذا قرأ اعتم وارتدى
واستقبل القبلة ومن حرمته اذا تثاوب ان يمسك عن القراءة لانه اذا قرأ فهو مخاطب به
عز وجل ومناج له والتثاوب من الشيطان قال مجاهد اذا تثاوبت وانت تقرأ القرآن فامسك
عن القرآن تعظيما حتى يذهب تثاؤبك ومن حرمته ان يستعيذ بالله عند ابتدائه للقراءة
من الشيطان الرجيم ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ومن حرمته اذا اخذ في القراءة لم يقطعها
ساعة فساعة بكلام الادميين من غير ضرورة ومن حرمته ان يقرأه على تؤدة وترسيل
وترتيل ومن حرمته ان يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به ومن
حرمته ان يقف على اية الوعد فيرغب الى الله تعالى ويسأله من فضله وان يقف على اية الوعيد
فيستجير بالله منه ومن حرمته ان يقف على تمثيلها ومن حرمته ان يلتمس غرايبه
ومن حرمته ان يودي لكل حرف حقه من الادا حتى يبين اللفظ تماما فان له بكل حرف عشر
حسنات ومن حرمته اذا فرغ من قراءته ان يصدق ربه عز وجل ويشهد بالبلاغ لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ويشهد على ذلك انه حق فيقول صدقت ربنا وبلغت رسلك وانا على
ذلك من الشاهدين اللهم اجعلني من شهداء الحق القايمين بالقسط ثم يدعو بما بدا له
حرمته اذا وضع المصحف ان لا يتركه منشورا ولا يضع فوقه شيا من كتب العلم وغيره حتى يكون
ابدا عاليا ومن حرمته ان يضعه في حجره اذا قرأ او على شيء بين يديه ولا يضعه بالارض
ومن حرمته ان لا يمحوه من اللوح بالبزاق ولكن يغسله بالماء ومن حرمته اذا غسله
بالماء ان يتوقى النجاسات من المواضع ويتوقى المواضع التي توطا فان ابلك الغسالة حرمة ۞
وكان من قبلنا من السلف منهم من يستشفي بغسالة القرآن ومن حرمته ان لا يتخذ الصحيفة منه
اذا بليت ودرست وقايته للكتب فان ذلك جفاء عظيم ولكن يمحوها بالماء ومن حرمته ان لا يخلي

يوما من ايامه من النظر في المصحف مرة وكان ابو موسى الاشعري رضي الله عنه يقول اني
لاستحيي ان لا انظر كل يوم في عهد ربي مرة ومن حرمته ان يعطى عنه حظها منه قال العين
تودي الى النفس وبين النفس والصدر حجاب والقرآن في الصدر فاذا قراه عن ظهر
قلب فانما يسمع اذناه فيودي الى النفس فاذا نظر في الخط كانت العين والاذن قد اشتركتا
في الاداء وذلك اقوى للاداء وكان قد اخذت العين حظها كالاذن وروى زيد بن
اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا وما رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في
المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجايبه وعن عباده بن الصامت رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل عباده امتي قراة القران نظرا ومن حرمته ان
لا يجهر بعض القراء على بعض في القراءة فيفسد عليه حتى يسمع اليه ما يسمع ويكون كهيئة
المغالبة ومن حرمته ان لا يماري ولا يجادل فيه في القراآت ولا يقول لصاحبه
ليس هكذا القراءة ولعله ان تكون تلك القراءة صحيحة جايزة من القران فيكون قد حد كتاب
الله عز وجل ومن حرمته ان لا يقراه في الاسواق ولا في مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء
الا ترى ان الله تعالى ذكر عباد الرحمن واثنى عليهم بانهم اذا مروا باللغو مروا كراما هذا المرور
بنفسه فكيف اذا مر بالقران العظيم يتلوه بين ظهراني اهل اللغو ومجمع السفهاء ومن
حرمته ان لا يتوسد المصحف ولا يعتمد عليه ولا يرمي به الى صاحبه اذا اراد ان يناوله
ومن حرمته ان لا يجعل المصحف الا في حجم كبير ولا يجعله صغيرا لما روي ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه راى مصحفا صغيرا في يد رجل فقال له من كتب هذا قال انا يا امير المؤمنين
فضربه بالدرة وقال عظموا القران وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يقال
مصيحف او مسيحد ومن حرمته ان لا تكتب على الارض ولا على الحيطان والسقف
كما يفعل في هذه المساجد المحدثة قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بلغني ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مر بكتابة في ارض فقال لشاب من هذيل ما هذا قال من كتاب الله يا رسول الله
كتبه يهودي فقال لعن الله من فعل هذا لا تضعوا كتاب الله الا موضعه قال محمد بن الزبير راي

عمر بن عبد العزيز اذا اراد ان يكتب القران على حايط فصر به ويستحب له اذا ختم القران ان يجمع
اهله لما روى ان انس بن مالك رضى الله عنه كان اذا ختم القران جمع اهله ودعا قال الحكم
كان مجاهد وابن ابى ليلى يقولان اذا ختم القران نزلت الرحمة وقال مجاهد يعرضون المصاحف فاذا اراد وا ان يختموا وجهوا الينا احضروا
فان الرحمة تنزل عند ختم القران وقال ابرهيم التيمى من ختم القران اول النهار صلت عليه
الملايكة حتى يمسى ومن ختم اول الليل صلت عليه الملايكة حتى يصبح قال فكانوا يستحبون ان يختموا
اول الليل واول النهار ومن حرمته ان لا يكتب التعاويذ منه ثم يدخل به الخلا الا ان
يكون فى غلاف من ادم او فضة او غيره فيكون كانه فى صدرك ومن حرمته اذا كتبه وشربه
سمى الله على كل نفس وعظم النبى منه فان الله تعالى يعطيه على قدر نيته وروى ليث عن مجاهد
قال لا باس ان تكتب القران ثم يسقيه المريض وقال جعفر بن محمد رضى الله عنه من وجد فى
قلبه قساوة فليكتب سورة يس فى جام نزعفران ثم يشربه فانه تذهب باذن الله ومن حرمته
ان لا تقال سورة صغيرة وكان ابو العالية اذا سمع احدا تقول سورة صغيرة او كبيرة قال
انت اصغر منها واما القران فكله عظيم ذكره ملك رحمه الله ○ وفى هذا كفاية والله تعالى اعلم

مطلب فان الله تعالى يعطى على قدر نيته

مطلب شفاء يس

باب ما جاء فى وعيد من يفسر القران برايه وذكر مراتب التفسير

عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الحديث
على الا ما علمتم فمن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار ومن قال فى القران برايه فليتبوا
مقعده من النار رواه الترمذى رحمه الله وعن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القران برايه فاصاب فقد اخطا رواه الترمذى وقال
هذا حديث غريب واخرجه ابو داود وتكلم فى احد رواته وزاد رزين ومن قال برايه فاخطا
فقد كفر قال ابن الانبارى حديث ابن عباس له تفسيران احدهما من قال فى مشكل القران
ما لا يعرف من مذهب الاوايل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله والثانى
وهو اثبتهما واصحهما ومعناه من قال فى القران قولا يعلم ان الحق غيره فليتبوا مقعده من النار
وقال ايضا فى حديث جندب حمل بعض اهل العلم هذا الحديث على ان الرأى معنى به
الهوى فمن قال فى القران قولا يوافق هواه لم ياخذه عن ائمة السلف فاصاب فقد اخطا

لحكمه على القراٰن بما لا يعرف اصله ولا تقف على مذاهب اهل الاثر والنقل فيه قال
بعض العلما معنى هذا ان يسال الرجل عن معنى من كتاب الله عز وجل فيتشور عليه برايه دون
نظر فيما قال العلما او اقتضته قوانين العلم كالنحو والاصول وغيره قال بعض العلما
ان المفسر موقوف على السماع لقول الله تعالى فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول
وهذا القول ضعيف قال ابن عطيه وكان جلة من السلف كسعيد بن المسيب وعامر
الشعبى وغيرهما يعظمون تفسير القراٰن ويتوقفون عنه تورعا واحتياطا لانفسهم مع
ادراكهم وتقدمهم وقال ابن الانبارى كان الايمة من السلف الماضى يتوعون عن تفسير
المشكل من القراٰن فبعضهم يقدر ان الذى يفسره لا يوافق مراد الله فيحجم عن القول وبعضهم
تشفق من ان يجعل فى المفسر حرفا برايه ويخطى فيه ويقول امامى فى تفسير القراٰن بالراى
فلان الامام من السلف وقال ابن ابى مليكه سئل ابو بكر الصديق رضى الله عنه عن تفسير
حرف من القراٰن فقال اى سما تظلنى واى ارض تقلنى واين اذهب وكيف اصنع اذا قلت فى حرف
من كتاب الله عز وجل بغير ما اراد سبحانه وتعالى وقال ابن عطيه كان جلة من السلف
رضى الله عنهم يفسرون القراٰن وهم ابقوا على المسلمين وذلك فاما صدر المفسرين والموبد
فيهم فعلى بن ابى طالب رضى الله عنه ويتلوه عبد الله بن عباس وهو الذى بخرد للامر وكمله
وتبعه العلما عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما والمحفوظ عن ابن عباس فى ذلك اكثر
من المحفوظ عن على رضى الله عنه وقال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما اخذت من التفسير فعن
على بن ابى طالب رضى الله عنه وكان على رضى الله عنه يثنى على تفسير ابن عباس ويحض الناس على
الاخذ عنه وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول نعم ترجمان القراٰن عبد الله بن
عباس وقال عنه على بن ابى طالب رضى الله عنه ابن عباس كانما ينظر الى الغيب من ستر
رقيق ويتلوه عبد الله بن مسعود وابى بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص
رضى الله عنهم وكل ما اخذ عن الصحابه من التفسير فحسن مقدم لشهودهم التنزيل ونزوله بلغتهم
وروى عن عامر بن واثله قال شهدت على بن ابى طالب رضى الله عنه يخطب فسمعته يقول
فى خطبته ايها الناس سلونى فوالله لا تسالونى عن شئ يكون الى يوم القيامة الا حدثكم به

سلونی عن کتاب اللہ فواللہ ما من ایہ الا انا اعلم ابلیل نزلت ام بنہار ام فی سہل نزلت ام جبل
فقام الیہ ابن الکوا فقال یا امیر المومنین ما الذاریات ذروا ہ وذکر الحدیث الی آخرہ ن وعن
المنہال بن عمرو رضی اللہ عنہ قال قال عبد اللہ بن مسعود رضی اللہ عنہ لو اعلم احدا اعلم بکتاب اللہ
منی تبلغہ المطی لاتیتہ فقال لہ رجل اما الفت علی بن ابی طالب فقال بلی وہل لقیتہ وروی
عن مسروق رضی اللہ عنہ قال وجدت اصحاب محمد صلی اللہ علیہ وسلم مثل الاخاذ یروی
الواحد والاخاذ یروی الاسی ہ والاخاذ لو ورد علیہ الناس اجمعون لاصدرہم وان
عبد اللہ بن مسعود من تلک الاخاذ ن والاخاذ عند العرب ہو الموضع الذی یحبس الماء
کالغدیر ونحوہ ن وعن ابی سعید الخدری رضی اللہ عنہ قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ
وسلم ارحم امتی بہا ابو بکر واقواہم فی دین اللہ عمر واصدقہم حیاء عثمان واقضاہم علی وافرضہم
زید واقراوہم لکتاب اللہ ابی بن کعب واعلمہم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وامین ہذہ الامۃ
ابو عبیدہ ابن الجراح ہ وابو ہریرۃ وعاء من العلم وسلمان بحر من علم لا یدرک وما اظلت
الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذی لہجۃ اصدق من ابی ذر رضی اللہ تعالی عنہم ن ومن المبرزین
فی التابعین الحسن البصری ومجاہد وسعید بن جبیر وعلقمۃ ن قرا مجاہد علی ابن عباس
قراہ تفہم ووقوف عند کل ایۃ ن ویتلوا ہو لا عکرمۃ والضحاک وان کان لم یلق ابن عباس
وانما اخذ عن ابن جبیر ن واما السدی وکان عامر الشعبی یطعن علیہ وعلی ابی صالح لانہ
کان یراہما مقصرین فی الطلب ن ثم بعدہم حمل تفسیر کتاب اللہ عدول کل خلف کما قال
النبی صلی اللہ علیہ وسلم یحمل ہذا العلم من کل خلف عدولہ ینفون عنہ تحریف الغالین
وانتحال المبطلین وتاویل الجاہلین قال الخطب ابو بکر احمد بن علی البغدادی وہذہ
شہادۃ من رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم بانہم اعلام الدین وائمۃ المسلمین لحفظہم الشریعۃ
من التحریف والانتحال للباطل وردہ تاویل الابلہ الجاہل وانہ یجب الرجوع الیہم والمعول
فی امر الدین علیہم فکلہم مجتہد ماجور رحمہم اللہ ونضر وجوہہم ن واللہ تعالی اعلم ن

باب ما جا فی بیان الکتاب بالسنۃ وما ورد فی ذلک ن

قال اللہ تعالی لنبیہ صلی اللہ علیہ وسلم وانزلنا الیک الذکر لتبین للناس ما نزل الیہم وقال

تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال تعالى
وانك لتهدى الى صراط مستقيم وفرض تعالى طاعة نبيه صلى الله عليه وسلم فى غير اية من كتابه
وقرنها بطاعته عز وجل فقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وذكر
ابن عبد البر فى كتاب العلم له عن عبد الرحمن بن يزيد انه راى محرما عليه ثيابه فنهاه عن ذلك
فقال المحرم ايبتنى بآية من كتاب الله بنزع ثيابى قال فقرا عليه وما آتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وروى ابو داود عن المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال الا واتى اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على
اريكته يقول عليكم بهذا القران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام
فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغنى
عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فعليه ان يعقبهم بمثل قراه
قال الخطابى رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت الكتاب ومثله معه يحتمل وجهين
من التاويل الوجه الاول معناه انه صلوات الله عليه اوتى من الوحى الباطن غير المتلو مثل
ما اعطى من الوحى الظاهر المتلو ن والوجه الثانى انه صلوات الله عليه اوتى الكتاب
وحيا يتلى واوتى من البيان مثله معناه اذن الله له ان سين ما فى الكتاب فيعم ويخص ويزيد
عليه ويشرع ما فى الكتاب فيكون فى وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القران
وقوله صلى الله عليه وسلم يوشك رجل شبعان مكى على اريكته الحديث يحذر صلى الله
عليه وسلم بهذا القول من يخالف هذه السنن التى سنها مما ليس له فى القران ذكر على ما ذهبت اليه
الخوارج والروافض فانهم تعلقوا بظاهر القران وتركوا السنن التى قد تضمنت بيان الكتاب
فتحيروا وضلوا ن والاريكة السرير وانما اراد صلى الله عليه وسلم بالاريكة اهل الترفه
والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانه وقوله صلى الله عليه وسلم
فى لقطة المعاهد الا ان يستغنى عنها صاحبها معناه ان يتركها صاحبها لمن اخذها استغناء
عنها وقوله صلى الله عليه وسلم فى الضيف فله ان يعقبهم بمثل قراه قال العلماء هذا
فى حال المضطر الذى لا يجد طعاما ويخاف التلف على نفسه فله ان ياخذ من مالهم بقدر

بقدر قراءة عوض ما حرموه من قراءة ○ وقوله يعقبهم بروى مشددا ومخففا من العاقبة
ومنه قوله تعالى وان عاقبتم وكانت الغلبة لكم فغنمتم منهم وكذلك لهذا الضيف ان يغنم
من اموالهم بقدر قراءة قال وفى هذا الحديث دلالة على انه لا حاجة بالحديث الى ان يعرض
على الكتاب فانه مهما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حجة بنفسه ○ فاما ما رواه
بعضهم انه قال اذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله عز وجل فان وافقه فخذوه فانه حديث
باطل لا اصل له ○ ثم البيان منه صلى الله عليه وسلم على ضربين بيان لمجمل فى الكتاب كبيانه
للصلوات الخمس فى مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر احكامها وكبيانه لمقدار الزكوة
ووقتها وما الذى يوخذ منه من الاموال وبيانه لمناسك الحج قال صلى الله عليه وسلم
لما حج بالناس حجة الوداع خذوا عنى مناسككم وقال صلى الله عليه وسلم صلوا كما رايتمونى
اصلى ○ وروى ابن المبارك عن عمران بن حصين انه قال لرجل انك امرؤ احمق اتجد الظهر
فى كتاب الله عز وجل اربعا لا يجهر فيها بالقراءة ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا
ثم قال اتجد هذا فى كتاب الله مفسرا ان كتاب الله ابهم هذا وان السنة فسرته ○ وروى
الاوزاعى عن حسان بن عطية قال كان الوحى ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضرته
جبريل بالسنة التى تفسر ذلك ○ الضرب الثانى من البيان وهو زيادة على حكم الكتاب كتحريم
نكاح المراة على عمتها وخالتها وتحريم الحمر الاهلية وكل ذى ناب من السباع والقضاء
باليمين مع الشاهد وغير ذلك على ما مضى بيانه ان شاء الله تعالى ○ والله تعالى اعلم ○

باب فضل علم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

وفضل العلم والعلماء

عن ابى عبد الرحمن السلمى قال حدثنا الذين كانوا يقرئوننا عثمان بن عفان
وعبد الله بن مسعود وابى بن كعب رضى الله عنهم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم عشر
ايات فلا يجاوزونها حتى يعلموا ما علمهم فيها من العلم قال فتعلموا القران والعلم جميعا ○
وعن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس رضى الله عنهما من قرا القران ولم يعلم تفسيره فهو بمنزله
الاعرابى يقرا ولا يدرى ما هو ○ وقال الحسن رضى الله عنه والله ما انزل الله اية الا وهو يحب ان
يعلم فيما انزلت وما معناها وقال ايضا علم القران ذكر لا يعلمه الا الذكور من الرجال ○

وروى ابو نضر الرملي رحمة الله عليه قال اتينا الفضيل بن عياض بمكة وسالناه ان يملي علينا فقال ضيعتم كتاب الله وطلبتم كلام فضيل وابن عيينة لو تفرغتم لكتاب الله عز وجل لوجدتم فيه شفآ لما تريدون قلنا ياسيدي قد تعلمنا القرآن قال ان تعلم القران شغلا لاعمارکم واعمارا اولادکم واولاد اولادکم قلنا كيف قال لن تعلموا القران حتى يعرفوا اعرابه ومحكمه ومتشابهه وحلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه فاذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وغيره ثم قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفآ لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين وقال سفين الثوري رحمة الله عليه افنينا اعمارنا في الاباطيل والظهار ونبذنا كتاب الله وراء ظهورنا فما ذا نقول لربنا في المعاد وقال ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه كنا اذا تعلمنا عشر ايات من القران لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وامرها ونهيها وقال الامام مالك رحمة الله عليه بلغني ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثمان سنين يتعلمها وروى مالك عن نافع عن ابن عمر ان عمر رضي الله عنه تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا وقال ابو بكر بن حماد المقرى سمعت خلف بن هشام يقول ما اظن القران الا عارية في ايدينا ودلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حفظ البقرة في بضع عشرة سنة فلما حفظها نحر جزورا شكرا لله تعالى وان الغلام في دهرنا هذا يجلس بين يدي فنقرا لك القران لا يسقط منه حرفا فما احسب القران الا عارية في ايدينا وقال اهل العلم لا ينبغي لطالب الحديث ان يقتصر على سماع الحديث وكتبه دون معرفته وفهمه فيكون قد اتعب نفسه من غير ان يظفر بطايل ولكن يحفظ الحديث على التدريج قليلا قليلا مع الليالي والايام ومن ورد عنه ذلك من حفاظ الحديث شعبة وابن عيينة ومعمر قال معمر سمعت الزهري يقول من طلب العلم جملة فاته جملة وانما يدرك العلم حديثا حديثا تعلموا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العلم اهتموا به وعاية وان السفها اهتموا بالرواية وقال ابن مسعود رضي الله عنه سال موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال يارب اي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه لعله يسمع كلمة تدله على هدى

معلم ضيعتم كتاب الله
استغنيتم
معلم قول لسفيان الثوري
الرواية
وان السفها يعتنون الرواية
معلم ان العلماء يعتنون الدراية

او ترده عن ردی ۞ وعن ابی هریره رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال اوحی الله
الی ابرهیم ان یا ابرهیم انی علیم احب کل علیم ۞ وعنه صلی الله علیه وسلم انه قال العلما مفاتیح
الجنة وخلفا الانبیا علیهم السلام ۞ وعن عائشه رضی الله عنها قالت قال رسول الله صلی الله
علیه وسلم اذا اتی علیّ یوم لا ازداد فیه علما فلا بورک لی فی طلوع الشمس ذلک الیوم ۞ وعن
ابن عباس رضی الله عنهما قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول اللهم ارحم خلفانا قلنا
یا رسول الله ومن خلفاؤک قال الذین یاتون بعدی یروون احادیثی وسنتی ویعلمونها الناس ۞
وقال رجل للمامون ایحسن بی التعلم مع هذا السن قال نعم تحسن بک التعلم ما حسنت بک
الحیاة وقال عون بن عبد الله جا رجل الی ابی ذر رضی الله عنه فقال له انی ارید ان اتعلم العلم
واخاف ان اضیعه فقال له تعلم فانک ان تمت عالما خیر من ان تموت جاهلا ثم جا الی ابی الدردا
رضی الله عنه فقال له یا ابا الدردا انی ارید ان اتعلم العلم واخاف ان اضیعه فقال له تعلم العلم
فانک ان تؤتی العلم خیر لک من ان تؤتی الجهل ثم جا الی ابی هریره رضی الله عنه فقال له یا ابا هریره
انی ارید ان اتعلم العلم واخاف ان اضیعه فقال له تعلم العلم فانک لن تجد له اضاعة اشد من
ترکه ۞ وکان یقال اذا ترک العالم الجهل یوذی یا هادی ترک الطریق ۞ وقال الزهری العلم
افضل من العمل لمن جهل والعمل افضل من العلم لمن علم ۞ وقال ابو بکر الوراق العلم خیر من
فضل العبادة لان العبادة للانسان وحده والعلم له ولغیره ۞ وقال عبد الله بن ابی جعفر
العلما منار البلاد منهم یقتبس النور الذی یهتدون به ۞ وقال عمر بن الخطاب رضی الله عنه
لا تکونوا من جبابره العلما فلا یقوم علمکم بجهلکم ۞ وقال ابو موسی الاشعری رضی الله عنه من
علمه الله علما فلیعلمه الناس ولا یقول لا اعلم فیمرق فی الدین والله تعالی یختص برحمته من
یشا وسطوی بحکمته الخلفا فی ارضه والامنا علی وحیه والعلما بامره ونهیه ویستخلفکم فی الارض
فسنظر کیف تعملون ۞ ویروی ان الحسن بن عمار مر علی الزهری وهو جالس علی بابه فقال له
حدثنی فقال اما تعلم انی ترکت الحدیث فقال له الحسن اما ان تحدثنی واما ان احدثک قال له
الزهری حدثنی فقال حدثنا الحکم بن عتبه عن یحیی الجزار عن علی کرم الله وجهه قال ما اخذ الله
عز وجل العهد علی اهل الجهل ان یتعلموا حتی اخذ علی اهل العلم ان یعلموا ۞ حدیث ۞

سطر حدیث بلیغ

سطر علما لا یرحفظ

سطر علما لا یرحفظ وعلم

فضل صح
سطر فضل العلم خیر
من فضل العبادة

وروي بكير بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان من العلم
ما يكون كهيئة الشئ المدفون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا يجهله الا اهل الغرة بالله ثم
تدرون ما قال لي جبريل عليه السلام قلنا لا يا رسول الله قال يا محمد لا تحقرن عبدا اتاه الله علما
فان الله تعالى لم يحقره حين علمه ان الله جامع العلما في صعيد واحد فيقول لهم اني لم استودعكم
علمي الا لخير اردت بكم قد غفرت لكم على ما كان منكم ○ وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة جمع الله العلما وقال اني لم استودعكم
علمي وانا اريد ان اعذبكم ادخلوا الجنة برحمتي ○ وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله عز وجل
يباهي ملائكته بوقع اقلام اهل العلم ○ وقال ابرهيم بن ادهم قدس الله روحه ما اظن ان الله
تعالى يدفع البلا عن اهل الارض الا برحله اصحاب الحديث ○ وقال ابن مسعود رضي الله عنه
كونوا للعلم رعاة ولا تكونوا له رواة فانه قد يرعوى من لا يروى ويروى من لا يرعوى ○
وعن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مساله واحد تعلمها
المومن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد اسماعيل وان طالب العلم والمراة
المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه يدخلون الجنة مع الانبيا بغير حساب ○ وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اكرم عالما فقد اكرمني ومن اكرمني فقد
اكرم الله ومن اكرم متعلما فقد اكرم سبعين شهيدا ومن احب العلم والعلما لا تكتب عليه خطية امام جيوته ○ وعن
انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العلما في الارض كمثل النجوم في
السما يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل الهداة ○ وعن
عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبيا
والعلما والشهدا وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ○ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله وارادبه غير الله فليتبوا مقعده من النار ○

معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القران
انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه روي مسلم عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان

النبی صلی اللہ علیہ وسلم کان عند اضاۃ بنی غفار فاتاہ جبریل علیہ السلام فقال ان اللہ تعالی
یامرک ان تقرا امتک القرآن علی حرف فقال اسال اللہ معافاتہ ومغفرتہ وان امتی لا تطیق ذلک ۵
ثم اتاہ الثانیۃ فقال ان اللہ یامرک ان تقرا امتک القرآن علی حرفین فقال اسال اللہ معافاتہ ومغفرتہ
وان امتی لا تطیق ذلک ۵ ثم جاءہ الثالثۃ فقال ان اللہ یامرک ان تقرا امتک القرآن علی ثلاثۃ احرف ۵
فقال اسال اللہ معافاتہ ومغفرتہ وان امتی لا تطیق ذلک ۵ ثم جاءہ الرابعۃ فقال ان اللہ یامرک ان
تقرا امتک القرآن علی سبعۃ احرف فایما حرف قراوا علیہ فقد اصابوا ۵ وروی الترمذی
عن ابی ذر انہ قال لقی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم جبریل علیہ السلام فقال یا جبریل انی بعثت
الی امۃ امیۃ منہم العجوز والشیخ الکبیر والغلام والجاریۃ والرجل الذی لم یقرا کتابا قط فقال
لی یا محمد ان القرآن انزل علی سبعۃ احرف قال الترمذی ھذا حدیث حسن صحیح ۵ وثبت فی الامہات
البخاری ومسلم والموطا وابی داود والنسائی وغیرھا من المصنفات والمسندات قصۃ عمر مع
ھشام بن حکیم وستاتی بکمالہا فی اخر الباب ان شاء اللہ تعالی ۵ وقد اختلف العلماء
رضی اللہ عنہم فی المراد بالاحرف السبعۃ التی ذکرھا النبی صلی اللہ علیہ وسلم علی خمسۃ وثلاثین قولا
ذکرھا ابن حبان رحمہ اللہ ونحن نذکر منہا فی ھذا الکتاب خمسۃ اقوال ۵ القول الاول
وھو الذی علیہ اکثر العلماء رضی اللہ عنہم کسفیان بن عیینۃ وعبد اللہ بن وھب والطبری والطحاوی
وغیرھم ان المراد بالسبعۃ احرف سبعۃ اوجہ من المعانی المتقاربۃ بالفاظ مختلفۃ نحو ھلم واقبل
اقبل وتعال وھلم ۵ قال الطحاوی وایس من ھذا ما ذکر فی حدیث ابی بکرۃ رضی اللہ عنہ قال
جاء جبریل الی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم فقال اقرا علی حرف فقال میکائیل استزدہ قال اقرا
علی حرفین فقال میکائیل استزدہ حتی بلغ الی سبعۃ احرف فقال اقرا فکل شافٍ کافٍ الا ان تخلط
ایۃ رحمۃ بایۃ عذاب او ایۃ عذاب بایۃ رحمۃ نحو ھلم وتعال واقبل واذھب واسرع
وعجل ۵ وروی ورقا عن ابن ابی نجیح عن مجاہد عن ابن عباس عن ابی بن کعب رضی اللہ عنہ
انہ کان یقرا یوم یقول المنافقون والمنافقات للذین امنوا انظرونا نقتبس منکم ۵ للذین امنوا
اخروا ۵ للذین امنوا ارقبونا ۵ وھذا الاسناد الی ابی بن کعب رضی اللہ عنہ انہ کان یقرا
کلما اضاء لھم مشوا فیہ ۵ کلما اضاء لھم مروا فیہ ۵ کلما اضاء لھم سعوا فیہ ۵ وقال الزھری

سطر
الآیۃ السبعۃ
سبب نزولہ
سطر
الفرق ان بین الحدیث

انما هذه الاحرف فى الامر الواحد ليس تختلف فى حلال ولا حرام ٥ قال الطحاوى انما كانت
السبعة للناس فى الحروف لعجزهم عن اخذ القران على غير لغاتهم لانهم كانوا امييين لا
يكتبون الا القليل منهم ولما كان شق على كل ذى لغة ان يتحول الى غير لغته من اللغات ولوازم
ذلك لم ينههما الا مشقة عظيمة فوسع الله لهم فى اختلاف الالفاظ اذا كان المعنى متفقا
فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم الى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقروا
بذلك على تحفظ الفاظه فلم يسعهم حينئذ ان يقرؤا بخلافها ٥ قال ابن عبد البر فبان
بهذا ان تلك السبعة الاحرف انما كانت فى وقت خاص لضرورة دعت الى ذلك ثم ارتفعت
تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الاحرف وعاد ما يقرأ به القران الى حرف واحد ٥
القول الثانى قال قوم من العلماء المراد بسبعة احرف سبع لغات فى القران على
لغات العرب كلها يمنها ونزارها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجعل شيئا منها وكان صلى الله
عليه وسلم قد اوتى جوامع الكلم وليس معناه ان يكون فى الحرف الواحد سبع لغات مختلفة
ولكن هذه اللغات السبع متفرقة فى القران فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه
بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن قال الخطابى على ان فى القران ما قد قرئ بسبعة اوجه
وهو قوله تعالى وعبد الطاغوت وقوله تعالى ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وذكر وجوها
كانه يذهب الى ان بعضه انزل على سبعة احرف لا كله ٥ والى هذا القول بان القران انزل
على سبع لغات ذهب ابو عبد الله القاسم بن سلام واختاره ابن عطية قال ابو عبد وبعض
الاحيا اسعد بها واكثر حظا فيها من بعض وذكر حديث ابن شهاب عن انس ان عثمان رضى الله عنه
قال لهم حين امرهم ان يكتبوا المصاحف ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فانه نزل
بلغتهم رواه البخارى ٥ وذكر حديث ابن عباس قال نزل القران بلغة الكعبيين كعب قريش
وكعب خزاعة قيل وكيف ذاك قال لان الدار واحدة يعنى ان خزاعة جيران قريش فاخذوا
بلغتهم ٥ قال القاضى ابن الطيب رحمه الله معنى قول عثمان رضى الله عنه فانه نزل بلسان قريش
يريد ان معظمه واكثره نزل بلغتهم ولم يقم دليل قاطع على ان القران باسره منزل بلغة
قريش فقط اذ فيه كلمات وحروف هو خلاف لغة قريش وقد قال الله عز وجل انا جعلناه قرانا عربيا

فى اول الاسلام

ولم نقل قرشيا وهذا يدل على ان القران منزل بجميع لسان العرب وليس لاحد ان يقول انه اراد
قرشا من العرب دون غيرها كما انه ليس له ان يقول اراد لغة عدنان دون قحطان او ربعة
دون مضر لان اسم العرب يتناول جميع هذه القبايل تناولا واحدا ٥ وقال ابن عبد البر
قول من قال ان القران نزل بلغة قريش معناه عندي في الاغلب والله اعلم لان غير لغة قريش
موجودة في صحيح القرآت من تحقيق الهمزات ونحوها وقريش لا تهمز ٥ وقال ابن
عطية معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القران انزل على سبعة احرف اي فيه
عبارة سبع قبايل بلغة جملتها نزل القران فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ومرة
بعبارة هذيل ومرة بغير ذلك بحسب الافصح والاوجز في اللفظة الا ترى ان قوله فطر
معناه عند قريش ابتدأ اخترع في القران فلم تتجه لابن عباس ولم يعرف معناها حتى اختصم
اليه اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها قال ابن عباس ففهمت حينئذ موقع قوله تعالى
فاطر السموات ٥ وقال ابن عباس ايضا ما كنت اعرف معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها تعال افاتحك اي احاكمك ٥ وكذلك قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وكان لا يفهم معنى قوله تعالى او يأخذهم على تخوف اي على تنقص لهم ٥
وكذلك اتفق لقطبة بن مالك اذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الصلاة والنخل باسقات
ذكره مسلم في باب القراءة في صلاة الفجر الى غير ذلك من الامثلة والله اعلم ٥ القول
الثالث ان هذه اللغات السبع انما تكون في مضر وهذا قول طائفة من العلماء واحتجوا بقول
عثمان رضي الله عنه نزل القران بلغة مضر وقالوا جايز ان يكون منها لقريش ومنها لكنانة ومنها
لاسد ومنها لهذيل ومنها لتيم ومنها لضبة ومنها لقيس قالوا فهذه قبايل مضر استوعبت
سبع لغات على هذه المراتب ٥ وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يحب ان يكون الذين يكتبون
المصاحف من مضر ٥ وانكر طائفة اخرون ان يكون هذه اللغات كلها في مضر وقالوا
في مضر شواذ لا يجوز ان يقرا القران بها كشكشة قيس وتمتمة تميم فاما كشكشة
قيس فانهم يجعلون كاف المونث شينا فيقول في جعل ربك يخلق سريا جعل ربش يخلق
سريا ٥ واما تمتمة تميم فنقول في الناس الناتِ ٥ وفي اياس اياتِ قالوا وهذه لغات

ترغب عن القراءة بها ولا تحفظ عن السلف فيها شيء ٥ وقال آخرون من العلماء اما بدل الهمزة
عينا وبدل حروف الحلق بعضها من بعض مشهور عن الفصحاء وقد قرأ به الجلة واحتجوا
بقراءة ابن مسعود ليسجننه عتى حين رواه ابو داود رحمه الله ٥ القول الرابع
ما حكاه صاحب الدلايل عن بعض العلماء وحكى نحوه القاضي ابن الطيب قال تدبرت وجوه
الاختلافات في القراءة فوجدتها سبعة منها ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا
صورته مثل قوله تعالى هن اطهر لكم واطهر ويضيق صدري ويضيق ومنها ما تتغير
صوره وتغير معناه بالاعراب مثل قوله ربنا باعد بين اسفارنا وباعد ومنها ما
تبقى صورته وتتغير معناه باختلاف الحروف مثل قوله تعالى وانظر الى العظام كيف ننشرها
وننشزها ومنها ما تغير صورته وتبقى معناه كالعهن المنفوش وكالصوف المنفوش
ومنها ما تغير صورته ومعناه مثل قوله وطلح منضود وطلح منضود ومنها ما يتغير
بالتقديم والتاخير كقوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة الحق بالموت ومنها
ما يتغير بالزيادة والنقصان مثل تسع وتسعون نعجة انثى وقوله واما الغلام فكان
كافرا وكان ابواه مومنين وقوله تعالى فان الله من بعد اكرههن لهن غفور رحيم القول
الخامس قوله صلى الله عليه ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف قال فرقة من العلماء
المراد بالاحرف السبعة معاني كتاب الله عز وجل وهي امر ونهي ووعد ووعيد وقصص
ومجادلة وامثال ٥ وقد قيل ان المراد بقوله صلى الله عليه وسلم انزل القرآن على
سبعة احرف القراآت السبع التي قرأ بها القرآ السبعة لانها كلها صحت عن رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم وهذا القول ليس بشيء ٥ قال كثير من العلماء كالداودي وابن
ابي صفره وغيرهما هذه القراآت السبع التي تنسب لهولآ القرآ السبع ليست هي الاحرف السبعة
التي اتسعت الصحابة رضي الله عنهم في القراءة بها وانما هي راجعة الى حرف واحد من تلك السبعة
وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف وهذه القراآت المشهورة هي اختيارات اولئك الايمة
القرآ وذلك ان كل واحد منهم اختار مما روى وعلم وجهه من القراآت ما هو الاحسن عنده
والاولى فالتزمه طريقه ورواه واقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب اليه فقيل حرف

نافع وحرف ابن كثير وحرف عاصم ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا انكره بل سوغه
وجوزه وكل واحد من هؤلا السبعه رُوى عنهم اختياران او اكثر وكل صحيح ۝ وقد اجمع
المسلمون فى هذه الاعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلا الائمة مما رَوَوه ورَأَوه من القراآن
وكتبوا فى ذلك مصنفات فاستمر الاجماع على الصواب وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب
وعلى هذا الائمه المقدمون والفضلا المحققون ۝ وقال ابن عطيه رحمه الله مضت
الاعصار والامصار على قراه السبعة وبها يُصلّا لانها ثابته بالاجماع واما شاذ القراآت
فلا تصلى بها لانه لم يجمع الناس عليه ۝ والله اعلم فصل فى ذكر معنى حرس عُمَر وهشام
قال العلما رضى الله عنهم اباح الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فاقرا ما تيسر منه بان يكون
كل واحد من الصحابة اذا اراد ان يبدل اللفظه من بعض هذه اللغات جعلها من تلقا نفسه ولو
كان هذا الذهب اعجاز القراآن وكان مُعَرّضا ان يُبَدّل هذا وهذا حتى يكون غير الذى نزل من
عند الله وانما وقعا الاباحة فى الحروف السبعه للنبى صلى الله عليه وسلم ليُوسّع بها على
امته فاقرا مرة لابى بن كعب بما عارضه به جبريل ومرة لابن مسعود بما عارضه به ايضا
وعلى هذا تحى قراه عمر بن الخطاب لسوره الفرقان وقراه هشام بن حكيم لها والاكلف
نستقيم ان نقول النبى صلى الله عليه وسلم فى كل قراه منهما وقد اختلفتا هكذا اقرانى جبريل
هل ذلك الا انه اقراه مرة بهذه ومره بهذه وعلى هذا الحمل قول انس رضى الله عنه حين قرا ان
ناشئه الليل هى اشد وطآ واصوب قيلا فقيل له انما نقرا واقوم قيلا فقال انس واصوب قيلا
واقوم قيلا واهيا قيلا واحد فانما معنى هذا انهما مرويتان عن النبى صلى الله عليه وسلم والا فلو
كان هذا لاحد من الناس ان يضعه لبطل معنى قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم
يقرا سوره الفرقان على غير ما اقرؤها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرانيها فكدت ان
اعجل عليه ثم امهلته حتى انصرف ثم لببته بردآيه فجيت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله سمعت هذا يقرا سوره الفرقان على غير ما اقرتنيها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارسله اقرا يا هشام فقرا القراه التى سمعته يقرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

هكذا انزلت ثم قال لي اقرا يا عمر فقرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ان هذا
القران انزل على سبعه احرف فاقرؤا ما تيسر منه ٥ قال العلما وفي معنى حديث عمر هذا ما
رواه مسلم عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرا قراءة انكرتها
عليه ثم دخل آخر فقرا قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرا قراءة انكرتها عليه ودخل اخر فقرا سوى قراءة صاحبه
فامرهما النبي صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شانهما فسقط في نفسي
من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في
صدري ففضت عرقا وكاني انظر الى الله عز وجل فرقا فقال يا ابي ارسل الي ان اقرا القران
على حرف فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثانيه ان اقراه على حرفين فرددت اليه ان هون
على امتي فرد الي الثالثه ان اقراه على سبعه احرف ولك بكل ردة رددتكها مسالة تسالنيها
فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثه ليوم يرغب الي فيه الخلق كلهم حتى ابرهيم
عليه السلام ٥ قول ابي رضي الله عنه فسقط في نفسي معناه اعترتني حيره ودهشه اي اصابتني
نزغه من الشيطان ليشوش عليه حاله ويكدر عليه وقته فانه عظم عليه من اختلاف القراآت
ما ليس عظيما في نفسه والا فاي شي يلزم من المحال والتكذيب من اختلاف القراآت ولم يلزم ذلك
والحمد لله في النسخ الذي هو اعظم وكيف بالقراه ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم ما اصاب ابيا من
ذلك الخاطر نبهه بان ضرب في صدره فاعقبه ذلك بان انشرح صدره ونور باطنه حتى آل به الكشف
والشرح الى حالة المعاينه ولما ظهر له فتح ذلك الخاطر خاف من الله عز وجل وفاض بالعرق واستحيا
من الله تعالى وكان هذا الخاطر من قبيل ما قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم حين سالوه انا نجد في انفسنا
ما يتعاظم احدنا ان يتكلم به قال صلى الله عليه وسلم وقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ٥
اخرجه مسلم من حديث ابي هريره رضي الله عنه وسياتي الكلام عليه في سوره الاعراف ان شا الله تعالى ٥

باب ذكر جمع القران وسبب كتب عثمان المصاحف واحراقه
ما سواها وذكر من حفظ القران من الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

قال العلما رضي الله عنهم كان القران في مده النبي صلى الله عليه وسلم متفرقا في صدور الرجال ٥

وقد كتب الصحابة منه في صحف وفي جريد وفي لخاف وطرر وفي خزف وغير ذلك ۝ واللخاف
حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة ۝ والطرر جمع طرة له حد كحد السكين والجمع طرار ۝ فلما
استحر القتل بالقراء يوم اليمامة في زمن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقتل منهم في ذلك اليوم فيما
قيل سبعمائة اشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ابي بكر الصديق بجمع القراان مخافة ان تموت
اشياخ القراء كابي وابن مسعود وزيد بن ثابت فندب ابو بكر رضي الله عنه زيد بن ثابت الى ذلك فجمعه
غير مرتب السور بعد تعب شديد رضي الله عنه ۝ وروى البخاري عن زيد بن ياس رضي الله عنه
قال ارسل الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة وعنده عمر رضي الله عنه فقال ابو بكر رضي الله عنه ان عمر اتاني
فقال ان القتل استحر يوم اليمامة بالناس واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير
من القراان الا ان تجمعوه واني ارى ان تجمع القراان قال ابو بكر فقلت لعمر كيف افعل شيأ لم يفعله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله لذلك صدري
ورايت الذي راى عمر قال زيد وعنده عمر جالس لا يتكلم فقال لي ابو بكر انك رجل شاب عاقل
ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القراان فاجمعه ۝ فوالله لو كلفني
نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به من جمع القراان قلت كيف تفعلان شيأ لم يفعله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم ازل اراجعه حتى شرح الله صدري
للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر فقمت فتتبعت القراان اجمعه من الرقاع والاكتاف والعسب
وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الانصاري لم اجدهما مع غيره ۝
لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرهما فكانت الصحف التي جمع فيها القراان عند ابي بكر حتى توفاه
الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر ۝ وقال الليث حدثني عبد
الرحمن بن خالد عن ابن شهاب وقال مع ابي خزيمة الانصاري ۝ وقال ابو ثابت ما ابرهم وقال
مع خزيمة او ابي خزيمة فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ۝
وقال الترمذي عنه فوجدت اخر سورة برآءة مع خزيمة بن ثابت لقد جاءكم رسول من انفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه
توكلت وهو رب العرش العظيم قال الترمذي حديث حسن صحيح ۝ وفي صحيح البخاري عن زيد بن ثابت

رضي الله عنه قال لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الاحزاب كنت اسمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها مع احد الامع خزيمة الانصاري الذي
جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر فالتمستها فوجدتها عند خزيمة بن ثابت او ابي خزيمة
فالحقتها في سورتها وروى البخاري عن انس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضي الله عنه
وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية وادربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم
في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا امير المومنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف
اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم
نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد
الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا
اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا
حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف
مما نسخوا وامر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة او مصحف ان يحرق قال ابن شهاب
واخبرني خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخت
المصاحف قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة
ابن ثابت الانصاري من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في
المصحف قال في رواية ابي اليمان مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم شهادته شهادة رجلين ○ زاد في رواية اخرى قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت
فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير التابوت وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم
الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش ○ شرح غريب الحديث وما يتعلق
بها قوله زيد بعثا الى ابي بكر لمقتل اهل اليمامة يعني لاوان قتلهم واراد به الوقعة التي كانت
باليمامة في خلافة ابي بكر الصديق وهي وقعة الردة مع اصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء
القرآن ○ واليمامة من بلاد اليمن على يومين من الطائف وعلى اربعة ايام من مكة ولها عمائر وهي

عباد ارض نجد ۞ وقوله استحر القتل اى كثر القتل فى قراء القران ۞ وقوله فتتبعت
القران اجمعه من الرقاع وهى جمع رقعة وهى ما يكتب فيها ۞ والعسب بضم العين والسين جمع
عسيب وهو جريد النخل وسعفه ۞ واللخاف حجارة بيض رقاق ۞ وقوله يغازى اهل
الشام اى مع اهل الشام فى فتح ارمينيه بكسر الهمزه وتخفيف الياء سمت بارمين من نسل يوح وهو
اول من نزلها فسميت به واذربيجان بفتح الهمزه وسكون الذال موضع من بلاد العجم مشتمل على
بلاد كثيرة وقوله حتى وجدت اخر سوره التوبة مع خزيمة او ابى خزيمة وفى الحديث الاخر
فقدت ايه من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى من المومنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فاعلم ان المذكور فى الحديث الاول غير المذكور فى الحديث الثانى
وهما قضيتان فاما المذكور فى الحديث الاول فهو ابو خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبه
ابن عمرو بن مالك بن النجار الانصارى شهد بدرا وما بعدها وتوفى فى خلافه عثمان وهو الذى وجد
عنده آخر سوره التوبه كذا ذكره بن عبد البر ۞ واما المذكور فى الحديث الثانى فهو ابو عماره خزيمه
ابن ثابت بن الفاكه بن ثعلبه بن ساعده الخطمى الاوسى الانصارى يعرف بذى الشهادتين شهد
بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين مع على بن ابى طالب رضى الله عنه ۞ وقوله فقدت اية
من سوره الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة معناه انه كان يتطلب نسخ القران من الاصل الذى
كتب بامر النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمة وليس فيها اثبات
القران بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها
من سوره الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت اسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا بها ۞ وتتبعه للرجال انما كان للاستظهار لا لاستحداث علم لان القران
العزيز كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابه رضى الله عنهم فقد ثبت فى الصحيح عن انس رضى الله عنه
قال جمع القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابى بن كعب ومعاذ
ابن جبل وابو زيد وزيد يعنى ابن ثابت قلت لانس من ابو زيد قال احد عمومتى ۞ اخرجه
البخارى ومسلم ۞ واسم ابى زيد سعد بن عبيد ۞ واخرج الترمذى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القران من اربعة من ابن مسعود وابى بن كعب ومعاذ

ابن جبل وسالم مولى ابى حذيفة قال الترمذى حديث حسن صحيح ۞ وتقدم حديث زيد بن ثابت
وفيه انه استحر القتل بقراء القران فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القران كان على هذا
التاليف والجمع فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه فى مصحف واحد لان النسخ
كان يرد على بعضه ويرفع الشئ بعد الشئ من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم تجمع فى مصحف
واحد ثم لو رفع بعض تلاوته ادى ذلك الى الاختلاف واختلاط امر الدين فحفظ الله تعالى كتابه
فى القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم ۞ وثبت
بالدليل الصحيح ان الصحابه رضى الله عنهم انما جمعوا القران بين الدفتين كما انزله الله عز وجل على رسوله
صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه او نقصوا منه شاؤا الذى حملهم على جمعه ما جاء
مبينا فى الحديث وهو انه كان مفرقا فى العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه
بذهاب حفظته فقزعوا فيه الى خليفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى بكر رضى الله عنه ودعوه
الى جمعه فراى فى ذلك رايهم فامر بجمعه فى موضع واحد باتفاق من جميعهم وكتبوه كما سمعوه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان قدموا او اخروا شيأ ووضعوا له ترتيبا لم ياخذوه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن اصحابه ويعلمهم ما ينزل
عليه من القران على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك
واعلامه عند نزول كل اية ان هذه الآية تكتب عقيب اية كذا فى سوره كذا فثبت ان سعى الصحابة
رضى الله عنهم كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه فان القران الكريم مكتوب فى اللوح المحفوظ
على النحو الذى هو فى مصاحفنا الان ۞ وقد صح فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله
عليه وسلم كان يعرض القران على جبريل عليه السلام فى كل عام مره فى رمضان وانه عرضه فى العام الذى
توفى فيه مرتين ۞ ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيره التى عرضها رسول الله صلى
الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهى العرضه التى نسخ فيها ما نسخ وبقى ما بقى ولهذا اقام ابو
بكر رضى الله عنه زيد بن ثابت فى كتابة المصحف والزمه بها لانه قرا على النبى صلى الله عليه وسلم فى
العام الذى توفى فيه مرتين وكان جمع القران سببا لبقائه فى الامة رحمة من الله عز وجل لعباده
وتحقيقا لوعده فى حفظه على ما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ۞ فصل

فی ترتیب نزول القرآن علی رسول الله صلی الله علیه وسلم ۞ اعلم ان الله سبحانه وتعالی انزل
القرآن المجید من اللوح المحفوظ جمله واحده الی سما الدنیا فی شهر رمضان فی لیله القدر ثم کان ینزل
مفرقا علی لسان جبریل علیه السلام الی النبی صلی الله علیه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة
وحدوث ما حدث علی ما شاء الله تعالی وترتیب نزول القرآن غیر ترتیبه فی التلاوه فاول ما
نزل من القرآن بمکه اقرا باسم ربک الذی خلق ۞ ثم نون والقلم ۞ ثم یا ایها المزمل ۞ ثم یا ایها المدثر ۞
ثم تبت یدا ابی لهب ۞ ثم اذا الشمس کورت ۞ ثم سبح اسم ربک الاعلی ۞ ثم واللیل اذا یغشی ۞ ثم والفجر ۞
ثم والضحی ۞ ثم الم نشرح ۞ ثم والعصر ۞ ثم والعادیات ۞ ثم انا اعطیناک الکوثر ۞ ثم الهاکم التکاثر ۞
ثم ارایت ۞ ثم قل یا ایها الکافرون ۞ ثم الفیل ۞ ثم قل هو الله احد ۞ ثم والنجم ۞ ثم عبس ۞ ثم سوره
القدر ۞ ثم البروج ۞ ثم التین ۞ ثم لایلاف قریش ۞ ثم القارعة ۞ ثم الهمزه ۞ ثم المرسلات ۞ ثم ق ۞ ثم
سوره البلد ۞ ثم الطارق ۞ ثم اقتربت الساعة ۞ ثم صاد ۞ ثم الاعراف ۞ ثم الجن ۞ ثم یس ۞ ثم الفرقان ۞
ثم فاطر ۞ ثم مریم ۞ ثم طه ۞ ثم الواقعه ۞ ثم الشعراء ۞ ثم النمل ۞ ثم القصص ۞ ثم بنی اسرائیل ۞ ثم یونس ۞
ثم هود ۞ ثم یوسف ۞ ثم الحجر ۞ ثم الانعام ۞ ثم الصافات ۞ ثم لقمان ۞ ثم سبا ۞ ثم الزمر ۞ ثم المؤمن ۞
ثم السجده ۞ ثم عسق ۞ ثم الزخرف ۞ ثم الدخان ۞ ثم الجاثیه ۞ ثم الاحقاف ۞ ثم الذاریات ۞
ثم الغاشیه ۞ ثم الکهف ۞ ثم النحل ۞ ثم نوح ۞ ثم ابراهیم ۞ ثم الانبیاء ۞ ثم المومنون ۞ ثم تنزیل السجده ۞
ثم الطور ۞ ثم الملک ۞ ثم الحاقه ۞ ثم سال سایل ۞ ثم عم یتسالون ۞ ثم النازعات ۞ ثم اذا السما انفطرت ۞
ثم اذا السما انشقت ۞ ثم الروم ۞ ثم العنکبوت ۞ واختلفوا فی آخر ما نزل بمکه فقال
ابن عباس رضی الله عنهما آخر ما نزل بمکه العنکبوت وقال الضحاک وعطا آخر ما نزل بمکه المومنون ۞
وقال مجاهد آخر ما نزل بمکه ویل للمطففین ۞ فهذا ترتیب ما نزل من القرآن بمکه فذلک
ثلاث وثمانون سوره علی ما استقر علیه روایات الثقات ۞ واما ما نزل بالمدینه فسوره
البقره ۞ ثم الانفال ۞ ثم آل عمران ۞ ثم الاحزاب ۞ ثم الممتحنه ۞ ثم النسا ۞ ثم اذا زلزلت الارض ۞
ثم الحدید ۞ ثم سوره محمد صلی الله علیه وسلم ۞ ثم الرعد ۞ ثم سوره الرحمن عز وجل ۞ ثم هل اتی علی الانسان ۞
ثم الطارق ۞ ثم لم یکن ۞ ثم الحشر ۞ ثم الفلق ۞ ثم الناس ۞ ثم اذا جا نصر الله والفتح ۞ ثم النور ۞ ثم
الحج ۞ ثم المنافقون ۞ ثم المجادله ۞ ثم الحجرات ۞ ثم التحریم ۞ ثم الصف ۞ ثم الجمعه ۞ ثم التغابن ۞

بم الفتح ٥ بم التوبة ٥ ثم المآيده ٥ ومنهم من يقدم المايده على التوبة ٥ فهذا ترتيب
ما نزل من القران بالمدينة ٥ واختلفوا في سور فقيل نزلت بمكه وقيل نزلت بالمدينة
وسنذكرها في مواضعها ان شآ الله تعالى ٥ باب ذكر معنى السّورة
والآية والكلمة والحرف قال المفسرون معنى السوره في كلام العرب الابانة
لها من سورة اخرى وانفصالها عنها ٥ وسميت سورة لان القاري يرتفع فيها من منزلة
الى منزله ٥ قال النابغة ٥
الم تر ان الله اعطاك سورة ٥ ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب ٥ يعني ترى منزله شرف
ارتفعت بها عن منزله الملوك ٥ وقيل سميت سوره لشرفها وارتفاعها كما يقال لما ارتفع
من الارض سور ٥ وقيل سميت سوره لان قاريها يشرف على غيره ٥ وقيل سمي سورة
لانها قطعة من القران على حدة من قول العرب لبقية الشي سور ٥ ويقال ايضا اسآر الناس
اى بقاياهم ٥ وقيل سميت سوره لتمامها وكمالها من قول العرب للناقه التامة سوره
قال الشاعر ٥ سور المحاجر لا يقرأن بالسور ٥ واما معنى الآية فقال العلما
الاية هي العلامة يعني انها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها من الذي بعدها وانفصاله
اي هي باينة من اختها ومنفردة ٥ وتقول العرب بيني وبين فلان آية اى علامة ٥ ومن ذلك
قوله تعالى ان آية ملكه يعني علامة ملكه ٥ قال النابغة ٥
توهمت آياتٍ لها فعرفتها ٥ لستةِ اعوام وذا العام سابع ٥ وقوله توهمت اياتٍ اي
علامات ٥ وقيل سميت آية لانها جماعة حروفٍ من القران وطائفةٍ منه كما يقال خرج
القوم بآيتهم اى بجماعتهم ٥ قال الشاعر ٥
خرجنا من النقبين لا حيّ مثلنا ٥ بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا ٥ وقيل سميت آية
لانها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها ٥ واما معنى الكلمه فهي الصوره القائمة بجميع ما
يختلط بها من الشبهاتِ يعني الحروف ٥ قال العلما واطول الكلم في كتاب الله عز وجل ما بلغ
عشرة احرف مثل قوله تعالى ليستخلفنهم ٥ وقوله انلزمكموها وما اشبهها واما قوله تعالى
فأسقيناكموه فهي عشر حروف في الرسم واحد عشر في اللفظ ٥ واقصر الكلم ما كان على

حرفين نحو مَا، وَلَا، ولكَ، ولهُ، وما اشبه ذلك ۝ ومن حروف المعانى ما هو على
كلمة واحدة مثل همزة الاستفهام، وواو العطف الا انه لا ينطق به مفردا ۝ وقد تكون
الكلمة وحدها آية نحو قوله تعالى والفجر، والضحى، والعصر، وكذلك المص، وطه، ويس،
وحم، فى قول الكوفيين، وذلك فى فواتح السور، فاما حشوهن فلا، قال ابو عمرو الدانى ولا
اعلم كلمة هى وحدها الا فى قوله تعالى مُدهامتان، لا غير وقد رايت كلمتانِ متصلتان
وهما آيتان، وذلك فى قوله تعالى حم عسق، على قول الكوفيين لا غير، وقد تكون الكلمة فى غير
هذا الآية التامة والكلام القائم بنفسه وان كان اكثرا واقل، قال الله عز وجل وتمت كلمة ربك
الحسنى على بنى اسرآيل بما صبروا، وعنى سبحانه وتعالى بالكلمة ها هنا قوله آ ونمن على الذين استضعفوا
فى الارض الى اخر الاسن، وقوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى، وهى قول لا اله الا الله، وقال النبى
صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده
سبحان الله العظيم ۝ وقد تسمى العرب القصيدة باسرها كلمة فيقولون قال قس كلمته كذا،
اى فى خطبته، وقال زهير فى كلمته كذا اى فى قصيدته، وقال فلان فى كلمته كذا يعنى فى رسالته،
فيسمون جملة الكلام كلمة اذ كانت الكلمة على عادتهم فى تسميتهم الشئ باسم ما هو منه وما
قاربه وجاوزه وكان بسبب منه مجازا واتساعا، والله اعلم ۝ واما معنى الحرف فقال العلماء
الحرف هو الشبهه القائمة وحدها من الكلمه ۝ وقد يسمى الحرف كلمه والكلمة حرفا على
ما بيناه من الاتساع والمجاز، قال ابو عمرو الدانى فان قيل فكيف يسمى ما جاء من حروف الهجاء
فى الفواتح على حرف واحد نحو ص، وق، ون، حرفا او كلمة قلت يسمى كلمه لا حرفا وذلك
من جهه ان الحرف لا يسكت عليه ولا يفرد وحده فى الصوره ولا يفصل مما يختلط به وهذه
الحروف مسكوت عليها منفرده منفصله كانفراد الكلم وانفصالها فلذلك سميت كلمات لا
حروفا، قال ابو عمرو وقد يكون الحرف فى غير هذا المذهب والوجه، قال الله عز وجل ومن
الناس من يعبد الله على حرف اى على وجهٍ ومذهب ۝ ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم
انزل القران على سبعه احرف اى على سبعة اوجه من اللغات، والله تعالى اعلم ۝

وتزيدهم

والقصه كلها

باب هل ورد فى القرآن كلمات غير لغات العرب او لا قال العلماء

لاخلاف بين الامة انه ليس في القران كلام مركب على اساليب غير العرب وان فيه اسماً اعلاماً
لمن لسانه غير لسان العرب كاسرآيل وجبريل وعمران ولوط ونوح ن واختلفوا هل
وقع في القران الفاظ غير اعلام مفردة من غير كلام العرب فذهب القاضي ابوبكر بن الطيب والطبري
وغيرهما الى ان ذلك لا يوجد فيه وان القران عربي صرف وما وجد فيه من الالفاظ التي تنسب
الى سائر اللغات انما اتفق فيها ان تواردت اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشه وغيرهم
وذهب بعضهم الى وجودها فيه وان ذلك الالفاظ لقلتها لا تخرج القران عن كونه عربيا
مبينا ولا الرسول صلوات الله عليه عن كونه متكلما بلسان قومه ن فالمشكاة الكوه ونشأ
قام من الليل ومنه ان ناشئة الليل ويبوتكم كفلين اي ضعفين وفرت من قسورة اى الاسد
كله بلسان الحبشه ن والغساق البارد المنتن بلسان الترك والقسطاس الميزان بلغة الروم
والسجيل الحجارة والطين بلسان الفرس والطور الجبل والتنور وجه الارض بالعجمية قال
ابن عطيه فحقيقه العبارة عن هذه الالفاظ انها في الاصل اعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها
فصارت عربيه بهذا الوجه وقد كان للعرب العاربة التي نزل القران بلسانها بعض مخالطة
لسائر الالسنة وذلك بسبب تجاراتهم ورحلتي قريش الى الشام واليمن وكسفر مسافر بن ابي
عمرو الى الشام وسفر عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وعماره بن الوليد الى ارض الحبشه وكسفر
الاعشى الى الحيره وصحبته لنصارا ها مع كونه حجة في اللغه فعلقت العرب بهذا كله الفاظا
اعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت الى ثقل تخفيف العجمه واستعمالها في اشعارها
ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصحيح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القران العظيم ن

باب في اعجاز القران العظيم وشرايط المعجزة

وحقيقتها قال العلما رضي الله عنهم المعجزه واحدة معجزات الانبيا الدالة على صدقهم
صلوات الله عليهم ن وسميت معجزه لان البشر يعجزون عن الاتيان بمثلها ن وشرايط المعجزه
خمسة فان اختل منها شرط لا تكون معجزه فالشرط الاول من شروطها ان تكون مما لا يقدر عليها
الا الله سبحانه وتعالى وانما وجب حصول هذا الشرط للمعجزه لانه لو اتى به آت في زمان يصح فيه
مجي الرسل وادعى الرساله وجعل معجزته ان يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد لم يكن هذا الذي ادعاه

معجزه له ولا دالا على صدقه لقدرة الخلق على مثله وانما يكون المعجزه كفلق البحر وانشقاق القمر
وماشاكلهما مما لا تقدر عليه البشر ○ والشرط الثانى هو ان تخرق العاده وانما وجب
اشتراط ذلك لانه لو قال المدعى للرسالة آيتى مجئ الليل بعد النهار وطلوع الشمس من مشرقها لم
يكن فيما ادعاه معجزة لان هذه الافعال وان كان لا تقدر الا الله تعالى فلم يفعل من اجله وقد كانت عليهم
قبل دعواه على ما هى عليه فى حين دعواه فى دلالتها على نبوته كدعوى غيره فبان انه لا وجه له
لاستشهاده به على صدقه والذى يستشهد به الرسول صلوات الله عليه له وجه يدل على صدقه
وذلك ان يقول الدليل على صدقى ان تخرق الله تعالى العادة من اجل دعواى عليه الرساله فيقلب
هذه العصا ثعبانا او يشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة وينبع الماء من بين اصابعى بما يشبعه من العين
او ما سوى ذلك من الآيات الخارقه للعادات الذى يفرد بها جبار الارض والسموات فتقوم له
هذه العلامات مقام قول الرب سبحانه وتعالى لو سمعنا كلامه العزيز وقال صدق انا بعثته ○
ومثل هذه المساله لله ولرسوله المثل الاعلا ما لو كانت جماعة بحضرة ملك من ملوك الارض وهم
بمرأى او مسمع منه فقال احد رجاله والملك يسمعه، الملك يامركم ايها الجماعة بكذا وكذا ودليل
ذلك ان الملك يصدقنى بفعل من افعاله وهو ان يخرج خاتمه من يده فاصدا بذلك تصديقى فاذا
سمع الملك كلامه لهم ودعواه فيهم ثم عمل ما استشهد به على صدقه قام ذلك مقام قوله
لو قال صدق فيما ادعاه علىّ فكذلك اذا عمل الله سبحانه عملا لا تقدر عليه الا هو وخرق به
العادة على يدى الرسول اقام ذلك الفعل مقام كلامه تعالى لو اسمعناه وقال صدق عبدى
فى دعوى الرساله وانا ارسلته اليكم فاسمعوا له واطيعوا ○ الشرط الثالث من شرائط
المعجزه هو ان يستشهد بها مدعى الرساله على الله عز وجل فيقول آيتى ان يقلب الله عز وجل هذا
الماء زيتا او يحرك الارض عند قولى لها تزلزلى فاذا فعل الله سبحانه وتعالى ذلك حصل به التحدى ○
الشرط الرابع من شرائط المعجزه هو ان تقع على وفق دعوى المتحدى بها المستشهد بكونها
معجزه له وانما وجب اشتراط هذا الشرط لانه لو قال المدعى للرسالة آية نبوتى ودليل حجتى
ان تنطوى يدى او هذه الدابة فنطقت يده او الدابة فان قالت كذب فليس هو بنبى لان هذا
الكلام الذى خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدعى للرساله لان ما فعله الله تعالى لم يقع على

وفق دعواه ولذلك ما يروى عن مسيلمة الكذاب لعنه الله انه تفل فى بير ليكثر ماءها فغارت
البير وذهب ماءها فما فعل الله سبحانه وتعالى من هذا كان المكذب له لمن وفق ظهرت على
يديه لانها وقعت على خلاف ما اراد المتنبئ الكذاب ○ الشرط الخامس من شروط
المعجزة الا يأتى احد بمثل ما اتى به المتحدي على وجه المعارضة فان تمّ امر المتحدى به المستشهد
على النبوة على هذا الشرط مع الشروط المتقدمة فهى معجزة دالة على نبوة من ظهرت على يديه وان اقام
الله تعالى من يعارضه حتى يأتى بمثل ما اتى به ويعمل بمثل ما عمل بطل كونه نبيا وخرج ما ظهر على
يده عن كونه معجزة ولم يدل على صدقه ولهذا قال المولى سبحانه وتعالى فليأتوا بحديث مثله
ان كانوا صادقين وقال تعالى ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات كانه تعالى
يقول ان ادعيتم ان هذا القران من نظم محمد وعمله فاعملوا عشر سور من جنس نظمه فاذا عجزتم
باسركم عن ذلك فاعلموا انه ليس من نظمه ولا من عمله ○ ولا يقال ان المعجزة المقيدة بالشروط
الخمسة لا تظهر الا على ايدى الصادقين فهذا المسيح الدجال فما روتم عن نبيكم يظهر على يديه
من الامور العظام والامور الجسام ما هو معروف مشهور فانا نقول كيف تدعى الرسالة وهذا يدعى الربوبية
وسنها من الفرقان ما بين البصرا والعميان وقد قام الدليل العقلى على ان بعثة بعض الخلق
الى بعض غير ممتنعة ولا مستحيلة فلم يبعد ان يقيم الله سبحانه وتعالى الادلة على صدق مخلوق
اتى عنه بالشرع والملة ○ ودلت الادلة العقلية ايضا على ان المسيح الدجال فيه التصوير والتغيير
من حال الى حال وثبت ان هذه الصفات لا تليق الا بالمحدثات تعالى رب البريات عن ان يشبه
شيا او يشبهه شى ليس كمثله شى وهو السميع البصير ○ فصل اذا ثبت هذا فاعلم
ان المعجزات على ضربين الاول ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبى صلى الله عليه وسلم
الثانى ما تواردت الاخبار بصحته وحصوله واستفاضت بثبوته ووجوده ووقع لسامعه
العلم بذلك ضروره ومن شرطه ان يكون الناقلون له خلقا كثيرا وجما غفيرا وان يكونوا عالمين
بما نقلوه علما ضروريا وان يستوى فى النقل اولهم وآخرهم ووسطهم فى كثره العدد حتى يستحيل
عليهم التواطؤ على الكذب وهذه صفة نقل القران الكريم ونقل وجود النبى صلى الله عليه
وسلم لان الامة رضى الله عنهم لم تزل تنقل القران خلفا عن سلف والسلف عن سلفه الى ان تصل

ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم المعلوم وجوده بالضرورة وصدقه بالادلة المعجزات والرسول
عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل فنقل القرآن في الاصل رسولان معصومان من
الزيادة والنقصان ونقله الينا بعدهم اهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما سقلونه
وسمعوه لكثرة العدد ولذلك وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن ظهور القرآن على يديه وتحديه به وتظير ذلك من
علم الدنا علم الانسان بما نقل اليه من وجود البلدان كالبصرة والشام والعراق وخراسان
والمدينة واخبار ذلك من الاخبار الظاهرة المتواترة والقرآن العظيم معجزة نبينا محمد صلى
الله صلى الله عليه وسلم الباقية بعده الى يوم القيامة ومعجزة كل نبي انقرضت بانقراضه
ودخلها التبديل والتغيير كالتوراة والانجيل فصل في وجوه اعجاز
القرآن قال العلما رضي الله عنهم وجوه اعجاز القرآن عشرة الاول النظم البديع
المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها لان نظمه ليس من نظم الشعر في شيء ولذلك
قال رب العزة الذي تولى نظمه وما علمناه الشعر وما ينبغي له ○ وفي صحيح مسلم ان انيسا
اخا ابي ذر قال لابي ذر لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم ان الله ارسله قلت فما يقول الناس
قال يقولون شاعر كاهن ساحر وكان انيس احد الشعرا قال لقد سمعت قول الكهنة
فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على اقراء الشعر فلا يلتئم على لسان احد بعدي انه
شعر والله انه لصادق وانهم لكاذبون ○ وكذلك اقر عتبة بن ربيعة انه ليس بشعر ولا
سحر لما قرا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حم فصلت على ما مانى سانه هناك ان سمعا الله
ما ذا اعترف عتبة على موضعه من اللسان وموضعه من الفصاحة والبلاغة بانه ما سمع
مثل القرآن قط كان في هذا القول مقرا باعجاز القرآن له ولغيره من المحققين بجميع اجناس
القول وانواعه ○ الثاني الاسلوب المخالف لجميع اساليب العرب ○ الثالث
الجزالة التي لا تقع من مخلوق بحال وتامل ذلك في سوره ق والقرآن المجيد الى آخرها
وقوله سبحانه والارض جميعا قبضته يوم القيامة الى آخر السوره ○ وكذلك تامل قوله
سبحانه وتعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الى آخر السوره ○ قال العلما

رضي الله عنهم فمن علم ان الله سبحانه هو الحق علم ان مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره ولا
يصح من اعظم ملوك الدنيا ان يقول لمن الملك اليوم ولا ان يقول وبرسل الصواعق فيصيب بها
من يشاء قال ابن الحصار رحمه الله وهذه الثلاثة من النظم والاسلوب والجزالة لازمة
كل سورة بل هي لازمة كل آية وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل اية وكل سوره عن سائر
كلام البشر وبها وقع التحدي والتعجيز ومع هذا فاقل سوره تنفرد بهذه الثلاث من غير
ان ينضاف اليها امر آخر من الوجوه العشرة فهذه سورة الكوثر بثلاث آيات فصار وهي
اقصر سوره في القران وقد تضمنت الاخبار عن معجزتين احدهما الاخبار عن الكوثر وعظمه
وسعته وكثرة اوانيه وذلك يدل على ان المصدق به اكثر من اتباع سائر الرسل والثانية
الاخبار عن الوليد بن المغيرة وقد كان عند نزول السورة ذا مال وولد على ما تقتضيه
قوله الحق ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ثم اهلك الله سبحانه
ماله وولده وانقطع نسله ○ الثالث من وجوه الاعجاز التصرف في لسان العرب على
وجه لا يستقل به عربي حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على اصابته في وضع كل كلمة وحرف
موضعه ○ الخامس الاخبار عن الامور التي تقدمت من امور الدنيا وقت نزوله من
رجل امي ما كان يتلوا من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه واخبر بما كان من قصص الانبياء
امهاتها والقرون الخالية في دهرها وذكر ما سالته اهل الكتاب عنه ويجدونه من قصة اهل
الكهف وشان موسى والخضر عليهما السلام وحال ذي القرنين فجاءهم وهو امي من امة امية
ليس لها بذلك علم بما عرفوا من الكتب السالفة صحته فتحققوا صدقه ونحن نعلم ضرورة
ان هذا مما لا سبيل اليه الا عن تعلم واذا كان معروفا انه لم يكن ملابسا لاهل الآثار وحمله
الاخبار ولا مترددا الى التعلم منهم ولا كان ممن يقرا فيجوز ان يقع اليه كتاب فاخذ منه
علم انه لا يصل الى ذلك الا بتاييد من الوحي ○ السادس الوفا بالوعد المدرك بالحس
في العيان في كل ما وعد الله سبحانه وهي تنقسم الى اخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله واخراج
الذين اخرجوه من وطنه ○ والى وعد مقيد بشرط كقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه
وقوله ومن يومن بالله يهد قلبه وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقوله ان تكن منكم عشرون

صابرون نخلوا ما يس وما اشبه ذلك السابع الاخبار عن المغيبات في المستقبل الذي
لا يطلع عليها الا بالوحي فمن ذلك ما وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم انه سيظهر دينه
على الاديان بقوله سبحانه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الآية
ففعل سبحانه ذلك وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذا اغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم
الله في اظهار دينه ليثقوا بالنصر وليستيقنوا بالنجح وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل
ذلك في خلافته فلم يزل الفتح يتوالى شرقا وغربا وبرا وبحرا قال الله عز وجل وعد الله الذين
امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وقال
تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقال تعالى
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وقال تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم
من بعد غلبهم سيغلبون فهذه كلها اخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها الا رب العالمين
او من اوقفه عليها رب العالمين فدل هذا على ان الله تعالى قد اوقف عليها رسوله ليكون دلالة
على صدقه الثامن ما تضمنه القران من العلم الذي هو قوام جميع الانام في الحلال والحرام
وفي سائر الاحكام التاسع التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف
قال الله العظيم ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فهذه اوجه ذكرها
العلماء رضي الله عنهم وقال ابن عطية رحمه الله وجه الاعجاز في القران انما هو نظمه
وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه ووجه اعجازه ان الله تعالى قد احاط بكل
شيء علما واحاط بالكلام علما فعلم باحاطة ايّ لفظ تصلح ان تلي الاولى وتتبين المعنى ثم كذلك
من اول القران الى آخره والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة ان بشرا
لم يكن محيطا قط فبهذا جاء نظم القران في الغاية القصوى من الفصاحة فلما جاء سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه والصحيح من اقوال العلماء ان الانتان بمثل
القران لم يكن قط في قدرة احد من المخلوقين ويظهر لك قصور البشر في ان الفصيح منهم يصنع
خطبه او قصيده يستفرغ فيها جهده ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا ثم يعطى لآخر بعده فيأخذها
بقريحة جامة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل وكتاب الله عز وجل

لو نزعت منه لفظه ثم ان اليد لسان العرب ان يوجد احسن منها لم يوجد ن ومن فصاحة
القران العظيم ان الله جل ذكره ذكر في آية واحدة امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وهي
قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا
تحزني انا راد وه اليك وجاعلوه من المرسلين وكذلك فاتحة سوره المايدة امر سبحانه بالوفاء
ونهى عن النكث وحلل محللا عاما ثم استثنى بعدا استثناء ثم اخبر عن حكمته وقدرته وذلك
مما لا يقدر عليه الا الله تعالى وانبا سبحانه عن الموت وحسرة الفوت والدار الآخرة وثوابها
وعقابها وفوز الفايزين وتردي المجرمين والتحذير من الاغترار بالدنيا ووصفها بالقلة بالاضافة
الى دار البقا بقوله تعالى وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة
فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وانبا سبحانه ايضا عن قصص الاولين والآخرين
ومآل المترفين وعذاب المهلكين في شطراته وذلك قوله تعالى فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وانبا جل وعز عن امر
السفينة واجرايها واهلاك الكفرة واستقرار السفينة واستوايها وتوجيه اوامر التسخير على
الارض والسما بقوله عز وجل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها الى قوله تعالى وقيل
بعدا للقوم الظالمين الى غير ذلك فلما عجزت قريش عن الاتيان بمثله وقالت ان النبي صلى الله عليه وسلم
تقوله من تلقا نفسه انزل الله تعالى ام يقولون تقوله بل لا يومنون فليا توا بحديث مثله ان
كانوا صادقين ثم انزل سبحانه تعجيزا ابلغ من ذلك فقال تعالى ام يقولون افتراه قل فاتوا
بعشر سور مثله مفتريات فلما عجزوا حطهم عن هذا المقدار الى مثل سوره من السور القصار فقال
جل ذكره وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فاقحموا عن الجواب
وتقطعت بهم الاسباب وعدلوا الى الحروب والعناد واثروا سبي الحريم والاولاد ولو
قدروا على المعارضة لكان اهون كثير وابلغ في الحجة واشد تاثير هذا مع كونهم ارباب
البلاغة واللحن وعنهم تو خذ الفصاحة واللسن فبلاغة القران العظيم في اعلا
طبقات الاحسان وارفع درجات الايجاز والبيان بل تجاوزت حد الاحسان والاجاده
الى حيز الاربا والزياده هذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما اوتي من جوامع

الكلم واختص به من غرائب الحكم اذا تاملت قوله في صفة الجنان ومن كان في بغاه الاحسان
وجدته مخطا عن رتبه القران وذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيها ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر فاين هذا من قول الله عز وجل وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين وقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين هذا اعدل وزنا واحسن ترتيبا واعذب
لفظا واقل حروفا على انه لا يعتبر الا في مقدار سورة او اطول آية لان الكلام كلما طال اتسع
فيه مجال المتصرف وضاق المقال على القاصر المتكلف وبهذا قامت الحجة على العرب اذ
كانوا ارباب الفصاحة ومظنة المعارضة كما قامت الحجة في معجزة عيسى عليه السلام على الاطباء
وفي معجزة موسى عليه السلام على السحرة فان الله سبحانه وتعالى انما جعل معجزات الانبيا عليهم السلام
بالوجه الشهير ابدع ما يكون في زمان النبي الذي اراد اظهاره وكان السحر في مدة موسى
قد انتهى الى غاية وكذلك الطب في زمن عيسى والفصاحة في زمن سيدنا ومولانا محمد صلى
الله عليه وعليها وسلم ونعم وفي هذا كفاية والله تعالى اعلم

باب في معنى التفسير والتاويل

قال العلما رضي الله عنهم اما التفسير فاصله في
اللغة من الفسر وهو كشف ما غطي وهو بيان المعاني المعقولة وكل ما يعرف به الشي ومعناه
فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسيرة وقيل اصله من
التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف
عن معنى الآية وشانها وقصتها واما التاويل فهو مشتق من الاول وهو الرجوع الى
الاصل يقال اولته فآل اي صرفته فانصرف وهو رد الشي الى الغاية المرادة منه وبيان
غايته المقصودة منه بالتاويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية
والفرق بين التفسير والتاويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتاويل يتوقف
على الفهم الصحيح ونعم وفيما ذكرناه كفاية والله تعالى اعلم

باب القول في الاستعاذة

ولفظها المختار اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى
اعوذ بالله اي التجي الى الله وامتنع به مما اخشاه يقال عذت بفلان واستعذت به اي لجات اليه

وهو عياذ ای ملجأ ای ۵ وقوله من الشطان وهو واحد الشاطین واصله من شطن
اذا تباعد من الرحمة وقیل اصله من شاط یشیط اذا هلک واحترق غضبا والشطان اسم
لکل عارم من الجن والانس وشطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلک فیه القوة الغضبیة ۵
الرجیم فعیل بمعنی فاعل ای یرجم بالوسوسة والشر وقیل رجیم بمعنی مرجوم بالعذاب
وقیل الرجیم المرجوم بالشهب عند استراق السمع وقیل هو الملعون والملعون المطرود
فصار المعنی استجر وامتنع بعظمة الله تعالی من المرجوم المطرود عن رحمة الله وعن الخیرات
وعن منازل الملاء الاعلی وقیل الرجیم المبعد عن الخیر المهان واصل الرجم الرمی بالحجاره
یقال رجمته ارجمه فهو رجیم ومرجوم والرجم القتل واللعن والطرد فصل فی حکم
الاستعاذه وفیه مسایل المسئله الاولی اتفق الجمهور علی ان الاستعاذة سنة فی
الصلاة فلو ترکها لم تبطل صلاته سواء ترکها عامدا او ساهیا وهذا الامر بالاستعاذه
علی الندب فی قول جمهور العلماء فی کل قراءة فی غیر الصلاة واختلفوا فی الصلاة فحکی القفال
عن عطا ان الاستعاذه واجبة وکان ابن سیرین والنخعی وقوم یتعوذون فی الصلاه فی کل رکعة
ویمتثلون امر الله تعالی فی الاستعاذه علی العموم والامام ابو حنیفه والامام الشافعی یتعوذان
فی الرکعة الاولی من الصلاة ویریان قراءة الصلاة کلها کقراءة واحده والامام مالک لا یری التعوذ
فی الصلاة المفروضة ویراه فی قیام رمضان بعد القراءه ۵ والمختار من لفظ الاستعاذه عند
الامام الشافعی اعوذ بالله من الشطان الرجیم وبه قال الامام ابو حنیفه لموافقه قوله تعالی
فاستعذ بالله من الشطان الرجیم ولحدیث جبیر بن مطعم وقال ابن سیرین اذا تعوذ الرجل
فی عمره مرة واحده کفی فی اسقاط الوجوب دلیل الوجوب ظاهر قوله تعالی فاستعذ والامر
للوجوب وان النبی صلی الله علیه وسلم واظب علی التعوذ فیکون واجبا ودلیل الجمهور ان
النبی صلی الله علیه وسلم لم یعلم الاعرابی الاستعاذه فی جملة اعمال الصلاة وتاخیر البیان
عن وقته غیر جایز واجیب عن قوله تعالی فاستعذ بان معناه عند جماهیر العلماء اذا اردت
القراءة فاستعذ کقوله تعالی اذا قمتم الی الصلاه فاغسلوا ای اذا اردتم القیام الی الصلاة ۵
واجیب عن مواظبه النبی صلی الله علیه وسلم بانه صلی الله علیه وسلم واظب علی اشیا کثیره من

من افعال الصلاه ليست بواجبه كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاه فكان التعوذ
مثلها المسئله الثانيه وقت الاستعاذه قبل القراه عند الجمهور سواء في الصلاه او
خارجها وحكي عن النخعي انه بعد القراه وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن سيرين ن
دليل الجمهور ما روى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قام الى الصلاه من الليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله
غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا ثم يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه
ونفثه اخرجه الترمذي وقال ان هذا اشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال
الامام احمد لا يصح ه ولابي داود والنساي عن ابي سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه
انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا ادري اي صلاه هي فقال الله اكبر الله اكبر
كبيرا الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة
واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال عمر ونفثه الكبر
ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود قال ابن ماجه الموتة الجنون لان من جن فقد
مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلاه ونفخه هو الذي يلقيه من الكبر في
الصلاه ليقطع على المصلي صلاته ه واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرات القران
فاستعذ واجب عنه بما تقدم من الادله ن المسئله الثالثه المختار من لفظ الاستعاذه
عند الامام ابي حنيفه والامام الشافعي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقه قول الله تعالى واستعذ
بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم ه وقال الامام احمد الاولى ان تقول اعوذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآيه وبين قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث ابي سعيد وقال الثوري والاوزاعي الاولى
ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وقال ابن القاسم من اصحاب الامام
مالك الاولى ان تقول اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم ه وقال
المهدوي اجمع القرا على اظهار الاستعاذه في اول قراة سوره الحمد الا حمزه فانه اسرها
وروى المسيبي عن اهل المدينه انهم كانوا يفتتحون القراه بالبسمله وروى السمرقندي عن بعض

المصرين ان التعوذ فرض واذا نسيه القارى وذكره فى بعض الحزب قطع وتعوذ ثم ابتدا من اوله
وبعضهم يقول يستعيذ ثم يرجع الى موضعه الذى وقف فيه وبالاول قال اساتيذ الحجاز والعراق
وبالثانى قال اساتيذ الشام ومصر وقال الزهراوى انزل الله آية الاستعاذة فى الصلاه
وندبنا الى الاستعاذه فى غير الصلاه وليس بفرض وقال غيره من العلما كانت الاستعاذه
فرضا على النبى صلى الله عليه وسلم وحده ثم تاسينا به صلوات الله عليه فان قيل ما الفايدة
فى الاستعاذه من الشطان وقت القراه قيل فايدتها امتثال الامر بالاستعاذه من وسوسة
الشطان وليس للشرع فايدة الا القيام بحق الوفا فى امتثالها امرا واجتنابها نهيا وقيل فايدتها
امتثال الامر بالاستعاذه من وسوسة الشيطان عند القراه كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشطان فى امنيته **فصل** فضل الاستعاذة روى مسلم
عن سليمان بن صرد رضى الله عنه قال استب رجلان عند النبى صلى الله عليه وسلم فجعل احدهما
يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ اوداجه فنظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى لاعلم كلمة لو
قالها لذهب ذا عنه اعوذ بالله من الشطان الرجيم فقام الله رجل سمع النبى صلى الله عليه وسلم
فقال هل تدرى ما قال النبى صلى الله عليه وسلم انفا قال لا قال قال انى لاعلم كلمه لو قالها
لذهب ذا عنه اعوذ بالله من الشطان الرجيم فقال له الرجل ايجنونا ترانى خرجه البخارى ايضا
وروى مسلم ايضا عن عثمان بن ابى العاص الثقفى انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان الشطان قد حال بينى وبين صلاتى وقد خشيت ان يلبسها على فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذاك شطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ منه وانفل عن يسارك ثلاثا قال
ففعلت فاذهبه الله عنى وروى ابو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سافر فاقبل عليه الليل قال يا ارض ربى وربك الله اعوذ بالله من شرك
وشر ما خلق فيك ومن شر ما يدب عليك واعوذ بالله من اسد واسود ومن الحية والعقرب
ومن ساكنى البلد ووالد وما ولد وروت خوله بنت حكيم الانصارية رضى الله عنها قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نزل منزلا ثم قال اعوذ بكلمات الله التامات من
شر ما خلق لم يضره شى حتى يرتحل اخرجه الامام مالك فى الموطا ومسلم والترمذى وقال حديث حسن

غوث صحيح وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اول ما نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم قال يا محمد استعذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم
اقرا بسم ربك الذي خلق ۝ وبالجملة فالاستعاذة تطهير القلب عن كل شئ يشغل عن الله تعالى ۝
ومن لطائف الاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف
واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل وانه الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات
واعتراف من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة التجاء الى الله القادر على دفع
وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه الا الله سبحانه وتعالى ۝ والله اعلم ۝

باب في تفسير البسملة ۝

قال العلماء رضي الله عنهم الباء في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة
الكلام عليه تقديره ابدأ بسم الله او بسم الله ابدا واقرا ۝ وانما طولت الباء في بسم الله واسقطت
الالف طلبا للخفة وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طوله على الباء ليدل طولها على الالف المحذوفة
واثبتت الالف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقال بعض العلماء انما طولوا
الباء في بسم الله لانهم اراد وا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض الصوت
فلما اتصلت ببسم الله ارتفعت واستعلت وروي ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان يقول
لكتابه طولوا الباءات بسم الله واظهروا السينات ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل ۝ والاسم
هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى سبحانه الاسم
فقال يا يحيى وقال تعالى سبح اسم ربك الاعلى وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوي والصحيح المختار
ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما يعرف به ذات الشئ وذلك لان الاسم هو الاصوات
المقطعة والحروف المولفة الدالة على ذات ذلك الشئ المسمى به فثبت بهذا ان الاسم غير المسمى
وايضا قد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم
واحدا والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وايضا فقوله تعالى فادعوه
بها امر ان يدعا الله باسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات
المدعو وبين اللفظ المدعو به واجيب عن قوله انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات

الشخص المعبر عنه بحي لا نفس الاسم ۝ واجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك
بان معنى هذه الالفاظ يقتضي اضافة الاسم الى الله تعالى ۝ واضافة الشئ الى نفسه محال ۝ وقال
بعضهم كما يجب تنزيه ذاته سبحانه عن النقص فكذلك يجب تنزيه اسمايه ۝ قال العلما وكون
الاسم غير التسميه هو ان التسميه عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم
عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر ۝ واختلف العلما في اشتقاق الاسم ۝
فقال البصريون هو مشتق من السمو وهو العلو والرفعة فاسم الشئ ما علاه حتى ظهر به وعلا
عليه فكانه علا على مسماه وصار علما له ۝ وقيل انما سمي الاسم اسما لانه علا بقوته على قسمي
الكلام الحرف والفعل والاسم اقوى منهما بالاجماع لانه الاصل فلعلوه عليهما سمي اسما ۝ وقال
الكوفيون انه مشتق من السمة وهي العلامة فكانه علامة لمسماه ۝ وحجة البصريين انه لو
كان اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه اوسام ۝ واجمعوا على ان تصغيره سمي
وجمعه اسما واسايي ۝ والله تعالى اعلم ۝ قوله الله قال العلما هذا الاسم اكبر اسما الله سبحانه
واجمعها حتى قال بعض العلما انه اسم الله الاعظم ۝ وهو علم خاص به تعالى تفرد به الباري سبحانه
وتعالى ليس بمشتق ولا شركه فيه احد ۝ وهذا هو الصحيح المختار بدليل قوله تعالى هل تعلم له
سميا اي يعني لا يقال لغيره الله ۝ وقيل هو مشتق من اله الرجل يأله الاهة مثل عبد
يعبد عبادة بدليل قوله تعالى ويذرك والهتك يعني وعبادتك ۝ ومعناه المستحق للعبادة
دون غيره ۝ وقيل هو مشتق من الوله اي الفزع لان الخلق يولهون اليه اي يفزعون اليه
في حوائجهم ۝ قال الشاعر ۝

وَلَهْتُ اليكم في بلا يا تنوني ۝ فالفيتكم فيها كرايم مُحْتِدا ۝ وقيل اصله الِهَ يقال
الهت الى فلان اي سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره ۝ وقيل اصله
وِلاهٌ فابدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق والهٌ نحوه اما بالتسخير او بالارادة ومن
هذا قيل محبوب الله كل الاشيا يدل على هذا قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ۝ ومن
خصايص هذا الاسم الشريف انك اذا حذفت منه شا بقي الباقي يدل عليه فان حذفت الالف
بقي لله ۝ وان حذفت اللام واثبت الالف بقي اله ۝ وان حذفت الالف واللام بقي له ۝ وان حذفت

الالف واللامين معا بقى هو والواو عوض من الضمة ۝ وقوله الرحمن الرحيم قال
ابن عباس رضى الله عنهما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر وقيل هما بمعنى واحد مثل ندمان
ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتاكيد وقال بعضهم انما ذكر احدهما بعد
الآخر تعظيما لقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص
فالرحمن بمعنى الرازق فى الدنيا وعلى العموم لكافه الخلق المومن والكافر والرحيم بمعنى العفو
والكافى للمومنين فى الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمان الدنيا ورحيم الاخرة ورحمة
الله ارادة الخير والاحسان لمن هو اهل لذلك وقيل رحمة الله هى ترك عقوبة من يستحق العقاب
واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثانى صفة فعل
وقيل الرحمن يكشف الكروب والرحيم يغفر الذنوب وقيل الرحمن يتبين الطريق والرحيم
بالعصمة والتوفيق وقيل الرحمن الذى وسعت رحمته كل شئ ۝ واختلف العلماء فى اشتقاق
اسم الرحمن فقال بعضهم لا اشتقاق له لانه من الاسماء المختصة به سبحانه وتعالى وانه لو كان
مشتقا من الرحمة لاتصل بذكر المرحوم فيجاز ان يقال رحمان بعباده كما يقال رحيم بعباده وايضا
لو كان مشتقا لكان مشتقا من الرحمة لم تنكره العرب حين سمعوه اذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم
وقد قال الله عز وجل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن الاية ۝ ولما كتب على بن ابى
طالب رضى الله عنه فى صلح الحديبية باسر النبى صلى الله عليه وسلم انكروها وقال سهيل بن عمرو اما
بسم الله الرحمن الرحيم فما ندرى ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم الحديث
قال بعض العلماء انما جهلوا الصفة دون الموصوف ۝ وذهب جمهور العلماء الى ان الرحمن
مشتق من الرحمة مبنى على المبالغة ومعناه ذو الرحمة الذى لا نظير له فيها ولذلك لا يثنى ولا
يجمع كما يثنى الرحيم ويجمع ومما يدل على اشتقاقه ما روى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل انا الرحمن خلقت الرحم وشققت
لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته رواه الترمذى رحمه الله وهذا نص فى
الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق والعرب انما انكروا الرحمن بقولهم وما الرحمن لجهلهم
بالله تعالى وبما وجب له ۝ وقال ابن الانبارى ان الرحمن اسم عبرانى فجامعه بالرحيم وقال

الله الرحمن الرحيم

ابو اسحق الزجاج قال احمد بن يحيى الرحيم عربى والرحمن عبرانى فلهذا جمع بينهما وهذا القول
مرغوب عنه ۝ وروى مطر عن قتادة فى قول الله عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم قال مدح
سبحانه نفسه قال ابو اسحق وهذا قول حسن وقال قطرب يجوز ان يكون جمع بينهما للتوكيد
قال ابو اسحق وهذا ايضا قول حسن وفى التوكيد اعظم الفائدة وهو كثير فى كلام العرب
يستغنى عن الفائدة فى ذلك ما قاله محمد بن يزيد انه تفضل وانعام بعد انعام وتقوية الاستشهاد
لطامع الراغبين ووعد لا يخيب آمله ۝ واختلف العلماء هل الرحمن الرحيم بمعنى واحد
او بمعنيين فقال بعضهم هما بمعنى واحد كندمان ونديم ۝ وقال جمهور العلماء الرحمن خاص
الاسم عام الفعل والرحيم عام الاسم خاص الفعل وقال بعضهم الرحمن اسم عام فى جميع
انواع الرحمة يختص به الله سبحانه والرحيم انما هو فى جهة المؤمنين كما قال تعالى وكان بالمؤمنين
رحيما وقال بعضهم الرحمن بجميع خلقه فى الامطار ونعم الحواس والنعم العامة الرحيم
بالمؤمنين فى الهداية لهم واللطف بهم ۝ وقال ابن المبارك الرحمن الذى اذا سئل اعطى والرحيم
اذا لم يسأل غضب بدليل ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه رواه الترمذى فى جامعه وقال ابن ماجة من لم يدع الله
غضب عليه ۝ وقال الشاعر ۝

الله يغضب ان تركت سؤاله ۝ وبنى آدم حين يسئل يغضب ۝ وقال ابن عباس
رضى الله عنهما الرحمن الرحيم اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر اى اكثر رحمة قال الخطابى
وهذا القول فيه اشكال لان الرقة لا مدخل لها فى شئ من صفات الله تعالى وقال الحسين
ابن الفضل انما هما اسمان رفيقان احدهما ارفق من الاخر والرفق من صفات الله عز وجل
قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف
واكثر العلماء على ان الرحمن مختص بالله عز وجل لا يجوز ان يتسمى به غيره لانتزاه تعالى قال قل
ادعوا الله او ادعوا الرحمن فعادل الاسم الذى لا يشركه فيه غيره وقال تعالى واسأل من
ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون فاخبر سبحانه ان الرحمن هو
المستحق للعبادة ۝ وقال بعضهم فى اسم الرحمن انه اسم الله الاعظم ۝ واما الرحيم فهو صفة

مطلقه للمخلوقين ۞ وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال في قول الله عز وجل بسم الله
انه شفاء من كل داء وعون على كل دواء ۞ واما الرحمن فهو عون لكل من آمن به وهو اسم لم يسم
به غيره ۞ واما الرحيم فهو لمن تاب وآمن وعمل صالحا ۞ وقد فسره بعضهم على الحروف
فروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم ۞
فقال صلى الله عليه وسلم اما الباء فبلاء الله ورحمته وثمره وبهاؤه ۞ واما السين فسناء الله ۞
واما الميم فملك الله ۞ واما الله فلا آله غيره ۞ واما الرحمن فالعاطف على البر والفاجر من خلقه ۞
واما الرحيم فالرفيق بالمؤمنين خاصة ۞ وقال كعب الاخبار الباء بهاؤه ۞ والسين سناؤه ۞
فلا شئ اعلا منه ۞ والميم ملكه وهو على كل شئ قدير فلا شئ يعازه ۞ وقال بعض المفسرين اركل
حرف هو افتتاح اسم من اسمائه فالباء مفتاح اسمه بصير ۞ والسين مفتاح اسمه سميع ۞ والميم
مفتاح اسمه مليك ۞ والالف مفتاح اسمه الله ۞ واللام مفتاح اسمه لطيف ۞ والهاء مفتاح اسمه
هادي ۞ والراء مفتاح اسمه رازق ۞ والحاء مفتاح اسمه حكيم ۞ والنون مفتاح اسمه نور ۞
ومعنى هذا كله دعاء الله تعالى عند افتتاح كل شئ ۞ والله تعالى اعلم باسرار كلامه العظيم ۞

فصل في حكم البسملة وفيه مسالتان المسالة الاولى في كون البسملة من الفاتحة
وغيرها من السور سوى سورة براءة ۞ اختلف العلماء رضي الله عنهم في ذلك فذهب الامام الشافعي
وجماعة من العلماء الى انها اية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في اولها سوى سورة براءة وهذا
قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك والامام احمد بن حنبل
في احدى الروايتين عنه واسحق بن راهويه ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ۞
وذهب الاوزاعي والامام مالك والامام ابو حنيفه الى ان البسملة ليست باية من الفاتحة
زاد ابو داود ولا من غيرها من السور وانما هي بعض ايه في سورة النمل وانما كتبت للفصل بين السور
والتبرك قال الامام مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللامام الشافعي قول انها
ليست من اوايل السور مع القطع بانها من الفاتحة ۞ حجة من ذهب الى انها من اوايل السور
ما روى عن ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا البسمله في اول الفاتحة في الصلاة
وعدها ايه ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل

ومما قول عمر وعلي وابن مسعود وعائذ وابن الزبير وهو
قول الملك وحاد زيد قال الامام احمد بن حنبل ۞ ج

ولعد

ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم قل هى فاتحة الكتاب قيل فاتحة السابعة قال
بسم الله الرحمن الرحيم ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم
فصل السورة فى رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود
ورُوى الدارقطنى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد
فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القران وام الكتاب والسبع المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم
احدى آياتها ورُوى الدارقطنى ايضا عن ام سلمة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان
يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها تقطعها آية آية وعدها عد الاعراب
وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم وروى مسلم فى افراده عن انس رضى الله عنه
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا
ما اضحكك يا رسول الله قال انزل على انفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الحديث
وفى افراد البخارى من حديث انس رضى الله عنه انه سيل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم
وحجة من منع كون البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها حديث انس المشهور المخرج فى
الصحيحين عن انس ابن مالك رضى الله عنه قال صليت خلف النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر
رضى الله عنهما وكانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى
اول قراءة ولا فى آخرها وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا ولان جبريل عليه السلام اول ما
نزل باقرأ باسم ربك الذى خلق ولم يذكر للنبى صلى الله عليه وسلم البسملة فى اولها فدل ذلك على
انها ليست منها قالوا ولان محل القران لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة رضى
الله عنهم اجمعوا على عد كثير من السور منها سورة الملك بثلثين اية وسورة الكوثر بثلاث آيات وسورة
الاخلاص باربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا قال ابن العربى من اصحاب الامام مالك ويكفيك
ان البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها الا فى القران اختلاف الناس فيها والقران لا يختلف
فيه والاخبار الصحاح التى لا مطعن فيها دالة على ان البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها الا فى

سورة النمل وحدها ۞ ومن الدليل ايضا على انها ليست من الفاتحة ولا غيرها ما روى مسلم عن ابى هريرة
رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلاة بينى
وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل ۞ فاذا قال الحمد لله رب العالمين ۞ قال الله تعالى حمدنى عبدى ۞
واذا قال الرحمن الرحيم ۞ قال الله تعالى اثنى على عبدى ۞ واذا قال مالك يوم الدين ۞ قال الله تعالى
مجدنى عبدى ۞ وقال مرة فوض الى عبدى ۞ واذا قال اياك نعبد واياك نستعين ۞ قال الله تعالى
هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ۞ فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين ۞ قال الله تعالى هذا لعبدى ولعبدى ما سأل ۞ فقوله
سبحانه قسمت الصلاة بينى وبين عبدى ۞ معناه قسمت الفاتحة بينى وبين عبدى ۞ وسماها صلاة لان
الصلاة لا تصح الا بها ۞ فجعل سبحانه الثلاث الايات الاول من الفاتحة لنفسه واختص بها ولم يختلف
المسلمون فيها ۞ ثم الآية الرابعة جعلها بينه وبين عبده لانها تضمنت تذلل العبد وطلب
الاستعانة منه تعالى ۞ وذلك متضمن لتعظيم الله تعالى ۞ ثم ثلاث ايات تتمة سبع ۞ ومما يدل على ثلاث
قوله هو لعبدى ۞ قال الامام مالك فهذا يدل على ان انعمت عليهم آية ۞ والآية السابعة الى آخرها ۞
فثبت بهذه القسمة التى قسمها الله تعالى ۞ وبقول النبى صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب كيف تقرأ
اذا افتتحت الصلاة قال فقرأ الحمد لله رب العالمين حتى اتى على آخرها ۞ ان البسملة ليست بآية
من الفاتحة ۞ وقد عد اهل المدينة واهل الشام واهل البصرة واكثر القراء انعمت عليهم آية ۞
وكذا روى قتادة عن ابى نضرة عن ابى هريرة رضى الله عنه قال الآية السادسة انعمت عليهم ۞ وقال
الحسن لم تنزل بسم الله الرحمن الرحيم فى شئ من القرآن الا فى طس سليمان انه من سليمان وانه
بسم الله الرحمن الرحيم ۞ والفيصل ان القرآن لا يثبت بالنظر والاستدلال ۞ وانما يثبت بالنقل
المتواتر القطعى الاضطرارى ۞ قال اصحاب الامام مالك رحمهم الله ان من هنا يترجح فى ذلك
بوجه عظيم وهو المعقول ۞ وذلك ان مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة انقرضت عليه
العصور ۞ ومرت عليه الازمنة والدهور ۞ من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زمان الامام
مالك ولم يقرأ احد قط فيه بسم الله الرحمن الرحيم اتباعا للسنة ۞ بيد ان اصحابنا استحبوا قراءتها
فى النفل ۞ وعليه تحمل الآثار الواردة فى قراءتها او على السعة فى ذلك ۞ قال الامام مالك ولا باس ان

تقرابها فى النافله ومن يعرض القران عرضان وجمله مذهب الامام مالك واصحابه انها
ليست عندهم اية من الفاتحة ولا غيرها ولا تقرابها المصلى فى المكتوبة ولا فى غيرها سرا ولا
جهرا ويجوز ان تقرابها فى النوافل هذا هو المشهور من مذهبه عند اصحابه وعنه رواية
اخرى انها تقرا اول السوره فى النوافل ولا تقرا اول ام القران ٥ وذهب جمع من العلما
الى الاسرار بالبسمله مع الفاتحة منهم الامام ابو حنيفة وهذا القول مروى عن على وعمر
وابن مسعود وعمار بن ياسر وعبد الله بن الزبير وهو قول الحكم وحماد والاوزاعى وابى عبيد
وبه قال الامام احمد بن حنبل واحتجوا بما روى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال صليت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم اسمعنا قراة بسم الله الرحمن الرحيم ٥ وعنه رضى الله عنه قال صليت خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابى بكر وعمر فلم اسمع احدا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ٥
قال القرطبى وهذا قول حسن وعليه تتفق الآثار عن انس ولا تتضاد ويخرج به من الخلاف فى
قراه البسمله ٥ وقد روى عن سعيد بن جبير قال كان المشركون يحضرون المسجد فاذا قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم قالوا هذا محمد يذكر رحمان اليمامة يعنون مسيلمة
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخافت ببسم الله الرحمن الرحيم وانزل الله تعالى ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها قال الترمذى وبقى ذلك الى يومنا هذا على ذلك الرسم وان زالت العلة
كما بقى الرمل فى الطواف وان زالت العلة والله تعالى اعلم ٥ **باب**
فى فضايل البسمله ٥ عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان عيسى بن مريم عليه السلام ارسلته امه الى الكتاب ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله
فقال عيسى عليه السلام وما بسم الله قال ما ادرى فقال يعنى عيسى الباء بها الله والسين سنا الله والميم
مملكته ٥ وقال ابو بكر الوراق بسم الله روضة من رياض الجنه لكل حرف منها تفسير قال الباء
ستة اوجه بارى خلقه من العرش الى الثرى بيانه هو الله الخالق البارى ٥ بصير خلقه من العرش
الى الثرى بيانه والله بكل شئ بصير ٥ باسط رزق خلقه من العرش الى الثرى بيانه الله يبسط الرزق ٥
لمن يشا ويقدر ٥ باق بعد فنا خلقه من العرش الى الثرى بيانه كل من عليها فان ويبقى وجه ربك الآيه ٥
باعث الخلق بعد الموت من العرش الى الثرى بيانه وان الله يبعث من فى القبور ٥ بار بالمومنين

من العرش الى الثرى بيانه انه هو البر الرحيم ۝ والسين على خمسة اوجه سميع لاصوات خلقه
من العرش الى الثرى بيانه ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم سيد قد انتهى سؤدده من العرش
الى الثرى بيانه الله الصمد سريع الحساب مع خلقه من العرش الى الثرى بيانه والله سريع الحساب
سلام سلم خلقه من ظلمه من العرش الى الثرى بيانه السلام المؤمن ساتر ذنوب عباده من العرش
الى الثرى بيانه غافر الذنب وقابل التوب ۝ والميم على اثنى عشر وجها ملك الخلق من
العرش الى الثرى بيانه الملك القدوس مالك الملك من العرش الى الثرى بيانه قل اللهم مالك الملك
منان مجيد مؤمن مهيمن مقتدر مقتب مكرم اولياه منعم مفضل مصور ۝ ونقدم
تفسير بقيتها وقال اهل الحقايق انما المعنى في بسم الله الرحمن الرحيم التيمن والتبرك وجب على
الناس الابتداء بها في اقوالهم وافعالهم كما افتتح الله سبحانه كتابه بها ۝ وقال العلماء رضي الله عنهم
بسم الله الرحمن الرحيم قسم من ربنا عز وجل انزله عند راس كل سوره يقسم لعباده ان هذا الذي
وصفت لكم يا عبادي في هذه السورة حق فاني اني لكم بجميع ما ضمنت في هذه السوره من وعدي
ولطفي وبري ۝ وقال بعضهم ان بسم الله الرحمن الرحيم تضمنت جميع الشرع لانها تدل على
الذات وعلى الصفات ۝ وقال سعيد بن ابي سكينه رحمه الله بلغني ان رجلا نظر الى قرطاس ساقط
على الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم فاخذه وقبله ووضعه على عينيه فغفر له ومن هذا المعنى
قصة بشر الحافي لما رفع الرقعة التي فيها اسم الله وطيبها طيب الله اسمه ۝ وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا عثرت بك الدابة فلا تقل تعس الشيطان فانه يتعاظم وقل بسم الله
فانه يتصاغر حتى يصير مثل الذباب ن وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى
واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا قال معناه اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم
ولوا على ادبارهم نفورا ن وعن عبد الله بن مسعود رضي الله من اراد ان ينجيه الله من الزبانية التسعة
عشر فليقرا بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد فالبسمله تسعة
عشر حرفا على عدد ملايكه اهل النار الذين قال الله فيهم عليها تسعة عشر ن وروى الشعبي
والاعمش رحمهما الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى امران يكتب بسم الله
فكتبها فلما نزلت قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت انه من سليمان وانه

والمصور قادر وجد الطريق
فقد ملئت بليها بسم الله الرحمن الرحيم
فلم تجد موضعا فاتيلوها فتسم
ذلك فانزل الله تعالى بسم الله
الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم كتبها ۝ وفي مصنف ابي داود قال الشعبي وابو مالك وقتاده وثابت بن
عماره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل والله اعلم ۝
وقال كعب الاحبار اول ما خلق الله من الحروف الباء ۝ وقال النقاش كانت السين والالف
حرفين كاملين فترافعت السين فرفع الله عليها الالف ۝ وقال ابن عباس رضي الله عنهما الروح
ونون فواتح ثلاث سور اذا جمعت كانت الرحمن ۝ وقال جعفر بن محمد بن علي رضي الله عنهم مفتاح
كل كتاب نزل من السما بسم الله الرحمن الرحيم ۝ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ستر ما بين
الجن وعورات بني ادم اذا دخل احدهم الخلا ان يقول بسم الله ۝ وقال جعفر بن محمد اذا قرا الرجل
بسم الله الرحمن الرحيم ستر ما بين يديه من السما الى الارض ۝ وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتب بسم الله الرحمن الرحيم مجودها تعظيما لله تعالى غفر الله له ۝
وعن انس ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله
الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى ان يداس كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا مشركين
يعني العذاب ۝ وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
من كتاب فيه اسم الله ملقى يرفعه من الارض الا بعث الله اليه من يرفعه فاذا رفعه ادخله الله الجنة
وخفف عن والديه العذاب وان كانا مشركين ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اول ما انزلت
بسم الله الرحمن الرحيم على سليمان بن داود عليهما السلام ليفتح بها الدنيا ويذل بها الملوك ۝ وهي قراءة
اهل السموات ۝ ثم رفعت فانزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في سوره النمل فكانت فتحا عظيما ۝
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان ابليس لعنه الله لم يرن قط غير بلاء رنات رنة حين لعن واخرج
من ملكوت السموات والارض ۝ ورنة اخرى حين ولد النبي صلى الله عليه وسلم ورنة حين انزلت فاتحة
الكتاب ۝ وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما انزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اول ما نزلت هذه الاية على آدم عليه السلام قال آمين ذرتي من العذاب ما داموا
على قراتها ۝ ثم رفعت فانزلت على ابرهيم الخليل وهو في كفه المنجنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ۝ فلاها
ثم رفعت بعده فما نزلت الا على سليمان بن داود عليهما السلام ۝ وعندها قالت الملايكة الآن والله
تم ملكك يا ابن داود ۝ ثم رفعت فانزلها الله علي ۝ ثم تاتي امتي يوم القيامة وهم يقولون بسم الله

الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم فى الميزان فرجحت حسناتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكتبوها فى كتبكم واذا كتبتم تكلموا بها ٥ وروى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه سال النبى صلى
الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من اسماء الله تعالى وما بينه وبين اسم الله الاعظم
الا كما بين سواد العين وبياضها من القرب ٥ وروى ان عائشة رضى الله عنها امرت خادمتها ان
تخيط خرقا فى فراشها فلما خاطته قالت لها اذكرت الله حين بدات فيه قالت لا قالت فانقضيه
ثم اذكرى اسم الله عليه قولها اذكرت الله معناه افلت بسم الله الرحمن الرحيم ٥ وقالت جدة سليمن
ابن حرب كنت عند عائشة رضى الله عنها وخياط يخيط لها اذ دعت به فقال اسميت الله حين
ضربت بابرتك قال لا قالت فانهم ما خطت ٥ وعن عائشة رضى الله عنها قالت لما نزلت بسم الله
الرحمن الرحيم فى سورة النمل ضجت الجبال حتى سمع دويها اهل مكة فقالوا سحر محمد الجبال فبعث الله
عليهم بردخان حتى ظلل مكة ٥ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال بسم الله الرحمن الرحيم
مؤمنا موقنا سبحت معه الجبال الا انه لا يسمع تسبيحها ٥ وعن عكرمة قال ان الله تعالى كان
ولا شئ غيره فخلق نورا وخلق من النور القلم واللوح ثم امر تعالى القلم فجرا على اللوح بما هو كائن الى
يوم القيامة فاول ما كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجعل الله تعالى هذه الاية امانا لخلقه ما داموا على
قراتها وهى فراه اهل سبع سموات واهل الصفيح الاعلى واهل سرادقات المجد والكروبيين والصافين
والمسبحين ٥ وروى ان الله تعالى لما انزلها على سليمان عليه السلام امره ان ينادى فى بنى اسرائيل الا
من احب ان يسمع امان الله فليحضر الى سليمان بن داود فانه يريد ان يقوم خطيبا فلم يتخلف حابس نفسه
فى العباده ولا سالح الا هرول اليه حتى اجتمع الاحبار والعباد والزهاد والاسباط فقام على منبر الخليل
عليه السلام وتلا عليهم اية الامان بسم الله الرحمن الرحيم فلم يسمعها احد الا امتلا فرحا وسرورا وقالوا
نشهد انك لرسول الله حقا ٥ ثم رفعت بعد سليمان وانزلت على المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ففرح
بها الحواريون واستبشروا فاوحى الله تعالى اليه يا ابن العذراء اتدرى اى اية انزلت عليك ٥ انه الامان
فاكثر من تلاوتها فى قيامك وقعودك ومضجعك وذهابك ومجيئك وصعودك وهبوطك فانه من وافانى
يوم القيامة وفى صحيفته بسم الله الرحمن الرحيم يمان مائة مرة وكان مؤمنا اعتقته من النار وادخلته
الجنة ٥ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرد دعاء اوله بسم الله الرحمن الرحيم ٥ قال

العلماء رضي الله عنهم ان الشرع ندب الى ذكر البسمله في اول كل فعل كالاكل والشرب والنحر والجماع
والطهارة وركوب البحر وغير ذلك من الافعال قال الله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقال تعالى
حاكيا عن نوح عليه السلام وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اغلق بابك واذكر اسم الله واوك سقاك واذكر اسم الله وخمر اناك واذكر اسم الله ٥ وقال
صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب
الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان ابدا ٥ وقال صلى الله عليه
وسلم لعمر بن ابي سلمة يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ان
الشيطان ليستحل الطعام ان لا يذكر اسم الله عليه ٥ وقال صلى الله عليه وسلم من لم يذبح فليذبح
بسم الله ٥ وشكى اليه عثمن بن ابي العاص وجعا يجده في جسده منذ اسلم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي تالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ
بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر ٥ وروي ابن ماجة والترمذي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ستر ما بين الجن وعورات بني آدم اذا دخل الكنيف ان يقول بسم الله ٥ وروي
الدارقطني عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مس طهوره سمى الله ثم
يفرغ الماء على يده ٥ والاحاديث والآثار فيها كثيرة وفيما ذكرناه كفاية والله تعالى اعلم باسرار كلامه ٥

تفسير فاتحة الكتاب ٥

وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومايه وعشرون حرفا ٥

فصل في ذكر فضلها واسمايها

عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما انزل في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة
بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال ٥ اخرجه الترمذي ٥ وعن ابي سعيد بن المعلى رضي الله عنه
قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه فقلت يا رسول الله اني
كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ثم قال اني لاعلمنك سورة
هي اعظم السور في القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت له الم تقل
يا رسول الله لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني

والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابي ميسرة رضي الله عنه قال اول ما اقرأ جبريل النبي صلى
الله عليه وسلم فاتحة الكتاب الى خاتمتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال تعدل فاتحة
الكتاب بثلثي القرآن ٥ وعن جعفر بن محمد رضي الله عنهما قال فاتحة الكتاب تعدل جميع ما
انزل الله على جميع النبيين عليهم السلام من الصحف والكتب والتوراة والانجيل والزبور والفرقان
العظيم ٥ وقال محمد بن علي اسم الله الاعظم مقطع في ام الكتاب ٥ وقال كعب الاحبار لو
جعلت فاتحة الكتاب في كفة ميزان وجعلت التوراة والانجيل والفرقان في كفة لرجحت
فاتحة الكتاب ٥ وعن وهب بن منبه رضي الله عنه قال ان رجلا اشترى جارية اعجمية
فاصبحت فصيحة وهي تقول يا مولاي علمني فاتحة الكتاب (ام القرآن) فقال لها المولى وكان من ذهنا وحكى
امسيت اعجمية واصبحت فصيحة قالت نعم لرؤيا رأيتها البارحة قال ما رأيت قالت رأيت
كان الدنيا كلها قد احدرت نارا ورفع منها طريق مثل شراك النعل الى الجنة وكأن موسى بن
عمران قد اقبل على الطريق وخلفه اليهود فرما وقف والتفت وقال سوءة لكم انا امر تكم
ان تتهودوا قال فسقطوا جميعا وشمالا في النار ومر موسى عليه السلام وحده حتى دخل الجنة
واقبل على اثره عيسى بن مريم عليه السلام وخلفه النصارى فرما وقف والتفت اليهم وقال
سوءة لكم انا امر تكم ان تتنصروا فسقطوا يمينا وشمالا في النار ومر عيسى عليه السلام وحده
حتى دخل الجنة ثم اقبل على اثره سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وخلفه امته فرما ووقف والتفت اليهم
فقال لهم انا امر تكم ان تؤمنوا بربكم وقد آمنتم فلا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون فمر امته كلهم حتى دخلوا الجنة وبقيت انا وامراتان على باب الجنة فقال الله
سارك وتعالى انظروا هل قرؤا ام القرآن فسألنا خزنة الجنان هل قرأتم سورة الحمد قلنا نعم
قال اقرؤا فقرأناها فقال رضوان عليه السلام ادخلوا الجنة ٥ وقالوا لي الا تعلمن ام القرآن ٥
علمني يا مولاي ام القرآن ٥ وقال عطا بن ابي رباح من كانت له حاجة وقرأ سورة الحمد
وسأل الله خالصا قضيت حاجته ٥ وقال كعب الاحبار افتتحت التوراة بالحمد لله الذي خلق السموات
والارض الاية وختمت بالحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ٥ وقال المعافى بن عمران
لو ان علم الناس تدبروا ما في فاتحة الكتاب من صنوف العلم لعلم جميع عمره لم يدرك ما فيها وقال

السدی رحمه الله اول هذه السورة الحمد لله والثنا علیه ووسطها الاخلاص وآخرها مسالة الله
عزوجل ۝ وقال بعض العلما تضمنت سورة الفاتحة جمیع علوم القران ومن شرفها ان الله
سبحانه وتعالی قسمها بنه وبین عبده ولا تصح القربه الابها ولا یلحق عمل بثوابها وبهذا المعنی صارت
ام القران العظیم کما صارت قل هو الله احد تعدل ثلث القران اذ القران توحید واحکام ووعظ
وفی سورة الاخلاص التوحید کله وبهذا المعنی وقع البیان فی قول النبی صلی الله علیه وسلم لابیّ
ای ایة معک فی القران اعظم قال الله لا اله الا هو الحی القیوم وانما کانت اعظم ایة لانها توحید
کلها کما صار قوله صلی الله علیه وسلم افضل ما قلته انا والنبیون من قبلی لا اله الا الله وحده لا شریک
له افضل الذکر لانها کلمات حوت جمیع العلوم فی التوحید والفاتحة تضمنت التوحید والعبادة
والوعظ والتذکیر ولا یستبعد ذلک فی قدرة الله تعالی ۝ وروی عن علی بن ابی طالب رضی الله عنه
قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم فاتحة الکتاب وایة الکرسی وشهد الله انه لا اله الا هو وقل
اللهم مالک الملک هذه الایات معلقات بالعرش لیس بینهن وبین العرش حجاب اخرجه ابو عمرو الدانی ۝
قال العلما ولهذه السورة الکریمة اثنا عشر اسما وکثرة الاسما تدل علی شرف المسمی ۝
الاول فاتحة الکتاب وسمیت بذلک لانه یفتتح بها فی المصاحف والتعلیم والقراه فی الصلاه ۝
الثانی سوره الحمد سمیت بذلک لان فیها ذکر الحمد کما قیل سوره الاعراف والانفال والتوبة ونحو ذلک ۝
الثالث ام الکتاب قال الحسن ام الکتاب ای الحلال والحرام قال الله تعالی ایات محکمات هن ام
الکتاب واخر متشابهات ۝ وقال انس وابن سیرین ام الکتاب اسم اللوح المحفوظ قال الله تعالی وانه
فی ام الکتاب وفی هذا الاسم خلاف بین العلماء الرابع ام القران وفی هذا الاسم خلاف ایضا قال یحیی بن
یعمر ام القری مکة وام خراسان مرو وام القران سورة الحمد وقیل سمیت ام القران لانها اصل
القران ومتضمنة جمیع علومه واصل جمیع الکتب المنزلة فجمیع ما اودعه الله عزوجل من العلوم فی
القران وسایر کتبه المنزله مجموع فی هذه السورة فهی اصل لها کالام اصل للنسل الخامس
السبع المثانی سمیت بذلک لانها تثنی فی کل رکعة وقیل سمیت مثانی لانها استثنت لهذه الامة
فلم تنزل علی احد قبلها ذخرا لها ۝ السادس الوافیة قال سفین بن عیینه سمیت الوافیه
لانها لا تنصف الا تری ان کل سورة من سور القران لو قرا نصفها فی رکعة والنصف الآخر فی رکعة

الصلوة

كان جايزا ولو نصفت فاتحة الكتاب في ركعتين كان غير جايز ۞ السابع الكافية قال بعضى
ان ابى كبر سميت الكافية لانها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها تدليل ما روي عن عباده بن الصامت
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ام القران عوض من غيرها وليس غيرها منها
عوضا ۞ الثامن الاساس روى ان رجلا اتى الشعبي فشكى اليه وجع الخاصرة فقال عليك
باساس القران فقال وما اساس القران قال فاتحة الكتاب قال الشعبي سمعت ابن عباس غير مرة
يقول ان لكل شئ اساسا واساس الدنيا مكة لان منها دحيت الارض واساس السموات عربيا وهي
السما السابعة واساس الارض عجيبا وهي الارض السابعة السفلى واساس الجنان جنة عدن وهي
سرة الجنان عليها اسست الجنان واساس النار جهنم وهي الدركة السابعة السفلى عليها اسست
الدركات واساس الخلق آدم عليه السلام واساس الانبيا نوح عليه السلام واساس بني اسرايل يعقوب
عليه السلام واساس الكتب القران واساس القران الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم ۞
فاذا اعتللت او اشكيت فعليك بالاساس تشفى باذن الله تعالى ۞ التاسع الشفا روي
الدارمي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب
شفا من كل سم ۞ وعن ابي سليمن قال مر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزوهم على رجل
قد صرع فقرا بعضهم في اذنه ام القران فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي ام القران
وهي شفا من كل داء ۞ العاشر الصلاة سماها الله عز وجل صلاة كما جا في حديث ابي هريرة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين
عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين
يقول الله عز وجل حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي يقول العبد مالك
يوم الدين يقول الله مجدني عبدي يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله تعالى فهذه
الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم الى آخرها يقول الله تعالى
فهؤلا لعبدي ولعبدي ما سال ۞ الحادي عشر الرقية ثبت ذلك من حديث ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذي رقى سيد الحي ما ادراك انها رقية
فقال يا رسول الله القي في روعي الحديث خرجه الائمة وسيأتي بتمامه ان شا الله الثاني عشر

القران العظيم قال العلما سميت بذلك لتضمنها جميع علوم القران وذلك انها تشتمل على الثنآ
على الله عز وجل باوصاف كماله وجلاله وعلى الامر بالعبادات والاخلاص فيها والاعتراف بالعجز
عن القيام بشئ منها الآ باعانته تعالى وعلى الابتهال اليه فى الهداية الى الصراط المستقيم وكفاية
احوال الناكثين وعلى بيان عاقبة الجاحدين ۝ فصل فى نزولها واحكامها
اجمعت الامة على ان فاتحة الكتاب سبع آيات واختلفوا هل هى مكيه او مدنية فقال ابن عباس
وقتادة وابو العاليه وغيرهم هى مكيه وقال ابو هريره ومجاهد وعطا والزهرى وغيرهم
مدنية والقول الاول هو الصحيح لقول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم
وسورة الحجر مكية بالاجماع ولا خلاف ان فرض الصلاة كان بمكة وما حفظ انه كان فى اول الاسلام
صلاة بغير الحمد لله رب العالمين بدليل قول النبى صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وهو
خبر عن الحكم لا عن الابتدآ وقد اختلف العلما فى اول ما نزل من القران فقال بعضهم المدثر وقال
بعضهم اقرا باسم ربك وقال بعضهم الفاتحة والدليل على هذا القول ما روى البيهقى فى دلايل
النبوة عن ابى ميسره عن عمرو بن شرحبيل رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة
رضى الله عنها انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد والله خشيت ان يكون هذا امر قالت معاذ الله
ما كان الله ليفعل بك فوالله انك لتودى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فلما دخل ابو بكر
رضى الله عنه وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرت خديجة حديثه له وقالت ياعتيق
اذهب معه الى ورقة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ ابو بكر يده فقال انطلق بنا الى
ورقة فقال ومن اخبرك قال خديجة فانطلقا اليه فقصا عليه فقال اذا خلوت وحدى سمعت
نداء خلفى يا محمد فانطلق هاربا فى الارض فقال ورقه لا تفعل اذا اتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول
ثم ايتنى فاخبرنى فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا
الضالين قل لا اله الا الله ۝ فاتى ورقة فذكر له فقال له ورقه ابشر فانا اشهد انك الذى بشر
به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبى مرسل وانك سوف تومر بالجهاد بعد يومك هذا
وان ادركنى ذلك لاجاهدن معك فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت القس
فى الجنة عليه ثياب الحرير لانه امن بى وصدقنى يعنى ورقة بن نوفل ۝ قال البيهقى هذا الحديث

منقطع فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون خبرا عن نزول الفاتحة بعد ما نزل عليه اقرا باسم ربك
وياايها المدثر والله تعالى اعلم ۝ وقال بعض المفسرين ان سورة الفاتحة مكية مدنية نزل بها
جبريل مرتين ۝ واختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة فقال الامام مالك واصحابه
هي متعينة للامام والمنفرد في كل ركعة ۝ وقال الحسن البصري والمغيرة بن عبد الرحمن المخزومي المدني
اذا قرا ام القران مرة واحدة في الصلاة اجزاه ولم يكن عليه اعادة لانها صلاة قد قرا فيها ام القران
وهي تامة لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرا ام القران وهذا قد قرا بها ۝ وقال الامام
ابو حنيفة والثوري والاوزاعي ان تركها عامدا في صلاته كلها وقرا غيرها اجزاه عنه ۝ وقال ابو
يوسف ومحمد بن الحسن اقل ما يجزي ثلاث ايات او آية طويلة كآية الدين ۝ وقال محمد بن الحسن اسوغ
الاجتهاد في مقدار آية ومقدار كلمة مفهومة نحو الحمد لله ولا اسوغه في حرف لا يكون كلاما ۝
وقال الطبري يقرا المصلي ام القران في كل ركعة فان لم يقرا بها لم يجزه الا مثلها من القرآن عدد
آيها وحروفها ۝ ولا ينبغي لاحد ان يدع القراءة خلف امامه في صلاة السر فان فعل فقد اساء
ولا شيء عليه ۝ واما اذا جهر الامام فلا قراءة بفاتحة الكتاب ولا غيرها في المشهور من مذهب الامام
مالك والامام ابي حنيفة لقول الله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا ولقول النبي صلى
الله عليه وسلم ما لي انازع القران ولقوله في الامام اذا قرا فانصتوا وقوله من كان له امام
فقراءة الامام له قراءة ۝ وقال الامام الشافعي فيما حكى عنه البويطي والامام احمد بن حنبل لا
يجزي احدا صلاة حتى يقرا بفاتحة الكتاب في كل ركعة اماما كان او مأموما جهر امامه او
اسر ۝ وكان الامام الشافعي يقول بالعراق في المأموم يقرا اذا اسر ولا يقرا اذا جهر وقال
بمصر فيما جهر به الامام قولان احدهما ان يقرا والاخر يجزيه ان لا يقرا ويكتفي بقراءة الامام حكاه
هذا القول ابن المنذر ۝ وقال ابن وهب واشهب وابن عبد الحكم وابن حبيب والكوفيون لا
يقرا المأموم شيأ جهر امامه او اسر لقوله صلى الله عليه من كان له امام فقراءة الامام له قراءة وهذا
عام ۝ وروي عن الامام مالك ان القراءة لا تجب في شيء من الصلاة وكذلك كان الامام الشافعي
يقول بالعراق فيما نسيها ثم رجع عن هذا بمصر فقال لا تجزي صلاة من لحن فاتحة الكتاب الا بها
ولا يجزيه ان ينقص حرفا منها فان لم يقرا ها او نقص منها حرفا اعاد صلاته وان قرا بغيرها فهذا هو

الصحيح في المسئله ٥ واجمع العلماء على ان لا صلاة الا بقراءه ٥ واجمعوا على ان لا توقت في ذلك
بعد فاتحة الكتاب الا انهم يستحبون ان لا تقرا مع فاتحة الكتاب الا سوره واحده لانه الاكثر
مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ٥ قال الامام مالك وسنة القراءه ان يقرا في الركعتين
الاوليين بام القران وسورة وفي الاخريين بفاتحة الكتاب ٥ وقال الاوزاعي يقرا ما تيسر
القران فان لم يقرا ام القران وقرا غيرها اجزاه وقال وان نسي ان يقرا في ثلاث ركعات اعاد ٥
وقال الثوري يقرا في الركعتين الاوليين بفاتحة الكتاب وسورة ويسبح في الاخريين ان شاء
وان شاء قرا وان لم يقرا ولم يسبح جازت صلاته وهذا قول الامام ابي حنيفه وسايير الكوفيين ٥
قال ابن المنذر وقد روينا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اقراء في الاوليين وسبح
في الاخريين وبه قال النخعي قال سفين فان لم يقرا في ثلاث ركعات اعاد الصلاة لانها
لا تجزيه قراءة ركعة وكذلك ان نسي ان يقرا في ركعة من صلاة الفجر وقال بعضهم لا تجزي
صلاة الا بقراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة وهو قول الامام الشافعي وعليه جماعة اصحابه ٥
وكذلك قال بعض اصحاب الامام مالك قراءة الفاتحة عندنا في كل ركعة وهذا هو الصحيح في المسئله
بدليل ما روى مسلم عن ابي قتادة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فيقرا في الظهر
والعصر في الركعتين الاوليين بفاتحة الكتاب وسورتين ويسمعنا الآية احيانا وكان يطول في
الركعة الاولى من الظهر ويقصر الثانيه وكذلك في الصبح ٥ وفي رواية ويقرا في الركعتين الاخريين
بفاتحة الكتاب وهذا نص صريح وحديث صحيح لما ذهب اليه مالك ونص في تعين الفاتحه
في كل ركعة خلافا لمن ابى ذلك والحجة في السنه لا فيما خالفها ٥ وذهب الجمهور الى ان ما
زاد على الفاتحه من القراءه ليس بواجب لما روى مسلم عن ابي هريره رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اسمعناكم وما اخفى منا اخفيناه منكم فمن قرا ام القران فقد اجزت عنه ومن زاد
فهو افضل وفي صحيح البخاري وان زدت فهو خير ٥ **فصل في تفسيرها وما**
تضمنته من المعاني وفضل الحامدين قوله عز وجل الحمد لله
قال المفسرون هذا ثنا اثنى الله عز وجل به على نفسه تعليما منه لخلقه لفظه خبر ومعناه
امر تقديره قولوا الحمد لله ٥ وروى ابو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ من حديث ابي هريرة

قال وكل صلاة لا يقرا فيها بام القران فهي خداج

ابی هریرة وابی سعید رضی الله عنهما عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال اذا قال العبد الحمد لله قال
الله عز وجل صدق عبدي الحمد لي ۝ وروی مسلم عن انس بن مالک رضی الله عنه قال قال رسول
الله صلی الله علیه وسلم ان الله لیرضی عن العبد یاکل الاکلة فیحمده علیها او یشرب الشربة فیحمده
وقال الحسن رضی الله عنه ما من نعمة الا والحمد لله افضل منها ۝ وروی ابن ماجة عن انس بن
مالک رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لو ان الدنیا کلها بحذافیرها فی ید رجل
من امتی ثم قال الحمد لله لکان الحمد لله افضل من ذلک ۝ قال ابو عبد الله معنی هذا الحدیث
انه قد اعطی الدنیا ثم اعطی علی اثرها هذه الکلمة حتی نطق بها فکانت هذه الکلمة افضل من الدنیا
کلها لان الدنیا فانیة والکلمة باقیة وهی من الباقیات الصالحات ۝ وروی ابن ماجة عن ابن
عمران رسول الله صلی الله علیه وسلم حدث ان عبدا من عباد الله قال یارب لک الحمد کما ینبغی
لجلال وجهک ولعظیم سلطانک فعضلت بالملکین فلم یدریا کیف یکتبانها فصعدا الی السما
فقالا یاربنا ان عبدا من عبادک قال مقالة لا ندري کیف نکتبها قال الله عز وجل وهو اعلم
بما قال عبده ماذا قال عبدي قالا یارب انه قد قال یارب لک الحمد کما ینبغی لجلال وجهک
وعظیم سلطانک فیهول سبحانه اکتباها کما قال عبدي حتی یلقاني فاجزیه بها ۝ قوله
فعضلت بالملکین یقال اعضل الامر اذا اشتد واستغلق ۝ وعن ابی مالک الاشعري رضی الله
عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم الطهور شطر الایمان والحمد لله تملا المیزان وسبحان
الله والحمد لله تملاان او تملا ما بین السما والارض وذکر الحدیث الی اخره ۝ واختلف العلما
ایما افضل قول العبد الحمد لله رب العالمین او قول لا اله الا الله فقالت طایفة قول الحمد لله رب العالمین
افضل لان فی ضمنه التوحید الذي هو قول لا اله الا الله فقی قول العبد الحمد لله رب العالمین
توحید وحمد وفی قوله لا اله الا الله توحید فقط ۝ وقالت طایفة قول لا اله الا الله افضل
لانها تدفع الکفر والاشراک وعلیها یقاتل الخلق قال رسول الله صلی الله علیه وسلم امرت ان اقاتل
الناس حتی یقولوا لا اله الا الله واختار هذا القول ابن عطیة قال والحاکم بذلک قول النبی صلی الله علیه
وسلم افضل ما قلت انا والنبیون من قبلی لا اله الا الله وحده لا شریک له ۝ فقوله تعالی الحمد لله
قال العلما الحمد فی کلام العرب معناه الثنا الکامل والالف واللام لاستغراق الجنس من المحامد

مطلب

مطلب

فالله سبحانه وتعالى يستحق الحمد باجمعه اذ له الاسما الحسنى والصفات العلى ٥ وذهب ابو
جعفر الطبرى وابو العباس المبرد الى ان الحمد والشكر بمعنى واحد سوا وليس بمرضى وحكاه ابو
عبد الرحمن السلمى عن جعفر الصادق وابن عطا قال ابن عطا معناه الشكر لله اذا كان منه الامتنان
على تعليمنا اياه حتى حمدناه واستدل الطبرى على انهما بمعنى تقول لك الحمد شكرا قال ابن عطية
وهو فى الحقيقه دليل على خلاف ما ذهب اليه لان قولك شكرا انما خصصت به الحمد انه على
نعمة من النعم ٥ وقال بعض العلما الشكر اعم من الحمد لانه باللسان وبالجوارح والقلب
والحمد انما يكون باللسان خاصة ٥ وقال بعضهم الحمد اعم لان فيه معنى الشكر ومعنى
التمدح وهو اعم من الشكر لان الحمد يوضع موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع الحمد ٥ وروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الحمد لله كلمة كل شاكر وان آدم عليه السلام قال حين عطس الحمد لله
وقال الله عز وجل لنوح عليه السلام فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقال ابرهيم
عليه السلام الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق وقال تعالى فى قصة داود وسليمان وقالا
الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المومنين وقال تعالى لنبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا وقال اهل الجنه الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وقال تعالى
وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فهى كلمة كل شاكر ٥ والصحيح ان الحمد ثنا على الممدوح
بصفاته من غير سبق احسان والشكر ثنا على المشكور بما اولى من الاحسان ٥ وعلى هذا
الحد قال العلما الحمد اعم من الشكر لان الحمد يقع على الثنا وعلى التحميد وعلى الشكر والجزا
مخصوص انما يكون مكافاة لمن اولاك معروفا فصار الحمد اعم فى الايه لانه يزيد على الشكر ٥
قال العلما ويذكر الحمد بمعنى الرضى يقال بلوته فحمدته اى رضيته ومنه قوله تعالى حمدوا ما
وقال صلى الله عليه وسلم احمد اليكم غسل الاحليل اى ارضاه لكم وعن جعفر الصادق رضى الله عنه
فى قوله تعالى الحمد لله قال من حمده بصفاته كما وصف نفسه فقد حمد لان الحمد حا وميم ودال
فالحا من الوحدانيه والميم من الملك والدال من الديمومة فمن عرفه بالوحدانيه والديمومة
والملك فقد عرفه وهذا هو حقيقه الحمد لله ٥ وقال سقيق بن ابرهيم الزاهد رحمه الله
فى تفسير الحمد لله قال هو على ثلاثة اوجه اولها اذا اعطاك الله شيا تعرف من اعطاك الثانى

ان ترضى بما اعطاك ۝ الثالث مادامت قوته فى جسدك لا تعصيه ۝ فهذه شرائط الحمد ۝
واعلم ان الله سبحانه وتعالى اثنى بالحمد على نفسه وافتتح كتابه العزيز بحمده ولم يأذن فى ذلك
لغيره بل نهاهم سبحانه عن ذلك فى كتابه وعلى لسان نبيه فقال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم
بمن اتقى وقال النبى صلى الله عليه وسلم احثوا فى وجوه المداحين التراب ۝ وسيأتى القول فيه
فى سورة النساء ان شاء الله تعالى ۝ فمعنى الحمد لله رب العالمين اى سبق الحمد منى لنفسى قبل ان يحمدنى
احد من العالمين وحمدى لنفسى فى الازل لم يكن بعلة وحمد الخلق مشوب بالعلل ۝
قال العلماء فيستقبح من المخلوق الذى لم يحط الكمال ان يحمد نفسه ليستجلب لها المنافع
ويدفع عنها المضار ۝ وقال بعض العلماء لما علم الله سبحانه وتعالى عجز عباده عن حمده حمد
نفسه بنفسه فى الازل فاستفراغ طوق عباده هو محل العجز عن حمده الا ترى سيد المرسلين
كيف اظهر العجز بقوله لا احصى ثناء عليك ۝ وانشد الشاعر ۝

اذا نحن اثنينا عليك بصالح ... فانت كما نثنى وفوق الذى نثنى ۝

وقال بعضهم حمد نفسه فى الازل لما علم من كثرة نعمه على عباده وعجزهم عن القيام بواجب حمده فحمد نفسه
عنهم لتكون النعمة اهنا لديهم حيث اسقط عنهم به ثقل المنة ۝ وقال بعضهم ان مدحه
عز وجل لنفسه وثناه عليها ليعلم ذلك عباده فالمعنى على هذا قولوا الحمد لله ۝ وقال بعض
العلماء جعل الله تعالى لفظة الحمد زينة كل خطبه وراس كل مدحه وابلغ كلمة فى قضاء شكر كل
نعمه وكل سورة افتتحها الله عز وجل بالحمد فى كتابه العزيز دل على عظيم شان تلك السورة كسورة
الانعام وسورة الكهف وسورة سبا وسورة فاطر ۝ فان قيل لم قال تعالى الحمد لله ولم يقل
الحمد لى ولا الحمد الى قيل له هذا على وجه التعظيم لنفسه سبحانه كعادة الملوك ۝ والله اعلم ۝
قوله تعالى رب العالمين اى خالق الخلق اجمعين وسيدهم ومالكهم وكل من ملك شيا
فهو ربه فالرب هو المالك ۝ وهو بمعنى السيد ومنه قوله تعالى اذكرنى عند ربك اى سيدك ۝
وسئل الواسطى عن الرب فقال هو الخالق ابتداء والمربى غذاء والغافر انتهاء ۝ وقال بعضهم
الرب هو المصلح والمدبر والجابر والقايم ۝ قال الهروى وغيره يقال لمن قام باصلاح شى واتمامه
قد ربه يربه فهو رب له ولد اب ومنه سمى الربانيون لقيامهم بالكتب ۝ وفى الحديث هل لك

نعمة تربها عليه اى تقوم بها وتصلحها ۞ وقال بعضهم الرب هو المعبود ۞ وقال قتادة
الرب تفسير الرب انه يربى خلقه بالرزق ولا يقطع عنهم والعرب تقول اَسْدَدْتُ اليك نعمه
فربها اى لا تقطعها وقال قتادة انما سمى الربانى لانه يربى الناس بصغار العلم قبل كباره ۞
وقال ابو الدرداء رضى الله عنه اسم الله الاعظم ربّ ۞ قال بعضهم ان هذا الاسم هو اسم الله
لكثرة دعوة الداعين به وتامل ذلك فى القران فى اخر سورة ال عمران وسورة ابرهيم وغيرهما
ولكره ما يشعر به هذا الوصف من الصلة بين الرب والمربوب مع ما يتضمنه من العطف والرحمة
والافتقار فى كل حال ۞ واختلف العلما فى اشتقاقه فقيل انه مشتق من التربية فالله سبحانه
مدبر لخلقه ومربيهم ومنه قوله تعالى وربايبكم اللاتى فى حجوركم فسمى ولد الزوجة ربيبه
لتربية الزوج لها ۞ واعلم انه متى ادخلت الالف واللام على رب اختص الله تعالى به لانها
للعهد وان حذفتا منه صار مشتركا بين الله وبين عباده فيقال الله رب العالمين وزيد رب
الدار والله سبحانه رب الارباب يملك المالك والمملوك وهو خالق ذلك ورازقه وكل رب سواه
غير خالق ولا رازق فهذا هو الفرق بين صفة الخالق والمخلوق ۞ وقوله تعالى العالمين
جمع عالَم واختلف اهل التاويل فى العالمين اختلافا كثيرا فقال قتادة العالمون جميع
عالَم وهو كل موجود سوى الله تعالى ولا واحد له من لفظه مثل قوم ورهط ۞ وقال
ابن عباس رضى الله عنهما العالمون هم الجن والانس وقال ابو عبيدة العالَم عبارة عما يعقل
وهم اربع امم الملايكة والانس والجن والشياطين ولا يقال للبهايم عالم لان هذا الجمع انما
هو جمع ما يعقل خاصة ۞ وقال وهب بن منبه رضى الله عنه ان لله تعالى ثمانية عشر الف عالم الدنيا
عالم منها وقال ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه ان لله اربعين الف عالم الدنيا من
شرقها الى غربها عالم واحد وقال مقاتل العالمون ثمانون الف عالم اربعون الف عالم
فى البر واربعون الف عالم فى البحر وروى الربيع بن انس عن ابى العالية قال الجن عالم
والانس عالم وسوى ذلك الارض اربع زوايا فى كل زاوية الف وخمسمايه عالم خلقهم لعبادته
وقال الحسن ومجاهد وقتادة العالم عباره عن جميع المخلوقات السموات والارض وما فيهما
وما بينهما وروى عن ابى بن كعب رضى الله عنه قال العالمون هم ملايكة وهم ثمانية عشر

الف ملك منهم اربعة آلاف وخمسمائة بالمشرق واربعة آلاف وخمسمائة بالمغرب واربعة
آلاف وخمسمائة بالكنف الثالث من الدنيا واربعة الاف وخمسمايه بالكنف الرابع من الدنيا
مع كل ملك اعوان ما يعلم عددهم الا الله عز وجل ومن ورايهم ارض بيضا كالرخام مسيرة الشمس
اربعين يوما وطولها لا يعلمه الا الله عز وجل مملوة ملايكه يقال لهم الروحانيون لهم زجل
بالتسبيح والتهليل لو كشف عن صوت احدهم لهلك اهل الارض من هول صوته فهم العالمون منتهاهم
الى حملة العرش وقال مقاتل رحمه الله لو فسرت العالمين لاحتجت الى الف مجلد كل مجلد الف
ورقة وقال كعب الاحبار لا يحصى عدد العالمين احد الا الله عز وجل قال الله سبحانه وتعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو ۝ قوله عز وجل الرحمن الرحيم قال العلما وصف سبحانه
نفسه بعد رب العالمين انه الرحمن الرحيم لانه لما كان في اضافته برب العالمين ترهيب قرنه
بالرحمن لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة اليه ليكون اعون على
طاعته وامنع كما قال تعالى في آية اخرى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم وقال تعالى في آية اخرى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ۝ وفي
صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم المومن ما عند
الله من العقوبة ما طمع بجنته احد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته
احد وقد تقدم ما في هذين الاسمين من المعاني فلا معنى لاعادتها والله تعالى اعلم ۝ قوله
عز وجل مالك يوم الدين اختلف العلما ايما ابلغ ملك يوم الدين او مالك يوم الدين والقراءان
مرويتان عن النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما ذكرهما الترمذي وقال ملك اعم
وابلغ من مالك اذ كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولان الملك ناف على المالك في ملكه حتى لا
يتصرف الاعن تدبير الملك وهذا قول ابي عبيدة والمبرد وقال بعضهم مالك ابلغ من ملك
لانه يكون مالكا للناس وغيرهم فالمالك ابلغ تصرفا واعظم اذ اليه آخرا قوانين الشرع ثم
عنده زيادة التملك ن وقال ابو حاتم رحمه الله ان مالك ابلغ في مدح الخالق من ملك
وملك ابلغ في مدح المخلوقين من مالك والفرق بينهما ان المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك
واذا كان الله عز وجل مالكا كان ملكا والدليل على هذا من بلاغة اوجه الاول انك تضيفه الى

الخاص والعام فنقول مالك الارض والدار والثوب كما تقول مالك الملوك ٥ الوجه الثانى
ان مالك يتطلق على القليل والكثر واذا تاملت هذين القولين وجدتهما واحدا ٥ الوجه
الثالث انك تقول مالك الملك ولا تقول ملك الملك ٥ قال بعضهم انما كان كذلك لان المراد من
مالك الدلالة على الملك بكسر الميم وهو لا يتضمن الملك بكسر الميم ٥ وملك يتضمن الامرين جميعا فهو
اولى بالمبالغة وتضمن ايضا الكمال ولذلك استحق الملك على من دونه الا ترى الى قوله تعالى
ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم الخلافة الامامة خ
فى قريش وقريش افضل قبايل العرب والعرب افضل من العجم واشرف ٥ والملك ايضا تتضمن
الاقتدار والاختيار وذلك امر ضرورى فى الملك ان لم يكن قادرا مختارا نافذا حكمه وامره
والا قهره عدوه وغلبه غيره وازدرته به رعيته ٥ والملك ايضا يتضمن البطش والامر والنهى
والوعد والوعيد الا ترى الى قول سليمان عليه السلام مالى لا ارى الهدهد ام كان من الغايبين
لاعذبنه الى غير ذلك من الامور العجيبة والمعانى الشريفة التى لا توجد فى المالك ٥ وقد
احتج بعض العلما على ان مالكا ابلغ من ملك لان فيه زيادة حرف فلقارئه عشر حسنات
زيادة على من قرا ملك وقايل هذا القول انما نظر الى الصيغة لا الى المعنى وقد ثبتت القراة
بملك وفيه من المعنى ما ليس فى مالك على ما بينا والله اعلم قال العلما ولا يجوز ان يتسمى احد
بهذا الاسم ولا يدعى به الا الله تعالى بدليل ما روى البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السما بيمينه ثم
يقول انا الملك اين ملوك الارض وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان اخنع اسم
عند الله رجل تسمى ملك الاملاك لا ملك الا الله قال سفيان مثل شاهان شاه قال
الامام احمد بن حنبل سالت ابا عمرو الشيبانى عن اخنع فقال اوضع ٥ وعنه رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغيظ رجل على الله يوم القيامة واخبثه رجل تسمى ملك
الاملاك لا ملك الا الله سبحانه ٥ قال العلما وكذلك ملك يوم الدين ومالك الملك لا ينبغى ان
يختلف فى ان هذا محرم على جميع المخلوقين كتحريم ملك الاملاك سوا ٥ واما الوصف
بمالك وملك فيجوز ان يوصف بهما من اتصف بمفهومهما والدليل قول الله تعالى ان الله قد بعث لكم

طالوت ملكا ۝ وقول النبي صلى الله عليه وسلم ناس من امتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج
هذا البحر ملوكا على الاسره او مثل الملوك على الاسره ۝ فان قيل لم خصص يوم الدين
وهو سبحانه مالك يوم الدين وغيره قيل له لان في الدنيا كانوا منازعين في الملك مثل فرعون
ونمرود وغيرهما وفي ذلك اليوم لا ينازعه احد في ملكه وكلهم خضعوا له كما قال تعالى لمن الملك اليوم
فاجاب جميع الخلق لله الواحد القهار فلذلك قال تعالى ملك يوم الدين بالتخصيص ومعناه
في ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجاز غيره سبحانه لا اله الا هو ۝ وقال العلماء
ان وصف الله سبحانه وتعالى بانه ملك كان ذلك من صفات ذاته وان وصف بانه مالك كان ذلك
من صفات فعله ۝ قال المفسرون ومالك وملك لغتان فصيحتان ومعناهما الرب ۝ وقيل
هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك في الحقيقة الا الله سبحانه
وتعالى فاما غيره فيسمى مالكا وملكا على المجاز وتقدم معناه ۝ وقوله تعالى يوم الدين قال
المفسرون اليوم عبارة عن وقت طلوع الفجر الى وقت غروب الشمس فاستعير فما بين مبتدا
القيامة الى وقت استقرار اهل الدارين فيها وقد يطلق اليوم على الساعة ۝ كقوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم ۝ واما الدين فهو الجزاء على الاعمال والحساب بها وهذا قول ابن عباس
وابن مسعود وابن جريج وقتاده وغيرهم ۝ ويدل عليه قوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
اي حسابهم وقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وقوله تعالى اليوم تجزون ما كنتم
تعلمون وقوله ايانا لمدينون اي مجزيون محاسبون ۝ وقال لبيد ۝

حصادك يوما ما زرعت وانما ... يدان الفتى يوما كما هو دائن ۝ وفي الحديث الكيس
من دان نفسه اي حاسبها ۝ وقال بعضهم الدين القضاء قال ابن عباس معناه مالك يوم
الدين اي يوم القضاء وقال الدين الطاعة ۝ قال ثعلب يقال دان الرجل اذا اطاع ودان اذا
عصى ودان اذا عز ودان اذا ذل ودان اذا قهر فهو من الاضداد ۝ ويطلق الدين على
العادة والشان وعلى سيره الملك وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله مالك يوم الدين يوم
لا ينفع فيه الا الدين وانما خص بالذكر لان الاملاك في ذلك اليوم زايله والدعاوى باطله
والملائكة خاضعة ۝ قوله عز وجل اياك نعبد واياك نستعين رجع من

الغيبه الى الخطاب لان من اول السورة الى هنا خبر عن الله عز وجل وثنا عليه ٥ وفيه اضمار
يعني قولوا اياك نعبد اى نوحد ونخلص ونخضع والعبادة سياسة النفس على حمل المشاق
في الطاعة واصلها الخضوع والانقياد والذلة وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده لمولاه
واياك نستعين اي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا كلها وقال ابو بكر
الوراق اياك نعبد لانك خلقتنا واياك نستعين لانك هديتنا وقال ابو الحسن القناد اياك
نعبد لانك الصانع واياك نستعين لان المصنوع لا غنى له عن الصانع اياك نعبد لتدخلنا الجنان
واياك نستعين لتعيذنا من النيران اياك نعبد لانا عبيد واياك نستعين لانك كريم مجيد ٥
فان قيل قوله تعالى واياك نستعين الاستعانه على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم اخر
سبحانه الاستعانه على العباده وما الحكمه فيه قيل له ذكر العلماء فيه وجوها الاول
ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن نحمل الله يجعل التوفيق والاستطاعة مع
الفعل ولا فرق بين التقديم والتاخير الوجه الثاني ان الاستعانة نوع تعبد فكانه
تعالى ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الوجه الثالث كان العبد
يقول شرعت في العبادة فانا استعين بك على اتمامها فلا يمنعني من اتمامها مانع الوجه
الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك
العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب ٥ وقال السلمي سمعت محمد
ابن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ابا حفص الفرغاني يقول من اقر باياك نعبد واياك نستعين
فقد برئ من الجبر والقدر ٥ فان قيل لم قدم المفعول على الفعل قيل له قدم للاهتمام به
ومن شان القران تقديم الاهم بدليل ما روي ان اعرابيا سب آخر فاعرض المسبوب عنه فقال
له السابّ اياك اعني فقال له الاخر وعنك اعرض فقدم ما الاهم ليلا يقدم ذكر العبد
والعبادة على المعبود فلا يجوز ان يقال نعبدك ولا نستعنك ولا نعبد اياك ونستعين
اياك فيقدم الفعل على كناية المفعول وانما يتبع لفظ القران العظيم ٥ قال الشاعر
اياك ادعوا فتقبل ملقي ٥ اغفر خطاياي وكثره ورقي ٥ والله تعالى اعلم بمراده
قوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم قال العلماء اهدنا دعاء ورغبة من المربوب

الى الرب ومعناه دلنا على الصراط المستقيم وارشدنا اليه وارنا طريق هدايتك الموصله الى انسك
وقربك ۝ قال العلما وهذا الدعا من المومنين مع كونهم على الهدايه بمعنى سوال التثبت وطلب
مزيد الهدايه لان الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب اهل السنه ۝ وقال
بعض العلما جعل الله عز وجل عظم الدعا وجملته موضوعا فى هذه السوره نصفها الاول فيه
مجمع الثنا ونصفها الثانى فيه مجمع الحاجات وجعل بطالبى هذا الدعا فى هذه السوره افضل
من الدعا الذى ندعوا به ان هذا كلام قد تكلم به رب العالمين فانت تدعوا بدعا هو كلامه
الذى تكلم به ۝ وفى الحديث ليس شى اكرم من الدعا ۝ وقوله اهدنا الصراط المستقيم اى الطريق على اسم
الواضح المستوى قال الشاعر ۝ امير المومنين على طريق ۞ اذا اعوج الموارد مستقيم ۞ ان
معناه على طريقة حسنة ۝ وقال ابن عباس رضى الله عنهما الصراط المستقيم هو دين الاسلام وقال
بعضهم هو القران بدليل ما روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
الله عليه وسلم يقول الصراط المستقيم كتاب الله عز وجل وقال جابر رضى الله عنه الصراط المستقيم
الاسلام وهو اوسع مما بين السما والارض وقال ابو العاليه الصراط المستقيم هو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصاحباه من بعده ابو بكر وعمر رضى الله عنهما قال عاصم فقلت للحسن ان ابا
العاليه يقول الصراط المستقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه فقال صدق ابو العاليه
ونصح ۝ وروى عن بكر بن عبد الله المزنى رضى الله عنه قال رات رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى المنام فسالته عن الصراط المستقيم فقال هو سنتى وسنة الخلفا الراشدين من بعدى ۝ وقال
سعيد بن جبير الصراط المستقيم هو طريق الجنة وقال السدى معناه ارشدنا الى دين يدخل
به صاحبه الجنة فلا يعذب بالنار ابدا ويكون خروجه من قبره الى الجنه وقال ابو بكر
الوراق معناه صراطا لا تزيغ به الاهوا يمينا ولا شمالا وقال محمد بن على الترمذى معناه
طريق الخوف والرجا وقال ابو سليمن الدارانى الصراط المستقيم هو طريق العبودية وقال
سهل بن عبد الله الصراط المستقيم هو طريق السنه والجماعة وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتى الصراط سوران فيه
ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول ايها الناس ادخلوا الصراط

جميعا ولا تعرجوا ۞ وداع يدعو من فوق الصراط ۞ فاذا اراد فتح شيء من تلك الابواب قال ويلك لا
تفتحه فانك ان تفتحه تلجه ۞ فالصراط الاسلام ۞ والسور حدود الله عز وجل ۞ والابواب
المفتحة محارم الله عز وجل ۞ وذلك الداعي على الصراط كتاب الله عز وجل ۞ والداعي من فوق واعظ
الله عز وجل في قلب كل مسلم ۞ واصل الصراط في كلام العرب الطريق ۞ قال الشاعر ۞
امير المومنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم ۞ وقال النقاش الصراط الطريق بلغة الروم ۞
قال ابن عطية وهو ضعيف ۞ وقرئ السراط بالسين بمعنى الابتلاع كان الطريق يبتلع من
يسلكه ۞ والمستقيم صفة للصراط ۞ وهو الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف **قوله**
عز وجل صراط الذين انعمت عليهم ۞ هذا بدل من الاول ۞ وهو بدل الشيء من الشيء ۞ ومعناه ادم
هدايتنا فان الانسان قد يهدى عن الطريق ثم يقطع به ۞ وقيل معناه صراط الذين منتت عليهم
بالهداية والتوفيق ۞ وهم الانبيا والمومنون الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله تعالى ومن يطع الله
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين ۞ وقال عكرمة انعمت عليهم بالثبات
على الايمان والاستقامة ۞ وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا
ولم يبدلوا ۞ وقيل هم اصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ۞ الذين لم يغيروا ولم يبدلوا
واهل بيته ۞ وقال الامام مالك الذين انعمت عليهم متابعة سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ۞
قال العلما وفي عليهم عشر لغات ۞ قرئ بجاميعها ۞ عليهم بضم الهاء واسكان الميم ۞ وعليهم ۞
بكسر الهاء واسكان الميم ۞ وعليهمي بكسر الهاء والميم والحاق يا بعد الكسرة ۞ وعليهمو بكسر الهاء
وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة ۞ وعليهمُوا بضم الهاء والميم كليتهما وادخال واو بعد
الميم ۞ وعليهم ۞ بضم الهاء والميم من غير زيادة واو ۞ وهذه الاوجه الستة ماثورة عن الائمة
من القراء ۞ واوجه اربعة منقولة عن العرب غير محكية عن القراء ۞ وهي عليهمي بضم الهاء
وكسر الميم وادخال يا بعد الميم ۞ وعليهم ۞ بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء ۞ وعليهم ۞ بكسر
الهاء وضم الميم من غير الحاق واو ۞ وعليهم ۞ بكسر الهاء والميم ولا يا بعد الميم ۞ وكلها صواب حكاها
الاخفش عن العرب ۞ وقرا عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما صراط من انعمت
عليهم ۞ واعلم ان في هذه الآية رد على القدرية والمعتزلة والامامية لانهم يعتقدون

ان ارادة الانسان كافيه فى صدور افعاله منه طاعةً كانت او معصيةً لان الانسان عند عدم خالو لافعاله فهو غير محتاج فى صدورها عنه الى ربه عز وجل وقد اكذبهم الله تعالى فى هذه الآية اذ سالوه الهداية الى الصراط المستقيم فلو كان الامر اليهم والاختيار منهم دون ربهم لما سالوه الهداية ولاكرروا السوال فى كل صلاة وكذلك تضرعهم اليه فى دفع المكروه وهو ماينافى الهداية حيث قالوا صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فكما سالوه ان لا يضلهم وكذلك يدعون فيقولون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ۝ قوله عز وجل غير المغضوب عليهم ولا الضالين يعنى غير طريق المغضوب عليهم وغير طريق الضالين وقيل غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب من الله تعالى هو ارادة الانتقام من العصاة ولا يلحق غضب الله العصاة من المومنين بل يلحق الكافرين وقيل الغضب فى الاصل هو ثوران دم القلب وارادة الانتقام ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة توقد فى قلب ابن ادم الم ترو الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله تعالى به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة كما تقدم ۝ واختلف العلماء فى المغضوب عليهم من هم فالجمهور على انهم اليهود والضالين النصارى وجاء ذلك مفسرا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه وقصة اسلامه اخرجه ابو داود الطيالسى والترمذى وشهد لهذا التفسير قول الله تعالى فى اليهود وباءو بغضب من الله وقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وقوله تعالى فى النصارى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ۝ وقيل المغضوب عليهم المشركون والضالين المنافقون وقيل المغضوب عليهم بالبدعة والضالين عن السنة وقال الواقدى غير المغضوب عليهم بالمخالفة والعصيان والضالين عن الدين والايمان ۝ والغضب فى اللغة الشدة ويقال رجل غضوب اى شديد الخلق ومعنى الغضب فى صفة الله تعالى ارادة العقوبة وتقدم ذلك فهو صفة ذات وارادة الله تعالى من صفة ذاته ونفس العقوبة ومنه الحديث ان الصدقة لتطفى غضب الرب فهو صفة فعل ۝ والضلال فى كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق ومنه ضل اللبن فى الما

اي غاب ۝ ومنه قوله تعالى آءذا ضللنا فى الارض اى غيبنا بالموت وصرنا ترابا ۝ قال الشاعر ۝
الم تسأل تخبرك الديار عن الحي المضلل اين ساروا ۝ ۝ وقرا عمر بن الخطاب
وابى بن كعب رضى الله عنهما غير المغضوب عليهم وغير الضالين ۝ وروى عنهما فى الترا النصب
والخفض فى الحرفين ۝ والله تعالى اعلم باسرار كلامه العظيم ۝ فصل فى آمين ۝
قال العلما رضى الله عنهم السنة للقاري بعد فراغه من الفاتحة ان يقول امين ۝ مفصولا عنها
بسكتة ليتميز ما هو قران مما ليس بقران ۝ وسوا كان فى الصلاة او فى غيرها ۝ ودليل السنة
ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام
فامنوا فانه من وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه ۝ قال العلما فترتب
المغفرة للذنب على مقدمات اربع تضمنها هذا الحديث المقدمة الاولى تامين الامام ۝
الثانية تامين من خلفه ۝ الثالثة تامين الملايكة ۝ الرابعة موافقة التامين ۝ قيل فى
الاجابة ۝ وقيل فى الزمن ۝ وقيل فى الصفة من اخلاص الدعا لقول النبى صلى الله عليه وسلم ادعوا
وانتم موقنون بالاجابة ۝ واعلموا ان الله لا يستجيب دعا من قلب غافل لاه ۝ ۝ وروى ابو داود
عن ابى مصبح المقرائى ۝ قال كنا نجلس الى ابى زهير النميرى وكان من الصحابة فيحدث احسن
الحديث فاذا دعا الرجل منا بدعا قال اختمه بامين فان امين مثل الطابع على الصحيفة ۝
قال ابو زهير الا اخبركم عن ذلك خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فاتينا
على رجل قد الح فى المسئلة ۝ فوقف النبى صلى الله عليه وسلم يسمع منه فقال النبى صلى الله عليه وسلم
اوجب ان ختم ۝ فقال له رجل من القوم باى شى يختم يا رسول الله قال بامين ۝ فانه امين مثل الطابع
على الصحيفة ان ختم بامين فقد اوجب فانصرف الرجل الذى سال النبى صلى الله عليه وسلم فاتى
الرجل فقال له اختم بامين وابشر ۝ وقال وهب بن منبه رضى الله عنه آمين اربعة احرف ۝
خلق الله من كل حرف ملكا يقول اللهم اغفر لكل من قال آمين ۝ وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امين خاتم رب العالمين على عباده المومنين ۝ واختلف
العلما فى تفسير امين ۝ فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن معنى آمين ۝ فقال معناه رب افعل ۝ وقال ابن عباس وقتادة معناه كذلك يكون ۝ وقال سهل

اوحى الله تعالى الى عيسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا ام الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرا فاتحة الكتاب ثم قال امين لم يبق فى السما ملك مقرب الا استغفر له قال الزمخشرى رضى الله

ابن عبد الله معناه لا يقدر على هذا احد سواك ۞ وقال محمد بن علي الترمذي معناه لا تخيب رجاءنا
وقال عبد الرحمن بن زيد آمين كنز من كنوز الجنة لا يعلم تاويله احد الا الله عز وجل ۞ وعن
عطا قال امين دعاء وان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدوكم على
امين وتسليم بعضكم على بعض ۞ وفي حديث آخر ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على امين
فاكثروا من قول امين ۞ قال العلماء انما حسدنا اهل الكتاب لان اولها حمد وثناء عليه يعني الفاتحة
ثم خضوع له واستكانة ثم دعا لنا بالهداية والصراط المستقيم ثم الدعاء على اليهود مع قولنا امين
وروي ان امين درجة في الجنة ۞ قال ابو بكر معناه انه يكتسب به قائله درجة في الجنة ۞ وقال
جعفر بن محمد ومجاهد هو اسم من اسماء الله تعالى ۞ وقيل معناه لا تخيب رجاءنا ۞ وقوله
صلى الله عليه وسلم من وافق تامينه تامين الملائكة معناه وافقهم في وقت التامين فامن من امن بامينهم
وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح ۞ واختلفوا في هؤلاء الملائكة
قيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة ۞ وقوله غفر له ما تقدم من ذنبه يعني يغفر له الذنوب
الصغائر دون الكبائر ۞ قال العلماء وفي امين لغتان المد والقصر ۞ قال الشاعر في المد ۞
يا رب لا تسلبني حبها ابدا ۞ ويرحم الله عبدا قال آمينا ۞ وقال في القصر ۞
آمين فزاد الله ما بيننا بعدا ۞ ۞ واختلف العلماء هل يقول الامام امين وهل يجهر بها
ام لا فذهب الامام الشافعي والامام مالك في رواية المدنيين الى ذلك ۞ وقال الكوفيون وبعض
المدنيين لا يجهر بها وبه قال ابن حبيب من اصحاب مالك ۞ وقال ابن بكير هو مخير ۞ وروى ابن القاسم
عن الامام مالك ان الامام لا يقول امين وانما يقول ذلك من خلفه ۞ وهو قول ابن القاسم والمصريين
من اصحاب الامام مالك ۞ واحتجوا بحديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال اذا صليتم فاقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم احدكم فاذا
كبر فكبروا واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا امين يجبكم الله ۞ وذكر الحديث ۞ اخرجه مسلم
والصحيح هو القول الاول لحديث وايل بن حجر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ولا
الضالين قال امين يرفع بها صوته ۞ اخرجه ابو داود والدارقطني ۞ وقال ابن عطا امن دعاء
أمن ابن الزبير ومن وراءه حتى ان للمسجد لجة ۞ قال الترمذي يقول غير واحد من اهل العلم من

من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يرون ان يرفع الرجل صوته بالتامين لا يخفيها
وبه يقول الامام الشافعي والامام احمد واسحق ۝ وفي الموطا والصحيحين قال ابن شهاب وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين حتى يسمعها
اهل الصف الاول فيرتج بها المسجد ۝ وقال اصحاب الامام ابي حنيفه الاخفا بآمين اولى
من الجهر بها واستدلوا بحديث ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع يخفيهن
الامام التعوذ والتسمية والتشهد وامين وقالوا ايضا ان الاخفا بآمين اولى من الجهر بها لانه
دعا والافضل في الدعا الاخفا قال الله عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية قالوا والدليل عليه
ما روي في قوله تعالى قد اجيبت دعوتكما قال كان موسى يدعو وهرون يومن فسماهما داعيين ۝
والعلم ان كلمة آمين لم تكن لاحد قبل هذه الامة الا لموسى وهرون عليهما السلام بدليل ما
روي الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل اعطى امتي ثلاثا لم تعط احدا قبلهم السلام وهو تحيه اهل الجنة
وصفوف الملايكة وامين الا ما كان من موسى وهرون ۝ وقد قيل ان امين خاص لهذه الامة
لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حسدتكم اليهود ما حسدتكم على السلام وامين اخرجه
ابن ماجه رحمه الله ۝ ويقدم الحديث في اثنا الكلام والله تعالى اعلم بمراده واسرار كلامه العظيم ۝

اربع

٧ ١٢١

وهي مايتان وست وقيل وسبع وثمانون ايه ۝ وسبعة الاف ومايه واحدى وعشرون
كلمة ۝ وخمسة وعشرون الف حرف وخمسماية حرف ۝ فصل في نزولها
وفضلها وما جا فيها فتقول سورة البقرة مدنية نزلت في مدد شتى قال ابن عباس
رضي الله عنهما هي اول ما نزل بالمدينة الا قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها آخر
آية نزلت من السما ونزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى ۝ وهذه السوره الكريمة فضلها عظيم
وثوابها جسيم ويقال لها فسطاط القران وذلك لعظمها وبهايها وكثره احكامها ومواعظها
وتعلمها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفقهها وما تحتوي عليه من المعاني والعلوم والاسرار في اثنتي عشره سنة

وتعلمها ولده عبد الله فى ثمان سنين ۞ قال ابن العربى سمعت بعض اشياخى يقول فى سوره البقره الف امر والف نهى والف حكم والف خبر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد وقدم عليهم احدهم سنا لحفظه سورة البقرة وقال له اذهب فانت امير هم اخرجه الترمذى ۞ وعن ابى امامة الباهلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرءوا سورة البقره فان اخذها بركه وتركها حسره ولا تستطيعها البطله قال معاوية بلغنى ان البطلة السحرة ۞ وعن ابى هريره رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان ينفر من البيت الذى تقرا فيه سوره البقرة ۞ وروى الترمذى عن عبد الله قال ما من بيت تقرا فيه سوره البقره الا خرج منه الشيطان وله ضراط ۞ وان لكل شى سناما وان سنام القران سوره البقره وان لكل شى لبابا ولباب القران المفصل ۞ اللباب هو الخالص وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شى سناما وان سنام القران سوره البقره ومن قراها فى بيته ليلا لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال ومن قراها نهارا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثه ايام رواه البيهقى ۞ وروى الدارمى فى مسنده عن الشعبى قال قال عبد الله من قرا عشر ايات من سوره البقره فى ليله لم يدخل بيته شيطان تلك الليله حتى يصبح اربعا من اولها وآية الكرسى واثنين بعدها وثلاث ايات خواتمها اولها لله ما فى السموات وما فى الارض ۞ وروى ابن عبد البر قال كان لبيد بن ربعة بن مالك بن جعفر ابن كلاب بن ربعه بن عامر بن صعصعة من شعراء الجاهليه ادرك الاسلام فحسن اسلامه وترك قول الشعر فى الاسلام وساله عمر فى خلافته عن شعره واستنشده فقرا البقره فقال له عمر انما سالتك عن شعرك فقال ما كنت لاقول بيتا من الشعر بعد اذ علمنى الله سوره البقره وآل عمران فاعجب عمر قوله وكان عطاوه الفين فزاده حمسمايه ۞ وقال كثير من العلماء ان لبيدا لم يقل الشعر منذ اسلم ۞ وقال بعضهم لم يقل فى الاسلام الا قوله الحمد لله الذى لم ياتنى اجلى حتى اكتسيت من الاسلام سربالا ۞ وقال بعضهم ان البيت الذى قاله فى الاسلام ما عاتب المرء الكريم كنفسه ۞ والمرء يصلحه القرين الصالح ۞ وعن عبد الله بن بريده عن ابيه رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا البقره فان اخذها بركه وتركها

حره ولا تستطيعها البطلة يعني السحره وتقدم ٥ وعن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سوره البقرة فصلوات الله عليه ورحمته واعطى من الاجر
كالمرابط في سبل الله سنة لا تشكر وعنته وقال لي يا ابي مر المسلمين يتعلمون سورة البقره
فان تعليمها بركه وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال قلت يا رسول الله ما البطله قال
السحرة ٥ بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
الم اختلف العلما في الحروف المفتتح بها السور فذهب كثر الى انها من المتشابهات التي استاثر
الله عز وجل بعلمها فنحن نومن بها ونكل علمها الى الله عز وجل وفائده ذكرها طلب الايمان بها
قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر الله في القران اوايل السور وقال علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوه هذا الكتاب حروف التهجي ٥ واورد على
هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بما لا يعلمون واجيب عنه بانه يجوز ان يكلف
عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فانه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة
فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال آخرون من اهل العلم هي معروفة
المعاني ثم اختلفوا فيها فقال بعضهم كل حرف منها مفتاح اسم من اسما الله تعالى فالالف مفتاح
اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقال ابن عباس رضي الله عنهما
معنى قول الله تعالى الم انا الله اعلم الر انا الله ارى المص انا الله افصل فالالف تودي
معنى انا واللام تودي عن اسم الله والميم تودي عن معنى اعلم وقال محمد بن كعب القرظي الالف
آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وروي عن ابن عباس ايضا قال الالف الله واللام جبريل
والميم محمد صلى الله عليه وسلم اقسم الله عز وجل بهم ان هذا الكتاب لا ريب فيه وقال الحكما حيرة
عقول الخلق في ابتدا خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفه حقايق خطابه وقال قتاده
هي اسما القران وقال عبد الرحمن بن زيد هي اسما للسورة المفتتحه بها وقال الاخفش انما
اقسم الله تعالى بالحروف المعجمه لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه المنزله بالالسن المختلفه
ومباني اسمايه الحسنى وصفاته العليا واصول كلام الامم بها يتعارفون ويذكرون الله عز وجل
ويوحدونه فكانه اقسم بهذه الحروف ان القران كلامه وكتابه لا ريب فيه وقال كعب الاحبار

خلق الله عز وجل القلم من نور اخضر ثم انطقه بمانيه وعشرين حرفا هن اصل الكلام وكان اول
ذلك كله نقطة فنظرت الى نفسها فتصاغرت وتواضعت لربها عز وجل وتمايلت هيبة فنجدت
فصارت همزة فلما راى الله عز وجل تواضعها مدها وطولها فصارت الفا فتلفظ بها ثم جعل القلم
ينطق بحرف حرف الى ثمانيه وعشرين حرفا فجعلها مدار الكلام والكتب والاصوات واللغات كلها الى
يوم القيامة وجعل الالف لتواضعها مفتاح اول اسمايه ٥ وقال بعض العلماء ان الله عز وجل
لما تحداهم بقوله فاتوا بسوره من مثله بعشر سور مثله فعجزوا عنه انزل هذه الاحرف ومعناه
ان القران ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها فكان بحيث ان ياتوا بمثله فلما عجزهم
عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر ٥ وقيل انهم لما اعرضوا عن استماع القران
واراد الله عز وجل صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا
الى ما يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سببا
لايمانهم ٥ وقال الكلبي هذه الحروف التي في اوايل السور اقسام اقسم الله بها لشرفها وفضلها
وموضع القسم قوله تعالى لا ريب فيه كما يقول الانسان والله هذا الكتاب لا ريب فيه والحكمة
في القسم ان القران نزل بلغة العرب والعرب اذا اراد بعضهم ان يوكد كلامه اقسم على كلامه والله
تعالى اراد ان يوكد عليهم الحجة فاقسم ان القران من عنده ن وروى النقاش في تفسير الم ان
ياسر بن اخطب اليهودي مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو سوره البقره الم ذلك الكتاب
فاتى الى اخيه حيي بن اخطب في رجال من يهود فقال لقد سمعت محمدا يتلو فيما انزل عليه الم ذلك
الكتاب فقال حيي انت سمعته قال نعم فمشى حيي بن اخطب في اولئك النفر من اليهود الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد الم يذكر لنا انك تتلو فيما انزل عليك الم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلى قالوا جاك بها جبريل من عند الله قال نعم قالوا لقد بعث الله قبلك انبيا
ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما اجل امته غيرك ثم قام حيي بن اخطب واقبل على
من معه وقال لهم الالف واحد واللام ثلاثون والميم اربعون فهذا احدى وسبعون سنة
فتدخلون في دين رجل انما مدة ملكه واجل امته احدى وسبعون سنة ثم اقبل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره قال صلى الله عليه وسلم نعم قال ماذا قال المص

قال حيي هذه اثقل واطول الالف واحد واللام ثلاثون والميم اربعون والصاد تسعون او
قال ستون فهذه احدى وثلاثون وما يه هل مع هذه يا محمد غيرها قال صلى الله عليه وسلم نعم
المر قال هذه اطول وانقل الالف واحد واللام ثلثون والرا مائتان فهذه احدى وثلاثون
ومايتان هل مع هذه غيرها يا محمد قال صلى الله عليه وسلم نعم المر قال هذه اثقل واطول
الالف واحد واللام ثلاثون والميم اربعون والرا مايتان فهذه احدى وسبعون وماسائة ثم
ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لبس علينا امرك حتى ما ندري اقليلا اعطيت ام كثيرا ثم
قاموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو ياسر لاخيه حيي ولمن معه من الاحبار ما
يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله احدى وسبعون سنة واحدى وثلاثون ومائة واحدي
وثلاثون ومايتان واحدى وسبعون وماسان فذلك سبعمائة سنة واربع وستون سنة فقالوا
لقد تشابه علينا امره فيزعمون ان هذه الآيات نزلت فيهم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنه واسقانا ويله الى اخر الايات ثم وقال بعض العلما كان المشركون يفرون عند استماع
القران فلما سمعوا الم والمص استكثروا هذا اللفظ فلما انتهوا له صلى الله عليه وسلم اقبل
عليهم بالقران الموتلف ليثبته في اسماعهم واذانهم ويقيم عليهم الحجه ثم واعلم ان مجموع
الاحرف المنزله في اوايل السور اربعة عشر حرفا في تسع وعشرين سوره وهي الالف واللام والميم
والصاد والرا والكاف والها واليا والعين والطا والسين والحا والقاف والنون ثم
وهي نصف حروف المعجم وسياتي الكلام على باقيتها في مواضعها ان شا الله تعالى ثم وقوله
تعالى ذلك الكتاب اي هذا الكتاب هو القران وقيل فيه اضمار ومعناه هذا الكتاب ذلك
الكتاب الذي وعدتك به وكان الله عز وجل قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه
كتابا لا يمحوه الما ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل تعالى القران قال هذا ذلك الكتاب الذي
وعدتك به ثم وقال بعض المفسرين ان الله تعالى وعد بني اسرايل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا
من بني اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينه وبها من اليهود خلق كثير انزل
الله عز وجل هذه الآية الم ذلك الكتاب اي هذا ذلك الكتاب الذي وعدت به على لسان موسى

ان انزله على النبي الذي من ولد اسمعيل ۞ وقال بعضهم معنى قوله تعالى ذلك الكتاب اي ذلك الكتاب
الذي كتبت على الخلايق بالسعادة والشقاوة والاجل والرزق ۞ وقال بعضهم معناه ذلك
الكتاب الذي كتبت على نفسي في الازل ان رحمتي سبقت غضبي ۞ بدليل ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده
فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي ۞ وقال بعضهم ان الله تبارك وتعالى لما انزل على نبيه صلى الله
عليه وسلم بمكة انا سنلقي عليك قولا ثقيلا لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مستشرفا الى انجاز
هذا الوعد من ربه فلما انزل عليه بالمدينة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه كان فيه معنى هذا القران
الذي انزلته عليك بالمدينة ذلك الكتاب الذي وعدتك ان اوحيه اليك بمكة ۞ وقال بعضهم
ان الم اسم القران ۞ وذلك اشارة الى ما في التوراة والانجيل ۞ والتقدير هذا القران ذلك الكتاب
المفسر في التورية والانجيل يعني ان التورية والانجيل يشهدان بصحة هذا القران ويستغرق
ما فيهما ويزيد عليهما ما ليس فيهما ۞ وقال سعيد بن جبير ذلك الكتاب هو اللوح المحفوظ ۞ والله اعلم
والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع ۞ ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها ۞
فسمي الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض ۞ ويقال ايضا كتبت الخيل ۞ صارت كتايب ۞
والكتاب اسم من اسماء القران ۞ والله اعلم ۞ وقوله تعالى لا ريب فيه اي لا شك فيه
انه من عند الله عز وجل ۞ وانه الحق والصدق ۞ وقيل معنى لا ريب فيه خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا
فيه ۞ فان قيل قد ارتاب به قوم فما معنى قوله لا ريب فيه ۞ قيل له معناه انه في نفسه حق وصدق ۞
ومن حقق النظر عرف حقيقة ذلك ۞ وقوله تعالى هدى للمتقين قال المفسرون
الهداية عبارة عن الدلالة ۞ وقيل هي هداية بلطف ۞ وقيل الهداية الارشاد ۞ والمعنى هو هدى
للمتقين ۞ وقيل هو هاد لا ريب في هدايته ۞ وقال بعضهم الهدى على قسمين هدي دلالة وهو
الذي يقدر عليه الرسل واتباعهم بدليل قوله تعالى ولكل قوم هاد ۞ وقوله تعالى وانك لتهدي
الى صراط مستقيم ۞ فاثبت سبحانه لهم الهدي الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه ۞ وتفرد
هو سبحانه بالهدي الذي معناه التاييد والتوفيق ۞ فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي
من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فالهدى على هذا معنى خلق الايمان في القلب ۞ ومنه قوله تعالى

تعالى اوليك على هدي من ربهم وقوله ويهدي من يشاء وقال ابو المعالي وقد تذكر الهداية
ويراد بها ارشاد المومنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها من ذلك قوله تعالى في صفة
المجاهدين فلن يضل اعمالهم سيهديهم وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم معناه فاسلكوهم اليها
وقوله تعالى للمتقين اى للمومنين وخص المتقين بهدايته تشريفا لهم لانهم امنوا وصدقوا
ما في كتابه عز وجل وقيل هدي للمتقين يعني كرامة لهم وبيانا لفضلهم واجلالا لهم
واصل التقوي في اللغة قلة الكلام ومنه الحديث المتقي ملجم والمتقي فوق المومن والطايع
وهو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعايه عذاب الله تعالى ماخوذ من اتقا المكروه بما
يجعله حاجزا بينك وبينه وقيل التقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى
في عرف الشرع حفظ النفس مما يوثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات وقال ابن عباس
المتقي من يتقي الشرك والكابر والفواحش وهو ماخوذ من الاتقا واصله الحجز بين الشيئين
يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي الحديث كنا اذا اشتد الباس اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقي يجعل امتثال اوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه
وبين النار **فصل في فضيله التقوى** قال النبي صلى الله عليه وسلم جماع
التقوى في قول الله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقال ابن عمر رضي الله عنهما
التقوى ان لا ترى نفسك خيرا من احد وقال الحسن المتقي الذي يقول لكل من راه هذا خير مني
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الاحبار حدثني عن التقوى فقال هل اخذت طريقا
ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت وتشمرت قال كعب فكذلك التقوى
واخذ هذا المعنى ابن المعتز فنظمه فقال

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى ... واصنع كماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى

وقال عمر بن عبد العزيز ليس التقوى صيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن التقوى
ترك ما حرم الله وادا ما افترض الله فمن رزق بعد ذلك فهو خير الى خير وقال سفين الثوري

والفضل بن عياض رحمة الله عليهما المتقى هو الذى يحب للناس ما يحب لنفسه وقال على بن محمد
الترمذى المتقى هو الذى لا خصم له وقال السرى السقطى المتقى هو الذى يغض نفسه وقال
الشبلى المتقى هو الذى يتقى ما دون الله وقال محمد بن خفيف التقوى بجانبه كل ما يبعدك عن الله
تعالى وقال القاسم بن القاسم التقوى هو المحافظة على آداب الشريعة وقال سفيان بن عيينه
المتقى هو الذى يتقى الدنيا وآفاتها وقال ابو يزيد البسطامى التقوى هو التورع عن جميع الشبهات
وقال ايضا المتقى من اذا قال قال لله واذا سكت سكت لله واذا ذكر ذكر الله وقال الفضيل
ابن عياض لا يكون العبد من المتقين حتى يامن عدوه وقال سهل بن عبد الله المتقى من تبرا من
حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك من حيث امرك وقيل التقوى
ترك ما حرم الله وادآء ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة
وقيل التقوى هو الاقتدآء بالنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم وقيل المتقى هو
الذى يترك ما لا باس به حذرا مما به باس وقيل التقوى هو حسن الخلق وقيل المتقى هو الذى
يتقى متابعة هواه وقال الامام مالك حدثنى وهب بن كيسان ان بعض فقهآء المدينة كتب الى عبد الله
ابن الزبير ان لاهل التقوى علامات يعرفون بها الصبر عند البلآء والرضى بالقضآء والشكر عند النعمه
والتذلل لاحكام القران وقال ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة
لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجاير وقال بعض الحكما لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا بحيث
لو جعل ما فى قلبه على طبق فيطاف به فى السوق لم يستحى وقال بعض العارفين التقوى ان تتزين
بسترك للحق كما تتزين علانيتك للخلق والتقوى فيها جماع الخير كله وهى وصية الله فى الاولين والاخرين
وهى خير ما يستفيده الانسان كما قال ابو الدرداء رضى الله عنه وقد قيل له ان اصحابك يقولون
الشعر وانت ما حفظ عنك شئ فانشد وهو يقول ٥

يريد المرء ان يوتى منآه ٥ ويابى الله الا ما اراد ٥ يقول المرء فايدتى ومالى ٥ وتقوى الله افضل
ما استفاد ٥ وروى ابن ماجة فى سننه عن ابى امامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول ما استفاد المرء بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ان امرها اطاعته وان
نظر اليها سرته وان اقسم عليها برته وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله ٥ فان قلت

كيف قال تعالى هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قيل له هو كقولك للعزيز الكريم اعزك
الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه والله تعالى اعلم ○ قوله عز وجل
الذين يؤمنون بالغيب اي يصدقون بالايمان واعلم ان حقيقة الايمان هو التصديق
بالقلب بدليل قوله تعالى في قصة يعقوب وبنيه وما انت بمؤمن لنا اى بمصدق وايضا لما
ذكر سبحانه الايمان هنا عقبه بالغيب ليعلم انه تصديق المخبر وايضا فان الله تعالى ذكر الايمان في
مواضع كثيرة مضافا الى القلب فقال تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وقال
تعالى وقلبه مطمئن بالايمان وقال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان ونحوه فاما محل
الاسلام من الايمان فهو كمحل الضوء من الشمس فكل شمس ضوء وليس كل ضوء شمسا فكذلك كل ايمان
اسلام وليس كل اسلام ايمانا والاسلام هو الخضوع والانقياد بدليل قوله تعالى قالت
الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اى استسلمنا من خوف السيف وقول النبي صلى
الله عليه وسلم يا معشر من اسلم بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه ولذلك اختلف جواب جبريل
عليه السلام في الايمان والاسلام فاجاب في الايمان بالتصديق وفي الاسلام بشرائع الايمان ○
ثم يسمى اقرار اللسان واعمال الابدان ايمانا بوجه من المناسبة لانها من توابعه وشرايعه
قال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق
واعلاها شهادة ان لا اله الا الله وقال صلى الله عليه وسلم الايمان معرفة بالقلب واقرار
باللسان وعمل بالاركان وقيل الايمان ماخوذ من الامن فسمي المؤمن مؤمنا لانه يؤمن
نفسه من عذاب الله واما الغيب فهو كل ما كان مغيبا عن العيون بجملا في القلوب وقال
ابن عباس رضي الله عنهما الغيب هنا كل ما امرت به مما غاب عن بصرك من الملايكة والبعث والجنة
والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله عز وجل وقيل الغيب هو القران وقيل
الغيب قول لا اله الا الله وما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال زر بن حبيش الذين
يؤمنون بالغيب اي بالوحي وقال الحسن يعني بالاخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فقال اتدرون
اي اهل الايمان افضل قالوا يا رسول الله الملايكة قال هم كذلك وحق لهم ذلك وما يمنعهم وقد

انزلهم الله بالمنزلة التي انزلهم بل غيرهم قلنا يا رسول الله فمنهم قال اقوام ياتون من بعدي
في اصلاب الرجال يومنون بي ولا يرونني ويجدون الورق فيعملون بما فيه فهولا افضل اهل
الايمان ايمانا وروي ان سفيان بن الحرث قال لعبد الله بن مسعود عند الله نحتسب ما
سبقتمونا اليه يا اصحاب محمد من رويته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بل عند الله
نحتسب ايمانكم بسوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولم تروه ثم قال عبد الله ان امر رسول الله كان بينا
لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مومن افضل من ايمان بغيب ثم قرا الذين يومنون بالغيب
وقوله تعالى ويقيمون الصلاة يعني يداومون عليها في مواقيتها بحدودها واتمام
اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرايضها وسننها وآدابها واراد بالصلاة ها هنا الصلوات
الخمس واصل الصلاة في اللغة الدعا والرحمة ومنه قوله تعالى وصل عليهم اي ادع لهم واصله
من صليت العود اذا ليّنته فكان المصلي يخشع ويلين واصلها في الشرع اسم لافعال مخصوصة
من قيام وركوع وسجود وقعود ودعا مع النية واعلم ان الله تبارك وتعالى امر بالمحافظة
على الصلاة في كتابه العزيز في مواضع كثيرة ومدح من اقامها ووعده الثواب على ذلك وذم من ضيعها وفرط فيها
وجهل حقوقها وتوعده على ذلك فقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات
فسوف يلقون غيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها
فقد كفر وقال صلى الله عليه وسلم اول ما يسال العبد يوم القيامة عن الصلاة فان اكملها والا
نظر في تطوعه وقد قرن الله عز وجل الصلاة بتوحيده في مواضع كثيرة من كتابه العزيز فقال
تعالى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري وقال تعالى الذين يومنون بالغيب ويقيمون
الصلاة وقال تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة وقال تعالى واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين
وقال تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة وقال تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام واوصاني
بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا
ويقيموا الصلاة وقال تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشا
والمنكر فصل في ما جا في فضل الصلاة وفضل الركوع والسجود والخشوع عن ابي مالك الاشعري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان

مطلب فضائل صلوة

وسبحان الله والحمد لله تملان او تملا ما بين السما والارض والصلاه نور والصدقه برهان والصبر
ضيا والقران حجة لك او عليك رواه مسلم وعن ابى ذر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج فى الشتا والورق يتهافت فاخذ بغصن من شجرة فجعل ذلك الورق تهافت
فقال يا اباذر قلت لبيك يارسول الله قال ان العبد المسلم ليصلى الصلاه يريد بها وجه الله
فتتهافت عنه ذنوبه كما تهافت هذه الورق عن هذه الشجره ۞ رواه الامام احمد باسناد حسن
وعن معدان بن طلحة قال لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اخبرنى
بعمل اعمله يدخلنى الله به الجنة فسكت ثم سالته فسكت ثم سالته الثالثة فقال سالت عن
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجده الا
رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة رواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه رحمهم الله ۞
وعن ابى هريره رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد
من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعا رواه مسلم ۞ وعنه رضى الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل
يبقى من درنه شى قالوا لا يبقى من درنه شى قال فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا ۞
رواه البخارى ۞ وعنه رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس
والجمعة الى الجمعه كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر ۞ وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحترقون تحترقون فاذا صليتم الصبح غسلتها ثم تحترقون
تحترقون فاذا صليتم الظهر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فاذا صليتم العصر غسلتها ثم تحترقون
تحترقون فاذا صليتم المغرب غسلتها ثم تحترقون تحترقون فاذا صليتم العشا غسلتها
ثم تنامون فلا تكتب عليكم حتى تستيقظوا رواه الطبرانى ۞ وعن انس بن مالك رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكا ينادى عند كل صلاه يا بنى ادم قوموا الى
نيرانكم التى اوقدتموها فاطفوها رواه الطبرانى ايضا ۞ وعن ابى موسى الثعلبى قال دخلت
على ابى امامة وهو فى المسجد فقلت له يا ابا امامة ان رجلا حدثنى عنك انك سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من توضا فاسبغ الوضو غسل يديه ووجهه ومسح على راسه واذنيه

ثم قام الى صلاة مفروضة غفر له فى ذلك اليوم ما مشت اليه رجلاه وقبضت عليه يداه وسمعت
اليه اذناه ونظرت اليه عيناه وحدث به نفسه من سوء فعال والله لقد سمعته من النبى صلى
الله عليه وسلم مرارا رواه الامام احمد ۞ وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم يصلى وخطاياه مرفوعة على راسه كلما سجد تحاتت عنه
ممنوع من صلاته وقد تحاتت عنه خطاياه رواه الطبرانى وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ مسلم تحضر صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها
وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله ۞
وعن ابى ايوب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول ان كل صلاة تحط ما بين
يديها من خطية رواه الامام احمد ۞ وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة وآخر ما يبقى الصلاة
واول ما يحاسب به الصلاة يقول الله تعالى انظروا فى صلاة عبدى فان كانت تامة كتبت تامة
وان كانت ناقصة يقول انظروا هل لعبدى من تطوع فان وجدوا له تطوعا تممت الفريضة
من التطوع ثم قال انظروا هل زكاته تامة فان وجدت زكاته تامة كتبت له تامة وان كانت
ناقصة قال انظروا هل له صدقة فان كانت له صدقة تممت له زكاته رواه ابو يعلى ۞
وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس
صلوات كتبهن الله على العباد من جاء بهن ولم يضيع منهن شيا استخفافا بحقهن كان له عند
الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء
ادخله الجنة رواه الامام مالك ۞ وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال مفتاح الجنة الصلاة رواه الدارمى ۞ وعن عبد الله بن قرط رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان صلحت
صلح سائر عمله وان فسدت فسد سائر عمله رواه الطبرانى ۞ وعن انس بن مالك رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ينظر
الله فى صلاته فان صلحت فقد افلح وان فسدت فقد خاب وخسر رواه الطبرانى ايضا ۞

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له انما مواضع الصلاة من الدين كموضع الراس من الجسد رواه الطبراني ۞ وعن حنظلة الكاتب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وعلم انهن حق من عند الله دخل الجنة او قال وجبت له الجنة او قال حرم على النار رواه الامام احمد ۞ وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من علم ان الصلاة حق مكتوب واجب دخل الجنة رواه ابو يعلى رحمه الله والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وفيما ذكرناه كفاية ۞ فصل وعيد من ترك الصلاة تعمدا وعيد من اخرجها عن وقتها تهاونا ۞ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة رواه الامام احمد وفي رواية للنسائي ليس بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة وفي رواية للترمذي قال بين الكفر والايمان ترك الصلاة ۞ وعن بريدة الاسلمي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر رواه ابو داود ۞ وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال اوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع خلال فقال لا تشركوا بالله شيا وان قطعتم او حرقتم او صلبتم ولا تتركوا الصلاة متعمدين فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة ولا تركبوا المعصية فانها سخط الله ولا تشربوا الخمر فانها راس الخطايا كلها رواه الطبراني ۞ وعن عبد الله بن شقيق العقيلي رضي الله عنه قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيا من الاعمال تركه كفر غير الصلاة رواه الترمذي ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قام بصري قيل يا نداويك وندع الصلاة ايا ما قلت لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان رواه البزار ۞ وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا رواه الطبراني وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله علمني عملا اذا انا عملته دخلت الجنة قال لا تشرك بالله شيا وان عذبت وحرقت وطع والديك وان اخرجاك من مالك

مطلب وعيد ترك صلوة

ومن كل شئ هو لك ولا تترك الصلاة متعمدا فان من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله رواه الطبراني ٥ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا احبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع الله تعالى توبته رواه الاصبهاني وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال من ترك الصلاة فلا دين له رواه محمد بن نصر موقوفا ٥ وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هم الذين يوخرون الصلاة عن وقتها رواه البزار ٥ وعن مصعب بن سعد رضي الله عنهما قال قلت لابي يا ابتاه ارايت قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون أينا لا يسهو ابتنا لاحدث نفسه قال ليس ذلك انما هو اضاعة الوقت بلهو حتى يضيع الوقت رواه ابو يعلى وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد اتا بابا من ابواب الكبائر رواه الحاكم رحمه الله والاحاديث في هذا المعنى كثير والله اعلم

رجعنا الى التفسير ٥ قوله تعالى ومما رزقناهم اى اعطيناهم من الرزق ينفقون اى يخرجون ويتصدقون في طاعة الله عز وجل وسبيله قال العلماء ويدخل في هذا انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق في الجهاد اذا وجب عليه والانفاق في المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما مدح بها وادخل سبحانه من التي هي للتبعيض صيانة لهم وكفا عن الشرف والتبذير المنهي عنهما في الانفاق ٥ والرزق هو المهيا للانتفاع به سواء كان طعاما او لباسا او مسكنا واصله في اللغة الحظ والنصيب ٥ والرزق عند اهل السنة ما صح الانتفاع به حلالا كان او حراما خلافا للمعتزلة فانهم يقولون ان الحرام ليس برزق لانه لا يصح تملكه وان الله لا يرزق الحرام وانما يرزق الحلال والرزق لا يكون الا بمعنى الملك وقالوا ايضا لو نشا صبي مع اللصوص ولم ياكل شيا الا ما اطعموه اللصوص الى ان بلغ وقوي وصار لصا ثم لم يزل يتلصص وياكل ما تلصصه الى ان مات فان الله لم يرزقه شيا لانه لم يملكه وانه مات ولم ياكل من رزق الله شيا وهذا القول باطل قال اهل السنة والدليل على بطلان قول المعتزلة ان الرزق لو كان بمعنى التملك لوجب ان لا يكون الطفل مرزوقا ولا البهايم التي ترتع في الصحرا ولا السخال من البهائم لان لبن امهاتها

ملك لصاحبها دون البخال والامة قد اجتمعت على ان الطفل والبخال وسائر البهايم مرزوقون
وان الله تعالى يرزقهم مع كونهم غير مالكين فعلم من هذا ان الرزق هو الغذاء ولان الامة ايضا
مجمعون على ان العبيد والاماء مرزوقون وان الله تعالى يرزقهم مع كونهم غير مالكين فعلم بهذا
ان الرزق ما قاله اهل السنة لا ما قاله المعتزلة والدليل على انه لا رازق سواه قوله الحق جل
من خالق غير الله يرزقكم من السما والارض وقوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين
وقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وهذا دليل قاطع فالله تعالى هو الرازق
حقيقة وابن ادم رازق مجازا لان ابن ادم يملك ملكا منتزعا كما قدمناه انه مرزوق حقيقة
كالبهايم التي لا ملك لها الا ان الشي اذا كان ماذونا له في تناوله فهو حلال حكما وما كان غير
ماذون له في تناوله فهو حرام وجميع ذلك رزق وقد خرج بعض المبتلا قول الله سبحانه وتعالى
كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور قالوا ان الله تعالى ذكر المغفرة مشيرا الى
الرزق وقد يكون فيه حرام واختلف المفسرون في قول الله تعالى ومما رزقناهم ينفقون ما
المراد بالنفقة هاهنا فقال بعضهم المراد بها الزكاة المفروضة وقال بعضهم المراد بها نفقة
الرجل على اهله وقيل المراد بها النفقة في سبيل الله وقيل المراد بها صدقة التطوع وقيل
المراد بها سائر الحقوق والواجبة العارضة في الاموال ما عدا الزكوة وقيل هي عامة في الجميع
وهذا هو الصحيح والله تعالى اعلم قوله عز وجل والذين يومنون بما انزل اليك
يا محمد وهو القران والمعنى يصدقون بالقرآن المنزل عليك وما انزل من قبلك يعني الكتب
المتقدمة مثل صحف ابرهيم وموسى والزبور والانجيل وغيرها بخلاف ما فعله اليهود والنصارى
حسب ما اخبر الله عنهم بقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نومن بما انزل علينا ويكفرون
بما وراءه روي انه لما نزل قوله الذين يومنون بالغيب قالت اليهود والنصارى نحن امنا بالغيب
فلما قال تعالى ويقيمون الصلاة قالوا نحن نقيم الصلاة فلما قال ومما رزقناهم ينفقون قالوا نحن
ننفق ونتصدق فلما قال والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك نفروا من ذلك واعرضوا
عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله كم كتابا انزل الله تعالى قال ماية كتاب واربعة كتب
انزل الله على شيث خمسين صحيفة وعلى نوح ثلاثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحايف وانزل على موسى

قل التوراه عشر صحايف ۞ وانزل التوراه والانجيل والزبور والفرقان ۞ فان قل كيف يمكن
الايمان بجميعها مع تناقى احكامها قل له هو الايمان بان جميعها نزل من عند الله تعالى ۞ وهذا
قول من اسقط التعبد بما تقدم من الشرايع ۞ او انه الايمان بما لم ينسخ منها ۞ وهذا قول من اوجب
التزام الشرايع المتقدمة ۞ وقوله تعالى وبالآخرة هم يوقنون اي بالدار الاخره
يعلمون ويستيقنون انها كاينه ۞ وسميت آخره لتاخرها عن الدنيا وكونها بعدها ۞ وقيل
سميت آخره لتاخرها عن الخلق ۞ كما سميت الدنيا لدنوها من الخلق ۞ واليقين هو الحق يقال
ايقنت الامر واستيقنته اى علمت حقيقته ۞ وتقول انا من امرى على يقين اى على حقيقه ۞ واختلف
المفسرون فيمن نزلت هذه الاية ۞ فقال ابن عباس والضحاك نزلت فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ۞ وقيل نزلت فى مومنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه كانوا متمسكين بالتوريه والانجيل
والزبور ۞ وصدقوا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ ثم وصفهم تعالى فقال اولئك
اى اهل هذه الصفه على هدى اى على رشاد ونور واستقامة ۞ وقيل على رشد وبيان وصواب
من ربهم اى اوتوه من عند ربهم واولئك هم المفلحون اى الناجون الفايزون فازوا بالجنة
ونجوا من النار ۞ وقيل هم الباقون فى الثواب والنعيم المقيم ۞ وقيل الظافرون بما طلبوا الناجون
مما هربوا ۞ والفلاح هو درك البغيه والمفلح هو الفايز بالبغيه كانه الذي انفتح له وجوه
الظفر ولم تستغلق عليه ۞ واصل الفلاح الشق ۞ كما قيل ان الحديد بالحديد يفلح اى يشق ۞
فعلى هذا القول يكون المعنى المقطوع لهم بالخير فى الدنيا والاخره ۞ واعلم ان الله تبارك
وتعالى صدر هذه السورة باربع ايات انزلها فى المومنين ۞ وباثنتين انزلهما فى الكافرين ۞ وثلاث عشره
آيه انزلها فى المنافقين ۞ فاما التى فى الكفار فقوله تعالى ان الذين كفروا اي جحدوا
وانكروا ۞ واصل الكفر فى اللغة الستر والتغطيه ۞ ومنه سمى الليل كافرا لانه يستر الاشيا
بظلمته ۞ قال الشاعر ۞ فى ليلة كفر النجوم غمامها ۞ اى سترها ۞ ومنه ايضا قيل للحراث
كافر لانه يستر البذر فى الارض ۞ قال الله عز وجل اعجب الكفار نباته اي اعجب الزراع ۞ وسمى
الكافر كافرا لانه ساتر للحق ولتوحيد الله عز وجل ونعمه ولنبوه انبيايه ۞ قال العلما والكفر
على اربعة انحاء كفر انكار ۞ وكفر جحود ۞ وكفر عناد ۞ وكفر نفاق ۞ فكفر الانكار هو ان لا يعرف الله

تعالى اصلا ولا تعترف به * وكفر الجحود هو ان يعرف الله تعالى بقلبه ولا يعرفه بلسانه كفر ابليس * وكفر اليهود قال الله تعالى حاكيا عنهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به * وكفر العناد وهو ان يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به كفر ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم * حيث يقول

ولقد علمت بان دين محمد * من خير اديان البرية دينا *
لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا *

وقوله تعالى سواء عليهم اي متساو لديهم * وقال بعضهم معتدل عندهم الانذار وتركه * انذرتهم اي خوفتهم وحذرتهم * والانذار اعلام مع تخويف * فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ام لم تنذرهم لا يومنون * يعني لا يصدقون * قال المفسرون انزل الله عز وجل هذه الآية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله انهم لا يومنون * ثم ذكر تعالى سبب المانع لهم من الايمان * فقال عز وجل ختم الله على قلوبهم اي طبع عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه * واصل الختم وحقيقته الاستيثاق من الشيء لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه * ومنه ايضا ختم الكتاب * قال اهل السنة حكم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في علمه الازلي فيهم * وقال اهل المعاني وصف الله عز وجل قلوب الكفار بعشرة اوصاف بالختم * والطبع * والضيق * والمرض * والران * والموت * والقساوة * والانصراف * والحمية * والانكار * فقال في الانكار قلوبهم منكرة وهم مستكبرون * وقال في الحمية اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية * وقال في الانصراف ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون * وقال في القساوة فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله * وقال تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك * وقال في الموت * او من كان ميتا فاحييناه * وقال انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله * وقال في الران كلا بل ران على قلوبهم * وقال في المرض في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا * وقال في الضيق ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا * وقال في الطبع * وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون بل طبع الله عليها بكفرهم * وقال في الختم ختم الله على قلوبهم * وسياتي تفسيرها في مواضعها ان شاء الله تعالى * قال العلماء وفي هذه الاية دليل على فضل القلب على جميع الجوارح * والقلب يكون للانسان

وغيره وخالص كل شئ واشرفه قلبه فالقلب موضع الفكر وهو في الاصل مصدر قلبت الشئ
اقلبه قلبا اذا رددته على بداته وقلبت الاناء اذا رددته على وجهه ثم نقل هذا اللفظ
فسمي به العضو الذي هو اشرف الحيوان لسرعة الخواطر اليه ولتردها عليه كما قال الشاعر
ما سمي القلب الا من تقلبه ۞ فاحذر على القلب من قلب وتحويل ۞
وروى ابن ماجة عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل
القلب مثل ريشة تقلبها الرياح بفلاة ولهذا المعنى كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يا مثبت
القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عظيم قدره وجلالة
منصبه يقوله فنحن اولى بذلك اقتدا به صلوات الله عليه وقال الله عز وجل واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه وسيأتي تفسيره ۞ واعلم ان الجوارح وان كانت تابعة للقلب فقد
يتاثر القلب وان كان رئيسها وملكها باعمالها للارتباط الذي بين الظاهر والباطن قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصدق فينكت في قلبه نكتة بيضاء وان الرجل ليكذب الكذبة فيسود
قلبه ۞ وروى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الرجل ليصيب الذنب فيسود قلبه فان
فان هو تاب صقل قلبه وهو الران الذي ذكر الله عز وجل في قوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وقد قيل ان القلب شبه الصنوبرة ۞ وروى مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت احدهما وانا انتظر الآخر حدثنا ان الامانة
نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القران فعلموا من القران وعلموا من السنة ثم حدثنا
عن رفع الامانة قال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر
دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شئ ثم اخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح
الناس يتبايعون لا يكاد احد يودي الامانة حتى يقال ان في بني فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل
ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولقد اتى علي زمان
وما ابالي ايكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه علي دينه ولئن كان نصرانيا ليردنه علي
ساعيه فاما اليوم فما كنت ابايع منكم الا فلانا وفلانا قال العلما ففي قوله صلى الله عليه
وسلم فيظل اثرها مثل الوكت والوكت هو الاثر اليسير ويقال للبسر اذا وقعت فيه نكتة

الوكت ثم يبام النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل

اي نقطه من الارطابات قد وكت البسر فهو موكت ۞ وقوله صلى الله عليه وسلم فيظل اثرها
مثل المجل وهو ان يكون بين الجلد واللحم ماء وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله كجمر دحرجته
على رجلك فنفط فتراه منتبرا اي مرتفعا وفيه ما يدل على ان ذلك كله محسوس في القلب
يفعل فيه وكذلك الختم والطبع والله تعالى اعلم ۞ وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فاي قلب
اشربها نكت فيه نكتة سوداء واي قلب انكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين ابيض
مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والارض والآخر اسود مربادا كالكوز
مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ما اشرب من هواه وذكر الحديث الى آخره فقوله
صلى الله عليه وسلم كالكوز مجخيا يعني مايلا ۞ قال العلما والقلب قد يعبر عنه بالفواد
والصدر بدليل قول الله تعالى كذلك لنثبت به فوادك وقوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعنى
به في الموضعين قلبك وقد يعبر به ايضا عن العقل بدليل قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب اي عقل لان القلب محل العقل في قول اكثر العلما والفواد محل القلب
والصدر محل الفواد والله تعالى اعلم ۞ وقوله تعالى وعلى سمعهم اي وختم على موضع
سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لان اسماعهم تمجه وتنبو عن الاصغا اليه كانها
مستوثق منها بالختم ايضا فان قيل لم جمع الابصار ووحد السمع قيل له انما وحده لانه
مصدر يقع على القليل والكثير والمصدر لا يثنى ولا يجمع ۞ واستدل من فضل السمع على البصر
بتقديمه عليه في هذه الآية وقال تعالى في آية اخرى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
وقال تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافيدة ۞ وقالوا ايضا السمع يدرك به من الجهات
الست ويدرك به ايضا في النور والظلمة والبصر لا يدرك به الا من جهة المقابلة او بواسطة
من ضيا وشعاع وقال اكثر المتكلمين بتفضيل البصر على السمع لان السمع لا يدرك به الا
الاصوات والكلام والبصر يدرك به الاجسام والالوان والهيئات كلها فلهذا المعنى لما
كانت تعلقات البصر اكثر كان افضل واجازوا ايضا الادراك بالبصر من الجهات الست ۞
وقال بعض المفسرين معنى قوله تعالى ختم الله على قلوبهم قال اهل السنة معناه حكم على قلوبهم بالكفر

ابصارهم ومن يضلل الله فما له من هاد وكان فعل الله ذلك عدلا فيمن اضله وخذله اذ لم يمنعه حقا وجب عليه فتزول صفة العدل وانما منعهم ما كان له ان يتفضل به عليهم لا ما وجب لهم ۝ والله تعالى اعلم قوله عز وجل ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمومنين قال المفسرون لما بين الله عز وجل حال المومنين والكافرين شرع في بيان حال المنافقين وهذا هو الفصل الثالث من فصول هذه السورة وفيه ثلاث عشره ايه كلها في ذكر المنافقين قال مجاهد انزل الله عز وجل اربع ايات من اول سوره البقره في المومنين وآيتان في نعت الكافرين وثلاثه عشر في المنافقين وهم عبد الله بن ابي ابن سلول ومعتب بن قشير والجد ابن قيس ومن تابعهم وذلك انهم اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واسروا الكفر واعتقدوه فكانوا يقولون لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم آمنا بالذي آمنتم به ونشهد ان صاحبكم صادق فيما يقول وانا لنجده في التوره بنعته وصفته ولم يكونوا كذلك اذا خلا بعضهم الى بعض فانزل الله تعالى فيهم هذه الآيات فقال تعالى ومن الناس قال العلما الناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي وقال ابن عباس رضي الله عنهما بني آدم عهد الله فسمي انسانا وقال النبي صلى الله عليه وسلم بني ادم عليه السلام فنسيت ذريته قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي وقال الشاعر ۝

لا تنسين لك العهود فانما سميت انسانا لانك ناسي ۝ وقال آخر ۝

فان نسيت عهودا منك سالفة فاغفر فاول ناس اول الناس ۝ وقيل انما سمي آدم عليه السلام انسانا لانسه بحوا عليها السلام وقيل سمي انسانا لانسه بربه عز وجل قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لانسه وما القلب الا انه يتقلب ۝ وقوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله اي يقول بلسانه صدقنا بالله انه واحد لا شريك له وباليوم الآخر اي صدقنا باليوم الاخر الذي فيه جزا الاعمال وهو يوم القيامة قال العلما سمي يوم القيامة اليوم الآخر لانه ياتي بعد الدنيا وهو آخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا آخر ثم قال عز وجل رادا على المنافقين وما هم بمومنين يعني وما هم مصدقين بقلوبهم نفى سبحانه عنهم الايمان بالكلية قال العلما وفي هذه الايه رد على الكراميه لانهم يقولون بان الايمان هو الاقرار باللسان لا غير والآيه

لما سبق في علمه الازلي فيهم * وقالت المعتزلة جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملايكة بها والله اعلم
قال المفسرون والختم والطبع التغطية للشئ ومنع الدخول والخروج منه * كذلك الختم على
قلب الكافر يمنع دخول الايمان فيه وخروج الكفر منه ۝ والله تعالى اعلم * وتم الكلام عند قوله
تعالى وعلى سمعهم * ثم قال تعالى وعلى ابصارهم غشاوة اي حجاب وغطاء فلا يرون
الحق ولا ينتفعون * والبصر نور العين وهو ما يبصر به الراي * كما ان البصيرة نور القلب وهو
يستبصر به ويتامل * وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار
والاستبصار * والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه * قال الشيخ ابو منصور رحمه الله
الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى اثار الحدث فيعلم
انه لابد من صانع جعل كان على سمعه وبصره غشاوة وان لم يكن ذلك حقيقة * وقال
بعضهم معناه وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق * وهي غطاء التعامي عن ايات الله عز وجل
ودلايل توحيده ولهم عذاب عظيم اى وللكافرين المكذبين عذاب عظيم يعني في الاخرة * وقيل
هو القتل والاسر في الدنيا والعذاب الدايم في العقبى * وحقيقة العذاب هو كل ما يولم الانسان
ويعييه ويشق عليه * وقيل هو الاتجاع الشديد * وقيل هو ما منع الانسان من مراده ۝
ومنه المآ العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير * وقيل العظيم على وجهين عظيم
في الجسم وعظيم في المقدار * فان قيل فاذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
فبماذا يستحقون العقوبة في العقبى * قيل له هذا في قوم مخصوصين انزل الله فيهم هذه
الآية كان الله تعالى يسر عليهم السبيل في الابتدآ فلو جاهدوا لوفقهم كما قال تعالى في اية
اخرى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لكن لما لم يجاهدوا وعاندوا واختاروا الكفر
عاقبهم الله تعالى في الدنيا بالختم على قلوبهم وفي الاخرة بالعذاب العظيم ۝ قال العلماء وفي
هذه الاية ادل دليل واوضح سبيل على ان الله سبحانه وتعالى خالق الهدى والضلال والكفر والايمان *
فاعتبروا ايها السامعون * وتعجبوا ايها المتفكرون من عقول القدرية القايلين بخلق ايمانهم
وهداهم * فان الختم هو الطبع * فمن اين لهم الايمان ولو جهدوا وقد طبع على قلوبهم وعلى سمعهم
وجعل على ابصارهم غشاوة فمتى يهتدون * او من يهديهم من بعد الله اذ اضلهم واصمهم واعمى

تنفى عنهم اسم الايمان مع وجود الاقرار منهم وفيها تاييد لقول اهل السنة ان الايمان اقرار باللسان
وتصديق بالجنان قال النبى صلى الله عليه وسلم الايمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان
رواه ابن ماجة فى سننه ٥ قال اهل السنة المومن على ضربين مومن يحبه الله ويواليه ومومن
لا يحبه الله ولا يواليه بل يبغضه ويعاديه فكل من علم انه يوافى بالايمان فالله تعالى يحب له موال
له راض عنه وكل من علم انه يوافى بالكفر فالله تعالى مبغض له ساخط عليه معاد له والذى لا
يعاقب هو الموافى بالايمان فالله تعالى غير ساخط على هذا ولا باغض له بل محب له موال له لا لكفره
بل لايمانه الموافى به فلا يجوز ان يطلق القول بان المومن يستحق الثواب والكافر يستحق العقاب
بل يجب تقييده بالموافاة ولاجل هذا قلنا ان الله تعالى راض عن عمر بن الخطاب فى الوقت الذى
كان يعبد فيه الاصنام ومريد لثوابه ودخوله الجنة لا لعبادته الصنم لكن لايمانه الموافى به
وان الله تعالى ساخط على ابليس فى عبادته لكفره الموافى به وخالفت القدرية فى هذا فقالت ان
الله تعالى لم يكن ساخطا وقت عبادته ولا راضيا عن عمر وقت عبادته للصنم وهذا قول فاسد
لما ثبت ان الله سبحانه عالم بما يوافى به ابليس لعنه الله وما يوافى به عمر رضى الله عنه فيما لم يزل
فثبت انه تعالى كان ساخطا على ابليس محبا لعمر ويدل عليه اجماع الامة على ان الله سبحانه
وتعالى غير محب لمن علم انه من اهل النار بل ساخط عليه وانه محب لمن علم انه من اهل الجنة وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما الاعمال بالخواتيم ولهذا قال علماء الصوفية ليس
الايمان ما يتزين به العبد قولا وفعلا الايمان جرى السعادة فى سوابق الازل واما ظهوره
على الهياكل فربما يكون عاريا وهذا كما ثبت فى صحيح مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه
فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك
ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويومر باربع كلمات فيكتب رزقه واجله وعمله وشقى او
سعيد فوالذى لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها ٥ والله تعالى اعلم ٥

ضربين مطلق المومن على

قوله تعالى يخادعون الله والذين آمنوا قال العلماء معنى يخادعون الله اى يخادعون
عن انفسهم وعلى ظنهم وقيل انما قال يخادعون الله لانهم يعملون عمل المخادع وقيل فى
الكلام حذف تقديره يخادعون رسول الله جعل الله تعالى خداعهم لرسوله خداعا له لانه
تعالى دعاهم برسالته وكذلك اذا خادعوا المومنين فقد خادعوا الله ومخادعتهم خلاف ما
اظهروه من الايمان خلاف ما ابطنوه من الكفر ليحقنوا دماءهم واموالهم ويظنون انهم قد
نجوا وخدعوا وهذا قول الحسن وغيره وقال بعضهم معناه يخالفون الله ويكذبونه وقال
اهل اللغة الخدع فى كلام العرب الفساد فيكون معناه يفسدون ايمانهم واعمالهم فيما بينهم
وبين الله تعالى وكذلك جاء مفسرا عن النبى صلى الله عليه وسلم على ما ياتى بيانه وقال بعضهم الخديعة
هى الحيلة والمكر واصله فى الاخفاء والمخادع يظهر ضد ما يظهر ليتخلص فهو منزلة النفاق
فان قيل كيف يخادع الله تعالى وهو يعلم الضمائر والاسرار فيخادع عنه ممتنعة فكيف يقال
يخادعون الله قيل له ان الله تعالى ذكر نفسه واراد به رسوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وذلك
تفخيم لامره وتعظيم لشانه وفيه ذم للمنافقين وهذا كقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله ۝ وقوله وما يخادعون الا انفسهم هذا نفى وايجاب معناه وما يحل عاقبة الخدع
الا بهم لان الخداع انما يكون ممن لا يعرف البواطن واما من عرف البواطن فقد دخل معه فى
الخداع فانما يخدع نفسه ودل هذا على ان المنافقين لم يعرفوا الله تعالى اذ لو عرفوه لعرفوا
انه لا يخدع وقرى وما يخدعون الا انفسهم لان وبال خداعهم راجع اليهم فكانهم فى الحقيقة
انما يخدعون انفسهم وذلك ان الله سبحانه وتعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على اسرارهم
ونفاقهم فتفتضحون فى الدنيا ويستوجبون العقاب الشديد فى العقبى والنفس ذات الشئ
وحقيقته ۝ وتقال ايضا للدم نفس لان به قوة البدن وتقال للقلب ايضا والروح نفس
لان التنفس بهما وتقال للما ايضا نفس لفرط حاجة النفس اليه ومعنى الاية انما يخادعون
ذواتهم لان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم وقوله تعالى وما يشعرون اى وما
يفطنون ان وبال خداعهم راجع عليهم وقيل هذا متصل بقوله يخادعون الله ومعناه يخادعون
الله وما يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وقال اهل اللغة الشعور علم الشئ علما حسا

ماخوذ من الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد، ومشاعر الانسان حواسه لانها آلات الشعور، والمعنى ان لحوق ضرر الخداع بهم كالمجنونين وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له، والله اعلم، قوله تعالى في قلوبهم مرض اي شك ونفاق، واصل المرض في اللغة الضعف والفتور والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان، وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن، وكما ان المرض في البدن يودي الى الهلاك بالموت كذلك المرض في الدين يودي الى الهلاك بالعذاب، وقال بعض المفسرين المرض مستعار للفساد الذي في عقايدهم وذلك اما ان يكون شكا ونفاقا واما جحدا وتكذيبا، والمعنى قلوبهم مرضى لخلوها عن العصمة والتوفيق والرعاية والتاييد ۞ وقال ابن فارس اللغوي المرض كل ما خرج به الانسان عن حد الصحة من علة ونفاق او تقصير في امر فزادهم الله مرضا يعني شكا ونفاقا وعذابا وهلاكا، وقيل ضعفا عن الانتصار، وعجزا عن الافتقار، وقيل فزادهم الله مرضا بما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز من الحدود وغيرها، كما قال تعالى واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم، وقال تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا، وذلك ان الايات كانت تنزل تترا آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازداد وا بذلك كفرا ونفاقا، وقال بعض العلماء في قوله تعالى فزادهم الله مرضا هذا دعاء عليهم، ومعناه زادهم الله شكا ونفاقا فاتقدم، وفي هذا دليل على جواز الدعاء على المنافقين والطرد لهم لانهم شر خلق الله ۞ وقال ارباب المعاني في قلوبهم مرض اي بسكونهم الى الدنيا وحبهم لها وغفلتهم عن الآخرة واعراضهم عنها، وقوله فزادهم الله مرضا اي وكلهم الى انفسهم وجمع عليهم هموم الدنيا فلم يتفرغوا من ذلك الى اهتمام الدين، ولهم عذاب اليم بما يفنى عما يبقى، وقال الجنيد رحمة الله عليه علل القلوب من اتباع الهوى كما ان علة الجوارح من مرض البدن، ولهم عذاب اليم اي مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكذبون اي بتكذيبهم الله ورسوله في السر، وقرئ بما كانوا يكذبون بالتخفيف اي يكذبهم اذ قالوا امنا وهم لا يومنون مسئلة اختلف العلماء رضي الله عنهم في امساك النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين مع علمه بحالهم ونفاقهم فقال بعضهم انما لم يقتلهم لانه لم يعلم حالهم احد سواه، وقد اتفق العلماء عن بكرة ابيهم على ان القاضي لا يقضي بعلمه، وان اختلفوا

فى ساير الاحكام ۝ وقال اصحاب الامام الشافعى انما لم يقتلهم لان الزنديق هو الذى يسر الكفر
ويظهر الايمان فيستتاب ولا يقتل ۝ وقال بعضهم انما لم يقتلهم مصلحة لتاليف القلوب عليه
ليلا تنفر عنه وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى بقوله لعمر بن الخطاب رضى الله عنه
لما استاذنه فى قتل عبد الله بن ابى وغيره معاذ الله ان يتحدث الناس انى اقتل اصحابى وقد كان
صلوات الله عليه يعطى المولفة قلوبهم مع علمه بسوء اعتقادهم تالفا لهم وهذا قول اصحاب الامام
مالك وغيرهم وقال قتادة فى قول الله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون
فى المدينة لنغرينك بهم معناه اذا هم اعلنوا النفاق قال الامام مالك رحمه الله النفاق الذى كان
فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة وينا اليوم فيقتل الزنديق اذا شهد عليه بالزندقة
دون استتابة وهو احد قولى الشافعى رحمه الله قال الامام مالك وانما كف النبى صلى الله عليه وسلم
عن المنافقين ليسن لامته ان الحاكم لا يحكم بعلمه اذا لم يشهد على المنافق قال بعض العلما
لم يشهد على عبد الله بن ابى الا زيد بن ارقم وحده ولا على الجلاس بن سويد الا عمير بن سعد ربيبه
ولو شهد على احد منهم رجلان بكفره ونفاقه لقتل وقال الامام الشافعى فى قول آخر السنة فيمن
شهد عليه بالزندقة فجحد واعلن بالايمان وتبرا من كل دين سوى الاسلام ان ذلك يمنع من
اراقة دمه وبهذا قال اصحاب الامام ابى حنيفه والامام احمد والطبرى وغيرهم ۝ وقال الامام
الشافعى واصحابه انما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام
مع العلم بنفاقهم لان ما يظهرونه يجب ما قبله ۝ وقال الطبرى جعل الله تعالى الاحكام بين
عباده على الظاهر وتولى الحكم فى سرايرهم دون احد من خلقه فليس لاحد ان يحكم بخلاف ما ظهر
لانه حكم بالظنون ولو كان ذلك لاحد كان اولى الناس به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد حكم صلوات الله عليه للمنافقين بحكم المسلمين بما اظهروه ووكل سرايرهم الى الله عز وجل وقد
كذب الله تعالى ظاهرهم فى قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ۝ وقال بعض العلما انما
امسك النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين لان الله سبحانه وتعالى قد حفظ اصحاب نبيه صلى الله
عليه وسلم بكونه بينهم ان يفسدهم المنافقون او يفسد وا دينهم فليس فى تبقيتهم ضرر وليس كذلك
اليوم لانا لا نامن من الزنادقة ان يفسد وا عامتنا وجهالنا ۝ والله تعالى اعلم بمراده ومراد رسوله ۝

قولـــه تعالى واذا قيل لهم يعنى للمنافقين وقيل لليهود والمعنى اذا قال لهم المومنون
لاتفسدوا فى الارض اى بالكفر والمعصية وتعويق الناس عن الايمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
والقران قالوا انما نحن مصلحون اى مصلحون بين المومنين والكافرين بالمداراة وقيل معناه
مطيعون وقولهم هذا كذب وباطل ۝ وقال بعضهم فى قوله تعالى لاتفسدوا الفساد ضد الاصلاح
وحقيقته العدول عن الاستقامة الى ضدها ومعنى الاية لاتفسدوا فى الارض بالكفر وموالاة
اهله وتفريق الناس عن الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم والقرآن ۝ وقيل كانت الارض قبل ان يبعث
النبى صلى الله عليه وسلم فيها الفساد ويعمل فيها بالمعاصى فلما بعث صلى الله عليه وسلم ارتفع الفساد
وصلحت الارض فاذا عملوا بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بالمعاصى فقد افسدوا فى الارض بعد اصلاحها
كما قال تعالى فى اية اخرى ولاتفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ۝ قال العلماء لما اجاب المنافقون
المومنين بهذا الكلام الذى هو كذب بين الله عز وجل كذبهم للمومنين ونبههم على ذلك بقوله
الا انهم هم المفسدون يعنى فى الارض بالكفر وهو اشد الفساد ۝ وكلمة الا كلمة تنبيه ينبه بها
المخاطب وادخل سبحانه همزة الاستفهام على حرف النفى لافادة تحقق فسادهم فرد الله
تعالى دعواهم بانهم منتظمون فى جملة المصلحين بابلغ رد وادله على سخط عظيم بقوله الا انهم
هم المفسدون الاية ۝ قال ارباب المعانى من اظهر الدعوى كذب الا ترى الله تعالى يقول الا انهم
هم المفسدون ۝ وقوله تعالى ولكن لايشعرون اى لايشعرون انهم مفسدون وذلك لانهم
يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل المعنى لايشعرون بما
اعد الله لهم من العذاب ۝ قال ابن كيسان يقال ما على من لم يعلم انه مفسد من الذم انما يذم اذا
علم انه مفسد ثم افسد على علم وفى هذا جوابان احدهما انهم كانوا يعلمون الفساد سرا ويظهرون
الصلاح وهم لايشعرون ان امرهم يظهر عند النبى صلى الله عليه وسلم ۝ والثانى ان يكون فسادهم
عندهم صلاحا وهم لايشعرون ان ذلك فساد وقد عضد الله رسوله صلى الله عليه وسلم فى تركهم تبيين
الحق واتباعه ۝ قولـــه تعالى واذا قيل لهم يعنى للمنافقين وقيل لليهود اى قال
لهم المومنون آمنوا كما آمن الناس يعنى المهاجرين والانصار وقيل هم عبد الله بن سلام واصحابه من
المومنين اهل الكتاب والمعنى اذا قيل لهم اخلصوا فى ايمانكم كاخلاص هولا قالوا انومن كما آمن السفهاء

اي الجهال ۝ قال ابن عباس رضي الله عنهما عنوا بذلك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل عنوا
مومني اهل الكتاب وهذا القول من المنافقين كانوا يقولونه في خفا استهزآ فاخبر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم والمومنين بذلك وردّ ذلك عليهم بقوله الآ انهم هم السفهآ يعني الجهال
واصل السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمى الله عز وجل المنافقين سفهآ لانهم كانوا عند
انفسهم عقلآ وروسآ فقلب الله ذلك عليهم وسماهم سفهآ ۝ والسفيه هو البهات الكذاب
العامل بخلاف ما يعلم وقيل السفيه هو الجهول الظلوم القاتل خلاف الحق ۝ وقوله تعالى
ولكن لا يعلمون انهم كذلك ۝ ثم اخبر تعالى عنهم بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمنا قال المفسرون هذه الآية في بيان ما كانوا يعلمون مع المومنين من الاستهزآ بهم ولقآيهم
بوجوه المصادقين والآية الاولى في بيان مذاهبهم والترجمة عن نفاقهم ۝ وقرا الامام ابو حنيفة
واذا لاقوا الذين امنوا قالوا امنا ۝ قوله تعالى واذا خلوا اي رجعوا وقيل اذا خلوا
من المومنين الى شياطينهم قال المفسرون اختلف العلما في المراد بالشياطين فقال ابن عباس والسدي
هم رووسا الكفر وكبراوهم وكهنتهم وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من يهود المدينة وابو بردة في
بني اسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني اسد وعبد الله بن السوداء بالشام ولا
يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له وقال هم رووسا المنافقين شابهوا الشياطين في تمردهم
وقال الكلبي هم الجن وقال جميع من المفسرين هم الكفار ولفظ الشيطنة الذي معناه البعد عن
الايمان والخير يعم جميع من ذكر الله عز وجل وقوله قالوا انا معكم اي على دينكم المعنى انا
مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم انما نحن مستهزئون اي بمحمد واصحابه بما نظهر لهم من الاسلام
لنامن من شرهم ونقف على سرهم ونا خذ من غنايمهم وصدقاتهم قال المفسرون قولهم انما
نحن مستهزون توكيد لقولهم انا معكم لان معناه الثبات على اليهودية وقولهم انما نحن مستهزون
ردّ للاسلام ودفع له منهم لان المستهزى بالشي المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ۝
والاستهزآ السخرية والاستخفاف قال ابن عباس رضي الله عنهما انزل الله هذه الآية في عبد الله
ابن ابيّ واصحابه وذلك ان عبد الله كان عظيم المنافقين من رهط سعد بن عبادة من الخزرج
كان اذا لقي سعدا قال له نعم الدين دين محمد وكان اذا رجع الى روسا قومه من اهل الكفر قال

شدوا ایدیکم بدن آبائکم فانزل الله عز وجل فیه هذه الآیة وفی اصحابه وذلک انهم خرجوا
ذات لیله فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال عبد الله بن ابی لاصحابه انظروا
کیف اردهولآء السفهآء عنکم فذهب فاخذ بید ابی بکر رضی الله عنه وقال له مرحبا بالصدیق
وسید بنی تیم وشیخ الاسلام وثانی رسول الله صلی الله علیه وسلم فی الغار الباذل نفسه وماله
لرسول الله صلی الله علیه وسلم ثم اخذ بید عمر رضی الله عنه وقال له مرحبا سید بنی کعب
الفاروق القوی فی دین الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلی الله علیه وسلم ثم اخذ بید
علی رضی الله عنه وقال له مرحبا بابن عم رسول الله صلی الله علیه وسلم وختنه وسید بنی هاشم ما
خلا رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال له علی رضی الله عنه یا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان
المنافقین شر خلیقة الله تعالی فقال ابن ابی مهلا یا ابا الحسن انی تقول هذا واله ان ایماننا
کایمانکم ونصدیقنا کتصدیقکم ثم تفرقوا فقال عبد الله لابیه کیف رایتمونی فعلت فاذا
رایتموهم فافعلوا کما فعلت فاثنوا علیه خیرا وقالوا له لا تزال بخیر ما عشت فانزل الله عز
وجل فیه وفی اصحابه هذه الایه واذا لقوا الذین امنوا قالوا امنا واذا خلوا الی شیاطینهم قالوا انا
معکم انما نحن مستهزءون الله یستهزئ بهم ای یجازیهم جزآء استهزائهم بالمؤمنین وقال
الحسن معناه والله یظهر المومنین علی نفاقهم وقال ابن عباس هو ان الله تعالی یطلع المومنین
یوم القیامة وهم فی الجنة علی المنافقین وهم فی النار فیقولون لهم اتحبون ان تدخلوا عندنا الجنة
فیقولون نعم ففتح لهم باب من الجنة ویقال لهم ادخلوا فیسبحون وتقلبون فی النار فاذا انتهوا
الی الباب سد عنهم ورد وا الی النار فیضحک المومنون منهم فذلک قوله تعالی فالیوم الذین امنوا
من الکفار یضحکون ۝ وعن عدی بن حاتم رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم
یومر بناس من النار الی الجنة حتی اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا الی ما اعد الله لاهلها
من التنزل والکرامة نودوا ان اصرفوا عنها قال فیرجعون بحسره وندامة لم یرجع الخلایق
بمثلها فیقولون یا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تریناالجنة ما اریتنا کان اهون علینا فیقول
الله عز وجل هذا الذی اردت بکم هبتم الناس ولم تهابونی واجللتم الناس ولم تجلونی وکنتم ترآون
الناس باعمالکم خلاف ما کنتم تروننی من قلوبکم فالیوم اذیقکم من عذابی مع ما حرمتکم من ثوابی ۝

امر بهم عنها

وقال قوم من العلما الخداع من الله والاستهزا هو استدراجهم بدرور النعم في الدنيا وتية عليهم فالله سبحانه يظهر لهم من الاحسان في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم ويستر من عذاب الاخرة فيظنون انه راض عنهم وهو تعالى قد حتم عذابهم وهذا على تامل البشر كانه استهزا ومكر وخدع وكل هذا على التاويل قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك منه استدراج كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقال بعض العلما في قول الله عز وجل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون كلما احدثوا ذنبا احدث لهم نعمة قوله تعالى ويمدهم اي يتركهم ويمهلهم ويطيل لهم في العمر والمدة والمد والامداد واحد واصله الزيادة واكثر ما ياتي بالمد في الشر والامداد في الخير في طغيانهم اي في كفرهم وضلالهم واصل الطغيان مجاوزة الحد قال الله تعالى انا لما طغى الما اي ارتفع وعلا وجاوز حده ومقداره الذي قدر له الخزان وقال تعالى لفرعون انه طغى اي اسرف في الدعوي حيث قال انا ربكم الاعلى ومعنى الاية يمدهم بطول العمر حتى يزيدوا في الطغيان فيزيدهم في عذابهم وقوله يعمهون اي يتر ددون في الضلالة متحيرين وقيل يترددون في الكفر متحيرين والعمة في اللغة التحير يقال رجل عامه وعمه اي حاير يتردد وجمعه عمه قال العلما العمى يكون في العين والعمه يكون في القلب قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقوله تعالى اولئك اي الذين هذه صفتهم هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي استبدلوها واختاروها عليه وقيل اشتروا الكفر بالايمان قال العلما وانما اخرجه بلفظ الشرى والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشرى فيه اعطا بدل واخذ آخر فان قيل كيف قال تعالى اشتروا الضلالة بالهدي وما كانوا على هدى قيل له جعلوا التمكنهم منه كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلاله فقد عطلوه واستبدلوا به والضلالة هو الجور عن القصد وفقد الاهتدا وقوله تعالى فما ربحت تجارتهم اي ما ربحوا في تجارتهم قال العلما اسند الله تعالى الربح الى التجارة على عادة العرب في قولهم ربح بيعك وخسرت

صفقتك ۰ وقولهم ليل قايم ۰ ونهار صايم ۰ والمعنى ربحت وخسرت فى بيعك ۰ وقمت فى لسلك ۰ وهمن
فى نهارك ۰ اى فمارحوا فى تجارتهم ۵ وقال الشاعر ۵
نهارك هايم وليلك نايم ۰ كذلك فى الدنيا تعيش البهايم ۵ ۰ وقوله تعالى وما كانوا
مهتدين اى وما كانوا مصيبين فى تجارتهم لان راس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا
الضلالة فقد ضلوا عن الهدى ۰ وقال بعضهم وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار
المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر لان مطلوب التجار سلامة راس المال والربح ۰
وهولآ قد اضاعوهما فراس مالهم الهدى وقد اضاعوه بالضلالة ۰ فاذا لم يبق لهم الا الضلالة
لم يوصفوا باصابة الربح ۰ لانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح ۵ وقيل وما كانوا
مهتدين فى ضلالتهم ۰ وقيل وما كانوا مهتدين فى سابق علم الله تعالى ۵ والاهتداء ضد الرشاد ۰
وقد تقدم ذكره قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا قال المفسرون
لما ذكر الله عز وجل حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة فى الكشف والبيان ۰
لانه يوثر فى القلوب ما لا يوثره وصف الشئ فى نفسه ۰ ولان المثل يشبه الشئ الخفى بالجلى فيتاكد
الوقوف على ماهيته ۰ وذلك هو النهاية فى الايضاح ۰ وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة
من بعض الوجوه ۵ وهذا اول مثل ضربه الله عز وجل فى القرآن يقول تعالى مثل المنافقين
فى نفاقهم وتجملهم بظاهر الاسلام وحقنهم دماءهم واموالهم بما اظهروه كمثل رجل فى مفازة
فى ليلة مظلمة يخاف على نفسه من شر السباع فيوقد نارا فيامن بها السباع فلما اضاءت النار
ما حول المستوقد طفيت النار فبقى فى الظلمة خايفا متحيرا ۰ فكذلك حال المنافق يخاف على
نفسه وعياله من قبل النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فيتكلم بكلمة الاسلام ريآء الناس فيحقن
بها دمه وماله ومناكح المسلمين ويوارثهم فيكون له نور بمنزله نور نار المستوقد ۰ فاذا بلغ
آخر عمره لم يكن لايمانه اصل فى قلبه ولا حقيقة فى عمله سلب نور الايمان عند الموت فبقى فى
ظلمة الكفر والعمى كما كان اعمى القلب فى الدنيا ۵ وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطا
رحمهم انزل الله تعالى هذه الاية فى اليهود وانتظارهم خروج النبى صلى الله عليه وسلم وايمانهم به
واستفتاحهم به على مشركى العرب فلما خرج كفروا به ۰ وذلك ان قريظة والنضير وبنى قينقاع

قدموا من الشام الى يثرب حين انقطعت النبوة من بني اسرآيل وافضت الى العرب فدخلوا
المدينة يشهدون لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة وان امته خير الامم وكان بغشاهم
رجل من بني اسرآيل يقال له عبد الله بن الهيبان قبل ان يوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل سنة فيحضهم على طاعة الله عز وجل واقامة التوراة واتمان محمد صلى الله عليه وسلم ويقول
لهم اذا خرج محمد فلا تفرقوا عنه وانصروه وقد كنت اطمع ان ادركه ثم مات قبل خروج
النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا به فضرب الله عز وجل
هذا المثل فقال تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا اى لينتفع بها فلما اضاءت يعني النار
ما حوله يعني حول المستوقد ذهب الله بنورهم اى اذهب الله نورهم وتركهم في ظلمات لا
يبصرون اى لا يعرفون طريق الهدى قال بعض المفسرين ذهاب نورهم هو ظهور عقيدتهم
للمومنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ذهاب نورهم في القبر وقيل
على الصراط ٥ فان قيل ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قيل له وجه
تشبيه الايمان بالنور ان النور ابلغ الاشياء في الهداية الى المحجة المقصودة والى الطريق المستقيم
وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه ووجه تشبيه
الكفر بالظلمة ان الضال عن الطريق المسلوكة في الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد
صاحبه الا حيرة ٥ قال العلماء وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم احدها ان المستضيء
بالنار مستضيء بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمة فكانهم لما اقروا بالايمان من غير
اعتقاد قلوبهم فكان ايمانهم كالمستعار ٥ الحكمة الثانية ان النار تحتاج في دوامها الى مادة
الحطب لتدوم ٥ فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم ٥ الحكمة الثالثة
ان الظلمة الحادثة بعد الضوء اشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه الله تعالى حالهم
بذلك ٥ ثم وصفهم فقال تعالى صم اى عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه
فكانهم لم يسمعوه ٥ والاصم هو الذي انسدت خروق مسامعه ٥ والصمم في كلام العرب هو
الانسداد يقال صممت القارورة اذا سددتها وقال بعضهم الصمم فقدان السمع ٥ وقوله
تعالى بكم اى خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه ٥ والابكم هو الذي لا ينطق ولا يفهم فاذا

فهم فهو الاخرس وقيل الابكم والاخرس واحد يقال رجل ابكم وبكيم اى اخرس بين الخرس والبكم ۵ قال الشاعر ۵

فليت لسانى كان نصفين منهما بكيم ونصف عند مجرى الكواكب ۵ وقوله تعالى عميٌ اى لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى قال العلما كانت حواسهم سليمة ولكن لما سد عن سماع الحق اذا نهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه ۵ قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا ۵ وليس الغرض من ذكره فى الاية نفى الادراكات عن حواسهم جمله وانما الغرض نفيها من جهة ما تقول فلان اصم عن الخنا ۵ قال الشاعر ۵ وعورا الكلام صممت عنها ولو انى اساء بها سميع

وقال بعضهم فى وصايته لرجل يكره الدخول على الملوك ادخل اذا ما دخلت اعمى واخرج اذا ما خرجت اخرس ۵ وقال قتاده صم عن استماع الحق بكم عن التكلم به عمى عن الابصار له ۵ قال بعض العلما وهذا المعنى هو المراد فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم ولاة آخر الزمان فى حديث جبريل عليه السلام واذا رايت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض فذاك من اشراطها والله اعلم وقوله تعالى فهم لا يرجعون اى عن ضلالتهم ونفاقهم وقيل لا يرجعون الى الحق لسابق علم الله تعالى فيهم وقيل لا يرجعون عن الضلالة والكفر الى الهدى والايمان وقيل لا يعودون عن الهدى بعد ان باعوه ۵ وعن الضلالة بعد ان اشتروها وقيل المراد انهم متحيرون بقوا خامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون ۵ قوله تعالى او كصيب اى كاصحاب صيب والصيب هو المطر الشديد واشتقاقه من صاب يصوب اذا نزل ۵ قال الشاعر ۵

فلا تعدلى بينى وبين معمرٍ سقتك روايا المزن حيث تصوب ۵ قال العلما وهذا ايضا مثل اخر ضربه الله عز وجل للمنافقين وقوله تعالى من السما اى من السحاب وكل ما علاك فاظلك فهو سما ۵ قال الشاعر ۵

ديار من بنى الحشحاش قفر تعفيها الروامس والسماء ۵ ويقال ايضا لسقف البيت سما

قال العلما انما ذكر الله عز وجل السما وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر
يتعقد من ابخرة الارض وابطل مذهب الحكما بقوله من السما ليعلم ان المطر ليس من ابخره
الارض كما زعم الحكماء وقوله تعالى فيه اى فى الصيب الذى يخرج منه ظلمات جمع
ظلمة ورعد وهو الصوت الذى يخرج من السحاب * واختلف المفسرون فى الرعد
فقال ابن عباس رضى الله عنهما الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا
اشتد غضبه خرج من فيه النار فهى البرق والصواعق * وقيل الرعد اسم الملك * وقيل
الرعد تسبيح الملك الذى يسوق السحاب * وقال عكرمة الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقها
كما يسوق الراعى الابل * وقال مجاهد الرعد ملك يسبح بحمده يقال لذلك الملك رعد ولصوته
ايضا رعد * وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه وابن عباس الرعد ملك يختنق بين السحاب فينطق
ذلك الصوت * وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سالت اليهود رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملايكه بيده مخاريق من نار يسوق بها السحاب
حيث سما الله قالوا فما هذا الصوت الذى يسمع قال زجره السحاب اذا زجره حتى تنتهى الى
حيث امره الله عز وجل فقالوا صدقت الحديث بطوله * وعلى هذا التفسير اكثر العلما * فالرعد
اسم الصوت المسموع * وقال النقاش الرعد ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادى
بحداه الابل * وقال ابو الدرداء رضى الله عنه الرعد للتسبيح * والبرق للخوف والطمع
والبرد عقوبة * والصواعق بالحظية * والجراد رزق لقوم * ورجز لاخرين * والبحر كيال *
والجبال بميزان ٥ واختلفوا ايضا فى البرق * فقال على ابن ابى طالب وابن عباس وابن مسعود
رضى الله عنهم البرق مخراق حديد بيد الملك يسوق به السحاب * وهذا هو الظاهر من حديث
الترمذى * وروى عن ابن عباس ايضا قال البرق سوط من نور بيد الملك يزجى به السحاب *
فايدة روى ابن عباس رضى الله عنهما قال كنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سفرة
بين المدينة والشام ومعنا كعب الاحبار * قال فاصابتنا ريح واصابنا رعد ومطر شديد
وبرد وتفرق الناس * قال فقال لى كعب الاحبار انه من قال حين يسمع الرعد سبحان من
يسبح الرعد بحمده والملايكه من خيفته عوفى مما يكون فى ذلك السحاب والبرد والصواعق * قال

فقلنا انا وكعب فلما اصبحنا واجتمع الناس قلت لعمر يا امير المومنين كانا كنا في غير ما كان فيه الناس قال وما ذاك قال فحدثته حديث كعب فقال سبحان الله افلا قلتم لنا فنقول كما قلتم • وفي رواية فاذا بردة قد اصابت انف عمر فاثرت فيه • رواه ابو بكر بن ابي شيبة الخطيب في روايات الصحابة عن التابعين ۞ وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ۞ وقوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق قال العلما جعلهم اصابعهم في آذانهم ليلا يسمعون القران فيومنوا به وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك عندهم كفر ۞ والصواعق جمع الصاعقة وهي التي يموت من يسمعها او يغشى عليه • وقيل الصاعقة قطعة من العذاب يرسلها الله على من يشآء وقال ابن عباس ومجاهد اذا اشتد غضب الرعد الذي هو الملك طار النار من فيه وهي الصواعق • وكذا قال الخليل هي الواقعة الشديدة من صوت الرعد يكون معها احيانا قطعة نار تحرق ما اتت عليه • وقال ابو زيد الصاعقة نار تسقط من السما في رعد شديد • وحكي قوم الساعقة بالسين • وقرا الحسن من الصواقع بتقديم القاف • وهي لغة بني تميم وبعض بني ربيعة • والصاعقة ايضا صيحة العذاب • قال الله عز وجل فاخذتهم صاعقة العذاب الهون • ويقال صعق صعقة اذا غشي عليه • ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا • وقوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض اي مات ۞ واعلم ان الله سبحانه وتعالى شبه في هذه الآية احوال المنافقين بما في الصيب من الظلمات والرعد والبرق والصواعق • فالظلمات مثل لما يعتقدونه من الكفر • والرعد والبرق مثل لما يخوفون به • وقيل مثل الله عز وجل القرآن بالصيب وما فيه من الاشكال عليهم والعمى هو الظلمات • وما فيه من الوعيد والزجر هو الرعد • وما فيه من النور والحجج الباهرة التي تكاد احيانا ان تبهرهم هو البرق • والصواعق مثل لما في القران من الدعا الى القتال في العاجل والوعيد في الآجل • وقيل الصواعق هي تكاليف الشرع التي يكرهونها من الجهاد والزكوة وغير ذلك ۞ وقوله تعالى حذر الموت يعني مخافة الهلاك والله محيط بالكافرين اي عالم بهم وقيل

مطلب كيفية صاعقة

يجمعهم ويعذبهم ٥ قال العلما انما خص الكافرين بالذكر لتقدم ذكرهم فى الآية والله اعلم
وقوله تعالى يكاد البرق يخطف ابصارهم اى يختلسها ويستلبها والخطف استلاب
الشى بسرعة ٥ فمن جعل القران مثلا للتخويف فالمعنى ان خوفهم بما ينزل بهم يكاد يذهب
ابصارهم ٥ ومن جعله مثلا للبيان الذى فى القران فالمعنى انه جاءهم من البيان ما يبهرهم ٥
وقرى يخطف بالفتح والكسر وهما لغتان ٥ وقراءة الفتح هى الفصيحة ٥ وقوله تعالى كلما
اضاء لهم يعنى البرق مشوا فيه اى فى اضاءته ونوره واذا اظلم عليهم قاموا اى وقفوا
متحيرين ٥ قال المفسرون وهذا ايضا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين ٥ ووجه التمثيل
ان الله عز وجل شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا فى مفازة فى ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه
ظلمات ٥ وهى ظلمة الليل ٥ وظلمة المطر ٥ وظلمة السحاب ٥ من صفة تلك الظلمات ان السارى لا
يمكنه المشى فيها ٥ ورعد من صفته ان يفزع سامعوه اصابعهم فى آذانهم من هوله ٥ وبرق من
صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته ٥ فهذا مثل ضربه الله عز وجل للقران وصنيع
الكافرين والمنافقين معه ٥ فالمطر هو القران لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض ٥
والظلمات ما فى القران من ذكر الكفر والشرك والنفاق ٥ والرعد ما خوفوا به من الوعيد
وذكر النار ٥ والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة ٥ فالكافرون والمنافقون
يسدون اذانهم عند سماع القران وقراءته مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم
كفر والكفر موت ٥ وقيل هذا مثل ضربه الله للاسلام ٥ فالمطر هو الاسلام ٥ والظلمات ما
فيه من البلآء والمحن ٥ والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف فى الآخرة ٥ والبرق ما فيه
من الوعد ٥ يجعلون اصابعهم فى اذانهم المنافقين اذا راوا فى الاسلام بلآء وشدة هربوا حذرا
من الهلاك ٥ والله محيط بالكافرين ٥ يعنى لا سفعهم الهرب لان الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم ٥
يكاد البرق يعنى دلايل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة ٥ كلما اضاء لهم
يعنى للمنافقين ٥ واضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلآء ولا امتحان ٥ مشوا فيه ٥ يعنى على المسالمة
باظهار كلمة الايمان ٥ وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة فى الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم ٥
واذا اظلم عليهم قاموا ٥ يعنى اذا راوا شدة وبلآء تاخروا ولو شاء الله لذهب بسمعهم

اى بصوت الرعد وابصارهم اى بوميض البرق ۰ وقيل لذهب باسماعهم وابصارهم الظاهرة
كما اذهب اسماعهم وابصارهم الباطنة ۰ فانه الفاعل لما يشآء لا منازع له فيه ولا راد لما قضاه
ان الله على كل شئ قدير اى هو الفاعل لما يشآء لا منازع له فيه ۰ واجمعت الامة على تسميه الله
تعالى بالقدير ۰ فهو سبحانه قدير قادر مقتدر ۰ والقدير ابلغ فى الوصف من القادر ۰ وهذا
قول الزجاج ۰ وقال الهروي القدير والقادر بمعنى واحد ۰ تقال قدرت على الشئ اقدر قدرا
وقدرا ومقدرة وقدرانا بمعنى قدرة ۰ والاقتدار على الشئ القدرة عليه ۰ فالله عزوجل
قادر مقتدر وقدير على كل ممكن يقبل الوجود والعدم ۰ فيجب على كل مكلف ان يعلم ان الله
قادر له قدرة بها فعل ويفعل ما يشآء على وفق علمه واختياره ۰ ويجب عليه ايضا ان يعلم
ان للعبد قدرة يكتسب بها ما اقدره الله تعالى عليه على مجرى العادة وانه غير مستبد
بقدرته ۰ وانما خص تعالى هنا صفته التى هى القدرة بالذكر دون غيرها من صفاته لانه تقدم
ذكر فعل مضمنه الوعيد والاخافة ۰ وكان ذكر القدرة مناسبا لذلك ۰ والله تعالى اعلم باسرار
كلامه العظيم ۰ قوله عزوجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم قال العلما هذا
فصل رابع من فصول هذه السوره تشتمل على اربعة اشيآء الامر بالتوحيد ونبوه سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم والاحتجاج على الناس بصحة نبوته ۰ وقال علقمة ومجاهد كل اية
اولها يا ايها الناس فانها نزلت بمكه ۰ وكل اية اولها يا ايها الذين امنوا فانها نزلت بالمدينه ۰
وهذا القول فيه اشكال وهو ان سوره البقره والنسآء مدنيتان وفيهما يا ايها الناس ۰ وبيان
ذلك ما روى عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال ما كان من حد او فريضة فانه نزل بالمدينه ۰
وما كان من ذكر الامم والعذاب فانه نزل بمكه وهذا واضح ۰ وقال بعض المفسرين يا ايها الناس
خطاب لاهل مكه ۰ ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينه ۰ وفى التوراه يا ايها المساكين ۰ وقوله
تعالى فى هذه الايه يا ايها الناس خطاب عام لسائر المكلفين ۰ وقوله تعالى اعبدوا ربكم قال
ابن عباس اى وحدوا ربكم ۰ قال العلما وكل ما ورد فى القران من العبادة فمعناه التوحيد ۰
واصل العبود به التذلل ۰ والعبادة غاية التذلل ۰ ولا يستحقها الا من له غاية الافضال
والاعظام ۰ وهو الله جل وعلا ۰ وقوله تعالى الذى خلقكم اى ابتدع خلقكم من غير مثال سبق

وقل اوجدكم وانشاكم بعد ان لم تكونوا شيا والذين من قبلكم اى وخلق الذين من قبلكم
وفى اصل الخلق وجهان احدهما التقدير والثانى الانشا والاختراع والابداع لعلكم تتقون
اى لكى تنجوا من العذاب والسخط وقيل معناه تكونوا على رجا التقوى بان تصيروا فى ستر
ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورايكم بفعل ما يشا ويحكم ما يريد الذى جعل لكم الارض
فراشا اى خلق لكم الارض بساطا ووطا ممهدة ولم يجعلها خزنة لا يمكن القرار عليها والحزن
ما غلظ من الارض والسما بنا اى سقفا مرفوعا محفوظا قال العلما اذا تامل الانسان
المتفكر فى هذا العالم وجده كالبيت المعمور فيه كلما يحتاج اليه فالسما مرفوعة كالسقف
والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كالمالك البيت وفيه ضروب النبات
المهياة لمنافعه واصناف الحيوان معروفة فى مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشيا
ان يشكر الله تعالى عليها وقوله تعالى وانزل من السما يعنى السحاب ويسمى السحاب سما لانه
قرب من السما اذ السحاب اقصى ما يرتفع فى الجو مقدار فرسخ او فرسخين الا ترى انك ترى
الشمس فى اعالى الجبال ومن دونها سحاب مطير وذهب بعضهم الى ان الله تعالى ينزل المطر
من السما الى السحاب ثم ينزله من السحاب الى الارض وقال بعضهم يخلق الله عز وجل المطر فى السحاب
ثم ينزله من السحاب الى الارض والله تعالى اعلم وقوله تعالى ماء يعنى مطرا فاخرج به اى
بذلك الما من الثمرات اى من الوان الثمرات واصناف النبات رزقا لكم يعنى طعاما لكم وعلفا
لدوابكم قال بعض العلما دلت هذه الآية على ان الله تعالى اغنى الانسان عن كل مخلوق ولهذا
قال النبى صلى الله عليه وسلم مشيرا الى هذا المعنى والله لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على
ظهره خير له من ان يسال احدا اعطاه او منعه ويدخل ايضا فى معنى الاحتطاب جمع الاشغال
من الصنايع وغيرها فمن احوج نفسه الى بشر مثله بسبب الحرص والامل والرغبة فى زخرف
الدنيا فقد اخذ بطرف من جعل لله ندا وقال اهل التصوف اعلم الله عز وجل فى هذه الآية
سبيل الفقر وهو ان جعل الارض وطا والسما غطا والما طيبا والكلا طعاما فلا تعبد احدا
من الخلق بسبب الدنيا فان الله عز وجل قد اباح لك ما لا بد لك منه من غير منة فمنه لا حد عليك
وقال نوف البكالى رايت على بن ابى طالب رضى الله عنه خرج فنظر فى النجوم فقال يا نوف اراقد

انت ام رامق فلت بل رامق يا امير المومنين قال طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الاخرة
اولئك قوم اتخذوا الارض بساطا وترابها فراشا ومآها طيبا والقران والدعاء شعارا
ودثارا وقضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام وذكر باقي الخبر ٥ وسياتي تمامه ان شاء الله عند
قوله تعالى اجيب دعوة الداعي ٥ وقوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا يعني امثالا تعبدونهم
كعبادته لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا تجعل لله ندا ولا شريكا والند هو المثل
وانتم تعلمون انه واحد وانه خالق هذه الاشيا لا مثل له ولا ضد له ٥ وقيل معناه وانتم تعلمون
انها لا تخلق شيا ولا ترزق والله هو الخالق البارق قال ابن عباس رضي الله عنهما وهذا الخطاب
للكفار والمنافقين فان قيل كيف وصفهم بالعلم وقد نعتهم بخلاف ذلك من الختم والطبع
والصمم والعمى والجواب عنه من وجهين الاول ان قوله تعالى وانتم تعلمون يريد به العلم
الخاص في ان الله تعالى خلق الخلق وانزل الما وانبت الرزق فيعلمون انه المنعم عليهم دون الانداد
الثاني ان يكون المعنى وانتم تعلمون وحدانيته الله بالقوة والامكان ولو تدبروا ونظروا ثم ٥
وفي هذا دليل على الامر باستكمال حجج العقول وابطال التقليد وقال ابن فورك يحتمل ان تاول
الآية المومنين والمعنى لا ترتدوا ايها المومنون وتجعلوا لله اندادا بعد علمكم الذي هو نفي الجهل
بان الله واحد ٥ واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الاشراك
خلقهم احيا قادرين وخلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم وخلق السما التي هي كالخيمة المطبقة
على هذا القرار وما سوى ذلك مما يشبه عقد النكاح بين الارض والسما بانزال الما منها على الارض
والاخراج من بطنها ما يشبه النسل من الثمار رزقا لا يقدر احد على ايجاد شي منها عطف على
ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو ما يقرر اعجاز القران فقال تعالى
وان كنتم في ريب يعني واذ كنتم في شك لان الله تعالى عالم انهم شاكون مما نزلنا على عبدنا يعني
سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان القران منزل
عليه من عند الله عز وجل والعبد ماخوذ من التعبد وهو التذلل وسمي المملوك من جنس ما
يفعله عبدا لتذلله لمولاه وقال بعضهم لما كانت العبادة اشرف الخصال والتسمي بها اشرف
الخطط سمى نبيه عبدا ٥ وانشدوا في المعنى ٥ يا قوم قلبي عند زهراء يعرفه السامع والرائي

لاتدعنى الآبيا عبدها: فانه اشرف اسمائى: ٥ وقوله تعالى فاتوا اى فجيئوا انتم
وهذا امر تعجيز سورة والسوره واحدة السور سميت سورة لان القارى ينال بها منزله
رفيعه حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القران: وقيل السورة اسم للمنزله الرفيعه: ومعنى
الآية فهاتوا انتم نوبةً واحده من نوبه: وهلموا بخمسٍ فرداً من نجومه سورةً من اصغر السور:
وقيل سميت سورة لإحتوآيها على فنون من العلم واجناسٍ من الفوآيد كاحتوآ سور المدينة
على ما فيها: وقوله تعالى من مثله اى من مثل القران: وقيل الضمير فى مثله عايد الى عبدنا:
يعنى من مثل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اُمّى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلمآ ولم ياخذ العلم عن
احد: وردّ الضمير الى القران اوجه واولى: ويدل عليه ان ذلك مطابق لسآير الايات الواردة
فى التحدى: وانما وقع الكلام فى المنزل الاترى ان المعنى وان ارتبتم ان القران منزل من عند الله
فاتوا انتم بسورة مما تماثله وتجانسه: ولو كان الضمير مردودا الى سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم لقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثل محمد صلى الله عليه وسلم: ويدل
على كون القران معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى طرفى الايجاز والاطالة فتارة
ياتى بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول: وانه فارق
اساليبه اساليب الكلام واوزانه اوزان الاشعار والخطب والرسايل: ولهذا تحدّت العرب
به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله: وهى معدن البلاغة: وفرسان الفصاحة: ولهم
النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسايل حتى قال الوليد بن المغيره فى وصف القران والله
ان له لحلاوة: وان عليه لطلاوة: وان اصله لمغدق: وان اعلاه لمثمر: وقد قدمنا الكلام فى هذا المعنى
فى باب الاعجاز بما فيه كفايه والله تعالى اعلم وقوله تعالى وادعوا شهدآكم من دون الله اى
استعينوا بالهتكم التى تعبدونها من دون الله: والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العباده
فتجعلوا الاستعانة بها فى دفع ما نزل بكم من امر محمد صلى الله عليه وسلم: والا فاعلموا انكم مبطلون
فى دعواكم انها الهة: فان قيل كيف ذكر الشهدآ هاهنا وانما يذكر الشهدآ ليشهدوا امرا او
ليخبروا بامر شهدوه: وانما قيل لهم فاتوا بسورة من مثله: والجواب ان معناه استعينوا
بمن وجدتموه من علمآيكم واحضروهم ليشاهدوا ما تاتون به فيكون الرد على الجميع اوكد فى

الحجة عليهم * وقال مجاهد معنى قوله تعالى وادعوا شهداءكم اى ادعوا ناسا يشهدون لكم ان كنتم صادقين ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه * وقيل ان كنتم صادقين فيما قلتم انكم تقدرون على المعارضة * فلما تحداهم بهذا عجزوا * فانزل الله عز وجل فان لم تفعلوا اى تطيقوا فيما مضى ولن تفعلوا فيما بقي * قال العلماء وهذه الآية دالة على عجزهم وانهم لم يأتوا بمثله ولا بمثل شئ منه * وذلك ان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع في الاتيان بمثل القرآن او بمثل سورة منه * ولو قدروا على ذلك لاتوا به * فحيث لم يأتوا علم ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة * والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراصا في اطفاء نوره وابطال امره * ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من احدهم * ورضوا بسبي الذراري واخذ الاموال والقتل * واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم * واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله تعالى فاتقوا النار اي فآمنوا واتقوا بالايمان النار التي وقودها اي حطبها الناس والحجارة قال ابن عباس واكثر المفسرين يعني حجارة الكبريت لانها اكثر التهابا * وقيل هي جميع الحجارة * وفي هذا دليل على عظم تلك النار وقوتها * وقيل اراد بالحجارة الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة * بدليل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اى حطب جهنم * وقال بعض المفسرين ان هذه النار المخصوصة بالحجارة هي نار الكافرين خاصة والله اعلم * وقيل ان اهل النار اذا عيل صبرهم بكوا وشكوا فتنشأ سحابة سوداء مظلمة فيرجون الفرج ويرفعون رؤوسهم اليها فتمطرهم حجارة عظاما كالحجارة الرحي فتزداد النار ايقادا والتهابا كنار الدنيا اذا زيد حطبها زاد لهبها * اجارنا الله واياكم منها * والقول بانها حجارة الكبريت قال ابن مسعود رضي الله عنه هو الكبريت الاسود * وخصت حجارة الكبريت بذلك لانها تزيد على جميع الحجارة بخمسة انواع من العذاب * سرعة الايقاد * ونتن الرائحة * وكثرة الدخان * وشدة الالتصاق بالابدان * وقوة حرها اذا حميت ۵ وقوله تعالى اعدت اي خلقت وهيئت للكافرين قال العلماء وفي هذا دليل على ما تقوله اهل السنة من ان النار موجودة خلافا للمبتدعة في قولهم انها لم تخلق حتى الان * وهذا القول باطل * بدليل ما

روي مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم تدرون ما هذا قال قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى الى قعرها ٥ وروى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه انت عذابي اعذب بك من اشاء وقال لهذه انت رحمتي ارحم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملوها ففي هذا دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان وقد راهما النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف وكذلك ليلة الاسرا فبطل بهذا قول من خالف وبالله التوفيق ٥ واعلم ان الله تعالى لما ذكر جزا الكافرين ذكر بعده جزا المومنين فقال تعالى وبشر الذين آمنوا اي اخبر المومنين وهذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة ايراد الخبر السار على سامع ستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشي وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخبر سرا واساءة ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ولكن هو في السرور والخير اغلب وقوله تعالى وعملوا الصالحات اي الخصال الصالحات وهي الطاعات قال معاذ بن جبل رضي الله عنه العمل الصالح هو الذي يكون فيه اربعة اشيا العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله تعالى وعملوا الصالحات اي اخلصوا الاعمال عن الرياء ويدل عليه قوله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي خالصا لان المنافق والمرائي لا يكون عمله صالحا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه معناه اقاموا الصلوات المفروضات وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه اخلصوا الطاعات فيما بينهم وبين ربهم وقال سهل بن عبد الله معناه لزموا السنة لان عمل المبتدع لا يكون خالصا وقيل معناه تابوا من ذنوبهم بدليل قوله تعالى وتكونوا من بعده قوما صالحين اي تائبين ٥ وقوله تعالى ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار قال المفسرون الجنات جمع جنة وهي البستان الذي فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وسترها بالاشجار وبالاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار اي من تحت

اشجارها ومساكنها وقيل معناه تجرى بامرهم وروي ان انهار الجنه تجرى فى غير اخدود
انما تجرى على سطح الجنه منضبطة بالقدرة حيث شآء اهلها اى يجرونها حيث شاءوا وكيف
شاءوا وقال بعض المفسرين النهر واحد يجرى فيه المآء واللبن والخمر والعسل لا يخالط
بعضه بعضا كما لا يخالط المآء العذب المآء الاجاج والملح فى البحر قال الله عز وجل مرج البحرين
يلتقيان بينهما برزخ اى حاجز من قدرة الله لا يبغيان اى لا يبغى احدهما على الاخر ولا يخالطه
وقال بعضهم الانهار اربعة نهر المآء ونهر اللبن ونهر الخمر ونهر العسل كما قال الله عز وجل
فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه (تغير الطعم وتغوط) وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من
عسل مصفى وقال بعضهم المآء واحد ولكن يختلف بالتمنى ان تمنى اهل الجنه ان يكون لبنا
يكون لبنا وان تمنوا ان يكون عسلا يكون عسلا وان تمنوا ان يكون خمرا يكون خمرا وقال
بعضهم الجارى واحد ولكن له طبايع اربعة طبع المآء فى اجاده الحياه وطبع اللبن فى اجاده
التربيه وطبع العسل فى الحلاوة وطبع الخمر فى الطرب والنشاط وانما جمع الانهار لكثرة
معانيها مع اتحاد عينها وقوله تعالى كلما رزقوا اى اطعموا منها اى من الجنة من
ثمرة رزقا اى طعاما قالوا هذا الذى رزقنا من قبل اى فى الدنيا وفيه وجهان احدهما
انهم قالوا هذا الذى وعدنا به فى الدنيا الثانى هذا الذى رزقنا فى الدنيا لان لونها يشبه
لون ثمار الدنيا فاذا اكلوا وجدوا طعمه غير ذلك وقال بعضهم فى قول اهل الجنه هذا الذى
رزقنا من قبل يعنى فى الجنه لانهم يرزقون ثم يرزقون فاذا اوتوا بطعام وثمار فى اول النهار
فاكلوا منها ثم اوتوا منها فى آخر النهار قالوا هذا الذى رزقنا من قبل يعنى هذا الذى اطعمنا
فى اول النهار لان لونه يشبه ذلك فاذا اكلوا منها وجدوا لها طعما غير طعم الاول قال
الله عز وجل وأتوا به اى بالرزق متشابها قال ابن عباس رضى الله عنهما اى مختلفا فى الطعوم
وقيل يشبه بعضه بعضا فى المنظر ويختلف فى المطعم وقال قتاده يشبه بعضه بعضا
فى الجودة لا رداءة فيه وقيل يشبه ثمار الدنيا فى الاسم لا فى الطعم ولهم فيها اى فى الجنات
ازواج اى نسآء وجوار ومن الحور العين مطهرة يعنى من البول والغايط والحيض والنفاس
والمخاط والبزاق والقى والمنى والولد وكل قذر ودنس وقال مجاهد نساء الجنه

مطهرات لا يبلن ولا يتغوطن ولا يلدن ولا يحضن ولا يمنين ولا يبزقن وقيل مطهرات
من دنس الاخلاق فهن سالمات من الحسد والبخل والغل والغش والخيانة ومن دنس
الاسقام والامراض فلا مرض ولا برص ولا جذام ولا ودق ولا زكام وقال النخعي
في الجنة جماع ما شئت ولا ولد وقيل هن عجائز كما الغمص العمش طهرن من قذرات
الدنيا وقيل مطهرة من جميع الادناس **فصل في صفة الجنة ونعيمها وما**
اعد فيها للصالحين روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ۞ وعنه رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله الجنة ما بناؤها قال لبنة من ذهب
ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها الدر والياقوت وترابها الزعفران
من دخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ۞ وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يتفلون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يمتخطون
قيل يا رسول الله فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون
النفس وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة ثم هم
بعد ذلك منازل لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون امشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم
الالوة ورشحهم المسك وازواجهم الحور العين وفي رواية لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ
ساقيها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله
بكرة وعشيا ۞ وروي ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
المراة من اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك ان الله تعالى
يقول كانهن الياقوت والمرجان ۞ وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو ان امراة من اهل الجنة اطلعت على اهل الارض لاضاءت ما بينهما ولملاته ريحا
ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها والنصيف الخمار وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد كحل لا ينفى شبابهم ولا تبلى ثيابهم

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة
جردا مردا مكحلين ابناء ثلاثين او ثلاث وثلاثين سنة ٥ وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
يدخل اهل الجنه الجنة مردا الا موسى بن عمران فان له لحية الى سرته ٥ وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنه لمجتمعا للحور العين
يرفعن باصوات لم تسمع الخلايق بمثلها فقال يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا
نبتئس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له ٥ وقالت عائشة رضي الله عنها
ان الحور اذا قلن هذه المقالة اجابهن المومنات من نساء اهل الدنيا نحن المصليات وما صليتن
ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضيات وما توضيتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن
قالت عائشه فغلبنهن والله ٥ وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان في الجنه حورا يقال لها العينا
لو بزقت في البحر لعذب ماء البحر كله مكتوب على نحرها من احب ان يكون له مثلي فليعمل بطاعة
ربي ٥ وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنس المساجد
مهور الحور العين وعن ابي قتادة رضي الله عنه قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول
اخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين ٥ وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز ٥ وقال ابو هريره رضي الله عنه يتزوج
احدكم بفلانة بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسرة ٥ وروي
ان الرجل اذا ابتكر امراه في الدنيا كانت زوجته في الاخرة ٥ دليل ما روى ابن وهب عن الامام
مالك ان اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها كانت امراة الزبير رضي الله عنه وكانت لها ضرة
وكانتا يخرجان حتى عوتب الزبير في ذلك فعقد شعر واحدة بالاخرى وضربهما ضربا شديدا
وكانت الضرة احسن اتقا وكانت اسما لا تتقي وكان الضرب بها اكثر فشكت ذلك الى ابيها ابي بكر رضي الله عنه
فقال لها يا بنية اصبري فان الزبير رجل صالح ولعله ان يكون زوجك في الاخرة فانه بلغني ان الرجل
اذا ابتكر المراة تزوجها في الجنة ٥ وروي ايضا ان المراه اذا كانت ذات ازواج فهي لاخر
ازواجها بدليل ما روى ان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال لامراته ان سرك ان تكوني زوجتي
في الجنه فلا تتزوجي بعدي فان المراة لآخر ازواجها ٥ وروي ان ام حبيبه زوج النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم قالت يارسول الله المراة تكون لها الازواج فى الدنيا يموتون فيجتمعون فى الجنة لايهم تكون للاول او للآخر قال لاحسنهم خلقا ٥ وقيل ان المراة تخير اذا كانت ذات ازواج والله تعالى اعلم ٥ وروى الترمذى عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعطى الرجل فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل يارسول الله ايطيق ذلك قال صلى الله عليه وسلم يعطى قوة مايه رجل ٥ وعن زيد بن ارقم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة مايه رجل فى الاكل والشرب والجماع والشهوة ٥ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قلنا يارسول الله افضى الى نسائنا فى الجنة كما نفضى اليهن فى الدنيا ٥ قال اى والذى نفسى بيده ان الرجل ليفضى فى الغداة الواحدة الى مائة عذراء ٥ وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة اذا جامعوا نساءهم عدن ابكارا ٥ وعن اسامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن احد يدخله الله الجنة الا زوجه اثنتين وسبعين زوجة ثنتين من الحور العين وسبعين من ميراثه من اهل النار مامنهن واحدة الا ولها قبل شهوتى وله ذكر لاينثنى ٥ وقوله من ميراثه من اهل النار يعنى رجالا دخلوا النار فورث اهل الجنة نساءهم ٥ وروى النقاش فى تفسير قوله تعالى وانوا به متشابها قال قرات فى بعض التفاسير ان الله تبارك وتعالى يهدى الى اوليائه صوانى من ياقوت احمر عليها مناديل من الدر الابيض مختومة وفى الصوانى الوان التفاح فى كل تفاحة حورا كاللعبة عليها من الحلى والحلل والحسن والجمال مالا يشبهه شى مما عندهم من النور فاذا خرجت الحورا من التفاحة اكل ولى الله قطعة من التفاحة فيجد طعمه الذ من كل شى اكل فى الجنة ٥ ويزاد فى قوته اضعاف ماكان فيمس الحورا فيجدها لها الذ واشهى من كل ما افتض قبل ذلك ٥ وكلما مسها عادت عذراء كما كانت ٥ وكذلك تتلون الحورا بالوان من الحسن والجمال ٥ وكذلك التفاحة ٥ وهذا كله داخل فى قول الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين ٥ وعن معاذ ابن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة لينعم مع زوجته فى مشكاه واحدة سبعين عاما فيبدو له ايها منها واجمل من غرفة اخرى اما ان لنا منادى ولة بعد

سطر قوة مايه رجل

سطر عدد نساء اهل الجنة

او قال فى اتكاة والله

قال فيلتفت اليهما وتقول من انت فتقول انا من الجن قال الله تعالى ولدينا مزيد فيتحول اليهما فيتنعم معها سبعين عاما في مشكاه واحده فتناديه ايهما منها واجمل من غرفة اخرى أما آن لنا منك دولة بعد فيلتفت اليهما وتقول من انت فتقول انا من الجن قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فيتحول اليهما فيتنعم معهما في اكاة واحده سبعين عاما كذلك يدورون واحده بعد اخرى وفيما ذكرناه كفايه وسياتي لهذا الباب مزيد بيان في الايات التي تاتي في صفة الجنه واهلها ان شاء الله تعالى ٥ وقوله تعالى وهم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقاء الدايم الذي لا انقطاع له ابدا ٥

قوله عز وجل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها قال المفسرون سبب نزول هذه الآية ان الله تبارك وتعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه الاشيا الخسيسه وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشيا وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على ايذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فانزل الله عز وجل هذه الآيه وقال الحسن وقتادة لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما اشبه هذا كلام الله فانزل الله تعالى هذه الايه واختلف العلما في قوله تعالى لا يستحيي فقال بعضهم معناه لا يخشى وقال بعضهم لا يترك وقال بعضهم لا يمتنع والحيا تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل الحيا انقباض النفس عن القبايح هذا اصله في وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك كما تقدم وذلك لان لكل فعل بدايه ونهاية فبداية الحيا والتغير الذي يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد صفة الحيا في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحيا وغايته فيكون معنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا اي لا يترك المثل لاجل قول الكفار واليهود ٥ وقوله تعالى ما بعوضة البعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله

فانه فی غایة الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره یغوص خرطومه فی جلد الفیل والجاموس
والجمل فیبلغ منه الغایة حتی ان الجمل یموت من قرصته وقوله تعالی فما فوقها یعنی
الذباب والعنکبوت وما هو اعظم منها فی الجثه وقیل معناه فما دونها واصغر منها وهذا
القول اشبه بالآیة لان الغرض بیان ان الله تعالی لا یمتنع من التمثل بالشی الصغیر الحقیر
وقد ضرب النبی صلی الله علیه وسلم مثلا للدنیا بجناح البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت
العرب ایضا المثل بالمحقرات فقالوا هو احقر من ذره واجمع من نمله واطیش من ذبابه
وقالوا ایضا والج من ذبابة وقالوا ایضا اجرأ من ذباب واسمع من قراد واعز من مخ
البعوض وقولهم اجمع من نمله وذلک ان العرب تزعم ان الذره وهی اصغر النمل تدخر
قوت سبع سنین وقولهم اجرا من الذباب وذلک لانه یقع علی قفا الملک وجفن الاسد
واذا ذید ای طرد عاد وقولهم اسمع من قراد وذلک ان العرب تزعم ان القراد یسمع الهمس
الخفی من وقع مناسم الابل ای اخفافه من مسیره سبع فراسخ او سبع لیال او سبعة امیال
فیتبعها فی العطش وصعید الطریق وقولهم اعز من مخ البعوض یقولون ذلک للشی الذی لا
یوجد وقالوا ایضا فی المثل اصرد من جرادة ای ابرد من جرادة لان الجراده لا تطیر فی الشتا
لقله صبرها علی البرد والله تعالی اعلم وقوله تعالی فاما الذین آمنوا یعنی بسیدنا
محمد صلی الله علیه وسلم والقرآن فیعلمون ای یوقنون انه یعنی ان هذا المثل هو الحق ای
الصدق الصحیح الثابت الذی لا یجوز انکاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنه فی العقل
وعند العرب وقیل یعلمون ان ما ذکر الله عز وجل من مثل انه الحق من ربهم وان جمیع
ما ضرب به لهم من مثل اذا تذکروه وتفکروا فیه علموا انه حکمة بالغة واما الذین کفروا
فیقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ای ما اراد بهذا المثل فردوه وتعجبوا من ذکره وذلک
من غیر رویة ولا تفکر ولا تدبر فقال الله تعالی یضل به کثیرا یعنی من الکفار وذلک
انهم یکذبونه فیزدادون به ضلالا ویهدی به کثیرا یعنی المومنین یصدقونه ویعلمون
انه حق وما یضل به الا الفاسقین ای الکافرین وقیل المنافقین وقیل الیهود ○
والفسق هو الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال الذین ینقضون عهد الله

اى يخالفون ويتركون امر الله. واصل النقض الفسخ وفك المركب. واصل العهد حفظ
الشى ومراعاته حالا بعد حال. وقيل عهد الله الذى عهد الى بنى يوم الميثاق بقوله الست
بربكم قالوا بلى وما عهد الى فى التوريه ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا امره
ونعته وصفته. وقوله تعالى من بعد ميثاقه اى من بعد عقده وتوكيده. واصله
من الوثاقة وهى احكام الشى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعنى الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم وجميع الرسل. فامنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود. وقيل اراد قطع الارحام
التى امر الله بوصلها. وقيل الاشارة الى دين الله عز وجل وعبادته فى الارض واقامة شرايعه.
وحفظ حدوده فهى عامة فى كل ما امر الله به ان يوصل. وهذا قول الجمهور وصله الرحم جزو
من هذا. وقوله تعالى ويفسدون فى الارض يعنى بالمعاصى وتعويق الناس عن الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقران. وقيل ويفسدون فى الارض اى يعبدون غير الله ويجورون
فى الافعال على مقتضى شهواتهم. وهذا غاية الفساد اولئك هم الخاسرون اى المغبونون بالعقوبة
وفوت المثوبة. واصل الخسار النقص ويستعمل للهلاك. وقيل الخاسر هو الذى نقص نفسه
حظها من الفلاح والفوز. ويقال للهالك خاسر لانه خسر نفسه واهله يوم القيامة ومنع منزله
من الجنة. قال العلما وفى هذه الآية دليل على الوفا بالعهد والتزامه. فكل عهد جايز الزمه
المرء نفسه فلا يحل له نقضه سوا كان بين مسلم او غيره لان الله تعالى ذم الناقضين للعهد. وقال
تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود اى العهود. وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واما
تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سوا ان الله لا يحب الخاينين. فامره الله ان لا ينقض العهد
ونهاه عن الغدر على ما بينا بيانه فى موضعه ان شا الله تعالى. ثم قال تعالى لمشركى العرب
على وجه التبكيت والتعنيف والتوبيخ لهم. والتعجيب للمومنين كيف تكفرون بالله يعنى
بعد نصب الدلايل ووضح البراهين الدالة على وحدانيته. ثم ذكر الدليل. فقال تعالى
وكنتم امواتا فاحياكم يعنى نطفا فى اصلاب ابايكم فاحياكم يعنى فى الارحام والدنيا ثم يميتكم اى
عند انقضا اجالكم ثم يحييكم يعنى بعد الموت للبعث ثم اليه ترجعون اى ترددون فى الآخرة

فيجزيكم باعمالكم ۝ واختلف المفسرون فى ترتيب هاتين الموتتين والحياتين وكم من موته وحياة للانسان فقال ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما اى كنتم امواتا معدومين قبل ان تخلقوا فاحياكم • اى خلقكم • ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم يوم القيامة ۝ قال بعض العلما وهذا القول هو المراد بالآية وهو الذى لا مجيد للكفار عنه لاقرارهم بهما • واذا اذعنت نفوس الكفار لكونهم امواتا معدومين ثم للاحيا فى الدنيا ثم للاماته فيها قوى عليهم لزوم الاحيا الآخر وجا جحدهم لمدعوى لا حجة عليها • وقال بعضهم الحياة التى يكون فى القبر على هذا التاويل فى حكم حياة الدنيا • وقيل لم يعتد بها كما لم يعتد بموت من اماته فى الدنيا ثم احياه فى الدنيا • وقيل معنى الآيه كنتم امواتا فى ظهر آدم • ثم اخرجكم من ظهره كالذر • ثم يميتكم موت الدنيا ثم يبعثكم • وقيل المعنى كنتم امواتا اى نطفا فى اصلاب الرجال وارحام الامهات • ثم نقلكم من الارحام فاحياكم • ثم يميتكم بعد هذه الحياه • ثم يحييكم فى القبر للسوال • ثم يميتكم فى القبر • ثم يحييكم حياة النشر الى الحشر • وهى الحياه التى ليس بعدها موت ابدا • قال العلما فعلى هذا التاويل هى ثلاث موتات وثلاث احيا آت • وكونهم موتى فى ظهر آدم واخراجهم من ظهره والشهادة عليهم غير كونهم فى اصلاب الآبا وارحام الامهات • فعلى هذا تجى اربع موتات واربع احيا آت • وقال بعض المفسرين ان الله تعالى اوجدهم قبل خلق ادم عليه السلام كالهبا ثم اماتهم • فيكون على هذا القول خمس موتات وخمس احيا آت • وموته سادسة للعصاه من امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اذا دخلوا النار لحديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون • ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم او قال بخطاياهم فاماتتهم اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن فى الشفاعة فجى بهم ضبابير ضبابير فبثوا على انهار الجنة فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل • فقال رجل من القوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان برعى بالبادية • اخرجه مسلم ۝ قوله صلى الله عليه وسلم فاماتتهم اماتة حقيقة فى الموت • لانه اكده بالمصدر • وذلك تكريم لهم • وقيل يجوز ان يكون اماتتهم عبارة عن تغييبهم عن آلام النار بالموت • ولا يكون ذلك موتا على الحقيقة • والاول هو الصحيح ۝ وقيل معنى الآية وكنتم

على عدد موت وحيوة

امواتا بالحمول فاحياكم بان ذكركم وشرفتم بهذا الدين والنبي الذي جاكم ثم يميتكم فيموت ذكركم ثم يحييكم للبعث ثم اليه ترجعون اي تصيرون الى الجزاء وقد ثم يحييكم في قبوركم ثم اليه ترجعون للنشور والله تعالى اعلم قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا قال العلماء معنى قوله تعالى خلق اي اخترع واوجد بعد العدم وقال ابن كيسان خلق لكم اي خلق من اجلكم وقيل المعنى ان جميع ما في الارض منعم به عليكم فهو لكم وقيل انه دليل على التوحيد والاعتبار وهذا هو الصحيح على ما ياتي بيانه وقال بعضهم ويجوز ان يكون عنايه ما هم اليه محتاجون من جميع الاشياء من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا اما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجايب مخلوقات الله الدالة على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها والصحيح ان معنى قوله خلق لكم ما في الارض الاعتبار ويدل على هذا المعنى ما قبله وما بعده من نصب العبر والاحياء والاماتة والخلق والاستوا الى السما وتسويتها اي الذي قدر على احيائكم وخلقكم وخلق السموات والارض لا يعجز منه القدرة على الاعادة فان قيل فاي اعتبار في العقارب والحيات قيل له قد يتذكر الانسان ببعض ما يرى من الموذيات ما اعد للكفار في النار من العقوبات فتكون تذكره سببا للايمان وترك العصيان وذلك اعظم الاعتبار وقال ارباب المعاني في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا يعني لتتقووا به على طاعة ربكم لا لتصرفوه في وجوه معاصيه وقال ابو عثمان رحمه الله وهب لك الكل وسخره لك لتستدل به على سعة وجوده وتشكر الى ما ضمن لك من جزيل عطايه في المعاد ولا تستكثر كثير بره على قليل عملك فقد ابتدأك بعظيم النعم قبل العمل وهو التوحيد وروى زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءني قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قول عمر فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه

لقول الانصاري. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك امرت. قال العلما رضي الله عنهم
فخوف الاقلال من سوء الظن بالله. لان الله عز وجل خلق الارض بما فيها لولد آدم. فمال في
تنزيله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا. وقال ايضا وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا منه. فهذه الاشيا كلها مسخره للادمي قطعا لعذره وحجة عليه ليكون له عند
اكمال خلقه عبدا مطيعا. فاذا كان العبد حسن الظن بالله عز وجل لم يخف الاقلال لانه تعالى
يخلف عليه كما قال وما انفقتم من شي فهو يخلفه. وقال تعالى ان ربي غني كريم. وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل سبقت رحمتي غضبي. وقال تعالى يا ابن آدم انفق
انفق عليك. وقال النبي صلى الله عليه وسلم يمين الله ملآى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار.
وقال صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم
اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا. وكذا ايضا في المسا عند الغروب
ينادیان ايضا. وهذا كله رواه الائمة رحمهم الله والحمد لله. فمن استنار صدره وعلم غنى ربه
وكرمه انفق ولم يخف الاقلال. وكذلك ايضا من ماتت شهواته عن الدنيا واجتزا باليسير
من القوت المقيم لمهجته. وانقطعت مشيته لنفسه فهذا يعطى من عسره ويسره. ولا
يخاف اقلالا. وانما يخاف الاقلال من له مشية في الاشيا فاذا اعطي اليوم وله غدا مشية
في شي خاف ان لا يصيب غدا فيضيق عليه الامر في نفقته اليوم لمخافة اقلاله. وروى
مسلم ايضا عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
انفحي او انضحي او انفقي. ولا تحصي فيحصي الله عليك. ولا توعي فيوعي الله عليك. وروى
النسائي ايضا عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي سائل مرة وعندي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فامرت له بشي ثم دعوت به فنظرت اليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما تريدين الا يدخل بيتك شي ولا تخرج الا بعلمك. قلت نعم يا رسول الله قال مهلا يا عائشة
لا تحصي فيحصي الله عليك. والمعنى في هذا كله والله تعالى اعلم. وقوله تعالى ثم استوى
الى السما اي قصد واقبل على خلقها. وتعمل عمد. وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ارتفع.
وروي عنه ان معناه صعد. اي صعد امره. وذلك ان الله عز وجل خلق الارض اولا ثم عمد

على دعاء للاخيار والبخلاء

الى خلق السما. قال العلما وهذه الاية من الآيات المشكلات والناس فيها وفيما شاكلها على
ثلاثة اوجه. فقال بعضهم نقروها ونومن بها ولا نفسرها. والى هذا القول ذهب كثير من الائمة.
وهذا كما روى عن الامام مالك ان رجلا سأله عن قول الله عز وجل الرحمن على العرش استوى. فقال
له الامام مالك الاستوا غير مجهول. والكيف غير معقول. والايمان به واجب. والسوال عنه
بدعة. وأراك رجل سوء. اخرجوه عني. وقال بعضهم نقرها ونفسرها على ما يحتمله ظاهر
اللغة وهذا قول المشبهة. وقال بعضهم نقروها ونتاولها ونحيل حملها على ظاهرها.
فان قيل كيف الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها. قيل له الدحو
هو البسط. فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها. ثم خلق السما وبسط جرم الارض بعد
ذلك. فان قيل هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا تقتضي ان ذلك لا يكون
الا بعد الدحو. قيل له يحتمل انه ليس هنا ترتيب. وانما هو على سبيل تعديد النعم كقول الرجل
لمن يذكره ما انعم عليه به الم اعطك الم ارفع قدرك الم ادفع عنك. ولعل بعض هذه النعم مقدمة
على بعض والله اعلم. وقال بعض المفسرين والذي يظهر من هذه الاية ان الله سبحانه خلق الارض
قبل السما. وكذلك قال تعالى في حم السجدة. وقال تعالى في سوره والنازعات ا انتم اشد خلقا
ام السما بناها. فوصف خلقها. ثم قال والارض بعد ذلك دحاها. وكان السما على هذا خلقت
قبل الارض. وقال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض. وهذا قول قتاده ان السما
خلقت اولا. وقال مجاهد وغيره من المفسرين ان الله تعالى لما اراد ان يخلق الارض ابيس الما
الذي كان عرشه عليه فجعله ارضا وثار منه دخان فارتفع فجعله سما. فصار خلق الارض قبل
خلق السما. ثم قصد امره الى السما فسواهن سبع سموات. ثم دحى الارض بعد ذلك. وكانت اذ
خلقها غير مدحوه. وصح بعض العلما قول قتاده وخرجه على وجه صحيح. وهو ان الله تبارك
وتعالى خلق اولا دخانا للسما. ثم خلق الارض. ثم استوى الى السما وهي دخان فسواها. ثم دحى الارض
بعد ذلك. والدليل على ان الدخان خلق اولا قبل الارض. ما روى عن ابن عباس وابن مسعود
وعن ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات. قال ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الما

ولم يخلق شيأ قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسمى عليه
فسماه سماء ثم يبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين في يومين الاحد
والاثنين ثم جعل الارض على حوت والحوت على الماء على صفاة اى صخرة والصفاة على ظهر
ملك والملك على الصخرة والصخرة على الريح والريح على القدرة وروى ان الحوت لما وضعت
عليه الارض اضطرب فتزلزلت الارض فارسل الله عليها الجبال فسكنت والجبال تفخر على
الارض وذلك قوله عز وجل والقى في الارض رواسى ان تميد بكم وخلق سبحانه الجبال في
الارض واقوات اهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين الثلاثا والاربعا وذلك قوله تعالى
قل اينكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل
فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سوا للسايلين يقول تعالى
من سالك يا محمد فهكذا الامر ثم استوى الى السما وهي دخان وكان ذلك الدخان من تنفس
الماء حين تنفس فجعلها سما واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين الخميس والجمعة
وانما سمي الجمعة لان الله تعالى جمع فيه خلق السموات والارض واوحى في كل سما امرها
يعني خلق في كل سما خلقها من الملايكة والخلق الذى فيها من البحار وجبال البرد وما لا نعلمه
الا الله ثم زين السما الدنيا بالكواكب زينة وحفظا من الشياطين وفي رواية عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال ان اول ما خلق الله عز وجل القلم فقال اكتب قال يا رب وما اكتب
قال اكتب القدر قال فجرى القلم بما هو كاين من ذلك اليوم الى يوم القيامة قال ثم خلق
النون فدحى الارض عليه فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات واضطرب النون فمادت
الارض فاثبتت بالجبال فالجبال تفخر على الارض الى يوم القيامة ففي هذه الرواية خلق
الارض قبل ارتفاع بخار الماء الذى هو الدخان خلاف الرواية الاولى والرواية الاولى
عن ابن عباس وغيره من المفسرين اولى لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وقد اختلفت
فيه اقاويل المفسرين وليس للاجتهاد فيه مدخل وذكر ابو نعيم عن كعب الاحبار
ان ابليس لعنه الله تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فالقى في قلبه بان قال له هل
تدرى ما على ظهرك يا لوثيا من الامم والشجر والدواب والناس والجبال لو نفضتهم القيتهم

عن ظهرك اجمع قال فهم لوثيا ان تفعل ذلك فبعث الله تعالى الى الحوت دابة فدخلت فى منخره
فخج منها الى الله تعالى فخرجت قال كعب الاحبار والذى نفسى بيده انه لينظر اليها وتنظر الله
ان هم بشئ من ذلك عادت حيث كانت ۝ قال المفسرون واصل خلق الاشيا كلها من الماء
لما رواه ابن ماجة فى سننه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قلت يرسول الله اذا رايتك طابت نفسى
وقرت عينى اخبرنى عن كل شئ فقال صلى الله عليه وسلم كل شئ خلق من الماء فقلت اخبرنى
بشئ اذا عملت به دخلت الجنة قال صلى الله عليه وسلم اطعم الطعام وافش السلام وصل الارحام
وقم بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام ۝ وقول ابى هريرة اخبرنى عن كل شئ اراد به عن
كل شئ خلق من الماء والدليل عليه جواب النبى صلى الله عليه وسلم اياه حيث قال كل شئ خلق من الماء
وان لم يكن مخلوقا رواه البيهقى ۝ وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يحدث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اول شئ خلقه الله عز وجل القلم وامره فكتب كل شئ
يكون ۝ ورواه البيهقى ايضا مرفوعا عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه وانما اراد والله اعلم
اول شئ خلقه بعد خلق الماء والريح والعرش القلم وذلك بين فى حديث عمران بن الحصين
ثم خلق السموات والارض الحديث رواه البخارى ۝ وروى عن طاووس انه قال جاء رجل الى ابن
عباس رضى الله عنهما فساله ثم خلق الخلق قال من الماء والنور والظلمة والريح والتراب فقال
الرجل فثم خلق هولا قال لا ادرى قال ثم ذهب الرجل الى عبد الله بن الزبير فساله فقال له
مثل ما قال عبد الله بن عباس فذهب الى عبد الله بن عباس فساله فقال ثم خلق الخلق قال من
الماء والنور والظلمة والريح والتراب قال فثم خلق هولا فتلى ابن عباس قول الله عز وجل وسخر
لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فقال الرجل ما كان لياتى بهذا الا الجواب الا
رجل من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ قال البيهقى اراد ان مصدر الجميع منه
يعنى من خلقه وابداعه واختراعه خلق سبحانه الماء اولا او الماء وما شا من خلقه لا عن اصل
ولا على مثال سبق ثم جعل ذلك اصلا لما خلق بعد فهو تعالى المبدع وهو البارى لا اله غيره
ولا خالق سواه جل وتعالى ۝ وقوله تعالى فسواهن سبع سموات اى خلقهن سبع
سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور ولا عمد تحتها ولا علاقة فوقها قال المفسرون

ذكر الله عز وجل في هذه الآية وغيرها ان السموات سبع ذكرا صريحا ولم يات للارض عدد صريح
لا يحتمل التاويل الا في قوله تعالى ومن الارض مثلهن وقد اختلف المفسرون فيه فقال
بعضهم ومن الارض مثلهن اى في العدد لان الكيفية والصفة مختلفة بالمشاهدة والاخبار
فتعين العدد وقيل ومن الارض مثلهن اى في غلظهن وما بينهن وقال بعضهم الارض
سبع الا انها لم يفتق بعضها من بعض وهذا قول الداودي والصحيح هو القول الاول وان
الارض سبع كالسموات بدليل ما روى مسلم عن سعيد بن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من الارض ظلما طوقه الى سبع ارضين ٥ ومن حديث ابي هريرة
ايضا لا ياخذ احد شبرا من الارض بغير حقه الا طوقه الله الى سبع ارضين ومن الدليل ايضا
على ان الارض سبع ما روى النسائي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام قال يا رب علمني شيا اذكرك به وادعوك به قال تعالى يا موسى
قل لا اله الا الله قال موسى يا رب كل عبادك يقولون هذا قال تعالى قل لا اله الا الله قال
لا اله الا انت انما اريد شيا تخصني به قال تعالى يا موسى لو ان السموات السبع والارضين
السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة مالت بهن لا اله الا
الله ٥ ومن الدليل ايضا ما روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بينما نبي الله صلى الله
عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون
ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه روايا الارض يسوقها الله الى قوم لا
يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها
الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها قالوا الله ورسوله
اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال
سمآءان بعد ما بينهما خمسمائة سنة ثم قال كذلك حتى عد سبع سموات ما بين كل سمآءين
كما بين السما والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ان فوق ذلك
العرش وبينه وبين السما بعد ما بين السمآءين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا
الله ورسوله اعلم قال انها الارض ثم قال هل تدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال

ان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسماية سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة
خمسماية سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على
الله ثم قرا هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ۝ قال ابو عيسى الرمذى
قرآة رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية يدل على انه اراد يهبط يعنى الحبل على علم الله بعد
وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على عرشه كما وصف نفسه فى كتابه العزيز وقال هذا
حديث غريب ۝ والآثار بان الارضين سبع كثيرة وفيما ذكرناه كفاية ۝ وروى ابو الضحى عن
ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله عز وجل الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال
سبع ارضين فى كل ارض نبى كنبيكم وآدم كادم ونوح كنوح وابرهيم كابرهيم وعيسى كعيسى ۝
قال البيهقى اسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ لا اعلم لابى الضحى عليه متابعا والله اعلم
وقوله تعالى وهو بكل شئ عليم يعنى يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات وقبل عليم
بما خلق وهو خالق كل شئ فوجب ان يكون عالما بكل شئ وقد قال تعالى الا يعلم من خلق وهو
تعالى العالم والعليم بجميع المعلومات بعلم قديم ازلى واحد قايم بذاته وقد وصف سبحانه
ايضا نفسه بعلمه فقال تعالى انزله بعلمه والملايكة يشهدون وقال تعالى فاعلموا انما
انزل بعلم الله وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
وقال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يجليها الا هو وسنذكر ما يدل على ثبوت علمه وسايير
صفاته فى هذه السورة عند قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ان شا الله تعالى ۝

كنبيكم وآدم كادم كل ارض بنى

قوله عز وجل واذ قال ربك للملايكة انى جاعل فى الارض خليفة قال
المفسرون رحمهم الله فى قوله تعالى واذ قال ربك اى واذكر يا محمد اذ قال ربك وكلما ورد
فى القراان من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زايدة والقول الاول اوجه ۝ والرب
هو المالك والسيد والمصلح والجابر وقد تقدم بيانه وقوله تعالى للملايكة قال العلما
الملا جمع واحدها ملك واصله مالك وهى الرسالة وقال ارباب المعانى خاطب الله تعالى
الملايكة لا للمشورة ولكن لاستخراج ما فيهم رويه الحركات والعباده والتسبيح والتقديس
ثم ردهم الى قيمتهم فقال عز وجل اسجدوا لادم ۝ وقوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة اى يخلف

من كان قبله من الملايكه فى الارض او من كان قبله من غير الملايكه • والخليفه هو الذى
يتولى امضاء الامر عن الآمر • قال ابن مسعود وابن عباس وجميع اهل التاويل المراد
بالخليفه هنا آدم عليه السلام لانه خليفة الله فى ارضه لاقامة حدوده وسفد وصاياه
لانه اول رسول الى الارض • قال العلما وفى هذه الاية دليل على نصب امام وخليفه يسمع له
ويطاع لتجتمع عليه الكلمة وتنفذ له احكام الخليفة • ولا خلاف فى ذلك بين الامة والائمه
بدليل هذه الاية • وقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض • وقوله تعالى
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض اى يجعل منهم خلفا الى
غير ذلك من الآى • واجمعت الصحابة رضى الله عنهم على تقديم ابى بكر الصديق رضى الله عنه •
بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والانصار فى سقيفه بنى ساعدة فى تعيين خليفة حتى
قالت الانصار منا امير ومنكم امير يا معشر المهاجرين فدفعهم ابو بكر وعمر عن ذلك وقالوا
لهم ان العرب لا تدين الا لهذا الحى من قريش • وروا لهم الخبر فى ذلك فرجعوا واطاعوا
لقريش • قال العلما فلو كانت فرض الامامة غير واجب لا فى قريش ولا فى غيرهم لما ساغت
هذه المناظرة والمحاورة عليها ولقال قايل انها ليست بواجبة لا فى قريش ولا فى غيرهم
فما التنازع بينهم وجه ولا فايدة فى امر غير واجب • ثم ان الصديق رضى الله عنه لما حضره الوفاة
عهد الى عمر فى الخلافة • ولم يقل له احد من الصحابة هذا امر غير واجب علينا ولا عليك •
فدل ذلك على وجوب الخلافة وانها ركن من اركان الدين الذى به قوام المسلمين • والحمد لله
رب العالمين • وقالت الرافضة يجب نصب امام عقلا وان السمع انما ورد على جهة التاكيد
لقضيه العقل • فاما معرفة الامام فان ذلك مدرك من جهة السمع دون العقل • وهذا القول الذى قالوه
فاسد لان العقل لا يوجب ولا يحظر ولا يقبح ولا يحسن • واذا كان كذلك ثبت ان الامامة عند اهل السنة
واجبة من جهة الشرع لا من جهة العقل كما قالت الروافض وهذا القول واضح • فان قيل
اذا سلمنا ان طريق وجوب الامامة السمع فخبرونا هل نجب من جهة الشرع بالنص على الامام
من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ام من جهة اختيار اهل العقد والحل له ام بكمال خصال
الائمة فيه ودعايه مع ذلك الى نفسه كاف فيه • الجواب ان يقال اختلف الناس فى

هذا الباب فذهبت الامامية وغيرها الى ان الطريق الذى يعرف به الامام هو النص من الرسول صلوات الله عليه ولا مدخل للاختيار فيه وقال اهل السنة النظر طريق الى معرفة الامام واجماع اهل الاجتهاد طريق ايضا اليه وهؤلآء الذين قالوا لا طريق اليه الا النص بنوه على اصلهم ان القياس والراى والاجتهاد باطل لا يعرف به شئ اصلا وابطلوا القياس اصلا وفرعا ثم اختلفوا على ثلاث فرق فرقة تدعى النص على ابى بكر وفرقة تدعى النص على العباس وفرقة تدعى النص على على بن ابى طالب رضى الله عنهم والدليل على فقد النص وعدمه على امام بعينه هو ان النبى صلى الله عليه وسلم لو فرض على الامامة طاعة امام بعينه بحيث لا يجوز العدول عنه الى غيره لعلم ذلك لاستحالة تكليف الامة باسرها طاعة الله فى غير معين ولا سبيل لهم الى العلم بذلك التكليف واذا وجب العلم به لم يخل ذلك العلم من ان يكون طريقه ادلة العقول او الخبر وليس فى العقل ما يدل على ثبوت الامامة لشخص معين وكذلك ليس فى الخبر ما يوجب العلم بثبوت امام معين لان ذلك الخبر اما ان يكون تواترا اوجب العلم ضرورة او استدلالا او يكون من اخبار الآحاد ولا يجوز ان يكون طريقه التواتر الموجب للعلم ضرورة او دلالة اذ لو كان كذلك لكان كل مكلف يجد من نفسه العلم بوجوب الطاعة لذلك المعين وان ذلك من دين الله عليه كما ان كل مكلف علم ان من دين الله الواجب عليه خمس صلوات وصوم رمضان وحج البيت ونحوها ولا احد يعلم ذلك من نفسه ضرورة فبطل هذه الدعوى وبطل ان يكون معلوما باخبار الآحاد لاستحالة وقوع العلم به ○ وايضا فانه لو وجب المصير الى نقل النص على الامام باى وجه كان وجب اثبات امامة ابى بكر والعباس رضى الله عنهما لان لكل واحد منهما قوما يقولون النص صريحا فى امامته واذا بطل اثبات الثلاثة بالنص فى وقت واحد على ما بانى سائه فكذلك الواحد اذ ليس احد الفرق اولى بالنص من الآخر واذا بطل ثبوت النص لعدم الطريق الموصل اليه ثبت الاختيار ○ فان تعسف متعسف وادعى التواتر او العلم الضرورى بالنص فينبغى ان نقابلهم على الفور بنقيض دعواهم فى النص على ابى بكر وباخبار كثيرة تقوم ايضا من جملتها مقام النص ثم لا شك فى تضليل من عدا الامامية على نفى

النص وهم الخلق الكثير والجم الغفير والعلم الضروري لا يجتمع على نفيه من يخطئ عن
معشار اعداد مخالفي الامامية ولو جاز رد الضروري في ذلك لجاز ان تنكر طائفة
بغداد والصين الاقصى وغيرهما من البلاد البعيدة فصل في رد الاحاديث التي احتج
بها الامامية في النص على علي رضي الله عنه وان الامة كفرت بهذا النص وارتدت وخالفت
امر الرسول عنادا منها قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال
من والاه وعاد من عاداه قالوا والموالي في اللغة بمعنى الولي فلما قال صلى الله عليه وسلم
فعلي مولاه بعد التعقب علم ان المراد بقوله مولاه انه احق بالخلافة واولى فوجب
ان يكون اراد بذلك الامامة وانه رضي الله عنه مفترض الطاعة ومنها قوله صلى الله
عليه وسلم لعلي انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي قالوا ومنزلة هرون معروفة
وهو انه كان مشاركا لموسى في النبوة ولم ذلك لعلي وكان خليفة فعلم ان المراد به الخلافة
الى غير ذلك مما احتجوا به على ما نبتدي ذكره ان شاء الله اجاب اهل السنة عن الحديث الاول
انه ليس بمتواتر وقد اختلف العلماء في صحته وقد طعن فيه ابو داود وابو حاتم رحمهما الله
واستدلا على بطلانه بان النبي صلى الله عليه وسلم قال جهينة ومزينة وغفار واسلم موالي
دون الناس كلهم ليس لهم مولى دون الله ورسوله قالوا فلو كان صلى الله عليه وسلم قال من
كنت مولاه فعلي مولاه لكان احد الخبرين وجواب ثاني وهو ان الخبر وان كان صحيحا
رواه ثقة عن ثقة فليس فيه ما يدل على امامة علي رضي الله عنه وانما يدل على فضيلته
وذلك ان المولى بمعنى الولي فيكون معنى الخبر من كنت وليته فعلي وليه قال الله عز وجل
في حق نبيه صلى الله عليه وسلم فان الله هو مولاه اي وليه وكان المقصود من الخبر ان
يعلم الناس ان ظاهر علي كباطنه وذلك فضيلة عظيمة لعلي رضوان الله عليه وجواب
ثالث وهو ان هذا الخبر ورد على سبب وذلك ان اسامة وعليا رضي الله عنهما اختصما فقال
علي لاسامة انت مولاي فقال اسامة لست مولاك بل انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه
وجواب رابع وهو ان عليا رضي الله عنه لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم في قصة الافك

يكرم

عائشة رضى الله عنها النساء سواها كثر شق ذلك عليها، فوجد اهل النفاق مجالا فطعنوا
على على رضى الله عنه واظهروا البراءة منه، فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا المقال رد القولهم
وتكذيبا لهم فيما اقدموا عليه من البراءة منه والطعن فيه، ولاجل هذا روى عن جماعة
من الصحابة رضى الله عنهم انهم قالوا ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ببغضهم لعلى رضى الله عنه ○ واما الحديث الثانى فلا خلاف بين العلماء ان النبى صلى الله عليه
وسلم لم يرد بمنزله هرون من موسى الخلافه بعده، ولا خلاف بين اهل العلم ان هرون مات
قبل موسى على ما ياتى فى سورة المائدة بس بيان وفاتهما، وان هرون ما كان خليفة، وانما كان
الخليفة يوشع بن نون، فلو اراد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله لعلى رضى الله عنه انت منى بمنزله
هرون من موسى الخلافة لقال انت منى بمنزله يوشع من موسى، وهو كان الخليفة بعده، فلما
لم يقل ذلك دل على انه صلى الله عليه وسلم لم يرد ذلك، وانما اراد انى استخلفك على اهلى فى حياتى
وغيبتى عن اهلى فى الجهاد وغيره، كما كان هرون خليفة موسى على قومه لما خرج الى مناجاة ربه،
وقال بعض العلماء ان هذا الحديث خرج على سبب، وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج
الى غزوة تبوك استخلف عليا رضى الله عنه فى المدينة على اهله وقومه فارجف به اهل النفاق،
وقالوا انما خلفه بغضا واستثقالا وقلا له، فخرج على رضى الله عنه لما بلغه ذلك عنهم حتى لحق
بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله ان المنافقين زعموا انك انما خلفتنى بغضا لى واستثقالا،
فقال صلى الله عليه وسلم كذبوا بل خلفتك كما خلف موسى هرون، وقال صلى الله عليه وسلم اما ترضى
يا على ان تكون منى بمنزله هرون من موسى، واذا ثبت انه صلى الله عليه وسلم اراد الاستخلاف
على زعم المنافقين فقد شاركه على رضى الله عنه فى هذه الفضيلة غيره من الصحابة لان النبى صلى
الله عليه وسلم استخلف فى كل غزاه غزاها رجلا من اصحابه منهم ابن ام مكتوم، ومحمد بن مسلمة،
وغيرهما من اصحابه رضى الله عنهم، على ان مدار هذا الخبر على سعد بن ابى وقاص، وهو خبر واحد،
وروى فى مقابله هذا الخبر لابى بكر وعمر رضى الله عنهما ما هو اولى منه، منها ان النبى
صلى الله عليه وسلم لما انفذ معاذ بن جبل الى اليمن قيل له يا رسول الله الا نفذ ابا بكر وعمر،
فقال صلى الله عليه وسلم انه لا غنا بى عنهما، ان منزلتهما من الراس بمنزله السمع والبصر من الراس،

وقال وهما وزيراى فى اهل الارض ۞ وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ابو بكر وعمر
بمنزلة هرون من موسى ۞ وهذا الخبر ورد ابتداء وخبر على ورد على سبب ۞ فوجب ان يكون
ابو بكر رضى الله عنه اولى من على بالخلافة والله اعلم ۞ واختلف العلماء رضى الله عنهم فيما
يكون الامام امامًا ۞ وذلك بثلاث طرق احدها النص ۞ وقد تقدم الخلاف فيه ۞
وقال به ايضا الحنابلة ۞ وجماعة من اهل الحديث ۞ والحسن البصرى ۞ وبكر بن اخت عبد الواحد
واصحابه ۞ وطايفة من الخوارج ۞ وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم نص على ابى بكر ۞ ونص ابو
بكر على عمر ۞ فاذا نص المستخلف على واحد معين كما فعل الصديق ۞ او على جماعة كما فعل عمر ۞
وهو الطريق الثانى ۞ ويكون التخيير اليهم فى تعيين واحد منهم كما فعل الصحابة رضى الله عنهم بعثمان ۞
الطريق الثالث اجماع اهل الحل والعقد ۞ وذلك ان الجماعة فى مصر من امصار المسلمين
اذا مات امامهم ولم يكن لهم امام ولا استخلف فاقام اهل ذلك المصر الذى هو حضرة الامام
وموضعه اماما لانفسهم اجتمعوا عليه ورضوه فان كل من خلفهم واماما منهم من المسلمين
فى الآفاق يلزمهم الدخول فى طاعة ذلك الامام اذا لم يكن معلنا بالفسق والفساد ۞ لانها
دعوة محيطة بهم يجب اجابتها ولا يسع احدا التخلف عنها لما فى اقامة امامين من اختلاف
الكلمة وفساد ذات البين ۞ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهم قلب
مومن الاخلاص لله ۞ ولزوم الجماعة ۞ ومناصحة ولاة الامر ۞ فان دعوة المسلمين من ورايهم
محيطة ۞ فان عقد الامامة واحد من اهل الحل والعقد فذلك ثابت ويلزم الغير
فعله ۞ خلافا لبعض الناس حيث قال لا ينعقد الا بجماعة من اهل العقد والحل ۞ ودليلنا
ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عقد البيعة لابى بكر ۞ ولم ينكر احد من الصحابة ذلك ۞ ولانه عقد ۞
فوجب ان لا تفتقر الى عدد يعقد ونه كساير العقود ۞ وقال الامام ابو المعالى من انعقد
له الامامة بعقد واحد فقد لزمت ۞ ولا يجوز خلعه من غير حدث وبغير امر ۞ قال وهذا
مجمع عليه ۞ فان تغلب من له اهلية الامامة واخذها بالقهر والغلبة فقد قيل
ان ذلك يكون طريقا رابعا ۞ وقد سيل عبد الله التسترى ما يجب علينا لمن غلب على امامنا
وهو امام قال تجيبه وتودى اليه ما يطلبك من حقه وتشكر فعاله ولا تفر منه ۞ وادنا

سهل بن عبد الله

ايتمنك على سر من امر الدين لم تفشه ۞ وقال بعض العلما ولو وثب على الامر من يصلح له
من غير مشورة ولا اختيار وبايع له الناس تمت له البيعه ۞ واختلف العلما فى الشهاده
على عقد الامامة فقال بعضهم انه لا يفتقر الى الشهود لان الشهادة لا تثبت الا بسمع قاطع
وليس هاهنا سمع قاطع ۞ وقال بعضهم يفتقر الى شهود ۞ فمن قال بهذا احتج بان قال لو لم
يعقد فيه الشهادة لادى الى ان يدعى كل مدع انه عقد له سرا ويودى الى الهرج والفتنة
فوجب ان تكون الشهادة معتبرة ويكفى فيها شاهدان ۞ خلافا للجبائى حيث قال باعتبار اربعة
شهود وعاقد ومعقود له لان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث جعل الخلافة شورى بين
ستة دل على ذلك ۞ ودليلنا انه لا خلاف بيننا وبينه ان شهادة الاثنين معتبره وما زاد مختلف
فيه ولم يدل عليه الدليل فوجب ان لا يعتبر والله تعالى اعلم ۞ فصل فى شرائط الامامة
وهى احد عشر شرطا الاول ان يكون الامام من صميم قريش لقول النبى صلى الله عليه وسلم الائمة
من قريش وفيه خلاف ۞ الثانى ان يكون ممن يصلح ان يكون قاضيا من قضاة المسلمين مجتهدا
لا يحتاج الى غيره فى الاستفتا فى الحوادث ۞ وهذا متفق عليه ۞ الثالث ان يكون ذا خبرة
ورأى حصيف بامر الحرب وتدبير الجيوش وسد الثغور وحماية البيضة وردع الامة
والانتقام من الظالم والاخذ للمظلوم ۞ الرابع ان يكون ممن لا يلحقه رقة فى اقامة
الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ولا قطع الابشار ۞ والدليل على هذا كله اجماع الامة
لانه لا خلاف بينهم انه لا بد من ان يكون ذلك كله مجتمع فيه ۞ ولانه هو الذى يولى القضاة
والحكام وله ان يباشر الفصل والحكم ويتفحص امور خلفايه وقضاته ۞ ولن يصلح لذلك
كله الا من كان عالما بذلك كله قيما به ۞ الخامس ان يكون حرا ۞ ولا خفا باشتراط
حرية الامام واسلامه وهو القول السادس ۞ السابع ان يكون ذكرا ۞ الثامن
ان يكون سليم الاعضا ۞ واجمعوا على ان المراة لا يجوز ان تكون اماما وان اختلفوا فى جواز كونها
قاضية فيما يجوز شهادتها فيه ۞ التاسع والعاشر ان يكون بالغا عاقلا ولا خلاف فى
ذلك ۞ الحادى عشر ان يكون عدلا ۞ لانه لا خلاف بين الامة انه لا يجوز ان تعقد
الامامة لفاسق ويجب ان يكون من افضلهم فى العلم لقول النبى صلى الله عليه وسلم ايمتكم

شفعاءكم فانظروا بمن تستشفعون ۞ وقول الله تعالى في وصف طالوت ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ۞ فبدا سبحانه بالعلم ثم ذكر ما يدل على القوة وسلامة
الاعضاء ۞ وقوله اصطفاه معناه اختاره ۞ وهذا يدل على شرط النسب وليس من شرطه
ان يكون معصوما من الزلل والخطأ ولا عالما بالغيب ولا افرس الامة ولا اشجعهم ولا
ان يكون من بني هاشم فقط دون غيرهم من قريش فان الاجماع قد انعقد على امامة ابي
بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وليسوا من بني هاشم ۞ والله اعلم ۞ قال العلماء وجور نصب
المفضول مع وجود الافضل خوف الفتنة وان لا يستقيم امر الامة وذلك ان الامام انما
نصب لدفع العدو وحماية البيضة وسد الخلل واستخراج الحقوق واقامة الحدود
وجباية الاموال لبيت المال وقسمها على اهلها ۞ واذا خيف باقامة الافضل الهرج
والفساد وتعطيل الامور التي لاجلها نصب الامام كان ذلك عذرا ظاهرا في العدول
عن الفاضل الى المفضول ۞ ويدل على ذلك ايضا علم عمر رضي الله عنه وسائر الامة وقت
الشورى بان الستة فيهم فاضل ومفضول وقد اختار العقد لكل واحد منهم اذا ادى
المصلحة الى ذلك واجتمعت كلمتهم عليه من غير انكار احد عليه ۞ وقال العلماء
رضي الله عنهم الامام اذا نصب ثم فسق بعد ابرام العقد فقال الجمهور انه تنفسخ امامته
ويخلع بالفسق الظاهر المعلوم لانه قد ثبت ان الامام انما يقام لاقامة الحدود واستيفاء
الحقوق وحفظ اموال الايتام والمجانين والنظر في امورهم الى غير ذلك مما تقدم ذكره وما
فيه من الفسق يقعده عن القيام بهذه الامور والنهوض فيها ۞ فلو جوزنا ان يكون فاسقا
ادى الى ابطال ما اقيم لاجله ۞ الا ترى في الابتدا انما لم يجز ان يعقد للفاسق لانه
يؤدي الى ابطال ما اقيم له ۞ وكذلك هذا مثله ۞ وقال اخرون من العلماء لا تخلع الا بالكفر
او بترك اقامة الصلاة او الترك الى دعائها او شيء من الشريعة لقول النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ولا ننازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم
من الله فيه برهان ۞ وفي حديث عوف بن مالك لا ما اقاموا فيكم الصلاة الحديث اخرجه مسلم ۞
وعن ام سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انه يستعمل عليكم امرا فتعرفون

وتنكرون فمن كره فقد برئ ومن انكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع قالوا يا رسول الله
الا نقاتلهم قال لا ما صلوا اى من كره بقلبه وانكر بقلبه اخرجه ايضا مسلم ۝ وقال
العلما رضى الله عنهم يجب على الامام ان يخلع نفسه اذا وجد فى نفسه نقصا يوثر فى الامامة
فاما اذا لم يجد نقصا فهل له ان يعزل نفسه وينعقد لغيره اختلف الناس فيه فمنهم من قال
ليس له ان يفعل ذلك وان فعل لم يخلع امامته ومنهم من قال له ان يفعل ذلك والدليل
على ان الامام اذا عزل نفسه ايعزل قول ابى بكر رضى الله عنه اقيلونى اقيلونى وقول الصحابة
لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فمن ذا يوخرك
رضيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا افلا نرضاك فلو لم يكن له ان يفعل ذلك لانكرت
الصحابة على ذلك فعلم ان للامام ان يفعل ذلك ولان الامام ناظر للغير فيجب ان يكون
حكمه حكم الحاكم والوكيل اذا عزل نفسه فان الامام هو وكيل الامة ونايب عنها ولما
اتفقوا ان على ان الوكيل والحاكم وجميع من ناب عن غيره فى شى له ان يعزل نفسه كذلك الامام
يجب ان يكون مثله والله اعلم ۝ قال العلما رضى الله عنهم واذا انعقدت الامامة باتفاق
اهل الحل والعقد او باحد على ما تقدم وجب على الناس كافة متابعته على السمع والطاعة
واقامة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن تابى عن البيعة لغير عذر
ومن تابى لغير عذر جبر وقهر ليلا تفترق كلمة المسلمين ۝ واذا بويع لخليفتين فاقتلوا
الآخر منهما رواه ابو سعيد الخدرى واخرجه مسلم وفى حديث عبد الله بن عمرو عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه سمعه يقول ومن بايع اماما فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه
ان استطاع فان جا آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر رواه مسلم ايضا وفى حديث عرفجة
فاضربوه بالسيف كاينا من كان وهذا ادل دليل على منع اقامة امامين ولان ذلك يودى
الى النفاق والمخالفة والشقاق وحدوث الفتن وزوال النعم لكن ان تباعدت الاقطار
وتباينت كالاندلس وخراسان فان ذلك يحوز على ما ياتى بيانه ان شا الله تعالى ۝ وقال
العلما رضى الله عنهم لو خرج خارجى على امام معروف العدالة وجب على الناس جهاده فان
كان الامام فاسقا والخارجى مظهرا للعدالة ينبغى للناس ان يسرعوا الى نصرة الخارجى حتى

يتبين امره فيما يظهر من العدل او يسفق كلمة الجماعة على خلع الاول ۞ وذلك ان كل من طلب
هذا الامر اظهر من نفسه الصلاح حتى اذا تمكن رجع الى عادته من خلاف ما اظهر ۞ وقال
العلماء رضي الله عنهم اما اقامة امامين او ثلاثة في عصر واحد وبلد واحد فلا يجوز اجماعا لما
ذكرناه ۞ والله تعالى هو الموفق ۞ وقال الامام ابو المعالي ذهب اصحابنا الى منع عقد الامامة
لشخصين في طرفي العالم ۞ ثم قالوا لو اتفق عقد الامامة لشخصين نزل ذلك منزلة تزويج
وليين امراة من زوجين من غير ان شعر احدهما بعقد الآخر ۞ قال والذي عندي فيه
ان عقد الامامة لشخصين في صقع واحد متضايق الخطط والمحاليف غير جايز ۞ وقد حصل
الاجماع عليه ۞ فاما اذا بعد المدى وتخلل بين الامامين شسوع النوى فللاجماع في
ذلك مجال وهو خارج عن القواطع ۞ وكان الاستاذ ابو اسحق يقول ذلك في اقليمين متباعدين
ليلا تتعطل حقوق الناس واحكامهم ۞ وذهبت الكرامية الى جواز نصب امامين قالوا
من غير فصل ۞ ويلزمهم اجازة ذلك في بلد واحد ۞ وصاروا الى ان عليا ومعاوية كانا
امامين قالوا واذا كانا اثنين في بلدين او ناحيتين كان كل واحد منهما اقوم بما في يديه واضبط
لما يليه ۞ ولانه لما جاز بعثة نبيين في عصر واحد ولم يؤد ذلك الى ابطال النبوة كانت الامامة
اولى ولا يودي ذلك الى ابطال الامامة ۞ والجواب ان ذلك جايز لو لا منع الشرع منه ۞
لقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما ۞ واجماع الامة على ذلك ۞
واما معاوية فلم يدع الامامة لنفسه ۞ وانما ادعى ولاية الشام بتوليه من قبله من
الايمة ۞ ومما يدل على هذا اجماع الامة في عصرهما على ان الامام احدهما ۞ ولا قال احدهما اني
امام ومخالفي امام ۞ فان قالوا العقل لا يحيل ذلك وليس في السمع ما يمنع منه ۞ قلنا اقوى
السمع الاجماع ۞ وقد وجد على المنع ۞ والله تعالى اعلم ۞ رجعنا الى التفسير ۞ ۞
قوله تعالى حاكيا عن الملايكة عليهم السلام قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
اي بالمعاصي ويسفك الدما يعني بغير حق كما فعل بنو الجان ۞ فان قيل كيف عرف الملايكة
ذلك حتى قالوا هذا القول مع ان الملايكة لا تعلم الا ما اعلمت ۞ ولا تسبق بالقول ۞ وذلك عام في
جميع الملايكة لان قوله تعالى لا يسبقونه بالقول خرج على جهة المدح لهم فكيف قالوا اتجعل

فيها من يفسد فيها. فقيل له لما سمعوا لفظ خليفة فهموا ان فى بنى ادم من يفسد اذ الخليفة
المقصود منه الاصلاح وترك الفساد لكن عمموا الحكم على الجميع بالمعصية فبين الرب
تعالى ان فيهم من يفسد ومن لا يفسد فقال تعالى بطيبا لقلوبهم انى اعلم ما لا تعلمون وحقق
ذلك بان علم ادم الاسما وكشف لهم عن مكنون علمه ۝ وقال بعضهم ان الملايكه قد
راث وعلمت ما كان من فساد الجن وسفكهم الدما وذلك لان الارض كان فيها الجن قبل خلق
آدم فافسدوا وسفكوا الدما فبعث الله اليهم ابليس فى جند من الملايكه فقتلوهم واحقوهم بجزاير
البحار ورووس الجبال فمن حينيذ دخل ابليس العزه فجا قول الملايكه اتجعل فيها من يفسد
فيها على جهة الاستفهام المحض هل هذا الخليفة على طريقة من يقدر من الجن امرلا. وقال
ابن زيد وغيره ان الله تعالى اعلمهم ان الخليفه سيكون من ذريته قوم يفسدون فى الارض
ويسفكون الدما فقالوا لذلك هذه المقالة اما على طريق التعجب من استخلاف من يعصيه
او من عصيان الله من يستخلفه فى ارضه وينعم عليه بذلك واما على طريق الاستعظام لذلك
والانكار للفعلين جميعا الاستخلاف والعصيان. وقال قتاده كان الله عز وجل اعلمهم
انه اذا جعل فى الارض خليفة افسدوا وسفكوا الدما فسالوا حين قال تعالى انى جاعل فى
الارض خليفه اهو الذى اعلمهم ام غيره وهذا قول حسن رواه عبد الرزاق قال اخبرا معمر
عن قتادة فى قوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها قال كان الله اعلمهم انه اذا كان فى الارض
خلق افسدوا فيها وسفكوا الدما فلذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وفى الكلام حذف
على مذهبه والمعنى انى جاعل فى الارض خليفه يفعل كذا وكذا فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
الذى اعلمتناه ام غيره والقول الاول ايضا حسن جدا لان فيه استخراج العلم واستنباطه
من مقتضى الالفاظ وذلك لا يكون الا من العلما وما بين القولين حسن فتامله ۝ وقيل
ان الملايكه لما راوا ان آدم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب
ومنهما يتولد الفساد وسفك الدما فلهذا قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الآيه. وقيل لما
خلقت النار خافت الملايكه وقالوا لمن خلقت هذه النار قال تعالى لمن عصانى فلما قال سبحانه
انى جاعل فى الارض خليفة قالوا ذلك. فان قيل الملايكه معصومون فكيف وقع منهم هذا

الاعتراض. قيل له ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه
منها قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها. ومن ذهب الى عصمتهم اجاب عنه بان هذا السؤال
انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض. فانهم تعجبوا من كمال حكم
الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم. ولهذا اجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون. ٥
وقيل ان العبد اذا كان مخلصا في حب سيده يكره ان يكون له عبد آخر يعصيه. فكان
سؤالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل. والله اعلم ٥ قوله تعالى ونحن
نسبح بحمدك اي ننزهك عما لا يليق بصفاتك. والتسبيح في كلامهم التنزيه من السوء على
وجه التعظيم. وروي عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عز وجل عن كل سوء. والتسبيح مشتق من السبح
وهو الجري والذهاب. بدليل قول الله عز وجل ان لك في النهار سبحا طويلا. فالمسبح جار
في تسبيح الله تعالى وتبرئته من السوء. وقال بعضهم في قول الملايكة ونحن نسبح بحمدك
اي نقول سبحان الله وبحمده. وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون. بدليل ما روي عن ابي ذر
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفاه الله
لملايكته او لعباده سبحان الله وبحمده ٥ وقال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما جا في القران
من التسبيح فالمراد منه الصلاة. فيكون معنى الاية ونحن نصلي لك. وقيل اصل التسبيح تنزيه
الله عما لا يليق بجلاله. وتقدم معناه. ومعنى قولهم بحمدك اي حامدين لك. او متلبسين
بحمدك. وقيل نسبح بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك. مسئلة
اختلف اهل التاويل في تسبيح الملايكة. فقال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما تسبيح الملايكة
صلاتهم. ومنه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين. وقيل تسبيحهم رفع
الصوت بالذكر. وقال قتادة تسبيحهم سبحان الله على عرفه في اللغة. وهذا القول هو
الصحيح لما رواه ابو ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل اي الكلام افضل
قال ما اصطفى الله لملايكته سبحان الله وبحمده. وتقدم ذكره ٥ وعن عبد الرحمن بن قرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به سمع تسبيحا في السموات العلى سبحان العلي

العلي الاعلا سبحانه وتعالى رواه البيهقي ٥ وقولهم ونقدس لك اى نعظمك ونمجدك
ونطهر ذكرك عما لا يليق بك مما نسبك اليه الملحدون وهذا قول مجاهد وابى صالح وغيرهما
وقال الضحاك وغيره معناه نطهر انفسنا لك ابتغاء مرضاتك وقال قتاده نقدس لك
اى نصلى والتقديس الصلاة لان الصلاة تشتمل على التعظيم والتقديس والتسبيح وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى ركوعه وسجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح
اخرجه مسلم من رواية عائشه رضى الله عنها ومنه قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة اى
المطهرة وقال تعالى الملك القدوس اى الطاهر ومثله بالوادى المقدس اى المطهر
وبيت المقدس لانه المكان الذى يتقدس فيه من الذنوب اى يتطهر وفى الحديث ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال لا قدست امة لا يوخذ من ضعيفها لقويها يريد لا طهرها
الله اخرجه ابن ماجه رحمه الله وقيل معنى نقدس لك اى نطهر انفسا لطاعتك وعبادتك
وقيل معناه ونطهر لاجلك قلوبنا من الشرك بك وابدانا عن معصيتك قال انى اعلم
مَا لا تعلمونَ من وجه المصلحة فلا تعترضوا على فى حكمى وتدبيرى وقيل انى اعلم فى
ذرية من استخلفه فى الارض انبيا واوليا وعلما وصلحا وقيل انى اعلم انهم يذنبون
فاغفر لهم ٥ واختلف اهل التاويل فى المراد بقول الله تعالى للملايكة انى اعلم ما لا تعلمون
فقال ابن عباس رضى الله عنهما كان ابليس لعنه الله قد اعجب ودخله الكبر لما جعله الله خازن
السما وشرفه فاعتقد ان ذلك لمزية له فاستخف الكفر والمعصية فى جانب آدم عليه السلام
وقالت الملايكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهى لا تعلم ان فى نفس ابليس خلاف ذلك فقال الله
لهم انى اعلم ما لا تعلمون ٥ وقال قتاده لما قالت الملايكه للرب جل وعلا اتجعل فيها من
يفسد وقد علم الله سبحانه ان فيمن يستخلف فى الارض انبيا وفضلا واهل طاعة قال لهم انى
اعلم ما لا تعلمون ٥ وروى عبد الصمد الغزنوى فى تفسيره ان الملايكه لما قالوا للرب
عز وجل اتجعل فيها من يفسد فيها خرجت نار من الحجب فاحرقت عشرة الاف منهم فاعرض
الرب عز وجل عمن بقى منهم حتى طافوا حول الكرسى سبع سنين يقولون لبيك اللهم لبيك اعتذارا
اليك فرضى عنهم عز وجل وقال انى اعلم ما لا تعلمونَ مما كان ومما يكون ومما هو كائن والله اعلم بمراده

فصل في معنى الخليفة • روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سال طلحة والزبير وكعبا
وسلمان رضي الله عنهم ما الخليفة من الملك • فقال طلحة والزبير ما ندري • فقال سلمان رضي الله عنه
الخليفة هو الذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية • ويشفق عليهم شفقة الرجل على
اهله • ويقضي بكتاب الله عز وجل • فقال كعب ما كنت احسب ان احدا في المجلس يعرف الخليفة
من الملك غيري • ولكن الله تعالى ملا سلمان علما وحلما وعدلا ٥ وروي ايضا ان عمر بن
الخطاب وهو خليفة قال لسلمان الفارسي رضي الله عنه املك انا ام خليفة • فقال له سلمان ان
انت جبيت من ارض المسلمين درهما او اقل او اكثر ووضعته في غير حقه فانت ملك • فبكى
عمر رضي الله عنه • وروى ان معوية رضي الله عنه كان يقول اذا جلس على المنبر يا ايها الناس
ان الخلافة ليست بجمع المال ولا تفريقه • ولكن الخلافة العمل بالحق والحكم بالعدل • واخذ
الناس بامر الله عز وجل ٥ فصل في ماهية الملايكة وخلق آدم عليه السلام ٥
قيل ان الملايكة اجسام لطيفة هوائية خلقوا من النور تقدر ان تتشكل باشكال مختلفة
مسكنهم في السموات ٥ عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى
ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تيط • ما فيها موضع اربع اصابع الا
وملك واضع جبهته ساجدا لله • اخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث غريب حسن ٥ واما
صفة خلق آدم عليه السلام فقال ابن عباس وابن مسعود ووهب بن منبه
وغيرهم من العلما في قصة خلق ادم عليه السلام لما اراد الله عز وجل ان يخلقه اوحى الى الارض اني
خالق منكِ خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن اطاعني ادخلته الجنة ومن عصاني
ادخلته النار • فقالت الارض يا رب اتخلق مني خلقا يكون للنار • قال نعم • فبكت الارض •
فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة • فبعث الله اليها جبريل عليه السلام لياتيه بقبضة
منها من احمرها واسودها وطيبها وخبيثها • فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الله
الذي ارسلك الى ان تاخذ مني شيا • فرجع جبريل عليه السلام الى مكانه • وقال يا رب استعاذت
بك مني فكرهت ان اقدم عليها • فقال الله عز وجل لميكايل عليه السلام انطلق فاتني بقبضة
منها • فانطلق لامر ربه • فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الذي ارسلك الى ان تاخذ

مطلب في خلقة آدم عليه السلام

منی شیا فرجع مکاسلا الی ربه عزوجل وقال یارب استعاذت بک منی فکرهت ان اقدم
علیها فقال الله عزوجل لعزرایل علیه السلام انطلق فاتنی بقبضة من الارض فلما اتاها
لیقبض منها قالت له اعوذ بعزه الله الذی ارسلک ان تاخذ منی شیاء فقال وانا اعوذ
بعزته ان اعصی له امراء وفی روایه قال لها وانا اعوذ بالله ان ارجع ولم انفذ امره وقبض
منها قبضة من جمیع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطیبها وخبیثها وصعد
بها الی السما فسأله ربه عزوجل وهو اعلم عما صنع فاخبره بما قالت له الارض وبما رد علیها
فقال الله عزوجل وعزتی وجلالی لاخلقن بما جئت به خلقا ولاسلطنک علی قبض ارواحهم لقله
رحمتک وفی روایه لما صعد عزرایل الی ربه بالقبضه قال الله عزوجل له اما رحمت
الارض حین تضرعت الیک فقال یارب رایت امرک اوجب من قولها فقال الله عزوجل انت
تصلح لقبض ارواح من اخلو منها ثم جعل الله سبحانه وتعالی ملک القبضة نصفها فی الجنة
ونصفها فی النار ثم ترکها ما شا الله ثم اخرجها فبلها حتی عادت طینا لازبا ای یلتزق
بعضه ببعض ثم ترکه مده حتی انتن فذلک قوله تعالی ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما
مسنون ای منتن ثم جعل ذلک الطین صلصالا ثم جعله جسدا والقاه علی باب الجنة
فمکث کذلک اربعین سنة فکانت الملایکه یمرون به فیفزعون ویعجبون من صفه صورته
لانهم لم یکونوا راوا مثله قط وکان اشدهم فزعا وتعجبا ابلیس لعنه الله فکان اذا مر به یضربه
فیصوت کما یصوت الفخار تکون له صلصلة ویقول لامر ما خلق هذا ثم نظر الیه فاذا هو
اجوف فقال هذا خلق لا یتمالک ودخل من فمه وخرج من دبره وقال للملایکه لا ترهبوا من
هذا فانه اجوف ثم قال لهم ارایتم ان فضل هذا علیکم ما تصنعون قالوا نطیع ربنا عزوجل
ولا نعصیه فقال ابلیس فی نفسه لئن فضل علی لاعصینه ولئن فضلت علیه لاهلکنه
فلما اراد الله عزوجل ان ینفخ فیه الروح امرها ان تدخل فی جسد ادم فتطرب فرات
مدخلا ضیقا فقالت یارب کیف ادخل هذا الجسد الضیق قال الله عزوجل ادخلیه کرها
وستخرجی منه کرها فدخلت فی یافوخه فوصلت الی عینیه فجعل ادم ینظر الی سایر جسده
طینا فسارت الی ان وصلت الی منخریه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمین

وهي اول كلمه نطق بها آدم. فناداه الله عز وجل رحمك ربك يا يا محمد. ولهذا خلقتك.
وفي رواية لما دخل الروح في عينيه نظر بهما الى ثمار الجنة. فلما دخل في جوفه اشتهى
الطعام فوثب قبل ان يبلغ الروح عينيه عجلان الى ثمار الجنة. فذلك حين يقول الله عز وجل
خلق الانسان من عجل. فلما بلغت روحه الى ساقيه والقدمين استوى قائما نشر اسويا.
لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا واحشاء. وكسى لباسا من طفر يزداد جدة وحسنا
كل يوم. وجعل سبحانه في جسده تسعة ابواب في راسه سبعه. وهي الاذنان يسمع بهما.
والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما. والفم فيه اللسان يتكلم به. والاسنان يطحن بها
ما يا كله ويجد لذة المطعومات به. وبابين في اسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج
منهما ثفل طعامه وشرابه. وجعل سبحانه عقله في دماغه. وفكره وصرامته في قلبه.
وشرهه في كليته. وغضبه في كبده. ورغبته في ريته. وضحكه في طحاله. وفرحه
وحزنه في وجهه. فسبحان من جعله يسمع بعظم. ويبصر بشحم. وينطق بلحم. ويعرف
بدم. وركب فيه الشهوه. وحجزه بالحيا. وروى البخاري ومسلم عن ابي هريره رضي الله عنه
قال خلق الله ادم عليه السلام وطوله ستون ذراعا. ثم قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكه
فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحيه ذريتك. فقال السلام عليكم. فقالوا السلام عليك
ورحمة الله فزادوه ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صوره آدم عليه السلام فلم يزل الخلق
ينقص حتى الآن. وروى مسلم عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما صور الله آدم عليه السلام تركه ما شاء الله ان يتركه. فجعل ابليس يطيف به ينظر ما هو.
فلما راه اجوف عرف انه لا يتمالك. وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض.
فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود. وبين ذلك والحزن والخبيث
والطيب. اخرجه الترمذي وابو داود رحمهما الله. والله تعالى اعلم. قوله عز وجل.
وعلم آدم الاسماء كلها قال المفسرون علم معناه عرف. وتعليمه هنا الهام علمه
ضرورة. ويحتمل ان يكون بواسطة ملك وهو جبريل عليه السلام على ما ياتي بيانه. وقال علما

صلى الله عليه وسلم

الصوفيه علمها بتعليم الحق اياه وحفظها حفظه عليه ونسي ما عهد اليه لانه وكله فيه
الى نفسه فقال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وقال ابن عطا
لو لم يكشف لآدم علم تلك الاشيا لكان اعجز من الملايكه والاخبار عنها وهذا واضح والله اعلم
قال المفسرون وآدم عليه السلام يكنى ابا البشر وقيل يكنى ابا محمد يعني محمدا خاتم الانبيا
صلوات الله عليه وقيل كنيته في الارض ابو البشر وفي الجنة ابو محمد واختلف العلما
في اشتقاق اسم ادم فقال بعضهم انما سمي آدم لانه خلق من اديم الارض وادمة الارض وادیمها
وهو وجهها فسمي بما خلق منه وقيل سمي ادم لانه كان آدم اللون مشوب من الادمة وهي
السمره وقيل ان الادمة هي البياض وان آدم عليه السلام كان ابيض من قولهم ناقة
آدما اذا كانت بيضا والصحيح انه مشتق من اديم الارض وهذا قول سعيد بن جبير انما سمي
آدم لانه خلق من اديم الارض وانما سمي انسانا لانه نسي وقوله تعالى وعلم آدم الاسما
كلها قال المفسرون لما خلق الله عز وجل ادم عليه السلام وتم خلقه علمه اسما الاشيا
وذلك ان الله عز وجل لما قال للملايكه اني جاعل في الارض خليفة قالوا فيما بينهم ليخلق ربنا
ما شا فلن يخلق خلقا افضل ولا اكرم عليه منا وان كان خيرا منا فنحن اعلم منه لانا خلقنا
قبله ورايناما لم يره فلما اعجبوا بعلمهم وعبادتهم فضل الله عز وجل آدم عليهم بالعلم
فعلمه الاسما كلها واختلف العلما في الاسما التي علمها الله لادم عليه السلام فقال
ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير علمه اسما جميع الاشيا كلها جليلها وحقيرها
حتى القصعة والقصيعه وقال مقاتل خلق الله كل شي الحيوان والجماد وغير ذلك ثم علم
آدم اسماها وقال له يا آدم هذا فرس هذا حمار هذا بغل هذا بعير هذه شاة هذا كذا هذا
كذا حتى اتى على اخرها ثم عرض تلك الشخوص المسميات على الملايكه وقيل ان الله تعالى علمه
اسما الملايكة وقيل علمه اسما ذريته وقيل علمه اللغات كلها واختلف المفسرون ايضا
هل عرض على الملايكه اشخاص الاسما او الاسما دون الاشخاص فقال ابن مسعود وغيره
عرض عليهم الاشخاص بدليل قوله عرضهم وقوله انبيوني باسما هولا وقال ابن عباس وغيره
عرض الاسما وقال ابن عطيه والذي يظهر ان الله تعالى علم آدم الاسما وعرض عليه مع ذلك

الاشخاص اشخاصا ثم عرض تلك على الملايكه وسالهم عن سمياتها التى قد تعلمها ثم ان
ادم قال لهم هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا • واختلفوا ايضا فى زمن عرضهم على قولين احدهما
انه عرضهم بعد ان خلقهم • الثانى انه صورهم لقلوب الملايكه ثم عرضهم • واختلف
العلما فى اول من تكلم باللسان العربى • فقال كعب الاحبار رضى الله عنه ان اول من وضع
الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها وتكلم بالالسنة كلها ادم عليه السلام • ورُوى
عن كعب الاحبار من وجه حسن قال اول من تكلم بالعربيه جبريل عليه السلام • وهو الذى
القاها على لسان نوح عليه السلام • والقاها نوح على لسان ابنه سام • ورُوى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال اول من فُتق لسانه بالعربيه المبينه اسماعيل عليه السلام •
وهو ابن عشر سنين • ورُوى ايضا ان اول من تكلم بالعربيه يعرُب بن قحطان •
وقد روى غير ذلك • والصحيح ان اول من تكلم باللغات كلها من البشر ادم عليه السلام •
والقران يشهد له قال الله عز وجل وعلم ادم الاسما كلها • واللغات كلها اسما فهى داخلة
تحته • وبهذا جات السنة قال النبى صلى الله عليه وسلم وعلم آدم الاسما كلها حتى القصعة
والقصيعه • وما ذكروه يحتمل ان يكون المراد به اول من تكلم بالعربيه من ولد ابرهم اسمعيل
عليه السلام • وكذلك ما سواه • وكذلك جبريل عليه السلام اول من تكلم بها من الملايكه والقاها
على لسان نوح بعد ان علمها الله ادم او جبريل على ما تقدم • والله تعالى اعلم • وقوله
تعالى ثم عرضهم يعنى تلك الاشخاص • قال العلما وانما قال تعالى عرضهم ولم يقل عرضها •
لان المسميات اذا جُمعت من يعقل وما لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلا عليهم •
كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور • وقوله تعالى على الملآيكه فقال تعجيزا لهم
انبيُونى اى اخبرونى باسما هؤلآ يعنى تلك الاشخاص ان كنتم صادقين انى لم اخلق خلقا
الا كنتم افضل منهم واعلم • وقيل ان كنتم صادقين ان الخليفة الذى اجعله فى الارض يفسد
فيها ويسفك الدما يعنى فكيف تدّعون علم ما لم يكن بعد وانتم لا تعلمون علم ما ترون
وتعاينون • فقالت الملايكه اقرارا بالعجز واعتذارا سبحانك اى تنزيها لك عن الاعتراض
عليك فى حُكمك وتدبيرك لا علم لنا الا ما علمتنا اى انك اجل من ان نحيط بشى من علمك الا ما

علمتنا انک انت العلیم ای بخلقک ۰ وهو من اسما الصفات التامة وهو المحیط بکل المعلومات
الحکیم ای فی امرک ۰ والحکیم له معنیان احدهما انه القاضی العدل ۰ والثانی المحکم للامور
کی لا یتطرق الیها الفساد ۰ قال العلما رضی الله عنهم الواجب علی من سئل عن علم ان
یقول ان لم یعلم الله اعلم ۰ او لا ادری اقتدا بالملایکه والانبیا والفضلا من العلما ۰ لکن
اخبر الصادق المصدوق صلوات الله علیه ان بموت العلما یقبض العلم فیبقی ناس جهال
یستفتون فیفتون برایهم فیضلون ویضلون ۰ واما ما ورد من الاخبار عن النبی صلی
الله علیه وسلم واصحابه والتابعین بعدهم رضی الله عنهم فی معنی الآیة ما روی البستی فی المسند
الصحیح له عن ابن عمر رضی الله عنهما ان رجلا سال النبی صلی الله علیه وسلم ای البقاع شر
قال لا ادری حتی اسال جبریل ۰ فسال جبریل ۰ فقال لا ادری حتی اسال میکائیل ۰ فجا وقال
خیر البقاع المساجد وشرها الاسواق ۰ وذکر الهیثم بن جمیل قال شهدت الامام مالک
ابن انس رحمة الله علیه سئل عن ثمانیه واربعین مسئلة ۰ فقال فی اثنتین وثلاثین منها لا اعلم
ادری ۰ ومثل هذا کثیر عن الصحابة والتابعین رضوان الله علیهم ۰ وانما یحمل علی ترک
ذلک الریاسة وعدم الانصاف فی العلم ۰ قال ابن عبد البر رحمه الله من برکة العلم
وآدابه الانصاف فیه ۰ ومن لم ینصف لم یفهم ولم یتفهم ۰ وقال الامام مالک رضی الله عنه
ما فی زماننا شی اقل من الانصاف ۰ قال مولفه الفقیر هذا فی زمن الامام مالک فکیف فی
زماننا الیوم الذی عم فیه الفساد وکثر فیه الطغام وطلب فیه العلم للریاسة لا للدرایة
بل للظهور فی الدنیا وغلبة الاقران بالمرا والجدال الذی یقسی القلب ویورث الضغن
وذلک مما یحمل علی عدم التقوی وترک الخوف من الله ۰ این هذا مما روی عن عمر بن الخطاب
رضی الله عنه وقد قال وهو یخطب ایها الناس لا تزیدوا فی مهور النسا علی اربعین اوقیه
ولو کانت بنت ذی العصبة یعنی یزید بن الحصین الحارثی ۰ فمن زاد القیت زیادته فی
بیت المال ۰ فقامت امراة من صوب النسا طویله فیها فطس ۰ فقالت ما ذاک لک یا ابن
الخطاب ۰ قال لها لم ۰ قالت لان الله عز وجل یقول وآتیتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه
شیا ۰ وفی روایة قالت له الله یعطینا وانت تمنعنا ۰ فقال عمر رضی الله عنه امراة اصابت

ورجل اخطا. وروى محمد بن كعب القرظى قال سال رجل علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه
عن مساله فاجاد فيها فقال له الرجل ليس كذلك يا امير المومنين ولكن كذا وكذا. فقال
على اصبتَ واخطاتَ وفوق كل ذى علم عليم ۝ وانشد يزيد بن الوليد بن عبد الملك
اذا ما تحدثتُ فى مجلس ... تناهى حديثى الى ما علمتُ
ولم اَعْدُ علمى الى غيره ... ولكن اذا ما تناهى سكتُ
رجعا الى التفسير قوله تعالى قال يا ادم انبيهم باسمايهم وذلك لما ظهر عجز
الملايكه فسمّى كل شى باسمه والحق كل شى بجنسه وذكر وجه الحكمة التى خلق لها.
وقال بعض المفسرين امر الله تعالى آدم عليه السلام ان يعلّمهم باسمايهم بعد ان عرضهم
على الملايكه ليعلموا انه اعلم بما سالهم عنه تنبيها على فضله وعلو شانه. فكان افضل
منهم بان قدّمه عليهم واسجدهم له وجعلهم تلامذته وامرهم بان يتعلموا منه فحصلت
له رتبة الجلال والعظمة بان حصل مسجودا له مختصا بالعلم ۝ قال العلماء وفى هذه الايه
تنبيه على فضل العلم واهله وان العلما ورثة الانبيا. وفى الحديث وان الملايكه لتضع
اجنحتها لطالب العلم اى تخضع وتتواضع. وانما تفعل ذلك لاهل العلم خاصة من بين
سايرعباد الله لان الله تعالى الزمها ذلك فى آدم عليه السلام فتادبت بذلك الادب.
فكلما ظهر لها علم فى بشر خضعت له وتواضعت وتذللت اعظاما للعلم واهله ورضى منهم
بالطلب له والشغل به. هذا فى الطلاب منهم فكيف بالاحبار فيهم والربانيين منهم ۝
واختلف العلما رضى الله عنهم فى هذا الباب ايما افضل الملايكه ام بنو ادم على قولين
فذهب قوم الى ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملايكه. والاوليا من البشر افضل
من الاوليا من الملايكه. وذهب اخرون الى ان الملا الاعلى افضل ۝ احتج من فضل
الملايكه على البشر بانهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون. لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يومرون. وقوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة
المقربون. وقوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى
ملك. وفى صحيح البخارى يقول الله عز وجل من ذكرني فى ملا ذكرته فى ملا خير منهم ۝ وهذا

نصٌّ. والله اعلم ۝ واحتج من فضل بني آدم على الملايكه بقوله تعالى ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ۝ بالهمز من برأ الله الخلق. وبقول النبي
صلى الله عليه وسلم ان الملايكه لتضع اجنحتها رضًى لطالب العلم. وبما جا في الاحاديث
ان الله تبارك وتعالى يباهي باهل عرفات الملايكه. ولا يباهي الا بالافضل والله اعلم ۝
وقال بعضهم ولا طريق الى القطع بان الانبيا افضل من الملايكه. ولا القطع بان الملايكه
خير منهم لان طريق ذلك خبر من الله عز وجل وخبر رسوله واجماع الامة وليس هنا شي من
ذلك. خلافا للقدرية ومن وافقهم حيث قالوا الملايكه افضل ۝ وسياتي لهذا مزيد بيان ان شاء الله
وقوله فلما انبأهم باسمائهم اي اخبرهم بها قال يعني الله عز وجل الم اقل لكم يا
ملايكتي اني اعلم غيب السموات والارض يعني ما كان فيها وما سيكون. وذلك ان الله تعالى
علم احوال آدم قبل ان يخلقه فلهذا قال لهم اني اعلم ما لا تعلمون. وفي هذه الاية دليل على
ان احدًا لا يعلم من الغيب الا ما علمه الله عز وجل. وان المنجمين والكهان وغيرهم كذبة.
وسياتي بيان هذا في سورة الانعام عند قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
ان شا الله تعالى ۝ وقوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال المفسرون
معناه اعلم ما تبدون من الخضوع والطاعة لادم. وما كنتم يكتمون اي تخفون في انفسكم من
العداوة له. وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو ان ابليس لعنه الله مر على جسد ادم وهو ملقى
بين مكه والطايف لا روح فيه فقال لامر ما خلق الله هذا. ثم دخل في فيه وخرج من دبره
وقال انه خلق لا نتمالك لانه اجوف. ثم قال للملايكه الذين معه ارايتم ان فضل هذا عليكم
وامر تم بطاعته ماذا تصنعون. قالوا نطيع امر ربنا عز وجل. فقال ابليس في نفسه والله لين
سلطت عليه لاهلكنه. ولين سلط علي لاعصينه. فقال الله عز وجل واعلم ما تبدون
يعني الملايكه من الطاعه. وما كتمون يعني ابليس من المعصية ۝ والله تعالى اعلم بمراد كلامه العظيم
قوله عز وجل واذ قلنا للملايكه اسجدوا لادم قال المفسرون معناه
اذكر يا محمد اذ قلنا لادم. قال العلما قال الله عز وجل واذ قلنا ولم يقل واذ قلت لان الجبار
العظيم يخبر عن نفسه بفعل الجماعة تفخيما واشارة بذكره. واختلفوا هل هذا خطاب مع الملايكه

الذين كانوا سكان الارض ام لا. والصحيح انه خطاب مع جميع الملايكة. بدليل قوله تعالى
فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس. والسجود فى كلام العرب معناه التذلل والخضوع.
قال الشاعر. بجمع تضل البلق فى حجراته. ترى الاكم فيها سجدا للحوافر.
والاكم هى الجبال الصغار. جعلها سجدا للحوافر لقهر الحوافر اياها وانها لا تمتنع عليها.
ويقال اضاعين فاترة عن النظر. وغاية السجود وضع الجبهة بالارض. واستدل
من فضل آدم وبنيه بقول الله تعالى للملايكة اسجدوا لادم. قال وذلك يدل على انه
افضل منهم. والجواب ان معنى قوله اسجدوا لادم اى اسجدوا مستقبلين وجه ادم.
وهذا كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس اى عند دلوك الشمس. وكقوله تعالى فاذا
سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين اى فقعوا الى عند اتمام خلقه ومواجهتكم
اياه ساجدين. فان قيل ما الحكمة فى الامر بالسجود لادم عليه السلام. فقل له
ان الملايكة لما استعظموا تسبيحهم وتقديسهم امرهم سبحانه بالسجود لغيره. ليريهم
استغناءه عنهم وعن عبادتهم. وقال بعضهم الحكمة فى الامر بالسجود لادم ان الملايكة
عيروه واستضعفوه ولم يعرفوا خصايص الصنع به فامرهم الله بالسجود له تكريما.
وقال بعضهم يحتمل ان الله تعالى امرهم بالسجود له معاقبة على قولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها لما قال لهم انى جاعل فى الارض خليفة. وكان تعالى علم منهم انه ان خاطبهم انهم قايلون
هذا فقال لهم انى خالق بشرا من طين وجاعله خليفة. فاذا نفخت فيه من روحى فقعوا
له ساجدين. والمعنى ليكون سجودكم له عقوبة لكم فى ذلك الوقت على ما انتم قايلون الآن.
فان قيل فان ابن عباس رضى الله عنه قد استدل على فضل البشر بان الله تعالى اقسم بحياة
رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى لعمرك. وامتنه من العذاب بقوله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر. وقال تعالى للملايكة ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم. قل له انما لم يقسم الله تعالى بحياة الملايكة كما لم يقسم بحياة نفسه سبحانه
فلم يقل لعمرى. واقسم بالسما والارض. ولم يدل على انهما ارفع قدرا من العرش والجنان
السبع. واقسم تعالى بالتين والزيتون. واما قوله تعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه

فهو نظير قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام لئن اشركت ليحبطن عملك فليس فيه اذا دلالة والله اعلم ۝ واختلف العلما ايضا في كيفية سجود الملايكة لآدم بعد اتفاقهم على انه لم يكن سجود عبادة فقال الجمهور كان هذا امرا للملايكة بوضع الجباه على الارض لآدم كالسجود المعتاد في الصلاة لانه الظاهر من السجود في العرف والشرع وعلى هذا قيل كان ذلك السجود تكريما لآدم واظهارا لفضله وطاعة لله تعالى وكان ادم كالقبلة لنا ومعنى قوله اسجدوا لادم اى اسجدوا الى آدم كما يقال صلى للقبلة اى صلى الى القبلة وقال بعضهم لم يكن هذا السجود المعتاد اليوم الذى هو وضع الجبهة على الارض ولكنه مبقى على اصل اللغة فهو من التذلل والانقياد ومعناه اخضعوا لادم واقروا له بالفضل فسجدوا اى امتثلوا ما امروا به والصحيح ان السجود كان لادم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجباه على الارض وانما الانحنا وكان سجود تحيته وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قول الله تعالى وخروا له سجدا فلما جا الاسلام ابطل ذلك بالسلام وفي سجود الملايكة لادم معنى الطاعة لله تعالى وامتثال امره كما تقدم ۝ وقال العلما في هذه الآية دليل لمذهب اهل السنة في تفضيل الانبيا على الملايكة ۝ واختلفوا ايضا هل كان ذلك السجود خاصا بادم عليه السلام فلا يجوز السجود لغيره من جميع العالم لله تعالى ام كان جايزا بعده الى زمان يعقوب عليه السلام لقوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام ورفع ابويه على العرش اى على سرير الملك وخروا له سجدا فكان آخر ما ابيح من السجود للمخلوقين والذى عليه اكثر العلما ان السجود كان مباحا في ساير الاعصار الى عصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وان اصحابه رضى الله عنهم قالوا له حين سجدت له الشجره والجمل نحن يا رسول الله اولى بالسجود لك من الشجره والجمل الشارد فقال لهم صلى الله عليه وسلم لا ينبغى ان يسجد لاحد الا لله رب العالمين ورروى ابن ماجة في سننه والبيهقى في صحيحه عن ابى واقد الليثى قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا فقال يا رسول الله قدمت الشام فرايتهم يسجدون لبطارقتهم واساقفتهم فاردت ان افعل ذلك بك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم فلا تفعل فاني لو

هوه

رؤسايهم

البطريق

امرت

امرت شايسجد لشئ لامرت المراة ان تسجد لزوجها لا تؤدى المراة حق ربها حتى تؤدى
حق زوجها حتى لو سالها نفسها وهى على قتب لم تمنعه ٥ هذا لفظ البستى ٥ قال ومعنى القتب
ان العرب يعز عندهم وجود كرسى لاجل الولادة فيحاون نساهم على القتب عند الولادة ٥
وفى بعض طرق معاذ رجبل رضى الله عنه ونهى صلى الله عليه وسلم عن السجود للبشر وامر
بالمصافحة ٥ قال بعض العلما وهذا السجود المنهى عنه قد اتخذه جهال الصوفية عادة
فى سماعهم وعند دخولهم على بعض المشايخ واستغفارهم فترى الواحد منهم اذا اخذه الحال
يسجد للاقدام بجهله سوا كان للقبله او غيرها جهالة منهم وهذا لا يليق فليجتنب والله اعلم
وقوله تعالى فسجدوا يعنى الملايكه الا ابليس قال المفسرون سمى ابليس لانه ابلس
من رحمة الله اى يئس منها وكان اسمه عزازيل بالسريانية واسمه بالعربية الحارث فلما
عصى غيرت صورته وغير اسمه فسمى ابليس ٥ واختلف اهل التفسير فى ابليس هل كان
من الملايكه ام من الجن فقال الحسن ما كان من الملايكه ولكنه كان من الجن وهذا قول مقاتل
وشهر بن حوشب ٥ وقال على ابن ابى طالب وابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابه رضى الله عنهم
انه كان من الملايكه ٥ وهذا قول الجمهور ٥ وجه قول الحسن ومقاتل قول الله تعالى كان من
الجن ففسق عن امر ربه ٥ وايضا قوله تعالى حاكيا عن ابليس خلقتنى من نار والجان هم الذين خلقوا من نار ٥ قال الحسن كان ابليس ابو
الجن كما ان آدم ابو البشر ولم يكن ملكا ٥ وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين كانوا فى
الارض وقاتلتهم الملايكه فسبوه صغيرا وتعبد مع الملايكه وخوطب فيكون الاستثنا على
هذا منقطعا ومعناه لكن ابليس ٥ ولان الله تعالى وصف الملايكه بقوله لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما تومرون ٥ وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ٥ وقوله لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون ٥ وقوله وهم من خشيته مشفقون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ٥
فوصفهم سبحانه بالطاعة ٥ فلو كان اللعين من الملايكه لاطاع ربه عز وجل ٥ ولان له ايضا نسلا
وذرية بدليل قول الله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دونى ٥ وليس للملايكه نسل ولا
ذرية ولا اكل ولا شرب ٥ ووجه قول الجمهور ان ابليس كان من الملايكه الا استثنا ٥

مراده بقتل رجل بسجدة للاقدام وظن من يفعل ذلك ان بعض الناس اليوم يقول ما قاله ولكن ان بعض الناس اليوم

ميز الحرث وهو الدرس

مطلب احوال ابليس

والاصل في المستثنى ان يكون من جنس المستثنى منه وهذا هو ظاهر الآية ۝ وقال ابن عباس
رضي الله عنه كان ابليس من اولي الاجنحة الاربعة ثم ابلس بعد ۝ وقال قتادة كان من افضل
صنف من الملايكة يقال لهم الجنة ۝ وقال ابن عباس ايضا كان ابليس من افضل ملايكة فلما
عصى الله تعالى غضب عليه فلعنه وصار شيطانا ۝ وقال سعيد بن جبير ان الجن سبط
من الملايكة خلقوا من نار وابليس منهم ۝ وخلق معانن الملايكة من نور ۝ والجواب
عن قول اهل المقالة الاولى ان قول الله تعالى كان من الجن معناه صار من الجن ۝ ولا يمتنع
ان يخرج ابليس من الملايكة لما سبق في علم الله تعالى لشقاوته عبد لامنه سبحانه لا يسال عما
يفعل ۝ وليس ايضا في خلقه من نار ولا في تركيب الشهوة حين غضب عليه ما يدفع انه من
الملايكة ۝ وقال الزاهدي رحمه الله ولا يستنكر ان الله تعالى خلق بعض الملايكة من النار
وبعضا من النور فخلق ابليس من النار على انه يجوز ان يكون معنى قول ابليس خلقتني من نار
اي من نور وهذا كقول موسى عليه السلام اني آنست نارا اي نورا ۝ قال بعض العلما وقول من
قال انه كان من الجن فسبي روي في مقابلته ان ابليس هو الذي قاتل الجن في الارض مع جند
من الملايكة ۝ وقال الزاهدي ايضا قوله تعالى كان من الجن اي كان من الملايكة ۝ سمي الملايكة
جنا لاستتارهم عن اعين الناس كالولد في البطن يسمى جنينا لاستتاره عن الناس ۝ وايضا
لما كان من خزان الجنة نسب اليها فاشتق اسمه من اسمها كما يسمى من كان بالمدينة مدنيا
ومن كان بمكة مكيا ۝ وكان ابليس من الجن اي الجنة ۝ وحكى النقاش عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان ابليس كان من حي من احيا الملايكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم ۝ وخلقت الملايكة
من نور ۝ قال المفسرون وكان ابليس من خزان الجنة ۝ وكان رئيس ملايكة السما وكان له
سلطانها وسلطان الارض ۝ وكان من اشد الملايكة اجتهادا واكثرهم علما ۝ وكان يسوس ما
بين السما والارض فرأى لنفسه بذلك شرفا وعظمة ۝ وذلك هو الذي دعاه الى الكبر فمسخه
الله شيطانا رجيما ۝ فانظروا رحمكم الله عاقبة الكبر ۝ وقوله انه دخل تحت خطاب السجود
لاجماعهم في الدار ۝ قلنا كان ينبغي ان تجب السجدة على من كان في الدار في ذلك الوقت ۝
واما قوله ايضا ان الله تعالى وصف الملايكة بالطاعة في آي كثيرة ۝ فقد قال بعض العلما

ان الملائكه على نوعين معصومون وهم الرسل وغير معصومين وهم العوام وان كان الغالب
عليهم العصمة ويدل عليه قول الله تعالى الله يصطفي من الملائكه رسلا قدلت الآية
على ان الكل غير معصومين وقوله لا يعصون الله ما امرهم راجع الى بعض الملائكه وهم
الموكلون على النار كما قال تعالى وقودها الناس والحجاره عليها ملائكة غلاظ شداد لا
يعصون الله ما امرهم ۝ وقوله ان له نسلا وذريه اجاب الجمهور انما كان له
ذلك بعد ما مسخ وخرج من صوره الملك فجاز ذلك في حقه لخصوصيته وان كان لا نسل
للممسوخ بعد ثلاثة ايام كما كان مخصوصا بالبقاء الى الانظار الى يوم البعث على ان معنى
قوله وذريته اى اتباعه والله تعالى اعلم بمراده ۝ وقوله تعالى أبى اى امتنع
من السجود فلم يسجد ومنه الحديث الصحيح عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا قرا ابن آدم السجده فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول يا ويله وفى روايه
يا ويلتى أمر ابن ادم بالسجود فسجد له الجنة وامرت بالسجود فابيت فلى النار احرجه
مسلم رحمه الله وقوله تعالى واستكبر قال العلما الاستكبار هو الاستعظام وكان
ابليس كره السجود في حقه واستعظمه في حق آدم وكان تركه السجود لآدم تسفيها لامر الله
تعالى وحكمته ولهذا عبر النبى صلى الله عليه وسلم بقوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة
من خردل من كبر فقال رجل يا رسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال
صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس وروى وغمص
الناس بالصاد المهمله رواه مسلم رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم الكبر بطر الحق اى لتسفيه الحق
وابطاله وقوله وغمط الناس اى احتقار الناس وازدراوهم ويقال غمطه وغمصه
يغمصه غمصا واغتمصه اى استصغره ولم يره شيا ويقال ايضا غمص فلان النعمه
اذا لم يشكرها ويقال غمصت عليه قولا قاله اى عبته عليه وقد صرح اللعين بهذا
المعنى وقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وقال لا اسجد لمن خلقت طينا
وقال ايضا لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون والمسنون هو المتغير
فكفره الله عز وجل بذلك قال العلما رضى الله عنهم فكل من سفه شيا من اوامر الله عز وجل

على لا يدخل الجنة من في قلبه

على من سفه شيا

او امر رسوله صلى الله عليه وسلم كان حكمه حكم ابليس وهذا لا خلاف فيه. وروى
ابن القاسم عن الامام مالك رحمه الله انه قال بلغني ان اول معصية كانت الحسد والكبر
حسد ابليس آدم وشح آدم في اكله من الشجرة. وقال قتادة حسد ابليس آدم على ما اعطاه
الله عز وجل من الكرامة فقال انا نار وهذا طيني. وكان بدو الذنوب الكبر ثم الحرص
حتى اكل آدم من الشجرة. ثم الحسد اذ حسد ابن آدم اخاه. وقوله تعالى وكان من
الكافرين قال اكثر المفسرين معناه كان في علم الله السابق من الكافرين الذين وجب لهم
الشقاوة وانه وجبت له النار لسابق علم الله بشقاوته بدليل ما روى عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن آدم السجدة فسجد اعتزل
الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية يا ويلتى امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة
وامرت بالسجود فعصيت فلي النار. وعن ابي العالية رحمة الله عليه قال لما ركب نوح
السفينة اذا هو بابليس على كوتلها والكوتل هو موخر السفينة فقال له ويحك يا عدو الله
قد غرق الناس من اجلك. قال ابليس فما تامرني قال تب الى الله عز وجل قال سل ربك
هل لي من توبة. فسال نوح ربه عز وجل عن ذلك فقال الله عز وجل توبته ان يسجد لقبر آدم
فاخبره نوح بذلك فقال يا نوح انا لم اسجد له حيا افاسجد له ميتا. وقال بعضهم في
قوله تعالى وكان من الكافرين اي كان في علم الله انه سيكفر. لان الكافر حقيقة والمومن حقيقة
هو الذي قد علم الله منه الموافاة. وهذا صحيح لقول النبي صلى الله عليه وسلم وانما الاعمال
بالخواتيم. وقيل ان ابليس عبد الله تعالى ثمانين الف سنة واعطي الرياسة والخزانة في الجنة
على الاستدراج كما اعطي المنافقون شهادة ان لا اله الا الله على اطراف السنتهم. وكما اعطي
بلعام الاسم الاعظم على طرف لسانه. فكان في رياسته والكبر في نفسه متمكن. قال ابن عباس
رضي الله عنهما كان ابليس يرى في نفسه ان له فضيلة على الملايكة بما عنده. فلذلك قال انا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين ولذلك قال الله عز وجل ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين اي استكبرت ولا كبر لك. والكبر لي وانا خلقته بيدي. فلذلك
قال الله عز وجل وكان من الكافرين. قال بعض المفسرين كان اصل خلقة ابليس من نار العزة

مطلب استباء ابليس قبر آدم عليه السلام

مطلب انما الاعمال بالخواتيم

مطلب حديث كبر

ولذلك حلف بالعزة فقال فبعزتك لاغوينهم اجمعين. فالعزة اورثته الكبر حتى راي
الفضل له على آدم عليه السلام. وروى عن ابى صالح رحمة الله عليه قال خلقت الملائكة
من نور العزة وخلق ابليس من نار العزة. والله اعلم. واختلف العلما رضى الله عنهم هل
كفر احد قبل ابليس او هو اول من كفر فقال بعضهم انه لم يكن قبل ابليس كافر وانه اول
من كفر. وقال بعضهم كان قبله قوم كفار وهم الجن الذين كانوا فى الارض. واختلفوا
ايضا هل كفر ابليس جهلا او عنادا. فمن قال انه كفر جهلا قال انه سلب عنه العلم قبل كفره.
ومن قال انه كفر عنادا قال كفر ومعه علمه. وهذا من هب اهل السنة اعنى القولين. ولا
خلاف انه كان عالما بالله تعالى قبل كفره. قال ابن عطيه والكفر مع بقا العلم مستبعد
الا انه عندى جايز لاستحيل مع خذلان الله لمن شا. نعوذ بالله من الخذلان ونساله
العافية ٥ قوله عز وجل وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة اى
اتخذاها مأوى ومنزلا. قال العلما وليس معنى الاسكان الاستقرار. لانه تعالى لم يقل اسكنا
الجنة لانه عليه السلام انما خلق لاجل عمارة الارض. قال المفسرون ولا خلاف ان الله عز وجل
اخرج ابليس من الجنة عن كفره وابعده عن الجنة وبعد اخراجه قال لآدم اسكن اى لازم
الاقامة واتخذها مسكنا. وفى قوله تعالى اسكن تنبيه على الخروج لان السكنى لا تكون
ملكا ولهذا قال بعض العارفين السكنى يكون الى مدة ثم ينقطع. فدخولهما فى الجنة كان
دخول سكنى لا دخول ثواب. واذا كان هذا فيكون فيه دلالة على ما يقوله الجمهور من العلما
ان من اسكن رجلا سكنى انه لا يملكه بالسكنى وان له ان يخرجه منه اذا انقضت مدة الاسكان.
وكان الشعبى رحمه الله يقول اذا قال الرجل دارى لك سكنى حتى تموت فهى له حياته وموته.
واذا قال دارى هذه اسكنها حتى تموت. فانها ترجع الى صاحبها اذا مات الساكن. ونحو
من السكنى العمرى الا ان الخلاف عند العلما فى العمرى اقوى منه فى السكنى. وسياتى الكلام
فى العمرى فى سورة هود ان شا الله تعالى. وقال [illegible] سمعت ابن الاعرابى يقول لم يختلف
العرب فى ان هذه الاشيا على ملك اربابها. ومنافعها لمن جعلت له العمرى والرقبى والافقار
والاجبال والمنحة والعرية والسكنى والاطراق. وهذه حجة للامام مالك واصحابه

مطلب خلق ابليس من نار العزة وخلق من نور العزة الملائكة

مطلب تخاذف

فى مكانا

فی انه لا یملک شی من العطایا الا المنافع دون الرقاب. وهذا قول اللیث بن سعد والقاسم
ابن محمد ویزید بن قسیط. والعمری هی اسکانک الرجل فی دارلک مدة عمره او عمرک.
ومثله الرقبی. وهو ان تقول ان مت قبلی رجعت الیّ وان مت قبلک فهی لک. والمراقبة
ان یرقب کل واحد منهما موت صاحبه. ولذلک اختلفوا فی اجازتها ومنعها فاجازها
ابو یوسف والامام الشافعی رحمهما الله. ومنعها الامام مالک والکوفیون رحمهم الله لان کل
واحد منهم یقصد الی عوض لا یدری هل یحصل له ام لا. وتمنی کل واحد منهم موت صاحبه.
وفی الباب حدیثان ایضا بالاجازة والمنع. رواهما ابن ماجة فی سننه. الحدیث الاول
رواه جابر بن عبد الله رضی الله عنهما قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم العمری جایزة لمن
اعمرها. والرقبی جایزة لمن ارقبها. ففی هذا الحدیث التسویة بین العمری والرقبی فی الحکم.
والحدیث الثانی رواه ابن عمر رضی الله عنهما قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لا رقبی.
فمن ارقب شیا فهو له حیاته ومماته. قال والرقبی ان تقول هو للآخر منی ومنک موتا.
فقوله صلی الله علیه وسلم لا رقبی نهی یدل علی المنع. وقوله فمن ارقب شیا فهو له
یدل علی الجواز. والله اعلم. واخرج الحدیث ایضا النسای. وذکر عن ابن عباس رضی الله عنهما
ان العمری والرقبی سواء. وقال ابن المنذر ثبت ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال
العمری جایزة لمن اعمرها. والرقبی جایزة لمن ارقبها. فقد صح ابن المنذر وهو حجة لمن قال
بان العمری والرقبی سواء. یروی عن علی بن ابی طالب رضی الله عنه وبه قال سفین الثوری
والامام احمد بن حنبل وانها لا ترجع الی الاول ابدا وبه قال اسحق بن راهویه. وقال
طاووس من ارقب شیا فهو سبیل المیراث. والله تعالی اعلم. والافقار ما خوذ من فقار
الظهر. یقال افقرتک ناقتی ای اعرتک فقارها لترکبها. ویقال افقرک الصید اذا امکنک
من فقاره حتی ترمیه. ومثله الاخبال. یقال اخبلت فلانا اذا اعرته ناقة یرکبها
او فرسا یغزو علیه. قال الشاعر. هنالک ان یستخبلوا المال یخبلوا.
والمنحة هی العطیة. والمنحة ایضا منحة اللبن. والمنیحة الناقة او الشاة تعطیها
الرجل آخر یحتلبها ثم یردها. قال رسول الله صلی الله علیه وسلم العاریة مودات. والمنیحة

مردودة والدين مقضي والزعيم غارم والزعيم هو الكفيل روى هذا الحديث ابو امامة
واخرجه الترمذي والدارقطني وغيرهما وهو صحيح ٥ والاطراق اعارة الفحل يقال
استطرق فلان فلانا فحله اذا طلبه ليضرب في ابله فاطرقه اياه وتقول العرب
ايما الطرقني فحلك اي اعرني فحلك ويقال طرق الفحل الناقة يطرق طروقا اذا
وقع عليها وطروقة الفحل انثاه يقال ناقه طروقة الفحل وهي التي بلغت ان يضربها
الفحل ٥ والله تعالى اعلم رجعنا الى التفسير قال العلماء رضي الله عنهم في قول الله عز وجل
لادم عليه السلام اسكن انت وزوجك لغة القران زوج بغير ها وقد تقدم القول فيه
وقد جاء في صحيح مسلم زوجة بها قال حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب قال حدثنا
حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
مع احدى نسايه فمر به رجل فدعاه فجاء فقال يا فلان هذه زوجتي فلانة فقال يا رسول
الله من كنت اظن به فلم اكن اظن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري
من ابن ادم مجرى الدم الحديث ٥ قال المفسرون وزوج آدم هي حوا عليها السلام وهو اول
من سماها بذلك حين خلقت من ضلعه من غير ان يحس آدم بذلك ولو تالم لذلك لم يعطف
رجل على امراته قط فلما انتبه آدم من منامه وجد حوا جالسة عند راسه فقال له
له ما هذه يا ادم قال امراة قال له وما اسمها قال حوا قال ولم سميت امراة قال لانها
من المرء اخذت قال ولم سميت حوا قال لانها خلقت من حي وروى ابن عباس وابن
مسعود ايضا ان الله تبارك وتعالى لما اسكن ادم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستانس به
ويجالسه فالقى الله عليه النوم فاخذ ضلعا من اضلاع شقه الايسر وهو الاقصر فخلق منه
زوجته حوا ووضع مكان الضلع لحما من غير ان يحس بذلك آدم ولم يجد الما ولو وجد الما
لما عطف رجل على امراة قط فلما استيقظ ادم من نومه راها جالسة كاحسن ما خلق الله و
فقال لها من انت قالت انا زوجتك حوا خلقني الله عز وجل لتسكن الي واسكن اليك فقالت
الملايكة عند ذلك امتحانا لعلم ادم عليه السلام يا آدم ما هذه قال امراة قالوا وما اسمها
قال حوا قالوا ولم سميت حوا قال لانها خلقت من حي قالوا اتحبها يا آدم قال نعم قالوا

على خلقة ١٩

على

لحوا الخبيثه ياحوا قالت لا، وفي قلبها اضعاف ما في قلبه من حبه، قالوا فلو صدقت امراة
في حبها لزوجها لصدقت حوا عليها السلام ۝ قال العلما المراه لا تزال عوجا لانها خلقت
من اعوج، وهو الضلع، بدليل ما روى في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان المراة خلقت من ضلع، وفي رواية وان اعوج شي في الضلع اعلاه،
لن تستقيم لك على طريقة واحدة، فان استمتعت بها استمتعت وبها عوج، وان ذهبت
تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها ۝ قال الشاعر ۝

هي الضلع العوجا لست تقيمها ۞ الا ان تقويم الضلوع انكسارها ۞
اتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى ۞ اليس عجيبا ضعفها واقتدارها ۞

قال المفسرون ومن هذا الباب استدل العلما على توريث الخنثى المشكل اذا تساوت فيه
علامات النسا والرجال، ومن اللحية والثدي والمبال ببعض الاعضا، فان نقصت اضلاعه
عن اضلاع المراة اعطي نصيب رجل، روى ذلك عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه، لخلق حوا من
احد اضلاع آدم، وسيأتي في المواريث ذكر هذه المسله ان شا الله ۝ واختلف العلما
رضي الله عنهم في الجنه التي اسكنها آدم عليه السلام بسكناها، فقال اهل السنه والجماعة انها
كانت جنة الخلد التي هي دار الجزا والثواب، لان الالف واللام للعهد، والجنة بين المسلمين
وفي عرفهم انها التي هي دار الجزا والثواب، وقيل انها جنه كانت في الارض بدليل انه
لو كانت الجنة التي هي دار الجزا والثواب لما اخرج منها، واجاب صاحب هذا القول عن قوله
تعالى قال اهبطا منها بان الهبوط هو التحول والانتقال، فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا، والقول
الاول هو الصحيح، وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع، وقال اهل الاهوا بل هي
ستان خلقه الله بارض فلسطين بين فارس وكرمان، وهذا القول باطل، وقال
بعض العلما ولا التفات الى ما ذهبت اليه المعتزله والقدرية من ان آدم عليه السلام
لم يكن في جنة الخلد، وانما كان في جنة بارض عدن، واستدلوا على مذهبهم بانها لو كانت
جنة الخلد لما وصل اليها ابليس لان الله تعالى يقول لا لغو فيها ولا تاثيم، لا يسمعون فيها
لغوا ولا كذابا، واستدلوا ايضا بان الجنه لا يخرج منها اهلها لقول الله تعالى وما هم منها

سطر عدم نسا لزوجها صداقه

سطر اعوجاج نسا

سطر اقوال في الجنة المراد منها

سطر اختلف

يخرس ۞ وقالوا ايضا ان جنة الخلد هي دار القدس قدست عن الخطايا والمعاصي تطهيرا
لها وقد لعن فيها اللعين وكذب واخرج منها ادم وحوا بمعصيتهما ۞ وقالوا ايضا كيف يجوز
على ادم مع مكانه من الله وكمال عقله ان يطلب شجرة الخلد وهو في دار الخلد والملك
الذي لا يبلى ۞ اجاب اهل السنة بان الله تعالى عرف الجنة بالالف واللام ۞ والمتعارف
في الجنة المعروفة انها جنة الخلد ۞ ولا استحيل في العقل دخول ابليس الجنة لتغرير ادم ۞ وقد
لقي موسى ادم عليه السلام فقال له موسى انت اشقيت الناس بذنبك واخرجتهم من الجنة ۞
فادخل الالف واللام ليدل على انها جنة الخلد المعروفة ۞ فلم ينكر ذلك آدم ۞ ولو كانت غيرها
لرد على موسى فلما سكت آدم على ما قرره موسى صح ان الدار التي اخرجهما الله منها بخلاف
الدار التي اخرجوا اليها ۞ واما ما احتجوا به من الآيات ۞ فذلك انما جعله الله فيها بعد
دخول اهلها فيها يوم القيامة ۞ ولا يمتنع ان تكون دار خلد لمن اراد الله تخليده فيها ۞
وقد يخرج منها من قضى عليه بالفناء ۞ وقد اجمع اهل التاويل على ان الملايكة يدخلون
الجنة ويخرجون منها ۞ وقد كانت مفاتيحها بيد ابليس ثم انتزعت منه بعد المعصية ۞
وقد دخلها ايضا النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا ثم خرج منها واخبر بما فيها وانها
هي جنة الخلد حقا ۞ واما قول المبتدعة ان الجنة دار القدس ۞ وقد طهرها الله من
الخطايا فجهل منهم ۞ وذلك ان الله تعالى امر بني اسرايل ان يدخلوا الارض المقدسة وهي
الشام ۞ واجمع اهل الشرايع على ان الله تعالى قدسها ۞ وقد شوهد فيها المعاصي والكفر
والكذب ۞ وقد حكى بعض المشايخ ان اهل السنة مجمعون على ان جنة الخلد هي التي
اهبط منها ادم عليه السلام ۞ فلا معنى لقول من خالفهم ۞ وقولهم ايضا كيف يجوز على
آدم في كمال عقله ان يطلب شجرة الخلد وهو في دار الخلد ۞ فيعكس عليهم ويقال كيف
يجوز على ادم في كمال عقله ان يطلب شجرة الخلد في دار الفنا ۞ هذا لا يجوز على من له ادنى
مسكة من عقل فكيف بآدم عليه السلام الذي هو ارجح الخلق عقلا على ما قاله ابو امامة
رضي الله عنه ۞ وروى الخزنوي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله تبارك
وتعالى بعث ملايكة من السما الى آدم عليه السلام ومعهم سرير من ذهب فحملوه على ذلك

السرير حتى صعد وابه الى السما ضحوة يوم الجمعة فانزلوه وسط الفردوس ولباسه
النور وعلى راسه اكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت. وفى رجليه خلخالان مكللان
بالدر والياقوت. وفى عنقه منطقه مكللة. وفى يديه سواران مكللان. وقال
الضحاك ايضا ان ادم عليه السلام دخل الجنة عند الضحوة واخرج منها ما بين الصلاتين
ومكث فيها نصف يوم من ايام الآخرة وهو خمسمائة عام. والله تعالى اعلم وقوله تعالى
وكلا منها رغدا اى واسعا كثيرا. وقال بعضهم الرغد هو العيش الدار الهنى الذى لا
عناء فيه. قال الشاعر ○ بينما المرء تراه ناعما ○ يأمن الاحداث فى عيش رغد
حيث شيتما اى كيف شيتما ومتى شيتما وابن شيتما. والمقصود منه الاطلاق فى الاكل
من الجنة بلا منع الا ما نهى عنه وهو قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة اى لا تاكلا
منها او لا تقربا ها باكل. قال ابن العربى سمعت الشاشى فى مجلس النظر يقول اذا قيل
لا تقرب بفتح الرا كان معناه لا تتلبس بالفعل. واذا كان بضم الرا كان معناه لا تدن منه.
وقال ابن عطية قال بعض الحذاق ان الله تعالى لما اراد النهى عن الشجرة نهى عنه بلفظ تقتضى
الاكل ومايدعوا اليه وهو القرب. قال وهذا مثال بين فى سد الذرايع. وقال
ارباب المعانى فى قوله تعالى ولا تقربا اشعار بالوقوع فى الخطية والخروج من الجنة وان
سكنى آدم فيها لا يدوم. لان المخلد لا يحظر عليه شئ اى لا يمنع عليه شئ. ولا يومر ولا
ينهى. والدليل على هذا قول الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة. فدل هذا على خروجه
من الجنة. واختلف العلما رضى الله عنهم فى تعيين هذه الشجرة التى نهى ادم عنها فقال ابن
عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير هى الكرمة. وقال قتادة وغيره هى السنبلة. وكانت
الحبة منها كَكُلْيَةِ البقرة. وهى احلى من العسل والين من الزبد. وقال بعضهم هى شجرة
التين. وقال بعضهم هى النخلة. وقال بعضهم هى شجرة العلم. وقيل هى شجرة الكافور.
وقيل ليس فى ظاهر الكلام ما يدل على التعيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود نفس تلك
الشجرة. وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه. والله اعلم. وقال بعضهم الصواب ان يعتقد
ان الله تعالى نهى آدم عن شجرة فخالف هو اليها وعصى فى الاكل منها. وقال القشيرى كان

ولذلك تغبر فى الدنيا بالندامة لاكلها من اجل ندم آدم عليه السلام على اكلها

والد

والدي رحمه الله يقول نعلم على الجملة انها كانت شجرة المحنة ۞ واختلفوا ايضا
في كيفية اكل آدم من الشجرة مع الوعيد المقترن بالقرب وهو قوله تعالى فتكونا من
الظالمين فقال بعضهم اكلا من غير الذي اشير اليها فلم يتناولا النهي واقعا على جميع
جنسها كان ابليس غره بالظاهر قال بعضهم وهي اول معصية عصى الله بها على هذا
القول وفيه ايضا دليل على ان من حلف لا ياكل من هذا الخبز فاكل من جنسه حنث ۞
وقال بعضهم ان آدم تاول النهي على وجه الندب وهذا مردود بقوله تعالى فتكونا
من الظالمين فقرن النهي بالوعيد وكذلك قوله تعالى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
وقال بعضهم ان ادم اكل من الشجرة ناسيا ومن الممكن انهما نسيا الوعيد قال بعضهم
وهذا القول هو الصحيح لاخبار الله عز وجل بذلك في كتابه حتما وجزما قال عز وجل ولقد
عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما لكن لما كانا لانبيا عليهم السلام يلزمهم من
التحفظ والتيقظ لكثرة معارفهم وعلومنا زلهم ما لا يلزم غيرهم كان تشاغله عن تذكر
النهي تضييعا فصار به مخالفا قال ابو امامة رضي الله عنه لو ان احلام بني ادم يعني
عقولهم منذ خلق الله الخلق الى يوم القيامة وضعت في كفة ميزان ووضع حلم آدم في
كفة اخرى لرجحهم وقد قال الله عز وجل ولم نجد له عزما قال بعض العلما وتول
ابي امامة هذا عام في جميع بني آدم وخص منه نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فانه
كان اوفر الناس عقلا وحلما وقال بعضهم يحتمل ان يكون المعنى لو ان احلام بني ادم من
غير الانبيا والله اعلم وقال بعضهم القول الاول ايضا حسن فان ادم وحوا ظنا ان المراد
العين وكان المراد الجنس وهو كقول النبي صلى الله عليه وسلم حين اخذ ذهبا وحريرا فقال
هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثهم وانما اراد به الجنس لا العين والله اعلم ۞
وتقال ان اول من اكل من الشجرة حوا باغوا ابليس اياها على ما بيناه ان شا الله
وان اول كلامه كان معها لانها وسواس المخدرة وهي اول فتنة دخلت على الرجال من النسا
فقال لهما ابليس ما منعتما من هذه الشجرة الا انها شجرة الخلد لانه علم منهما انهما يحبان
الخلد فاتاهما من حيث احباه حبك الشي يعمي ويصم فلما قالت حوا لادم عليه السلام

انكر عليها وذكرا العهد فالح ابليس على حوا والحت حوا على ادم عليه السلام الى قال له
انا آكل قبلك حتى ان اصابني شئ سلمت انت فاقدمت حوا فاكلت ولم يضرها فاتت ادم
فقال له كل فاني اكلت ولم يضرني فاكل آدم فما ابتلع لقمته حتى بدت لهما سوآتهما
وحصلا في حكم الذنب لقول الله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فجمعهما في النهي ولذلك لم
ينزل بهما ما نزل حتى وجد المنهي عنه منهما جميعا وخفيت على ادم هذه المسئلة ولهذا
قال بعض العلما ان من قال لامتيه اوزوجتيه ان دخلتما الدار فانتما طالقتان او
حرتان فان الطلاق والعتق لا يقع بدخول احديهما وهذا هو الصحيح لان النهي اذا كان
معلقا على فعلين لا يحقق المخالفة الا بهما لان الله تعالى قال ولا تقربا هذه الشجرة وهذا
نهي لادم وحوا وقوله فتكونا من الظالمين جوابه فلا يكونان من الظالمين حتى يفعلا فلما
اكلت حوا لم يصبها شئ لان المنهي عنه ما وجد كاملا وخفي هذا المعنى على ادم من قبل
فنسي هذا الحكم وطمع وهو معنى قول الله عز وجل ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي
وقيل نسي قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
واختلف العلما رضي الله عنهم في هذا الباب هل وقع من الانبيا صلوات الله عليهم صغائر
الذنوب يواخذون بها ام لا بعد اتفاقهم على انهم معصومون من الكبائر ومن كل رذيلة
فيها شين ونقص اجماعا وقال بعض الفقها والمتكلمين والمحدثين تقع منهم الصغاير
وقال جمهور الفقها من اصحاب الامام ابي حنيفه والامام مالك والامام الشافعي رضي الله عنهم
ان الانبيا صلوات الله عليهم معصومون من الصغاير كلها كعصمتهم من الكباير اجمعها لانا
امرنا باتباعهم في افعالهم وآثارهم وسيرهم امرا مطلقا من غير التزام قرينة فلو جوزنا
عليهم الصغاير لم يمكن الاقتدا بهم وقال الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني اختلف العلما
في الصغاير والذي عليه الاكثر ان ذلك غير جايز عليهم وجوزها بعضهم ولا اصل لهذه المقالة
وقال بعض المتاخرين ممن ذهب الى القول الاول الذي ينبغي ان يقال ان الله تعالى قد اخبر
بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها اليهم وعاتبهم عليها واخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا
منها وتابوا وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التاويل جملتها وان قبل ذلك آحادها

وكل ذلك لا يزري بمناصبهم وانما تلك الامور التي وقعت منهم على وجه الندور وعلى جهة الخطا والنسيان او تاويل دعى الى ذلك فهي الى غيرهم حسنات وفي حقهم سيئات بالنسبة الى مناصبهم وعلو اقدارهم اذ قد يواخذ الوزير بما يثاب عليه السايس فاشفقوا صلوات الله عليهم من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالامن والامان والسلامة قال الاسفرايني وهذا هو الحق ولقد احسن الجنيد حيث قال حسنات الابرار سيئات المقربين فهم صلوات الله عليهم وان كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم تخل ذلك بمناصبهم الشريفة ولا قدح في رتبهم بل قد تلافاهم مولاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه ۝

وقوله تعالى فتكونا من الظالمين يعني ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمتما انفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على الانبيا قال ظلم ادم نفسه بالمعصية واصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبيا حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعله وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل النبوة فان قيل هل يجوز وصف الانبيا بالظلم او بظلم انفسهم قيل له لا يجوز ان يطلق ذلك عليهم لما فيه من الزمر ۝ والله الموفق

قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها اي استزل ادم وحوا ودعاهما الى الزلة وهي الخطية وسياتي الكلام ايضا على عصمة الانبيا والجواب عما صدر منهم في سورة طه عند قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ونزيد فيه ايضاحا على ما تقدم ان شا الله تعالى وقري فازالهما الشيطان عنها اي نحاهما يقال ازلته فزال وقال ابن كيسان فازالهما من الزوال اي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة الى المعصية والقراة الاولى امكن في المعنى وتقال منه ازللته فزلّ ويدل على هذا قوله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وقوله تعالى فوسوس لهما الشيطان والوسوسة انما هي ادخالهما في الزلل بالمعصية وليس للشيطان قدرة على زوال احد من مكان الى مكان انما قدرته ادخاله في الزلل فيكون ذلك سببا الى زواله من مكان الى مكان بذنبه ۝ والله اعلم وقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه يعني من النعيم قال بعض العلما ولم يقصد ابليس اللعين اخراج آدم

من الجنة وانما قصد اسقاطه من مرتبته وابعاده كما ابعد هو لعنه الله فلم يبلغ مقصده
ولا ادرك مراده بل ازداد سخنة عين وغيظ نفس وخيبة ظن واجتبى الله صفوة آدم
وهداه وتاب عليه وجعله خليفته في ارضه بعد ان كان جارا له في داره فكم بين الخلف
والجار قال العلماء وسبب الاخراج الى ابليس لانه كان سببه واغوايه ولاخلاف بين
اهل التاويل وغيرهم في ان ابليس كان متولي اغواء ادم عليه السلام واختلفوا في كيفيه
ذلك فقال ابن مسعود وابن عباس وجمهور العلماء اغواهما مشافهة بدليل قول الله عز وجل
وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وقال بعضهم انه دخل في فم الحية وهي ذوات اربع كالبختية
وذكر بعضهم القصة في ذلك قال ان ابليس لعنه الله اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لآدم
وحوا فمنعته الخزنة فاتى الحية وكانت صديقه لابليس وكانت من احسن الدواب لها اربع
قوائم كقوايم البعير وكانت من خزان الجنة فسالها ان تدخله الجنة في فيها فادخلته
ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما رآهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها
وكان ابليس يقرب الباب فوسوس لهما وذلك ان ادم عليه السلام لما دخل الجنة ورأى
ما فيها من النعيم قال لو ان خلدا فاغتنم الشيطان من آدم هذه الكلمة واتاه من قبل الخلد
وقوايم وقال بعض المفسرين لما دخل ابليس الجنة وقف على آدم عليه السلام وهما لا يعلمان انه
ابليس فبكا وناح نياحة احزنتهما وهو اول من ناح فقالا له ما يبكيك قال ابكي عليكما
لانكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك في انفسهما واغتما
ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فابى
آدم ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا ان احدا يحلف
بالله كاذبا فبادرت حوا الى اكل الشجرة ثم ناولت آدم فاكل منها قال ابرهيم ان ادم
اورثنا بذلك الاكل حزنا طويلا وذكر الكلبي ايضا كيفية هذه القصة فقال لما نظر ابليس
الى ما اكرم الله به ادم حسده فاحتال ان يفتنه فعرض نفسه على كل دابة تدخل الجنة
ان يدخل في صورته فابين عليه حتى اتى الحية وكانت احسن دابة في الجنة خلقا وكانت
كهيئة البعير تمشي على اربع قوايم فنها من كل لون فلم ينزل اللعين يتدرجها حتى اطاعته

وحوا

فدخل بين لحييها وقام فى راسها فنادى يا آدم وحوا فاجاباه فقال ماذا امركما ربكما
وماذا نهاكما عنه قالا امرنا ان ناكل من شجر الفردوس كلها غير الشجرة الواحدة التى
فى وسط الجنة كيلا نموت فقال لهما ان الله قد علم انكما لستما تموتان موتا ولكن علم
انكما متى اكلتما من هذه الشجرة كنتما ملكين تعلمان الخير والشر او كنتما من الخالدين
وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين وقال لهما ايكما اكل قبل صاحبه كان هو المسلط عليه
فابتدراه وحوا الى الشجرة مسرعين فسقته حوا فقال لها ادم ويحك يا حوا اما تعلمين
ان الله عز وجل قد نهانا عن هذه الشجرة فقالت له اما تعلم سعة رحمة الله فاكلت منها
واطعمت ادم فلما وصل الى بطونهما تهافت عنهما لباسهما وطفقا يخصفان عليهما من
ورق الجنة قال ابن عباس قال الله عز وجل يا آدم الم يكن فيما ابحت لك من الجنة
منذ وحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا
قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش فيها الا كدا فاهبط من الجنة وعلم
صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ حصد ثم داسه ثم ذراه
ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد ○ وفى رواية اخرى
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آدم لما اكل من الشجرة التى نهى عنها قال الله عز وجل يا ادم
ما حملك على ما صنعت قال يارب زينته لى حوا قال فانى عقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا
تضع الا كرها ودميتها فى الشهر مرتين فرنت حوا عند ذلك فقال عليك الرنة وعلى
بناتك والرنة الصوت والله اعلم وقالت طائفة من العلماء ان ابليس لم يدخل الجنة الى ادم
بعد ان اخرج منها وانما اغوى بشيطانه وسلطانه ووساوسه التى اعطاه الله تعالى كما
قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وسياتى فى سورة
الاعراف ان ادم لما اكل من الشجرة تهافت عنه لباسه فبقى عريانا وطلب ما يستتر به
فتباعدت عنه اشجار الجنة وبكتوه بالمعصية فرحمته شجرة التين فاخذ هو وحوا
من ورقها وطفقا يخصفان عليهما اى يلزقان الورق بعضه الى بعض ويجعلاه على عوراتهما
قال بعض العلماء ولاجل ذلك ابتلى الله شجرة التين بالتعرى دون سائر الشجر والله تعالى اعلم

وذكر بعض المفسرين ان الحية كانت خادما لادم عليه السلام فى الجنة فخانته فان مكنت
عدو الله من نفسها واظهرت العداوة له هناك فلما اهبطوا تاكدت العداوه وجعل رزقها
التراب وقيل لها انت عدو بنى ادم وهم اعداؤك وحيث لقيك منهم احد تشدخ راسك
وروى ان ابليس قال للحية ادخلينى الجنة وانت فى ذمتى وكان ابن عباس يقول اخفروا
ذمة ابليس وروت سراء بنت نبهان الغنوية رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اقتلوا الحيات صغيرها وكبيرها واسودها وابيضها فان من قتلها
كانت له قدا من النار ومن قتلته كان شهيدا قال بعض اهل العلم انما كانت له قدا من النار
لمشاركتها ابليس واعانته على ضرر ادم وذريته فلذلك كان من قتل حية ككما قتل
كافرا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجتمع كافر وقاتله فى النار ابدا اخرجه
مسلم وغيره وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمنى وفى روايه فى غار بمنى فمرت حية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوها
وفى روايه فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا الى جحر فدخلته فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هاتوا بسعفة ونار فاضرموها عليه نارا قال بعض العلماء هذا الحديث يخص نهيه
صلى الله عليه وسلم عن المثلة وعن ان يعذب احد بعذاب الله قالوا فلم يبق لهذا العدو
حرمة حيث فاته حتى اوصل اليه الهلاك فان قيل فقد روى عن ابرهيم النخعى انه كره
ان تحرق العقرب بالنار وقال هو مثلة قيل له يحتمل انه لم يبلغه هذا الحديث عن النبى
صلى الله عليه وسلم وعمل على الاثر الذى جاء ان لا تعذبوا بعذاب الله فان قيل فقد
روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غار
بمنى وقد انزلت عليه والمرسلات عرفا فنحن باخذها من فيه رطبة اذ خرجت علينا حية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقاها الله شركم كما وقاكم شرها فلم يضرم نارا ولا احتال فى قتلها
قيل له يحتمل ان يكون لم يجد نارا فتركه ولم يكن الجحر بهيئة ينتفع بالنار هناك
مع ضرر الدخان وعدم وصوله الى الحيوان والله اعلم وقال العلماء رضى الله عنهم الامر

بقتل الحيات من باب الارشاد الى دفع المضرة المخوفة من الحيات فما كان منها متحقق
الضرر وجبت المبادرة الى قتله لقول النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوا الحيات وقوله
ايضا اقتلوا الابتر وذا الطفيتين فانهما يخطفان البصر ويسقطان الحبل فخصهما
صلوات الله عليه بالذكر مع انهما دخلا في العموم ونبه على ذلك بسبب عظم ضررهما
واما الذي لم يتحقق ضرره فما كان منها في غير البيوت فانه يقتل لظاهر الامر العام
ولان نوع الحيات غالبه الضرر فيستصحب ذلك فيه ولان نوعه كله مروع بصورته وبما
في النفوس من النفرة منه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الشجاعة
ولو في قتل حية فتجمع صلوات الله عليه على قتلها وقال صلى الله عليه وسلم فيما خرجه
ابو داود من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا اقتلوا الحيات فمن خاف
ثارهن فليس مني قال العلما رضي الله عنهم ما كان من الحيات في البيوت فلا نقتل حتى
يوذن بثلاثة ايام لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منها
شيا فآذنوه ثلاثا فان بدا لكم فاقتلوه وقد حمل بعض العلما هذا الحديث على المدينة
الشريفة وحدها لاسلام الجن بها قالوا ولا نعلم هل اسلم من جن المدينة احد ام لا وقال
الامام مالك رحمه الله ينهى عن قتل حيات البيوت في جميع البلاد وهو الصحيح لان الله عز
وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الآية
وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني
داعي الجن فذهبت معهم وقرات عليهم القران وفيه ايضا وسالوه الزاد وكانوا من جن
الجزيرة الحديث وسياتي بكماله في سوره الجن ان شا الله تعالى واذا ثبت هذا يقتل شي
من الحيات حتى تخرج وتنذر على ما ياتي بيانه وروى الائمة عن ابي السايب مولى هاشم
ابن زهره انه دخل على ابي سعيد الخدري في بيته قال فوجدته يصلي فجلست انتظر حتى
يقضي صلاته فسمعت تحريكا في عراجين في ناحية البيت فالتفت فاذا حية فوثبت
لاقتلها فاشار الي ان اجلس فجلست فلما انصرف اشار الى بيت في الدار فقال اترى هذا
البيت فقلت نعم فقال كان فيه منا فتى حديث عهد بعرس قال فخرجنا مع رسول الله

بعد ذلك صح

فلام

صلى الله عليه وسلم الى الخندق فكان ذلك الفتى يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بانصاف النهار فيرجع الى اهله فاستاذنه يوما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ
عليك سلاحك فاني اخشى عليك قريظة فاخذ الرجل سلاحه ثم رجع فاذا امراته بين البابين
قائمة فاهوى اليها الرمح ليطعنها به واصابته غيرة فقالت له اكفف عليك رمحك وادخل
البيت حتى تنظر ما الذى اخرجنى فدخل فاذا بحيه عظيمه منطوية على الفراش فاهوى اليها
بالرمح فانتظمها به ثم خرج فركزه فى الدار فاضطربت عليه فما يدرى ايتهما كان اسرع
موتا الحية ام الفتى قال فجينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له وقلنا ادع
الله يحييه فقال استغفروا لاخيكم ثم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منهم شيا
فآذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان ٥ وفى طريق اخر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم شيا منها فحرجوا عليه
ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر وقال لهم صلى الله عليه وسلم اذهبوا فادفنوا
صاحبكم ٥ قال العلما رضى الله عنهم لا يفهم من هذا الحديث ان الجان الذى قتله الفتى
كان مسلما وان الحان قتلته به قصاصا لانه لو سلم ان القصاص مشروع بيننا وبين الجن
لكن انما يكون فى العمد المحض وهذا الفتى لم يقصد ولم يتعمد قتل نفس مسلمة اذ لم يكن
عنده علم ذلك وانما قصد الى قتل ما سوغ له قتل نوعه شرعا فهذا قتل خطا ولا قصاص
فيه قال الاولى ان يقال ان كفار الجن او فسقتهم قتلوا الفتى بصاحبهم عدوا وانتقاما
وقد قتل ايضا سعد بن عبادة رضى الله عنه وذلك انه وجد ميتا فى مغتسله وقد
احضر جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلا يقول ولا يرون احدا قد قتلنا سيد
الخزرج سعد بن عباده ورميناه بسهمين فلم تخط فواده ٥ قال العلما وانما قال النبى
صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا ليبين طريقا يحصل به التحرز من قتل المسلم
منهم ويتسلط به على قتل الكافر منهم ٥ وروى ايضا من وجوه ان عائشة زوج النبى
صلى الله عليه وسلم قتلت جانا والحان هو الحيه الصغيرة فاريت فى المنام ان قائلا يقول
لها لقد قتلت مسلما فقالت رضى الله عنها لو كان مسلما لم يدخل على ازواج النبى صلى الله عليه

وسلم قال ما دخل عليك الا وعليك ثيابك واصبحت فامرت باثنى عشر الف درهم فجعلت فى سبيل الله وفى رواية قال ما دخل عليك الا وانت مستتره فصدقت واعتقت رقابا وقال الربيع رحمه الله من الحسنات التى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها هى التى تمشى ولا تلتوى ٥ واما صفة انذار الحيات فقال الامام مالك رحمه الله احب الى ان ينذر ثلاثة ايام قال عيسى بن دينار وان ظهر وانى اليوم مرارا ولا اقتصر على انذاره ثلاث مرات فى يوم واحد حتى يكون فى ثلاثة ايام وقيل يكفى ثلاث مرار لقول النبى صلى الله عليه وسلم فليوذنه ثلاثا وقوله ايضا حرجوا عليه ثلاثا ولان ثلاثا للعدد المونث فظهر ان المراد ثلاث مرات وقول الامام مالك اولى لقول النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام وهو نص صريح مقيد لتلك المطلقات ويحمل ثلاثا على ارادة ليالى الايام الثلاث قال الامام مالك ويكفى فى الانذار ان تقول اُحَرِّجُ عليكِ بالله واليوم الآخر ان لا تبدو لنا ولا تؤذينا وروى ثابت البنانى عن عبد الرحمن ابن ابى ليلى رحمة الله عليه انه ذكر عنده حيات البيوت فقال اذا رايتم منها شيا فى مساكنكم فقولوا انشدكم بالعهد الذى اخذ عليكم نوح عليه السلام وانشدكم بالعهد الذى اخذ عليكم سليمان عليه السلام فاذا رايتم منهن شيا بعد فاقتلوه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول انشدكن بالعهد الذى اخذ عليكن سليمان ان تؤذينا او تظهرن علينا والله تعالى اعلم وروى جبير بن نفير عن ابى ثعلبه الخشنى واسمه جرثوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجن على ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحه يطيرون فى الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يرحلون ويظعنون وروى ابو الدرداء رضى الله عنه واسمه عويمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الجن ثلاثة اثلاث فثلث كلاب وحيات وخشاش الارض وثلث ريح هفافة وثلث كبنى آدم لهم الثواب وعليهم العقاب وخلق الله الانس ثلاثة اثلاث فثلث لهم قلوب لا يفقهون بها واعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل وثلث اجسادهم كاجساد بنى آدم وقلوبهم قلوب الشياطين وثلث فى ظل الله عز وجل يوم لا ظل الا ظله ٥ واعلم ان ما كان

من الحيوان اصله الاذاية فانه يقتل ابتدا لاجل اذايته من غير خلاف كالحيه والعقرب
والفارة والوزغ وشبهه * وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس فواسق يقتلن
في الحل والحرم * وذكر الحديث * فالحية ابدت جوهرها الخبيث حيث خانت ادم عليه السلام
بان ادخلت ابليس الجنة بين فكيها * ولو كانت ابرزته ما تركه رضوان يدخل به * وقال
لها ابليس انت في ذمتي * فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها * فقال صلى الله عليه
وسلم اقتلوها وان كنتم في الصلاة * يعني الحية والعقرب * والوزغة * نفخت على نار ابرهيم
عليه السلام من بين سائر الدواب فلعنت * وهذا من نوع ما روى في الحية * وروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قتل وزغة فكانما قتل كافرا * وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قتل وزغا في اول ضربة كتبت
له مائة حسنة * وفي الثانية دون ذلك * وفي الثالثة دون ذلك * وفي رواية انه قال في اول
ضربة سبعين حسنة * والفارة ابدت جوهرها ان عمدت الى حبال سفينة نوح عليه
السلام فقطعتها * وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يقتل المحرم الحية والعقرب والحداة * والسبع العادي * والكلب العقور * والفويسقة
واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذت فتيلة لتحرق البيت * فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقتلها * والغراب ابدى جوهره حيث بعثه نبي الله نوح عليه
السلام من السفينة لياتيه بخبر الارض فترك امره واقبل على جيفة * وهذا كله في معنى
الحية ذكرناه * وسياتي لهذا الباب مزيد بيان ان شاء الله تعالى في التفصيل 2 سورة المايدة
وغيرها ان شاء الله تعالى * رجعنا الى التفسير * قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم
لبعض عدو * قال المفسرون هذا الخطاب لادم وحوا وابليس والحية * وهو قول ابن عباس *
والهبوط هو النزول من فوق الى اسفل * فاهبط ادم بسرنديب من ارض الهند بجبل يقال
له بوذ * ومعه درج الجنة فعلق بشجر بلك الارض واوديتها فامتلاما هناك طيبا * فمن ذلك
يوتى بالطيب من السنبل والصندل والعود والدارصيني وغيره * وكان السحاب يمسح راس
ادم عليه السلام فاورث اولاده الصلع * وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا. واهبطت حوا بجدة
وابليس بالابلة من اعمال البصرة والحية باصبهان. وقيل ببسان وقيل بسجستان
وسجستان اكثر بلاد الله حيات ولولا العرير بد مايا كلها ويفنى كثيرا منها لاخليت سجستان
من اجل الحيات ذكره ابو الحسن المسعودى رحمه الله ه واعلم ان اخراج الله تعالى ادم من
الجنة واهباطه منها عقوبة له لانه تعالى اهبطه بعد ان تاب عليه وقبل توبته وانما لم يكن ص
اهبطه اما تاديبا واما تغليظا للمحنة والصحيح فى اهباطه وسكناه فى الارض ما قد ظهر من
الحكمة الازلية فى ذلك وهى نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم
وعقابهم الاخروى اذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف وكانت تلك الاكلة سبب اهباطه
من الجنة ولله ان يفعل ما شاء وقد قال تعالى انى جاعل فى الارض خليفة وهذه
منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة وقد تقدمت الاشارة اليها مع انه عليه السلام
خلق من الارض. وانما قلنا انما اهبطه الله بعد ان تاب عليه لقوله تعالى ثانية قلنا اهبطوا
وساتى بيانه ه وقوله تعالى ولكم فى الارض مستقر اى موضع قرار ومتاع قال
العلما المتاع ما استمتع به من اكل ولبس وحياة وحديث وانس وغير ذلك ه ومنه سميت
متعة النكاح لان المراة تنتفع به ه وانشد سلمان بن عبد الملك حين وقف على قبر ولده
ايوب بعد دفنه قال ه وقفت على قبر غريب بقفرة متاع قليل من حبيب مفارق
وقوله تعالى الى حين يعنى الى وقت انقضا اجالكم وقيل الى وقت قيام الساعة ه
وقال الربيع بن انس الى حين يعنى الى اجل والحين الوقت البعيد ويطلق الحين ويراد به
المدة ومنه قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر اى مدة من الدهر ويطلق ايضا
ويراد به الساعة قال الله تعالى او تقول لما حين ترى العذاب اى ساعة ترى العذاب وقال
بعضهم الحين القطعة من الدهر كالساعة فما فوقها ومنه قوله تعالى فذرهم فى غمرتهم
حتى حين اى حتى يفنى آجالهم وقوله تعالى توتى اكلها كل حين اى كل سنة وقيل كل ستة اشهر
وقيل بل غدوة وعشية وقال الازهرى الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الازمان كلها
طالت ام قصرت والمعنى انه تنتفع بها كل وقت ولا ينقطع نفعها البته والحين ايضا الغدوة

والعشية ومنه قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وتقال احْيَنت
بالمكان اذا اقمت به حينا وتقال حان حِينُ كذا اى قرب قال الشاعر ٥
وان سُلُوّى عن جميلٍ لساعةٌ من الدهر ما حدثت ولا حَانَ حِينُها ٥ ولما اختلف
اهل اللغة فى الحين اختلف فيه ايضا علما الشريعة فقال الفرا الحين حينان حين لا
يوقف على حدّه ٥ والحينُ الذى ذكره الله جل ثناوه فى قوله تؤتى اكلها كل حين ستة اشهر
قال بعض العلما الحين المجهول لا تعلق به حُكم والحين المعلوم هو الذى تتعلق به الاحكام
ويرتبط به التكليف واكثر المعلوم سنة والامام مالك يرى فى الاحكام والايمان اعمّ
الاسما والازمنة والامام الشافعى يرى الاقل والامام ابو حنيفه توسط فقال ستة
اشهر فمن نذر ان يصلى حينا فيحمل على ركعة عند الامام الشافعى لانه اقل النافلة قياسا
على ركعة الوتر وقال الامام مالك واصحابه يحمل على اقل النافلة ركعتان فيتقدر الزمان
بتقدير الفعل وقال بعض اصحاب الامام مالك ان من حلف لا يكلم فلانا حينا او لا يفعل
كذا حينا ان الحين سنة قال واتفقوا فى الاحكام ان من حلف ان لا يفعل كذا حينا او لا
يكلم فلانا حينا ان الزيادة على السنة لم تدخل فى يمينه وحكى ابن المنذر عن يعقوب وابن
الحسن ان الدهر ستة اشهر وروى عن ابن عباس واصحاب الامام ابى حنيفه وعكرمة
وسعيد بن جبير والشعبى وعبيده السلمانى فى قوله تعالى تؤتى اكلها كل حين باذن ربها
يعنى ستة اشهر وقال الاوزاعى وابو عبيد الحين ستة اشهر وليس عند الامام
الشافعى فى الحين وقت معلوم ولا للحين غاية قد يكون الحين عنده مدة الدنيا وقال
ابو ثور وغيره الحين والزمان على ما تحتمله اللغة والله اعلم وقال بعض العلما فى
فى تفسير قول الله تعالى ومتاع الى حين فايدة لآدم عليه السلام ليعلم انه غير باق فى
الارض ومنتقل منها الى الجنة التى وُعد بالرجوع اليها وهى لغير آدم رد اله على المعاد
فحسب والله تعالى اعلم بمراده قوله عز وجل فتلقى آدمُ قال المفسرون معنى
تلقى اى فهم وفطن وقيل قبل واخذ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحى اى
يستقبله ويأخذه ويتلقفه وقيل معنى فتلقى اى تلقن والتلقى هو قبول عن فطنة

وفهمه وقوله من ربه كلمات يعني كانت الكلمات التي تلقاها سبب توبته واختلف
اهل التاويل في الكلمات التي تلقاها ادم عليه السلام فقال ابن عباس والحسن وسعيد بن
جبير والضحاك ومجاهد هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين وقال محمد بن كعب القرظي هو قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت
سوا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت
سوا وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت
سوا وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين وقال ابن عباس ايضا هو ان ادم عليه
السلام قال يارب الم تخلقني بيدك قال بلى قال الم تنفخ في من روحك قال بلى قال الم تسبق
رحمتك غضبك قال بلى وال الم تسكني جنتك قال بلى قال فلم اخرجتني منها قال بشوم معصيتك
قال يارب ارايت ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال بلى قال ابن عباس فهي الكلمات
وقال عبد ابن عمير هو ان ادم عليه السلام قال يارب ارايت ما اتيت اشيء ابتدعته من
تلقاء نفسي ام شيء قد رتبه علي قبل ان تخلقني قال تعالى لا بل شيء قد رتبه عليك قبل ان اخلقك
قال يارب فكما قد رتبه علي فاغفر لي وقال بعضهم هو ان ادم عليه السلام نظر الى العرش
فراى على ساقه مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فقال يارب اسالك بحق محمد ان تغفر لي فغفر له
وقال بعضهم ان ادم عليه السلام امره الله تعالى بالحج وعلمه اركانه فطاف بالبيت سبعا
والبيت يومئذ ربوه حمرا ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي
فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي فاوحى الله تعالى
اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان ادم عليه السلام لما اهبط الى الارض مكث
بثلاثمايه سنة لا يرفع راسه الى السما حيا من الله عز وجل وقالت طائفة من العلما
المراد بالكلمات البكا والحيا والدعا والندم والاستغفار والحزن قال ابن عطيه
وهذا القول يقتضي ان ادم عليه السلام لم يقل شيا الا الاستغفار المعهود وسيل بعض
السلف عما ينبغي ان يقوله المذنب فقال يقول ما قاله ابوه آدم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقال موسى عليه السلام رب اني ظلمت نفسي

فاغفرلی ۔ وقال یونس علیہ السلام لا الہ الا انت سبحانک انی کنت من الظالمین ۝ وقال
عبید بن عمیر فی معنی ھذہ الآیۃ ان ادم علیہ السلام قال یارب ارایت ما اتیت اشیٔ ابتدعتہ
من تلقاء نفسی ام شیٔ قدرتہ علی قبل ان تخلقنی ۔ قال لا بل شیٔ قدرتہ علیک قبل ان اخلقک
قال یارب فکما قدرتہ علی قبل ان تخلقنی فاغفرلی ۝ وقال ابن عباس رضی اللہ عنہما بکی آدم
وحوا علی ما فاتھما من نعیم الجنۃ مایتی سنۃ ولم یاکلا ولم یشربا اربعین یوما ولم یقربا
ادم حوا مایۃ سنۃ ۝ وروی المسعودی عن یونس بن خباب وعلقمۃ بن مرثد قالا لو
ان دموع اھل الارض جمعت لکان دموع داود اکثر حیث اصاب الخطیۃ ۔ ولو ان دموع
داود ودموع اھل الارض جمعت لکان دموع آدم اکثر حیث اخرجہ اللہ من الجنۃ ۔ وقال
شھر بن حوسب رحمہ اللہ بلغنی ان ادم علیہ السلام لما اھبط الی الارض مکث ثلاثمایۃ سنۃ
لا یرفع راسہ حیاء من اللہ عز وجل ۝ وقولہ تعالی فتاب علیہ ای فتجاوز عنہ
وغفرلہ ۔ وقیل قبل توبتہ ۔ وقیل وفقہ للتوبۃ وکان ذلک فی یوم عاشورا فی یوم جمعۃ
علی ما اتی بیانہ ان شاء اللہ تعالی ۔ واصل التوبۃ من تاب یتوب اذا رجع الی طاعۃ ربہ ۝
ویقال عبد توّاب اذا کان کثیر الرجوع الی الطاعۃ ۔ قال العلماء فکان التایب رجع عن ذلک
الذنب الذی کان علیہ ۔ ولا تتحقق التوبۃ الا بثلاثۃ امور علم وحال وعمل ۔ اما
العلم فھو ان یعلم العبد ضرر الذنب وانہ حجاب عن اللہ تعالی ۔ فاذا حصل ھذا العلم تالم
القلب ۔ عند ذلک یحصل الندم ۔ وھو الحال فیترک العبد الذنب ویعزم فی المستقبل
ان لا یعود الیہ ۔ وھو العمل ۔ فاذا تحققت ھذہ الثلاثۃ امور حصلت التوبۃ ۔ وسیاتی بسط
ھذا عند قولہ تعالی توبوا الی اللہ توبۃ نصوحا فی سورۃ التحریم ان شاء اللہ تعالی ۔ فان قیل
لم قال تعالی فتاب علیہ ولم یقل علیھما وحوا مشارکہ لہ فی الذنب بالاجماع ۔ وقد قال
تعالی ولا تقربا ھذہ الشجرۃ ۔ وقالا ربنا ظلمنا انفسنا ۔ فالجواب ان آدم علیہ السلام لما
خوطب فی اول القصۃ بقولہ اللہ تعالی اسکن خصہ بالذکر فی التلقی فلذلک کملت القصۃ بذکرہ
وحدہ ۔ وایضا فلان المراۃ حرمۃ ومستورۃ فاراد اللہ تعالی استرلھا ولذلک لم یذکرھا
فی المعصیۃ فی قولہ تعالی وعصی ادم ربہ فغوی ۔ وایضا لما کانت المراۃ تابعۃ للرجل فی

السلام
داود وعلیھا
مطلب دموع آدم

غالب الامر لم تذكر كما لم يذكر فتى موسى فى قوله الم اقل لك ۞ وقيل ان الله تعالى دل بذكر
التوبة على ادم انه تاب عليه وعلى حوا اذ هما سواء وهذا قول الحسن ۞ وقيل انه مثل قوله
تعالى واذا راوا تجارة اولهوا انفضوا اليها اى التجارة لانها كانت مقصود القوم فاعاد
الضمير عليها ولم يقل اليهما والمعنى متقارب ۞ قال الشاعر ۞
رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئًا وَمِنْ فَوْقِ الطَّوِيِّ رَمَانِي ۞ وقال تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه ولم يقل يرضوهما فحذف ايجازا واختصارا والله اعلم بمراده ۞
وقوله تعالى انه هو التواب اى الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب فى وصف
الله تعالى المبالغة فى قبول توبة عباده قال العلما رضى الله عنهم ان الله تعالى وصف نفسه
بانه التواب الرحيم وتكرر فى القران معرفا ومنكرا واسما وفعلا وقد يطلق على العبد ايضا
تواب بدليل قول الله تعالى ان الله يحب التوابين ۞ وللعلما فى وصف الله تعالى بانه تواب
ثلاثة اقوال احدها انه يجوز فى حق الرب سبحانه فيدعى به كما فى الكتاب والسنة ولا نتاول
وقال اخرون هو وصف حقيقى لله سبحانه وتوبة الله على العبد رجوعه من حال المعصية
الى حال الطاعة وقال اخرون توبة الله على العبد قبول توبته وذلك يرجع الى قوله سبحانه
قبلت توبتك او يرجع الى خلقه تعالى الانابة والرجوع فى قلب المسى واجرا الطاعات
على جوارحه الظاهرة قال العلما ولا يجوز ان يقال فى حق الله تايب بصيغة اسم الفاعل
من تاب يتوب لانه ليس لنا ان نطلق عليه من الاسما والصفات الا ما اطلقه هو على نفسه او
نبيه صلى الله عليه وسلم او جماعة المسلمين وان كان فى اللغة محتملا جايزا هذا هو الصحيح
فى هذا الباب قال الله تعالى لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار وقال تعالى
وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وانما قيل لله عز وجل تواب لمبالغة الفعل وكثرة قبوله
توبة عباده لكثرة من يتوب اليه ۞ واعلم انه ليس لاحد قدرة على خلق التوبة لان الله سبحانه
هو المنفرد بخلق الاعمال خلافا للمعتزله ومن قال بقولهم وكذلك ليس لاحد ان يقبل
توبة من اسرف على نفسه ولا ان يعفو عنه قال العلما وقد كفرت اليهود والنصارى
بهذا الاصل العظيم فى الذين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وجعلوا لهم اذنب

ان ياتى الى الحبرا والقسيس او الراهب فيعطيه شيا ويحط عنه ذنوبه افترا على الله قد
ضلوا وما كانوا مهتدين والله تعالى اعلم ۝ وقرا ابن كثير فتلقى آدم من ربه كلمات بنصب ادم
ورفع كلمات وقرا الباقون برفع ادمُ ونصب كلماتٍ والقراتان ترجعان الى معنى واحد
لان آدم اذا تلقى الكلمات فقد تلقنه وقيل لما كانت الكلمات المُنقِذة لادم بتوفيق
الله تعالى له لقبوله اياها ودعايه بها كأن الكلماتِ فاعلة وكان الاصلُ على هذه القراءة
فتلقت آدمَ من ربه كلماتٌ لكن لما بعُد ما بين المونث وفعله حَسُن حذف علامة التانيث
وهذا اصل يجرى فى كل القران والكلام اذا جا فعل مونث بغير علامة تانيث وقيل ان
الكلمات لما لم يكن تانيثه حقيقيا حُمل على معنى الكلم فذكر والله اعلم باسرار كلامه العظيم
وقال سعيد بن جبير رحمة الله عليه لما اهبط آدم عليه السلام الى الارض لم يكن فيها
شى من الحيوانات غير السمر فى البر والحوت فى البحر وكان السمر ماوى الى الحوت وست
عنده فلما راي السمر ادم فى الارض جا الى الحوت وقال له ياحوت لقد اهبط اليوم الى الارض
شى يمشى على رجليه ويبطش بيديه فقال له الحوت لئن كنت صادقا ما الى منه منجا فى البحر
ولا لك منجا منه فى البر ولا مخلص والله اعلم ۝ وقوله تعالى الرحيمُ اي بخلقه وقيل
الرحيم بالمومنين فى الهداية لهم واللطف بهم وقد تقدم معنى الرحم والكلام فيه فى البسملة والفاتحة
قوله عز وجل قلنا اهبطوا منها جميعًا يعنى هو لا الاربعة ادم وحوا وابليس
والحية قال العلما ان الله عز وجل كرر الامر بالهبوط على جهة التغليظ وتاكيده كما تقول
لرجل قم قم وقد كرره لما علق بكل امر منهما حكما غير حكم الآخر فعلق بالاول العداوة
وبالثانى اتيان الهدى وقال بعضهم ان الهبوط الاول كان من الجنة الى السما الدنيا
والهبوط الثانى من سما الدنيا الى الارض وفى هذا القول ضعف لانه تعالى قال فى الهبوط الاول
ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح ان التكرير
للتاكيد والله اعلم وقال وهب بن منبه رضى الله عنه لما اهبط ادم الى الارض قال ابليس
للسباع ان هذا عدو لكم فاقتلوه قال فاجمعوا على هلاكه وولوا امرهم الى الكلب وقالوا له
انت استجعنا وجعلوه رئيسا عليهم فلما احاطوا بادم عليه السلام تحير ولم يدر كيف يصنع

فجاءه جبريل عليه السلام وقال له امسح يدك على راس الكلب فمسح يده على راسه فالفه الكلب
وتذلل له فلما رات السباع ان الكلب الف ادم تفرقوا واستانس الكلب ادم فآمنه فبقى
معه ومع اولاده ن وذكر الترمذي الحكيم نحو هذا المعنى وقال في القصة ان ادم عليه
السلام لما اهبط الى الارض جا ابليس لعنه الله الى السباع فاشلاهم عليه ليوذوه وكان
اشدهم عليه الكلب فاميت فواده وامر جبريل عليه السلام ادم ان يضع يده على راسه
فوضعها فاطمان اليه والفه فصار ممن يحرسه ويحرس ولده ويالفهم وبموت فواده يفزع
من الادميين حتى لو رى بحرا ومدر وتى هاربا ثم يعود الفا لهم ففيه شعبة من ابليس
ينبح ويهر ويعدوا على الادمي وبمسحة آدم مات فواده حتى ذل وانقاد والف به وبولده
حرسهم ولهشه على كل احواله من موت فواده ولذلك شبه الله تعالى علما السوا بالكلب
على ما ياتى بيانه في سوره الاعراف ان شا الله تعالى وانزل الله على ادم عصا من شجر الجنة فكان
يطرد بها السباع والهوام عن نفسه وهي العصا التي توارثها الانبيا من بعد ادم الى ان وصلت
الى موسى عليه السلام فكانت له اله على فرعون وقومه وسنذكر ما في موضعها ان شا الله تعالى وروى
الزاهدي في تفسيره ان ادم عليه السلام لما اهبط الى الارض على الجبل الذي بالهند خرج من الهند
الى مكة اربعين مره منها اربعين مره حرج حاجا والباقي معتمرا ولم يصل الى حوا الا بعد مايتي
سنة واسا اعلم وقوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى اى كتاب ورسول وهدا قول السدي
وقال هو التوفيق للهداية قال العلما وفي قوله تعالى مني اشارة الى ان افعال العباد
خلق الله تعالى خلافا للقدرية وغيرهم كما تقدم وفي هذه الاية ايضا تنبيه على عظم نعم الله تعالى
على آدم وحوا كانه تعالى قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بهدايتي التي
توديكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذي لا ينقطع ابدا وقال بعض العلما ان المخاطبهم
ذرية ادم والمعنى ياذرية آدم اما ياتينكم مني رشد وبيان وشريعة فمن تبع هداى فلا
خوف عليهم اى فيما يستقبلهم يوم القيامة ولا هم يحزنون اى على ما خلفوا وقال الزاهدي
فلا خوف عليهم بدخول النيران ولا هم يحزنون بفوت الجنان لان الخوف انما يكون عن اصابة
المكروه والحزن انما يكون عن فوت المطلوب وسان هذا قوله تعالى خبرا عن يعقوب عليه السلام

قال انی لیحزننی ان تذهبوا به واخاف ان یاکله الذیب فقوله انی لیحزننی ای علی
اذهاب یوسف وقوله واخاف ان یاکله الذیب ای علی اصابة المکروه وهلاک یوسف
علیه السلام ۝ وقل فلا خوف علیهم ای من الضلاله فی الدنیا ولا هم یحزنون ای علی الشقاوه
فی العقبی ۝ قوله عز وجل والذین کفروا وکذبوا بایاتنا ای کفروا بهدای وکذبوا
رسلنا بردّ ایاتنا وترک قبولها واختلف العلما فی الایات ما هی فقیل هی کتب الله المنزله من
السما وقیل هی المعجزات وقیل هی الدلاله علی التوحید من السموات والارض وقوله
تعالی اولئک اصحاب النار یعنی لانفارقونها ابدا هم فیها خالدون ای دایمون لایخرجون
منها ولایموتون فیها قوله عز وجل یابنی اسرایل اذکروا نعمتی التی انعمت
علیکم ۝ قال المفسرون هذا ابتدا فصل من ذکر النعم وهو اطول من الفصول التی تقدمت
لانه ینتهی الی قوله تعالی یایها الذین امنوا لاتقولوا راعنا وهذه الایة خطاب لیهود والنصاری
کلهم لان الله تعالی ینسبهم الی ابیهم ابراهیم الاعلی وهو یعقوب علیه السلام وهذا کقوله تعالی
یابنی آدم ۝ واسرایل هو یعقوب بن اسحق بن ابرهیم علیهم السلام ولیس فی الانبیا من له
اسمان غیر یعقوب الا سیدنا ونبینا محمدا صلی الله علیه وسلم فان له اسما کثیرة ذکرها العلما
وذکر البیهقی فی کتاب دلایل النبوه عن الخلیل بن احمد رحمه الله انه قال خمسة من الانبیا ذوو
اسمین محمد واحمد نبینا صلی الله علیه وسلم وعیسی والمسیح واسرایل ویعقوب ویونس
وذوالنون والیاس وذوالکفل صلی الله علیهم اجمعین ۝ وذکر بعضهم ان لعیسی اربعة
اسما واما نبینا صلی الله علیه وسلم فله اسما کثیرة کما قدمناها سیاتی بیانها فی موضعها ان شا الله
قال العلما ومعنی اسرایل صفوة الله وایل هو الله عز وجل وقال بعض المفسرین فی
قوله تعالی یابنی اسرایل ای یا اولاد یعقوب وانما سمی یعقوب لان یعقوب واخاه العیص
وفی روایة واخاه عیصو کانا توامین فلما قربت ولادتهما اقتتلا فی بطن امهما فاراد یعقوب
ان یخرج قبل اخیه عیصو فمنعه عیصو وقال والله لئن خرجت قبلی لاعترضن فی بطن امی
فلا قتلنها فتاخر یعقوب وخرج العیص فاخذ یعقوب بعقب عیصو فخرج بعده فسمی یعقوب
وسمی اخوه العیص لما عصی وخرج قبل یعقوب وکان عیصو احب الی ابیه من یعقوب وکان

يعقوب احبهما الى امه وكان عيصو صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمى قال لعيصو يا بنى
اطعمنى لحم صيد واقترب منى ادع لك بدعا دعى به ابى وكان العيص رجلا اشعر وكان
يعقوب اجرد فخرج عيصو يطلب الصيد فقالت امه لولدها يعقوب يا بنى اذهب الى الغنم
فاذبح منها شاة ثم اشوها والبس جلدها وقدمها الى ابيك وقل له انا ابنك عيصو فذهب
يعقوب الى الغنم واخذ منها شاة وذبحها وشواها وقدمها الى ابيه وقال يا ابت كل قال اسحق
من انت قال انا ابنك عيصو فمسه بيده فقال المس مس عيصو والريح ريح يعقوب فقالت وعليه جلد الشاة
امه هو ابنك عيصو فادع له قال قدمه طعامك فقدمه فاكل منه ثم قال ادن منى فدنى
منه فدعا له ان يجعل الله فى ذريته الانبيآء والملوك وذهب يعقوب فجا العيص وقال
لابيه قد جيتك بالصيد الذى اردت فقال اسحق يا بنى قد سبقك اخوك فغضب عيصو
وقال لاقتلنه فقال اسحق يا بنى قد بقيت لك دعوة فهلم ادع لك بها فدعا له ان تكون ذريته
عدد التراب وان لا يملكهم احد غيرهم وقالت ام يعقوب ليعقوب يا بنى الحق بخالك فتكون
عنده خشية ان يقتله عيصو فانطلق الى خاله ليان بن ناهور وتزوج ابنيه ليا وراحيل
وكان الجمع بين الاختين لهم حلالا وكان يعقوب يسرى بالليل ويكمن بالنهار خوفا من اخيه
فسمى لذلك اسرايل والله تعالى اعلم ۝ وقوله تعالى اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم اى اشكروا
نعمتى قال العلما وذكر النعمة هو شكرها بدليل ما روى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم
يشكر الله والمحدث بنعمة الله شاكر وتاركها كافر والجماعة رحمة والفرقة عذاب
قال العلما ومن نعم الله تعالى على بنى اسرآيل ان انجاهم من آل فرعون وجعل منهم انبيآء وانزل
عليهم الكتاب والمن والسلوى وفجر لهم من الحجر الماء والنعم على الآبا نعم على الابنا لانهم
يشرفون بشرف ابآيهم تنبيه قال ارباب المعانى ان الله عز وجل ربط بنى اسرآيل بذكر
النعمة واسقطه عن امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى ذكره فقال تعالى فاذكرونى
اذكركم ليكون نظر سايرِ الامم من النعمة الى المنعم ونظر امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
من المنعم الى النعمة ۝ قال العلما وانما عبر سبحانه عن الشكر بالذكر لان من ذكر النعمة

فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها بدليل الحديث المتقدم. وقيل الذكر يكون بالقلب
ويكون باللسان ن وحد النعمة انها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير
ومعناه ان المضرة المحضة لا تكون نعمة. ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها
لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ن واعلم ان النعم ثلاثة. نعمة تفرد بها الله سبحانه
وتعالى وهي ايجاد الانسان ورزقه. ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله
مكنه من ذلك. فالمنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى. ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة
وهي ايضا من الله تعالى. فالله تعالى هو المنعم المطلق في الحقيقة لان اصول النعم كلها منه. واما
النعم المختصة ببني اسرآيل فكثيرة. لان قوله تعالى اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناها الجمع.
فمن النعم ان الله تعالى انقذهم من فرعون وفلق لهم البحر واغرق فرعون وظلل عليهم الغمام
وانزل عليهم المن والسلوى في التيه وانزل عليهم التوراة في نعم كثيرة. فان قيل اذا فسرت
النعمة بهذا الذي تقدم فما كانت على المخاطبين بها في زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. بل
كانت على اباءهم. فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها. قيل له انما ذكر تعالى المخاطبين بها
لان فخر الآبا فخر الابنا. ولان الأبنا اذا تيقنوا ان الله تعالى قد انعم على آبائهم بهذه النعم
فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها. وقيل ان هذه النعمة هي ادراك المخاطبين بها في زمن
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وذكرها هو الايمان بها. والله اعلم ن وقوله تعالى واوفوا
بعهدي اي الذي عهدت اليكم في التوراة من الايمان بي والطاعة لي. وقال الزجاج معناه
اوفوا بعهدي الذي عهدت اليكم في التوراه من اتباع نبي الرحمة والكتاب المعجز. وقيل
معناه اوفوا بعهدي اي امتثال امري. وقيل المراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير
تخصيص بنقض التكاليف دون بعض. وقيل المراد بالعهد ما ذكر الله تعالى في سورة المايدة
وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرآيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله لاكفرن عنكم
سيئاتكم. وقيل هو قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم
بقوة يعني شريعة التوراة. وقيل هو قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرآيل لا تعبدون
الا الله. وقيل غير ذلك والله اعلم وقوله تعالى أوف بعهدكم اي بما عاهدتكم عليه من

حسن الثواب على حسناتكم ۞ وقيل اوفِ بعهدكم بالقبول والثواب ۞ وقيل اوصلكم الى
منازل الرعايات ۞ وقيل اوف بعهدكم بتنزيل سرايركم ۞ وقال الكلبى اراد سبحانه
بهذا العهد ما اثبته فى كتب الانبيا المتقدمة من وصف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وانه مبعوث فى آخر الزمان ۞ وذلك ان الله عهد الى بنى اسرآيل على لسان موسى عليه السلام
انى باعث من بنى اسمعيل نبيا اميا فمن اتبعه وصدق بالنور الذى ياتى به غفرت له ذنبه
وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب ليبيننه للناس يعنى امر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ۞ وقيل اوفوا بشرط
العبودية اوف بشرط الربوبية ۞ وقال اهل الاشارة اوفوا بعهدى فى دار محبتى على
بساط خدمتى بحفظ حرمتى اوفِ بعهدكم فى دار نعمتى على بساط كرامتى بقربى ورؤيتى ۞
قال بعض المحققين ما طلب من بنى اسرآيل من الوفا بالعهد فهو مطلوب ايضا من هذه الامة ۞
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود ۞ وقال تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ۞
ومثله فى القران كثير ۞ قال ووفاؤهم بعهد الله امارة لوفاء الله تعالى لهم لا علة له ۞ بل
ذلك بفضل منه عليهم ۞ وقوله تعالى وايای فارهبون اى خافون فى نقض العهد ۞
والرهبة الخوف ۞ وتضمن الامر به معنى التهديد ۞ وسقطت الياء بعد النون لانحذار راس آية ۞
وقرا بعضهم فارهبونى باثبات الياء وكذا فاتقونى على الاصل ۞ وآمنوا بما انزلت يعنى بالقران
مصدقا لما معكم يعنى ان القران العظيم موافق لما فى التوراه من التوحيد والنبوه والاخبار
وبعض الشرايع ونعت النبى صلى الله عليه وسلم ۞ فالايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم والقران
تصديق للتوراه ۞ لان التوراه فيها الاشارة الى نعت النبى صلى الله عليه وسلم وانه نبى مبعوث ۞
فمن آمن به فقد آمن بما فى التورية ۞ ومن كذب به وكفر به فقد كذب التوراه وكفر بها وهذه
الآية وصية من الله تعالى بعد ان ذكرهم نعمه ۞ وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به
اى بالقران ۞ ومعناه لا تكونوا اول من كفر به ۞ او اول حزب او فوج كفر به فيكون الضمير فى قوله
به راجع على القران وهو قول ابن جريج ۞ وقال ابو العاليه الضمير فى به راجع على سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم ۞ وقيل راجع على التوراه ۞ والخطاب فى الاية لليهود ۞ ونزلت فى

كعب بن الاشرف واصحابه من علمآ اليهود ورؤسآيهم والآية تعريض بهم لانهم سبقهم مشركوا
العرب الى الكفر به. ومعنى الاية كان يجب ان يكونوا اول من آمن به لمعرفتهم برسول الله صلى
الله عليه وسلم ونعته بخلاف غيرهم. وايضا ان اليهود كانوا يستفتحون به على الكفار فلما
بعث كان امرهم بالعكس. وقيل معناه ولا تكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على
ذلك فتبوءوا باثمكم واثم غيركم ممن يتبعكم على ذلك. وقيل الضمير يعود الى ما معهم من التوراة
كما تقدم. يعني ان لم تؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقد امرتم بذلك في التوراة فقد
كفرتم بكتابكم. وقوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا قال المفسرون هذا
معطوف على قوله ولا تكونوا اول كافر به. نهاهم عن ان يكونوا اول من كفر وان لا ياخذوا
على آيات الله ثمنا قليلا اي عوضا يسيرا من الدنيا. لان الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشيء اليسير
الحقير الذي لا قيمة له. والذي كانوا ياخذونه من الدنا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها.
فهو قليل القليل. ولهذا قال تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا. وذلك ان كعب بن الاشرف
ورؤسآ اليهود وعلمآهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم فكانوا ياخذون منهم
في كل سنة شيئا معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا ان هم بينوا صفة
محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا
الدنا على الاخرة واصروا على الكفر. فنهاهم الله بهذه الاية عن ذلك. وهذا قول الحسن وغيره.
وقال بعضهم كانت لهم مآكل يأكلونها على العلم كالرواتب فنهوا عن ذلك. وقيل ان الاحبار
كانوا يعلمون دينهم بالاجرة فنهوا عن ذلك. وقال ابو العالية في كتبهم يا ابن آدم علم مجانا
كما علمت مجانا. اي باطلا بغير اجرة. وقيل معنى الاية ولا تشتروا بامري ونواهي
واياتي ثمنا قليلا. يعني الدنيا ولذاتها والعيش الذي هو نزر لا خطر له. فسمى ما اعتاضوه عن
ذلك ثمنا لانهم جعلوه عوضا فانطلق عليه اسم الثمن وان لم يكن ثمنا. وقد تقدم هذا المعنى.
وقال بعض العلمآ وهذه الآية وان كانت خاصة ببني اسرآيل فهي تتناول من فعل فعلهم.
فمن اخذ رشوة على تغيير حق وابطاله او امتنع من تعليم ما وجب عليه او ادآء ما علمه
وقد تعين عليه حتى يأخذ عليه اجرا فقد دخل في مقتضى الاية. والله اعلم. وقد روى ابو

داود عن ابی هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم من تعلم علما مما یبتغی
به وجه الله لا یتعلمه الا لیصیب به عرضا من الدنیا لم یجد عرف الجنة یوم القیامة
وعرف الجنه ریحها ۝ وقد اختلف العلما رضی الله عنهم فی اخذ الاجره علی تعلیم القرآن
والعلم لهذه الآیة وما کان فی معناها فمنع ذلک الزهری واصحاب الامام ابی حنیفه وقالوا
لا یجوز اخذ الاجره علی تعلیم القرآن لان تعلمه واجب من الواجبات التی یحتاج فیها الی نیه
التقرب والاخلاص فلا یوخذ علیها اجره کالصلاه والصیام وقد قال الله عز وجل ولا
تشتروا بایاتی ثمنا قلیلا وروی ابن عباس رضی الله عنهما ان النبی صلی الله علیه وسلم قال معلموا
صبیانکم شرارکم اقلهم رحمة بالیتیم واغلظهم علی المسکین وروی ابوهریره رضی الله عنه
قال قلت یا رسول الله ما تقول فی المعلمین قال دراهمهم حرام وثوبهم سحت وکلامهم ریا
ومما یدل ایضا علی منع اخذ الاجره علی التعلیم ما روی عن عبادة بن الصامت رضی الله عنه
قال علمت ناسا من اهل الصفة القرآن والکتابة فاهدی لی منهم رجل قوسا فقلت لیست بمال وارمی عنها فی سبیل الله فسالت عنها رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال ان
سرک ان تطوق بها طوقا من نار فاقبلها ۝ ففی هذه الاحادیث دلیل لمن منع اخذ الاجره
علی تعلیم کتاب الله والعلم ۝ واجاز الامام مالک والامام الشافعی والامام احمد وابو ثور
واکثر العلما اخذ الاجره علی تعلیم القرآن لقول النبی صلی الله علیه وسلم فی حدیث ابن عباس
رضی الله عنهما ان احق ما اخذتم علیه اجرا کتاب الله وذلک فی حدیث الرقیه اخرجه البخاری
وهو نص یرفع الخلاف فینبغی ان یعول علیه قال بعض العلما فی قول الله تعالی ولا تشتروا
بایاتی ثمنا قلیلا هو ان هذه الایة فیمن تعین علیه التعلیم فابی حتی یاخذ علیه اجرا فاما
اذا لم یتعین فیجوز له اخذ الاجره بدلیل السنه فی ذلک ۝ ولو تعین علیه التعلیم الا انه
لیس عنده ما ینفقه علی نفسه وعیاله فلا یجب علیه التعلیم وله ان یقبل علی صنعته وحرفته
ویجب علی الامام ای السلطان ان یعین احدا لاقامة الدین اعانه والا فعلی المسلمین
لان ابا بکر الصدیق رضی الله عنه لما ولی الخلافة وعین لها لم یکن عنده ما یقوم به اهله فاخذ
ثیابا وخرج بها الی السوق فقال له الصحابه فی ذلک فقال ومن این انفق علی عیالی فردوه وفرضوا

وفرضوا له كفايته ٥ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير الناس وخير من يمشي
على حديد الارض المعلمون كلما خلق الدرس جددوه اعطوهم ولا تستاجروهم فتحرجوهم
فان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فاذا قال بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة
للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لابويه من النار ٥ واختلف العلما انضا في حكم المصلي باجره
فروى اشهب عن الامام مالك انه سيل عن الصلاه خلف من استوجر في رمضان لصلاة
التراويح فقال ارجوا ان لا يكون به باس وهو اشد له كراهة في الفريضة ٥ وقال الامام
الشافعي وابو ثور لا باس بذلك يعني اخذ الامام الاجره وقالا لا باس بالصلاه خلفه ٥ وقال
الاوزاعي لا صلاه لمن ياخذ على الامامة اجرا وكره ذلك الامام ابو حنيفه واصحابه كما تقدم ٥
وسياتي لهذه المسله مزيد سان في سورة براءة ان شا الله تعا ٥ وكره ابن القاسم اخذ الاجره على
على تعليم الشعر والنحو وقال ابن حبيب لا باس بالاجاره على تعليم الشعر والرسايل وايام العرب
ويكره من الشعر ما فيه ذكر الخمر والخنا والهجا وامّا الاجاره على الغنا والنوح فممنوع
على كل حال ٥ وروى الداري في مسنده قال اخبرنا يعقوب بن ابرهيم قال حدثنا محمد بن عمر
ابن الكميت قال حدثنا علي بن وهب الهمداني قال اخبرنا الضحاك بن موسى قال مر سلمان بن عبد
الملك بالمدينه وهو يريد مكه فاقام بها اياما فقال هل بالمدينة احد ادرك احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له ابو حازم فارسل اليه فلما دخل عليه قال له يا ابا حازم ما
هذا الجفا قال ابو حازم امير المومنين واي جفاء رايت مني قال اتاني وجوه اهل المدينه ولم
تاتني قال يا امير المومنين اعيذك بالله ان تقول ما لم يكن ما عرفتني قبل هذا اليوم ولا
انا رايتك قال والتفت الى ابي محمد بن شهاب الزهري فقال اصاب الشيخ واخطات قال
سلمان يا ابا حازم مالنا نكره الموت قال لانكم اخربتم الآخره وعمرتم الدنيا فكرهتم ان
تنتقلوا من العمران الى الخراب قال اصبت يا ابا حازم فكيف القدوم غدا على الله قال اما
المحسن فكالغايب يقدم على اهله واما المسي فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سلمان
وقال ليت شعري مالنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله قال واي مكان اجده
قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سلمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين

مسئلة اجرة الامامة

مسئلة اخر يجمع الاخره

مسئلة موعظة بليغة

قال له سلمان يا ابا حازم فاى عباد الله اكرم • قال اولوا المروة والنهى • قال له سلمان
فاى الاعمال افضل • قال ابو حازم ادا الفرايض مع اجتناب المحارم • قال سلمان فاى
الدعا اسمع • قال دعا المحسن اليه للمحسن • قال اى الصدقة افضل • قال الساير
الباس وجهد المقل ليس فيها مَنّ ولا اذى • قال فاى القول اعدل • قال قول الحق
عند من تخافه او ترجوه • قال فاى المومنين اكيس • قال رجل عمل بطاعة الله عزوجل
ودل الناس عليها • قال فاى المومنين اخسر • قال رجل انحط فى هوى اخيه وهو ظالم
فباع اخرته بدنيا غيره • قال سلمان اصبتَ • فما تقول فيما نحن فيه • قال يا امير المومنين
ان آباءَكَ قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة على غير مشوره من المسلمين
ولا رضاهم حتى قتلوا منهم مقتله عظيمه فقد ارتحلوا عنها فلو شعرت ما قالوا وما
قيل لهم • فقال له رجل من جلسايه بيس ما قلت يا ابا حازم • قال ابو حازم كذبتَ • ان
الله تبارك وتعالى اخذ ميثاق العلما ليبينه للناس ولا يكتمونه • قال سلمان فكيف لنا
ان نصلح • قال تدعون الصلف وتمسكون بالمروه وتقسمون بالسويه • قال له سلمان
كيف لنا بالماخذ به • قال ابو حازم تاخذه من حِلّه وتضعه فى اهله • قال له سلمان فلم
ذاك • قال اخشى ان اركن اليكم شيا قليلا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات • قال
له سلمان ارفع الساحوا بحك • قال تنجينى من النار وتدخلنى الجنه • قال له سلمان ليس
ذلك الىّ • قال ابو حازم فما الى الك حاجة غيرها • قال فادع لى • قال ابو حازم اللهم ان
كان سلمان وليك فيسّره لخير الدنيا والآخره • وان كان عدوّك فخذ بناصيته الى ما تحبّ
وترضى • قال له سلمان عظ • قال قد اوجزتُ واكثرتُ ان كنت من اهله • وان لم تكن
من اهله فما ينبغى ان ارمى عن قوس ليس لها وتر • قال له سلمان ادنى منى • قال ساوصيك
واوجز • عظّمْ ربك وتنزهْهُ ان يراك حيث نهاك • او يفقدك من حيث امرك • ولما خرج
من عنده بعث اليه بمايه الف دينار • وكتب اليه ان انفقها ولك عندى مثلها كثير • قال
فردها اليه • وكتب اليه يا امير المومنين اُعيذك بالله ان يكون سُوالك اياى هزلا اوردنى
عليك بدلا متا ارضاها لك فكيف لنفسى • ان موسى بن عمران لما ورد ماء مدين وجد عليه رِعاءً

يسقون ووجد من دونهم جارتين تذودان فسقى لهما فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء
وابونا شيخ كبير فسقى لهما فلما تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير وذلك
انه كان جايعا خايفا لايامن فسال ربه ولم يسال الناس فلم يغط الرعاء وفطنت الجارتان
فلما رجعتا الى ابيهما اخبرتاه بالقصة وبقوله فقال ابوهما وهو شعيب عليه السلام هذا
رجل جايع قال لاحديهما اذهبي فادعيه فلما انته عظمته وغطت وجهها وقالت
ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فتبع على موسى حين قالت اجر ما سقيت ولم يجد
بدا من ان تبعها أن كان بين الجبال جايعا مستوحشا فلما تبعها هبت الريح فجعلت
تصفق ثيابها على ظهرها فتصف له عجيزتها وكانت ذا عجز فجعل موسى يعرض مرة
ويغض اخرى فلما عيل صبره ناداها يا امة الله كوني خلفي وارني السمت بقولك فلما
دخل على شعيب اذا هو بالعشا مهيا فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى
عليه السلام اعوذ بالله فقال له شعيب لم اما انت جايع قال بلى ولكني اخاف ان يكون
هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيا من ديننا بملئ الارض ذهبا قال
له شعيب لا يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى
فاكل فان كانت هذه المايدة دينارا عوضا لما حدثت فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال
الاضطرار احل من هذا وان كانت تحق لي في بيت المال فلي فيها نظر فان ساويت بيننا
والا فليس لي فيها حاجة قال بعض العارفين هكذا يكون الاتقيا بالكتاب والسنة عليهم
السلام انظروا الى هذا الامام الفاضل والحبر العالم كيف لم ياخذ على عمله عوضا ولا على
وصيته بدلا ولا على نصيحته اجرا بل بين الحق وصدع ولم يلحقه في ذلك خوف ولا فزع
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم هيبة احدان يقول او يقوم
بالحق حيث كان وقال الله عز وجل يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لايم قال والله اعلم
رجعنا الى التفسير قوله تعالى واياي فاتقون اي فخافون في امر نبي محمد
صلى الله عليه وسلم قال العلما والتقوى خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس
في وقاية مما تخاف وقد تقدم الكلام على التقوى في اول السورة قوله تعالى ولا

تلبسوا الحق بالباطل اى لاتكتبوا فى التوراة مما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى
كتبتم، وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذى انزل عليكم من صفة نبيى محمد صلى الله عليه وسلم
فى التوراة بالباطل الذى تكتبونه بايديكم من غير صفته. وقيل معناه لا تخلطوا صفة
نبى محمد صلى الله عليه وسلم التى هى الحق بالباطل. اى بصفة الدجال. وذلك لانه لما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود. وقالوا ليس هو هذا الذى ننتظره. وانما هو المسيح ابن داود.
يعنى الدجال. ولذلك لعنهم الله فيما قالوا. وقال سعد بن جبير وقتادة معناه لا تلبسوا اليهودية
والنصرانية بالاسلام. وقد علمتم ان دين الله الذى لا يقبل غيره ولا يجزى الا به هو الاسلام.
وان اليهودية والنصرانية بدعة وليست من الله تعالى. وقال الزاهدى فى تفسيره ان صرفناه
الى دين الاسلام يجوز. ومعناه لا تلبسوا الاسلام باليهودية والنصرانية. وان صرفناه الى
المشركين يجوز. لانهم كانوا يخلطون ويقولون فى تلبيتهم لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك.
الا شريكا هو لك. تملكه وما ملك. وان صرفناه الى النصارى يجوز. لانه مكتوب فى الانجيل يا
عيسى انا ولدتك بغير اب بالتشديد. وهم قرأوا ذلك بالتخفيف كما قال تعالى حاكيا عنهم الا
انهم من افكهم ليقولون ولد الله. وان صرفناه الى المنافقين يجوز. ومعناه لا تخلطوا النفاق
بالاخلاص. وان صرفناه الى السلطان يجوز. ومعناه لا تخلطوا العدل بالجور. وان
صرفناه الى القضاة يجوز. ومعناه لا تخلطوا الرشوة بالحكومة. وقال ابن عباس رضى الله عنهما
معناه لا تخلطوا ما عندكم من الحق فى الكتاب بالباطل. وهو التغيير والتبديل. وقال ابو
العالية قالت اليهود لعنهم الله محمد نبى مبعوث ولكن الى غيرنا. فاقرارهم ببعثه حق. وبجحودهم
انه ما بعث اليهم باطل. وقول ابن عباس اصوب لانه عام فيدخل فيه جميع الاقوال. والله المستعان.
وقوله تعالى وتكتموا الحق اى تخفوه والحق اظهار الايمان. والباطل اضمار الكفر. وهذا
الخطاب للمنافقين. وقيل لليهود. ويعلم ذكرهم. وقال ابن سيرين فى معنى الآية نزل عصابة من
اليهود يثرب. وذلك لما اصاب بنى اسرايل ما اصابهم من ظهور العدو عليهم والذلة. وتلك
العصابة هم حملة التوراة يومئذ. فاقاموا بيثرب يرجون ان يخرج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
بين ظهرانيهم. وهم مومنون مصدقون بنبوته. فمضى اولئك الآباء وهم مومنون. وخلف الابناء

وابنآء الابنآء فادركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفروا به وهم يعرفونه. وهو معنى قوله
تعالى فلما جآءهم ما عرفوا كفروا به ه وقوله تعالى - وانتم تعلمون يعني ان محمدا صلى الله
عليه وسلم نبي مرسل. قال العلمآء وفي هذا تنبيه لسآئر الخلق وتحذير من مثله. فصار هذا
الخطاب وان كان خاصا في الصوره لكنه عام في المعنى. فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل
ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد. وفيه ايضا دلالة على ان العالم بالحق يجب عليه
اظهاره ويحرم عليه كتمانه ه وقوله تعالى واقيموا الصلاه يعني حافظوا على الصلوات
الخمس بمواقيتها وركوعها وسجودها وجميع اركانها. والامر من الله تعالى للوجوب ولا خلاف
فيه. وقد تقدم القول في معنى اقامة الصلاه واستقامتها وفي جملة من احكامها والحمد لله ه
وقوله تعالى وآتوا الزكاة يعني وادوا المفروضة من اموالكم. وهذا ايضا امر يقتضي
الوجوب. والايتآء هو الاعطآء يقال آتيته اعطيته. ومنه قول الله تعالى لنؤتانا من فضله
لنصدقن. قال العلمآء والزكوه ماخوذة من زكا الشئ اذا نما وزاد. يقال زكا الزرع
والمال يزكوا اذا كثر وزاد. ورجل زكي اي زايد الخير. وسمي الاخراج من المال زكوة
وهو نقص منه من حيث ان المال يزكو بالبركه او بالاجر الذي يثاب به المزكي. ويقال
ايضا زرع زاكٍ اي بين الزكا. وقيل اصل الزكاة الثنآء الجميل. ومنه زكى القاضي الشاهد
فكان من مخرج الزكوه تحصل لنفسه الثنآء الجميل. وقيل الزكوة ماخوذه من التطهير
كما يقال زكي فلان اي طهر من دنس الجرحة او الاعفال. فكان الخارج من المال يطهره
من تبعة الحق الذي جعل الله فيه للمساكين. الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم سمى ما خرج
من الزكاة اوساخ الناس. وقد قال الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
واختلف العلمآء رضي الله عنهم في المراد بالزكاة هنا. فقال بعضهم المراد بها الزكاة المفروضة
لاقترانها بالصلاه. وقال بعضهم المراد بها صدقة الفطر. وهذا قول الامام مالك في
سماع ابن القاسم. فعلى القول الاول وهو قول اكثر العلمآء فالزكوة في الكتاب بجملته بينتها
النبي صلى الله عليه وسلم. فروى الائمة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليس في حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة اوسق. ولا فيما دون خمس ذود

صدقه • ولا فيما دون خمس اواق صدقه • وقال البخاري اواقٍ من الورق ٥ وروى
البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السما والعيون
او كان عثريًا العشر • وما سقي بالنضح نصف العشر • وستاتي بيان هذا الباب في سورة
الانعام ان شا الله تعالى • وياتي في سورة برآة زكاة العين والماشية والمال الذي لا
يوخذ منه زكوة عند قول الله تعالى خذ من اموالهم صدقة ٥ والله تعالى اعلم • وقوله
تعالى واركعوا قال العلما رضي الله عنهم الركوع في اللغة الانحنا بالشخص • فكل منحنٍ
راكع • وقد الانحنا يعم الركوع والسجود • واختلفوا في تخصيص الركوع بالذكر •
فقال قوم جعل الركوع لما كان من اركان الصلاة عبارة عن الصلاة • قال بعضهم وهذا
ليس مختصا بالركوع وحده • فقد جعل الشرع القرآه عبارة عن الصلاة • والسجود عبارة
عن الركعة بكمالها • قال الله عز وجل وقران الفجر اي صلاة الفجر • وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ادرك سجدة من الصلاة فقد ادرك الصلاة • واهل الحجاز ايضا يطلقون
على الركعة سجدة • وقد انما خص الله الركوع بالذكر لان بني اسرايل لم يكن في صلاتهم ركوع •
وقد انما ذكر الركوع لانه كان ثقيل على القوم في الجاهلية حتى لقد قال بعض من اسلم
للنبي صلى الله عليه وسلم على ان لا اخرّ الا قايما • اي لا اركع الا قايما • فلما تمكن الاسلام
من قلبه اطمانت بذلك نفسه وامتثل ما امر الله به من الركوع • قال العلما والركوع
الشرعي هو ان ينحني الرجل صلبه وتمد ظهره • ويفتح اصابع يديه • ويقبض على ركبتيه • ثم
يطمين راكعا ويقول سبحان ربي العظيم ثلاثا • وذلك ادناه • وروى مسلم عن عايشة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير والقرآه بالحمد لله رب العالمين
وكان اذا ركع لم يشخص راسه ولم يصوبه ولكن بين ذلك • وروى البخاري عن ابي حميد
الساعدي رضي الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كبر جعل يديه حذو
منكبيه • واذا ركع امكن يديه من ركبتيه ثم هصر ظهره الحديث ٥ والركوع فرض وكذلك
السجود لقول الله عز وجل في اخر سورة الحج يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا • وقد تقدم
الكلام في بيان صفة الركوع • واما السجود فقد جا مبينا من حديث ابي حميد الساعدي رضي الله

ان النبی صلی الله علیه وسلم کان اذا سجد مکن جبهته وانفه الارض ونحی یدیه عن جنبیه
ووضع کفیه حذو منکبیه. خرجه الترمذی وقال حدیث حسن صحیح. وروی مسلم عن ابن
رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم اعتدلوا فی السجود. ولا یبسط احدکم
ذراعیه انبساط الکلب ن واختلف العلما ایضا فیمن وضع جبهته فی السجود دون
انفه او انفه دون جبهة فقال الامام مالک یسجد علی جبهته وانفه. وبه قال
الثوری والامام احمد. وهو قول النخعی. وقال الامام احمد لا یجزیه السجود علی احدهما دون
الآخر. وبه قال ابو خیثمة وابن ابی شیبة. قال اسحق ان سجد علی احدهما دون الآخر
فصلاته فاسدة. وهذا قول الاوزاعی. وسعید بن عبد العزیز. وسعید بن جبیر. وعکرمة.
وعبد الرحمن بن ابی لیلی. وکلهم امر بالسجود علی الانف. وهو قول ابن عباس ایضا. وقالت
طائفة یجزی ان یسجد علی جبهته دون انفه. وهذا قول عطا. وطاوس. وعکرمة. وابن سیرین.
والحسن البصری. وبه قال الامام الشافعی وابو ثور. وابو یوسف. ومحمد بن الحسن. وقال
الامام ابو حنیفه ان وضع جبهته ولم یضع انفه او وضع انفه ولم یضع جبهته فقد اساء
وصلاته تامة. والصحیح فی السجود وضع الجبهة والانف لحدیث ابی حمید الساعدی الذی
تقدم. ولما روی البخاری عن ابن عباس رضی الله عنهما قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم
امرت ان اسجد علی سبعة اعظم علی الجبهة. واشار بیده الی انفه والیدین. والرکبتین.
واطراف القدمین. ولا نکفت الثیاب ولا الشعر. وهذا کله محل الصلاة فتعین القول به
والله اعلم. وروی عن الامام مالک انه یجزیه ان یسجد علی جبهته دون انفه کقول عطاء
والامام الشافعی. والمختار عند اصحاب الامام مالک قوله الاول ○ وقال العلما ویکره السجود
علی کور العمامة. والافضل مباشرة الارض او ما یسجد علیه. فان کان هناک ما یوذیه ازاله
قبل دخوله فی الصلاة. فان لم یفعل فلمسحة مسحة واحدة. بدلیل ما روی مسلم عن معیقیب
رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال فی الرجل یسوی التراب حیث یسجد قال
ان کنت فاعلا فواحدة ○ وروی ایضا عن انس رضی الله عنه قال کنا نصلی مع رسول الله صلی
الله علیه وسلم فی شدة الحر فاذا لم یبسط احدنا منکن جبهته من الارض بسط ثوبه فسجد علیه

سطر صحیح السجود

والله اعلم ه واما الاعتدال فقال ابن عبد البر لا يجزى ركوع ولا سجود ولا وقوف بعد
الركوع ولا جلوس بين السجدتين حتى يعتدل واقفا وساجدا وجالسا وهو الصحيح وعليه
جمهور العلما واهل النظر وهى رواية ابن وهب وغيره عن الامام مالك وقد تكاثرت الرواية
عن ابن القاسم وغيره بوجوب الفضل وسقوط الطمانينة وهو وهم عظيم لان النبى صلى الله عليه
وسلم فعلها تعنى الطمانينه وعلمها وامر بها بدليل ما روى النساى والدارقطنى وعلى بن
عبد العزيز عن رفاعة بن رافع رضى الله عنه قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ جاه رجل فدخل المسجد فصلى فلما قضى الصلاه فجا فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع فصل فانك لم تصل وجعل الرجل يصلى
وجعلنا نرمق صلاته لا ندرى ما يعيب منها فلما جا فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى
القوم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وعليك ارجع فصل فانك لم تصل قال همام فلا
ادرى امره بذلك مرتين او ثلاثا فقال له الرجل ما الوث فلا ادرى ما عبت على من صلاتى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا تتم صلاه احدكم حتى يسبغ الوضو كما امره الله عز وجل
فيغسل وجهه ويديه الى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه الى الكعبين ثم
يكبر الله تعالى ويثنى عليه ثم يقرا ام القران وما اذن له فيه وتيسر ثم يكبر فيضع كفيه على ركبتيه
حتى تطمين مفاصله وسترخى ثم يقول سمع الله لمن حمده ويستوى قايما حتى يقيم صلبه وياخذ
كل عظم ماخذه ثم يكبر ويسجد فيمكن وجهه قال همام وربما قال جبهته من الارض حتى
تطمين مفاصله وسترخى ثم يكبر ويستوى قاعدا على مقعده ويقيم صلبه ه فوصف صلوات
الله عليه الصلاه هكذا اربع ركعات حتى فرغ ثم قال لا تتم صلاه احدكم حتى يفعل ذلك ه
ومثله حديث ابى هريره رضى الله عنه خرجه مسلم ه قال بعض المحققين الصلاه المجمله فى الكتاب
بتعليم النبى صلى الله عليه وسلم وتبليغه اياها جمع الآثار فمن لم يقف على هذا البيان واخل بما
فرض عليه الرحمن ولم يمتثل ما بلغه عن نبيه عليه افضل الصلاه واللام كان من جمله من دخل
فى قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاه واتبعوا الشهوات على ما بانى سانه هناك
ان شا الله تعالى ه وروى البخارى ايضا عن رندبن وهب قال راى حذيفة رضى الله عنه رجلا

لا يتم الركوع ولا السجود فقال ما صليت، ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمدا
صلى الله عليه وسلم ٥ وقوله تعالى مع الراكعين قال العلماء رضي الله عنهم قوله
تعالى مع، تقتضي المعية والجمعية، ولهذا قال جماعة من العلماء سا ويل القرآن ان الامر
بالصلاة اولا لم يقتض شهود الجماعة، فامرهم تعالى بقوله مع، بشهود الجماعة، وقد
اختلف العلماء في شهود الجماعة على قولين فالذي ذهب اليه الجمهور ان الجماعة من السنن
المؤكدة، ويجب على من أدمن التخلف عنها من غير عذر العقوبة ٥ وقد اوجبها بعض اهل
العلم فرضا على الكفاية، وقال ابن عبد البر وهذا قول صحيح لاجماعهم على انه لا يجوز ان يجتمع
على تعطيل المساجد كلها من الجماعات، فاذا قامت الجماعة في المسجد فصلاة المنفرد في بيته جايزة
لقول النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة، اخرجه
مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ٥ وروى ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال صلاة الجماعة افضل من صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين جزوا ٥ وقال
داود الصلاة في الجماعة فرض على كل احد في خاصته كالجمعة، واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم
لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد، خرجه ابو داود، وصححه ابو محمد عبد الحق، وهو قول عطا
ابن ابي رباح والامام احمد بن حنبل وابو ثور وغيرهم ٥ وقال الامام الشافعي لا ارخص لمن قدر
على الجماعة في ترك اتيانها الا من عذر، حكاه هذا القول ابن المنذر ٥ وروى مسلم عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل اعمى فقال يا رسول الله انه ليس لي قايد
يقودني الى المسجد، فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له، فلما
ولى دعاه، فقال اتسمع النداء بالصلاة، قال نعم، قال فاجب ٥ وقال ابو داود في هذا الحديث
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اجد لك رخصة، خرجه من حديث ابن ام مكتوم، وذكر انه كان
هو السايل ٥ وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع
النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر، قالوا وما العذر، قال خوف او مرض لم تقبل منه الصلاة التي
صلى، قال ابو محمد عبد الحق هذا الحديث رويه العبدي، والصحيح انه موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما
من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له الا من عذر، وحسبك بهذا الاسناد صحة، ومغترا العبدي

مسئلة ترك الجماعة غير مرخص

روى عنه ابق اسحق ٥ وقال ابن مسعود رضى الله عنه ولقد رايتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق ٥ وقال النبى صلى الله عليه وسلم بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح لا يستطيعونها ٥ قال ابن المنذر رحمه الله عليه وقد روينا عن غير واحد من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم انهم قالوا من سمع النداء فلم يجب من غير عذر فلا صلاة له ٥ منهم ابن مسعود وابو موسى الاشعرى رضى الله عنهما ٥ وروى ابو داود عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان آمر فتيتى فيجمعوا حزما من حطب ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست لهم علة فاحرقها عليهم ٥ وهذا دليل من اوجب الصلاة فى الجماعة فرضا ٥ وهى ظاهرة فى الوجوب ٥ وحملها الجمهور على تاكيد من شهود الصلوات فى الجماعة بدليل حديث ابن عمر وابى هريرة ٥ وحملوا قول الصحابة وما جاء فى الحديث من انه لا صلاة له على الفضل والكمال ٥ وكذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم فاجب محمول على الندب ٥ وقوله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ٥ لا يدل على الوجوب الحتم لانه صلى الله عليه وسلم هم ولم يفعل ٥ وانما مخرجه مخرج التهديد والوعيد للمنافقين الذين كانوا يتخلفون عن الجماعة والجمعة ٥ ويبين هذا المعنى ما رواه مسلم عن عبد الله رضى الله عنه قال من سره ان يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ٥ فان الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى ٥ وانهن من سنن الهدى ٥ ولو انكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ٥ ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ٥ وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد الا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ٥ ويرفعه بها درجة ٥ ويحط عنه بها سيئة ٥ ولقد رايتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق ٥ ولقد كان الرجل يوتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف ٥ فبين رضى الله عنه ان الجماعة سنة من سنن الهدى ٥ وتركها ضلالة ٥ ولهذا قال القاضى عياض رحمه الله اختلف العلماء فى التمالى على ترك ظاهر السنن هل يقاتل عليها امما او الصحيح قتالهم لان فى التمالى عليها اماتتها ٥ قال بعض المحققين هذا اذا اقيمت السنة وظهرت جازت صلاة المنفرد وصحت ٥ بدليل ما روى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته
في سوقه بضعا وعشرين درجة. وذلك ان احدهم اذا توضا فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد لا ينهزه
الا الصلاة اى لا يريد الا الصلاة فلم يخط خطوة الا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيه
حتى يدخل المسجد فاذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه. والملائكة تصلي
على احدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما
لم يؤذ فيه. ما لم يحدث فيه. فقال لابي هريرة ما يحدث. قال يفسو او يضرط ٥ والله اعلم
واختلف العلما ايضا في هذا الفضل المضاف للجماعة هل هو لاجل الجماعة فقط حيث
كانت. او انما يكون ذلك الفضل للجماعة التي يكون في المسجد لما يلازم ذلك من افعال يختص
بالمسجد كما جا في الحديث. ففقه قولان للعلما والاول اظهر. لان الجماعة هو الوصف الذي
علق عليه الحكم. والله اعلم. وما كان من اكثار الخطا الى المساجد وقصد الاتيان اليها والمكث
فيها فذلك زيادة ثواب خارج عن قصد الجماعة. والله اعلم ٥ واختلفوا ايضا هل
تفضل جماعة جماعة بالكثرة وفضيلة الامام. فقال الامام مالك لا تفضل جماعة جماعة
بالكثرة وفضيلة الامام. وقال ابن حبيب تفضل. لان النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة الرجل مع
الرجل ازكى من صلاته وحده. وصلاته مع الرجلين ازكى من صلاته مع الرجل. وما كثر فهو احب
الى الله. اخرجه ابو داود من رواية ابي بن كعب رضي الله عنه وفي اسناده لين ٥ واختلفوا
ايضا فيمن صلى في جماعة هل يعيد صلاته تلك في جماعة اخرى. فقال الامام ابو حنيفه والامام
مالك والامام الشافعي واصحابهم انما يعيد الصلاة في جماعة مع الامام من صلى وحده في بيته
واهله او في غير بيته واما من صلى في جماعة وان قلت فانه لا يعيد في جماعة اكثر منها
ولا اقل. وقال الامام احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وداود بن علي. جايز لمن صلى
في جماعة ووجد جماعة اخرى في تلك الصلاة ان يعيدها معهم ان شا. لانها نافله وسنه.
وهذا مروي عن حذيفة بن اليمان وابي موسى الاشعري وانس بن مالك. وعلقمة بن زفر
والشعبي والنخعي. وبه قال حماد بن زيد. وسليمان بن حرب ٥ واحتج الامام مالك وغيره بقول
النبي صلى الله عليه وسلم لا تصلى صلاة في يوم مرتين. ومنهم من يقول لا تصلوا. رواه سليمان بن

ابن يسار عن ابن عمر رضي الله عنهما ٥ واتفق الامام احمد واسحق على ان معنى هذا الحديث ان
يصلي الانسان الفريضة ثم يقوم فيصلها ثانيه ينوى بها الفرض مرة اخرى. قلنا
اذا صلاها مع الامام على انها سنة وتطوع فليس باعادة الصلاة. وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم للذين امرهم باعادة الصلاة انها لكم نافلة. من حديث ابى ذر وغيره ٥ والله اعلم
وروى مسلم عن ابى مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يؤم القوم اقراؤهم
لكتاب الله فان كانوا فى القراءة سواء فاعلمهم بالسنة فان كانوا فى السنة سواء فاقدمهم هجرة.
فان كانوا فى الهجرة سواء فاقدمهم اسلاما. ولا يؤمن الرجل الرجل فى سلطانه ولا يقعد
فى بيته على تكرمته الا باذنه. وفى رواية اقدمهم سنا مكان سلما. اخرجه ابو داود ٥
قال شعبه فقلت لاسمعيل ما تكرمته قال فراشه. اخرجه الترمذي وقال حديث ابى مسعود
حديث حسن صحيح والعمل عليه عند اهل العلم. قالوا احق الناس بالامامة اقراؤهم لكتاب الله
واعلمهم بالسنة. وقالوا صاحب المنزل احق بالامامة. وقال بعضهم اذا اذن صاحب
المنزل لغيره فلا باس ان يصلي به. وكرهه بعضهم. وقالوا السنة ان يصلي صاحب البيت ٥
وروي عن الاشعث بن قيس انه قدم غلاما وقال انما اقدم القران. ومن قال يؤم
القوم اقراؤهم ابن سيرين والثورى واسحق والامام ابو حنيفة واصحابه. قال ابن المنذر
بهذا نقول لانه موافق للسنة. وقال الامام مالك تقدم القوم اعلمهم اذا كانت حاله حسنة
وان للسن حقا. وقال الاوزاعى يؤمهم افقههم. وكذلك قال الامام الشافعى وابو ثور
اذا كان يقرا القران. وذلك ان الفقيه اعلم بما ينوبه من الحوادث فى الصلاة. وتاولوا الحديث
بان الاقرأ من الصحابة كان الافقه لانهم كانوا يتفقهون فى القران وقد كان من عرفهم
الغالب تسمية الفقها بالقراء. واستدلوا بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات
فيه ابا بكر لفضله وعلمه. قال اسحق انما قدمه النبي صلى الله عليه وسلم ليدل على انه الخليفة
بعده. ذكره ابو عمر بن عبد البر فى التمهيد ٥ وروى ابو بكر البزار باسناد حسن عن ابى
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافرتم فليؤمكم اقراؤكم وان
كان اصغركم. واذا امتكم فهو اميركم ٥ قال لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الا

من روایة ابی هریرة بهذا الاسناد ٥ واما امامة الصغیر فجایزة اذا کان قاریا لدلیل ما
ما روی البخاری عن عمرو بن سلمة رضی الله عنه قال کنا بمآءٍ فمرّ الناس وکان یمرّ بنا الرکبان
فنسالهم ما للناس ما للناس ما هذا الرجل فیقولون یزعم ان الله ارسله اوحی الیه کذا اوحی
الیه کذا فکنت احفظ ذلک الکلام فکانما یقرا فی صدری وکانت العرب تلوّم باسلامها
فیقولون اترکوه وقومه فانه ان ظهر علیهم فهو نبی صادق فلما کانت وقعة الفتح بادر کل
قوم باسلامهم وبدر ابی قومی باسلامهم فلما قدم قال جئتکم والله من عند نبی الله حقا
قال صلوا صلاة کذا فی حین کذا وصلاة کذا فی حین کذا فاذا حضرت الصلاة فلیؤذن احدکم
ولیؤمکم اکثرکم قرانا فنظروا فلم یکن احد اکثر منی قرانا لما کنت اتلقی من الرکبان فقدمونی
بین ایدیهم وانا ابن ست سنین او سبع سنین وکان علیّ بردة اذا سجدت تقلصت عنی فقالت
امراة من الحی الا تغطوا عنا است قاریکم فاشتروا فقطعوا لی قمیصا فما فرحت بشیء فرحی
بذلک القمیص ٥ وهذا دلیل من اجاز امامة الصبی ٥ ومن اختار امامة الصبی غیر البالغ الحسن
البصری واسحق بن راهویه واختار ابن المنذر اذا عقل الصلاة وقام بها لدخوله فی جملة قول
النبی صلی الله علیه وسلم یؤم القوم اقراوهم ولم یستثن ولحدیث عمرو بن سلمة المتقدم وقال
الشافعی فی احد قولیه یوم الصبی فی سایر الصلوات ولا یوم فی الجمعة وقد کان یقول
قبل ومن اجزات امامته فی المکتوبة اجزات امامته فی الاعیاد غیر انی اکره فیهما امامة
غیر الوالی وقال الاوزاعی لا یؤم الغلام فی الصلاة المکتوبة حتی یحتلم الا ان یکون قوم
لیس معهم من القران شی فانه یومهم الغلام المراهق وقال الزهری ان اضطروا الیه امّهم
ومنع ذلک جمله الامام مالک والامام ابو حنیفه واصحابه والثوری والله اعلم ٥
وقال العلما ایضا الایتمام بکل امام بالغ مسلم حر علی استقامة جایز من غیر خلاف اذا
کان یعلم حدود الصلاة ولم یکن یلحن فی ام القران لحنا یختل به المعنی مثل ان یکسر الکاف
من اناک نعبد او یضم التا فی انعمت ومن العلما من راعی الطا من الضاد وقال من لم یفرق
بینهما لا تصح امامته لان معناهما یختلف ومنهم من رخص فی ذلک کله اذا کان جاهلا بالقراة
وامّ مثله ٥ ولا یجوز الایتمام بامراة ولا خنثی مشکل ولا کافر ولا مجنون ولا امی ولا

لا تصح امامة من لم یفرق بین الظاء والضاد

ولا يكون واحد من هؤلآء اماما بحال من الاحوال عند اكثر العلمآء على ما ياتى ذكره الا الامى لمثله
قال اصحاب الامام مالك لا تصح امامة الامى الذى لا يحسن القرآة مع حضور القارى له ولا
لغيره وكذلك قال الامام الشافعى فان امر اميا مثله صحت صلاتهم عند الامام مالك والامام
الشافعى وقال الامام ابو حنيفة اذا صلى الامى بقوم يقرون وبقوم اميين فصلاتهم كلهم
فاسدة وخالفه ابو يوسف فقال صلاة الامام ومن لا يقرا تامة ٥ وقالت فرقة صلاتهم
كلهم جايزة لان كلا يودى فرضه وذلك مثل المتيمم يصلى بالمتطهرين بالمآء والمصلى قاعدا يصلى
بقوم قيام صلاتهم تجزيه فى قول من خالف مالكا وغيره لان كلا مودى فرض نفسه ٥ والله اعلم
وكان عطآء بن ابى رباح يقول اذا كانت امراة تقرا كبر هو وتقرا هى فاذا فرغت من القراءة كبر
وركع وسجد وهى خلفه تصلى وروى هذا المعنى عن قتادة ٥ قال العلما ولا باس ايضا بامامة
الاعمى والاعرج والاشل والاقطع والخصى والعبد اذا كان كل واحد منهم عالما بالصلاة ٥
وقال ابن وهب لا ارى ان يؤم الاقطع والاشل لانه منتقص عن درجة الكمال وكرهنا امامته
لاجل النقص وخالفه جمهور اصحابه وهو الصحيح لانه عضو لا يمنع فقده من فرض من فروض
الصلاة فجازت الامامة الراتبة مع فقده كالعين وقد روى انس رضى الله عنه ان النبى صلى
الله عليه وسلم استخلف ابن ام مكتوم يوم الناس وهو اعمى ٥ وكذا الاعرج والاقطع والاشل
والخصى قياسا ونظرا والله اعلم ٥ وقد روى عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال فى
الاعمى وما احاجتهم اليه وكان ابن عباس وعتبان بن مالك رضى الله عنهما يومان وكلاهما اعمى
وعلى هذا عامة العلمآء والله اعلم ٥ واختلفوا ايضا فى امامة ولد الزنا فقال الامام مالك اكره
ان يكون اماما راتبا وكره ذلك عمر بن عبد العزيز وكان عطآء بن ابى رباح يقول له ان يوم اذا
كان مرضيا وهو قول الحسن البصرى والزهرى والنخعى وسفين الثورى والاوزاعى والامام
احمد واسحق ٥ وتجزى الصلاة خلفه عند الامام ابى حنيفه واصحابه وغيره احب اليهم ٥
وقال الامام الشافعى اكره ان ينصب اماما راتبا من لا يعرف ابوه ومن صلى خلفه اجزاه
وقال عيسى بن دينار لا اقول بقول مالك فى امامة ولد الزنا وليس عليه من ذنب ابويه شى
وقال ابن عبد الحكم اذا كان فى نفسه اهلا للامامة قال ابن المنذر يوم لدخوله فى قول رسول

الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم اقراؤهم ۰ وقال ابو عمر بن عبد البر وليس في شئ من الآثار
الواردة في شرط الامامة ما يدل على مراعاة بسبب وانما فيها الدلالة على الفقه والقراءة والصلاح
في الدين والله اعلم ۵ واما امامة العبد فروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما قدم
المهاجرون الاولون العصبة موضعا بقبا قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤمهم سالم
مولى ابي حذيفة وكان اكثرهم قرانا ۵ وعنه رضي الله عنه قال كان سالم مولى ابي حذيفة
يؤم المهاجرين الاولين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد قبا فيهم ابو بكر وعمر وزيد
وعامر بن ربيعة ۰ وكانت عائشة رضي الله عنها يؤمها عبدها ذكوان من المصحف ۵ قال
ابن المنذر وأمر ابو سعيد مولى ابي اسيد وهو عبد نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم حذيفة وابو مسعود ۵ ورخص في امامة العبد النخعي والشعبي والحسن البصري
والحكم والثوري والامام الشافعي والامام احمد واسحق والامام ابو حنيفة واصحابه ۵
وكره ذلك ابو مجلز ۰ وقال الامام مالك لا يؤمهم الا ان يكون العبد قاريا ومن معه من
الاحرار لا يقرؤن الا ان يكون في عبيد او جمعة فان العبد لا يؤمهم فيها ۰ ويجزي عند
الاوزاعي ان صلوا وراءه ۰ قال ابن المنذر والعبد داخل في جملة قول النبي صلى الله عليه
وسلم يؤم القوم اقراؤهم ۵ والله اعلم ۰ واما امامة المراة ۰ فروى البخاري عن ابي بكرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ان اهل فارس قد ملكوا بنت كسرى قال
لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة ۵ وروى ابو داود ايضا عن عبد الرحمن بن خلاد عن ام ورقة
بنت عبد الله رضي الله عنها قال ۰ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها في بيتها قال وجعل
لها مؤذنا يؤذن لها وأمرها ان تؤم اهل دارها ۰ قال عبد الرحمن فانا رايت مؤذنها شيخا
كبيرا ۵ قال ابن المنذر والامام الشافعي يوجب الاعادة على من صلى من الرجال خلف المراة ۵
وقال ابو ثور لا اعادة عليهم ۰ وهذا قياس قول المزني ۰ وقال اصحاب الامام مالك لا تصح امامتها
للرجال ولا للنساء ۰ وروى ابن ايمن جواز امامتها للنساء ۵ والله اعلم ۵ واما امامة الخنثى
المشكل فقال الامام الشافعي لا يؤم الرجال ويؤم النساء ۰ وقال الامام مالك لا تكون اماما بحال ۰
وهو قول اكثر العلماء ۵ ۰ واما الكافر المخالف للشرع كاليهودي والنصراني اذا ام المسلمين وهم لا

يعلمون بكفره فكان الامام الشافعي والامام احمد يقولان لا يجزيهم ويعيدون وبه قال
الامام مالك واصحابه لانه ليس من اهل القربه وقال الاوزاعي يعاقب وقال ابو ثور
والمزني لا اعادة على من صلى خلفه ولا يكون بصلاته مسلما عند الامام الشافعي وابي ثور
وقال الامام احمد يجبر على الاسلام ۝ واما اهل البدع من اهل الاهوا كالمعتزله والجهميه
وغيرهما فذكر البخاري عن الحسن صل وعليه بدعته وقال الامام احمد لا يصلى خلف
احد من اهل الاهوا اذا كان داعيه الى هواه وقال الامام مالك ويصلى خلف اسمه اجود
ولا يصلى خلف اهل البدع من القدريه وغيرهم وقال ابن المنذر كل من اخرجته بدعته
الى الكفر لم تجز الصلاه خلفه ومن لم يكن كذلك فالصلاه خلفه جايزة ولا يجوز تقديم
من هذه صفته والله اعلم ۝ واما الفاسق بجوارحه كالزاني وشارب الخمر ونحو ذلك
فاختلف فيه اصحاب الامام مالك فقال ابن حبيب من صلى وراء من شرب الخمر فانه يعيد ابدا
الا ان يكون الوالي الذي تودى اليه الطاعة فلا اعادة على من صلى خلفه الا ان يكون حينئذ
سكران وروى من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال على المنبر لا تؤمن امراة رجلا ولا يؤمن اعرابي مهاجرا ولا يؤمن فاجر برا
الا ان يكون ذا سلطان ۝ وروى الدارقطني عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان سركم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم ۝ وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا ائمتكم خياركم فانهم وفد فيما بينكم وبين الله
عز وجل والله تعالى اعلم ۝ وروى الائمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما جعل
الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا قال سمع الله لمن حمده
فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد واذا سجد فاسجدوا واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا اجمعون ۝
واختلف العلما فيمن رفع او خفض قبل الامام عامدا على قولين احدهما ان صلاته
فاسده ان فعل ذلك كلها او اكثرها وهو قول اهل الظاهر ۝ وروي عن ابو قلابة عن
ابي الورد الانصاري قال صليت الى جنب ابن عمر فخطت ارفع قبل الامام واضع قبله فلما
سلم الامام اخذ ابن عمر بيدي فلوا ني وجذبني فقلت ما لك قال من انت قلت فلان

سطا الشيخ على اعادة الصلوة التي
يصليها خلف الكافر

ابن فلان. قال انت من اهل بيت صدق. فما يمنعك ان تصلي. قال اُمارايتني الى جنبك.
قال قد رايتك ترفع قبل الامام وتضع قبله. وانه لاصلاة لمن خالف الامام ٥ وقال
الحسن فيمن ركع او سجد قبل الامام ثم رفع من ركوعه او سجوده قبل ان يركع الامام او يسجد
لم تعتد بذلك ولم تجزه. وقال اكثر العلماء من فعل ذلك فقد اساء ولم تفسد صلاته لان الاصل
في صلاة الجماعة والايتمام فيها بالائمة سُنّة حسنة فمن خالفها بعد ان ادّى فرض صلاته باطمارنيها
وركوعها وسجودها وفرايضها فليس عليه اعادتها وان اسقط بعض سُنَنها. لانه لو شاء ان ينفرد
فصلى قبل امامه تلك الصلاة اجزات عنه. وبيس ما فعل في ترك الجماعة ٥ وقالوا ايضا من
دخل في صلاة الامام فركع بركوعه وسجد بسجوده ولم يكن في ركعةٍ وامامه في اخرى فقد اقتدى
وان كان يرفع قبله ويخفض قبله. لانه يركع ويسجوده يسجد ويرفع وهو في ذلك تبع
الا انه مسيء في فعله ذلك لخلافه سُنّة الماموم المجتمع عليها. وصحح بعض المتاخرين القول الاول
فان الامام انما جعل ليوتم به ويقتدى بافعاله. ومنه قوله تعالى اني جاعلك للناس اماما.
اي يأتمون بك على ما اتاني بيانه. هذا حقيقة الامام لغة وشرعا فمن خالف امامه لم يتبعه.
ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم بيّن فقال اذا كبر فكبروا الحديث. فاتى بالفا التي توجب التعقيب
وهو المبيّن عن الله عز وجل مراده. ثم اوعد على من رفع او ركع قبل وعيدا شديدا. فقال صلى
الله عليه وسلم اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار. او صورته
صورة حمار. اخرجه الامام مالك في الموطا والبخاري ومسلم وابو داود وغيرهم. وقال ابو هريرة
رضي الله عنه في الذي يرفع راسه قبل الامام انما ناصيته بيد شيطان. وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل عمل ليس عليه امرنا فهو رَدٌّ. يعني مردودا. فمن يعمل خلاف امامه عالما انه مامور
باتباعه منهي عن مخالفته فقد استخف بصلاته وخالف ما اُمِر به فواجب ان لا تجزي عنه
صلاتُه تلك والله اعلم ٥ فان رفع راسه ساهيا قبل الامام. قال الامام مالك السُّنة فيمن سَهى
ففعل ذلك في ركوع او سجود ان يرجع راكعا او ساجدا ولا ينتظر الامام. وذلك خطا ممن فعله
لان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما جعل الامام ليوتم به فلا تختلفوا عليه ٥ قال ابن عبد البر
ظاهر قول الامام مالك هذا لا يوجب الاعادة على من فعله عامدا لقوله وذلك خطا ممن فعله لان

قبل الامام مطلقا وعيد شديد

الاثم عن الساهي موضوع ۞ وهذا الاختلاف انما هو فيما عدا تكبيرة الاحرام والسلام
اما السلام فقد تقدم القول فيه • واما تكبيرة الاحرام فالجمهور على ان تكبيرة الامام لا يكون
لا تكون الا بعد تكبيرة الامام • الا ما روى عن الامام الشافعي في احد قوليه انه ان كبر قبل
امامه تكبيرة الاحرام اجزات عنه لحديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جا الى الصلاة فلما كبر انصرف واومأ اليهم ان كما انتم • ثم خرج ثم جا ورأسه تقطر
فصلى بهم فلما انصرف قال انى كنت جنبا فنسيت ان اغتسل • ومن حديث انس فكبر وكبرنا معه •
وسيأتي بيان هذا عند قوله تعالى في سورة النسا ولا جنبا ان شا الله تعالى ۞ وروى
مسلم عن ابي مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة
ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وليلني منكم اولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم قال ابو مسعود فانتم اليوم اشد اختلافا • وزاد من حديث عبد الله واياكم
وهيشات الاسواق • قوله صلى الله عليه وسلم استووا قال العلما امر بتسوية الصفوف
وخاصة الصف الاول وهو الذي يلي الامام على ما ياتي بيانه في سورة الحجر ان شا الله تعالى
فهناك ياتي الكلام على معنى هذا الحديث بحول الله تعالى ۞ واختلف العلما ايضا في كيفية
الجلوس في الصلاة لاختلاف الآثار في ذلك • فقال الامام مالك واصحابه يفضي المصلي باليتيه
الى الارض وينصب رجله اليمنى وثني رجله اليسرى كما رواه في الموطا عن يحيى بن سعيد ان
القاسم بن محمد أراهم الجلوس في التشهد فنصب رجله اليمنى وثنى رجله اليسرى وجلس على
وركه الايسر ولم يجلس على قدميه • ثم قال اراني هذا عبد الله بن عمر وحدثني ان اباه كان يفعل
ذلك • وهذا المعنى جا ايضا في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراه بالحمد لله رب العالمين • وكان اذا ركع لم يشخص راسه
ولم يصوبه ولكن بين ذلك • وكان اذا رفع راسه من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائما • وكان
اذا رفع راسه من السجدة لم يسجد حتى يستوي قاعدا • وكان يقرا في كل ركعتين التحية • وكان
يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى • وكان ينهى عن عقبة الشيطان • وينهى ان يفترش الرجل
ذراعيه افتراش السبع • وكان يختم الصلاة بالتسليم ۞ ولاجل هذا الحديث قال ابن عمر

رضی الله عنه انما سنة الصلاة ان تنصب رجلك اليمنى وتثنى اليسرى ۰ وقال الامام ابوحنيفه
واصحابه وسفين الثورى والحسن بن صالح ينصب رجله اليمنى ويقعد على اليسرى لحديث
وايل بن حجر رضى الله عنه ۰ وكذلك قال الامام الشافعى والامام احمد فى الجلسه الوسطى ۰ وقال
فى الآخرة من الظهر او العصر او المغرب او العشا كقول الامام مالك ۰ لحديث ابى حميد الساعدى
رضى الله الذى رواه البخارى ۰ قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم اذا كبر جعل يديه حذو منكبيه ۰
واذا ركع امكن يديه من ركبتيه ثم هصر ظهره ۰ فاذا رفع استوى حتى يعود كل فقار مكانه ۰
فاذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا قابضهما واستقبل باطراف اصابع رجليه القبله ۰
واذا جلس فى الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب الاخرى ۰ واذا جلس فى الركعة الاخره قدم
رجله اليسرى ونصب اليمنى وقعد على مقعدته ۰ قال الطبرى ان فعل هذا فحسن ۰ وان فعل
هذا فحسن كل ذلك قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ۰ وروى مالك عن مسلم بن ابى مريم
عن عبد الرحمن المعاوى انه قال رانى عبد الله بن عمرو انا اعبث بالحصا فى الصلاة ۰ فلما انصرف
نهانى وقال اصنع كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ۰ قال كان اذا جلس فى الصلاة وضع
كفه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض اصابعه كلها واشار باصبعه التى تلى الابهام ۰ ووضع كفه
اليسرى على فخذه اليسرى ۰ وقال هكذا كان يفعل ۰ صلى الله عليه وسلم ۰ قال ابن عبد البر وما
وصفه ابن عمر من وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض اصابع يده تلك كلها الا السبابه منها
فانه يشير بها ۰ ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى مفتوحة الاصابع كل ذلك سنة فى الجلوس مؤخره م
فى الصلاة مجمع عليها لاختلاف علمه بين العلما فيها ۰ وحسبك بهذا ۰ الا انهم اختلفوا فى
فى تحريك اصبعه السبابة ۰ فمنهم من راى تحريكها ۰ ومنهم من لم يره ۰ وكل ذلك مروى فى الآثار
والصحاح المسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم ۰ وجميعه مباح ۰ والحمد لله ۰ وروى سفين بن
عيينة هذا الحديث عن مسلم بن ابى مريم بمعنى ما رواه مالك ۰ وزاد فيه قال سفين وكان يحيى
ابن سعيد حدثناه عن مسلم ثم لقيته فسمعته منه ۰ وزادنى فيه قال هى مذبة الشيطان ۰
لا يبهوا احدكم ما دام يشير باصبعه ويقول هكذا ۰ وروى ابو داود فى حديث عبد الله بن
الزبير رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يشير باصبعه اذا دعا ولا يحركها ۰ والى هذا ذهب

بعض العراقيين فمنع من تحريكها وبعض اصحاب الامام مالك وراوا ان الاشارة بها من غير
تحريك اشارة الى دوام التوحيد وذهب اكثر العلما من اصحاب الامام مالك وغيرهم
الى تحريكها الا انهم اختلفوا فى الموالاه بالتحريك على قولين تاول من قال بالموالاة ان
ذلك يذكر موالاة الحضور فى الصلاة وبانها مقمعة ومدفعة للشيطان على ما روى
سفين ومن لم يوال راى تحريكها عند التلفظ بكلمتى الشهادة وتاول فى الحركة
كانها نطق بذلك الجارحه بالتوحيد والله اعلم ٥ واختلفوا ايضا فى جلوس المراه فى
الصلاة فقال الامام مالك هى كالرجل ولا تخالفه فيما بعد الاحرام الا فى اللباس والجهر
وقال سفين الثورى تسدل المراة رجلها من جانب واحد ورواه ابرهم النخعى وقال
الامام ابو حنيفة واصحابه تجلس المراة كايسر ما يكون لها والله اعلم ٥ وروى مسلم
عن طاوس قال قلنا لابن عباس فى الاقعا على القدمين فقال هى السنه فقلنا له انا لنراه
جفاا بالرجل فقال ابن عباس هى سنة نبيك صلى الله عليه وسلم ٥ وقد اختلف العلما
فى صفة الاقعا ما هو فقال ابو عبيد الاقعا جلوس الرجل على اليتيه ناصبا فخذيه
مثل اقعا الكلب والسبع قال ابن عبد البر هذا اقعا مجمع عليه لا تختلف العلما فيه
وهذا تفسير اهل اللغة وطائفة من اهل الفقه قال ابو عبيد واما اهل الحديث فانهم
يجعلون الاقعا ان يجعل اليتيه على عقبيه بين السجدتين قال القاضى عياض والاشبه
عندى فى تاويل الاقعا الذى قال فيه ابن عباس انه من السنة الذى فسر به الفقها من
ان وضع الاليتين على العقبين بين السجدتين وكذا جا مفسرا عن ابن عباس من السنه ان
يمس عقبك اليتك رواه ابرهم بن ميسره عن طاوس عنه ٥ وقد روى عن جماعة من
السلف والصحابه رضى الله عنهم انهم كانوا يفعلونه ولم يقل بذلك عامة فقها الامصار
وسموه اقعاا ٥ وروى عبد الرزاق عن معمر عن طاوس عن ابيه انه راى ابن عمر وابن
عباس وابن الزبير يقعون بين السجدتين والله اعلم ٥ ولم يختلف من قال من العلما بوجوب
التسليم وعدم وجوبه ان التسليمة الثانيه ليست بفرض الا ما روى عن الحسن بن حى
انه اوجب التسليمتين معا قال ابو جعفر الطحاوى لم نجد عن احد من اهل العلم الذين

الذين ذهبوا الى التسليمتين ان الثانيه من فرايضها غيره. قال ابن عبد البر حجة الحسن بن
صالح فى اجابه التسليمتين معا. وقوله ان من احدث بعد الاولى وقبل الثانيه فسدت صلاته قوله
صلى الله عليه وسلم تحليلها التسليم. ثم سن كيف التسليم فكان يسلم عن يمينه وعن يساره ٥
ومن حجة من اوجب التسليمة الواحدة دون الثانية قول النبى صلى الله عليه وسلم تحليلها
التسليم. قالوا والواحدة تقع عليها اسم تسليم. قال بعضهم وهذه المسئلة مبنيه على الاخذ باقل
الاسم او باخره. ولما كان الدخول فى الصلاه بتكبير واحد باجماع. فكذلك الخروج منها
بتسليم واحد. الا انه تواترت السنن الثابته من حديث ابن مسعود. وهو اكثرها تواترا. ومن
حديث وايل بن حجر الحضرمى. وحديث عمار. وحديث البرا بن عازب. وحديث ابن عمر. وحديث
سعد بن ابى وقاص رضى الله عنهم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمتين ٥ وروى ابن حريج
وسليمان بن بلال وعبد العزيز بن محمد الدراوردى كلهم عن عمرو بن يحيى المازنى عن محمد بن يحيى
ابن حبان عن عمه واسع بن حبان قال قلت لابن عمر حدثنى عن صلاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف كانت فذكر التكبير كلما رفع راسه وكلما خفضه. وذكر السلام عليكم ورحمة الله عن يمينه
والسلام عليكم ورحمة الله عن يساره. قال ابن عبد البر وهذا اسناد مدنى صحيح ٥ والعمل
المشهور بالمدينه التسليمة الواحده. وهو عمل قد توارثه اهل المدينة كابرا عن كابر.
ومثله يصح فيه الاحتجاج بالعمل فى كل بلد. لانه لا يخفى. لوقوعه فى كل يوم مرارا. وكذلك
العمل بالكوفة وغيرها مستفيض عندهم بالتسليمتين متوارث عندهم ايضا. وكل ما جرى
هذا المجرى فهو اختلاف فى المباح كالاذان. وكذلك لا يروى عن عالم بالحجاز ولا بالعراق
ولا بالشام ولا بمصر انكار التسليمه الواحدة ولا انكار التسليمتين بل ذلك عندهم معروف.
وحديث التسليمه الواحدة رواه سعد بن ابى وقاص. وعائشة. وانس رضى الله عنهم. الا انها
معلومة لا يصححها اهل العلم بالحديث ٥ والله اعلم واما التشهد فروى الدارقطنى عن
ابن مسعود رضى الله عنه انه قال من السنه ان يخفى التشهد. واختار تشهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وهو التحيات لله الزاكيات لله الطيبات الصلوات لله السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. اشهد ان لا اله الا الله. واشهد ان محمدا عبده ورسوله ٥

وهذا هو الذى اختاره الامام مالك واصحابه ۝ واختار الامام الشافعى واصحابه والليث بن سعد
تشهد ابن عباس ۝ قال رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما
يعلمنا السورة من القران ۝ فكان يقول التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ۝ السلام
عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته ۝ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ۝ اشهد ان لا
اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ۝ واختار الامام ابو حنيفة وسفيان الثورى واهل
الكوفه واكثر اهل الحديث تشهد ابن مسعود رضى الله عنه الذى رواه مسلم ايضا قال كنا
نقول فى الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام على الله السلام على فلان ۝ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ان الله هو السلام ۝ فاذا قعد احدكم فى الصلاة فليقل
التحيات لله ۝ والصلوات والطيبات ۝ السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته ۝ السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين ۝ اشهد ان لا اله الا الله ۝ واشهد ان محمدا عبده ورسوله ۝ ثم يتخير من
المسئلة ما شاء ۝ وبه قال الامام احمد بن حنبل واسحق وداود ۝ وكان احمد بن خالد بالاندلس
يختار هذا التشهد ويميل اليه ۝ وروى ايضا عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه مرفوعا وموقوفا
نحو تشهد ابن مسعود هذا ۝ وكل هذا اختلاف فى مباح ليس شئ منه على الوجوب ۝ والحمد لله ۝
فهذه جمله من احكام الامام والماموم تتضمنها قول الله عز وجل واركعوا مع الراكعين ۝
وسيأتى بيان القول فى القيام فى الصلاة عند قوله تعالى وقوموا لله قانتين ۝ ويأتى هذا الحكم
الامام المريض وغيره من احكام الصلاة ۝ ويأتى فى سورة آل عمران حكم صلاة المريض عند الامام ۝
ويأتى فى سورة النساء صلاة الخوف حكم صلاة المفترض خلف المتنفل ۝ ويأتى فى سوره مريم حكم
الامام يصلى ارفع من المامومين الى غير ذلك من الاوقات والاذان والمساجد ۝ وهذا كله
بيان لقول الله تعالى واقيموا الصلاة ۝ وقد تقدم فى اول السورة شئ من احكام الصلاة ۝ والحمد لله
على كل حال ۝ قوله عز وجل اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم قال المفسرون
هذا استفهام معناه التوبيخ ۝ وقال بعضهم استفهام فيه التقرير مع التقريع والتعجب
من حالهم ۝ والبر اسم جامع لجميع اعمال الخير والطاعات ۝ والنسيان والسهو ضد الذكر ۝
الا ان بين السهو والنسيان فرقا ۝ وهو ان النسيان عزوب الشئ عن النفس بعد حضوره ۝

والسهو قد يكون عما كان الانسان عالما به وعما لم يكن عالما به. وقد يكون النسيان بمعنى
الترك كما قال تعالى نسوا الله فنسيهم ۝ قال العلما نزلت هذه الآية في علما اليهود وذلك
ان الرجل منهم كان يقول لصهره وقريبه ورضيعه وحليفه من المسلمين في السر اذا ساله
عن امر النبي صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه وما يامرك به فان امره حق وقوله صدق
فكانوا يامرون الناس بذلك ولا يفعلونه فانزل الله فيهم هذه الاية اتامرون الناس بالبر اى
باتباع النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره. فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه ۝ وقيل
في سبب نزولها ان جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم وندعوكم
الى الحق. وكانوا يرغبونهم في اتباعه. فلما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه
وكفروا به فبكتهم الله وبخهم بذلك. وقال ابن جريج كان الاحبار يحضون الناس على طاعة
الله تعالى. وكانوا يواقعون المعاصي. وقالت فرقة كانوا يحضون الناس على الصدقة ويخلون
بها والمعنى متقارب. فوبخهم الله بذلك. فقال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم اي
وتعدلون عما لها فيه نفع. وقال بعض اهل الاشارات معناه اتطالبون بحقايق المعاني
وانتم تخالفون عن ظواهرها رسومها فصل في شدة عذاب من هذه صفته عن انس بن
مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي مررت على ناس تقرض
شفاههم بمقاريض من نار. فقلت ياجبريل من هولاء. قال هولاء خطباء من امتك يامرون الناس
بالبر وينسون انفسهم. وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون. وعن ابي امامة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم يجرون قصبهم
في نار جهنم. فيقال لهم من انتم فيقولون نحن الذين كنا نامر الناس بالخير وننسى انفسنا. وعن
اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوتى يوم القيامة
بالرجل فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه. فيجتمع اليه
اهل النار. فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر. فيقول بلى قد كنت
آمر بالمعروف ولا آتيه. وانهى عن المنكر وآتيه ۝ والقصب والاقتاب هي الامعاء. قال
العلما دلت الآية الكريمة والحديث الصحيح ان عقوبة من كان عالما بالمعروف وبالمنكر ويوبخ

القيام بوظيفة كل واحد منهما اشد ممن لم يعلمه لانه كالمستهزئ بحرمات الله تعالى
ومستخف باحكامه وهو ممن لم ينتفع بعلمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد
الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه اخرجه ابن ماجه رحمه الله ٥ واعلم
وفقك الله ان التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الامر بالبر ولهذا ذم الله
تعالى في كتابه العزيز قوما كانوا يامرون باعمال البر ولا يعملون بها ذمًا وخصهم به توبيخا
يبقى على طول الدهر الى يوم القيامة قال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم الآية ٥
وانشد ابو العتاهية ٥

وصفتَ التُّقى حتى كانك ذُو تُقًى ... ورِحْتَ الخطايا من ثيابك تَسْطَعُ ٥

وانشد ابو الاسود الدؤلي ٥

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك اذا فعلتَ عظيمُ
وابدأ بنفسك فانهَها عن غيّها ... فاذا انتهت عنه فانت حكيمُ
فهناك يُقبل ان وعظتَ ويُقتدى ... بالقول منك وينفع التعليمُ

وقال ابو عمر بن مطر حضرت مجلس ابي عثمان الجيزي الزاهد فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد عليه
لتذكير الناس فسكت حتى طال سكوته فناداه رجل كان يعرف بابي العباس وقال له
ترى ان تقول في سكوتك شيأ فانشأ يقول ٥

وغيرُ تقيٍّ يأمرُ الناسَ بالتُّقى ... طبيبٌ يُداوي والطبيبُ مريضُ

قال فارتفعت الاصوات بالبكاء والضجيج ٥ وقال ابرهيم النخعي رحمة الله عليه اني لاكره القصص
لثلاث آيات قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لم تقولون ما لا تفعلون وقوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ٥ وانشد سلم بن عمرو

ما اقبح التزهيدَ من واعظٍ ... يُزهِّدُ الناسَ ولا يزهدُ
لو كان في تزهيده صادقا ... اضحى وامسى بيته المسجدُ
ان رفض الدنيا فما بالُه ... يستمنح الناسَ ويستفدُ
الرزق مقسوم على من ترى ... يسعى له الابيض والاسودُ

سطالر جليلة للواعظين

سطالر ما ايتها

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله عظ اصحابك فقال انى اخاف ان اقول مالا افعل فقال له يرحمك الله وايتنا يفعل ما يقول ٥ ويود الشيطان انه قد ظفر بهذا فلم يامر احد بمعروف ولم ينه عن منكر وحكى مالك عن ربيعة بن ابى عبد الرحمن قال سمعت سعيد بن جبير رحمه الله عليه يقول لو كان المرء لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شئ مما امر احد بمعروف ولا نهى عن منكر قال مالك وصدق من ذا الذي ليس فيه والله اعلم وقوله تعالى وتنسون انفسكم اى تتركون انفسكم والنسيان بالكسر يكون بمعنى الترك وهو المراد هنا وفى قوله تعالى نسوا الله فنسيهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به وهو قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم ويكون خلاف الذكر والحفظ ومنه الحديث نسى ادم فنسيت ذريته وقوله تعالى وانتم تتلون الكتاب يعنى تقرون التوراة وتدرسونها وفيها نعت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال القبيحة والاثم ٥ افلا تعقلون يعني انه حق فتتبعونه وتصدقونه وقيل افلا تعقلون اى تمنعون انفسكم من مواقعة هذا الحال الموذية لكم ٥ والعقل هو المنع وقيل العقل قوة لتهيى قبول العلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول على بن ابى طالب رضى الله عنه العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع كما لا ينفع مسموع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع وقال بعضهم اصل العقل الامساك لانه ماخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة وقال الزجاج العاقل العاقل من عمل بما اوجب الله عليه فمن لم يعمل به فهو جاهل واعلم ان اهل الحق اتفقوا على ان العقل كاين موجود ليس بقديم ولا معدوم لانه لو كان معدوما لما اختص بالاتصاف به بعض الذوات دون بعض واذا ثبت وجوده فستحيل القول بقدمه اذ الدليل قد قام على ان لا قديم الا الله تعالى على ما بانى بيانه فى هذه السورة وغيرها ان شا الله تعالى وقالت الفلاسفة ان العقل قديم ومنهم من قال انه جوهر لطيف فى البدن ينبث شعاعه فيه بمنزله السراج فى البيت يفصل به بين حقايق المعلومات ومنهم من قال انه جوهر بسيط

كيفية العقل

اى غير مركب • ثم اختلفوا فى محله • فقالت طائفة منهم محله الدماغ • لان الدماغ محل ١١١
الحس • وقالت طائفة اخري محله القلب • لان القلب معدن الحياة ومادة الحواس
قال بعضهم وهذا القول فى العقل انه جوهر فاسد من حيث ان الجواهر متماثله • فلو كان
جوهر عقلا لكان كل جوهر عقلا • وهذا القول وان كان اقرب مما قبله فيبعد عن الصواب
من جهة ان الادراك من صفات الحي • والعقل عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل ان يكون
ملتذا ومشتهيا • وقال الشيخ ابو الحسن الاشعرى والاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وغيرهما
من المحققين العقل هو العلم • بدليل انه لا يقال عقلت وما علمت • او علمت وما عقلت •
وقال بعضهم العقل علوم ضرورية بوجوب الواجبات • وجواز الجايزات • واستحالات
المستحيلات • وقال بعضهم العقل صفة يتاتى بها درك العلوم • وقال بعضهم العقل
غريزه • وهو قول المحاسبى • وقال الامام الشافعى وابن مجاهد العقل آلة التميز • وقال
القلانسى العقل قوه التميز • وحكى عن المحاسبى انه قال العقل انوار وبصاير • ثم رتب
هذه الاقوال وحملها على محامل • وقال الاولى ان لا يصح النقل عن الامام الشافعى ومجاهد
فان الآلة انما تستعمل فى الاله المسه • واستعمالها فى الاعراض مجاز • وكذلك قول من قال
انه قوة • والقلانسى اطلق ما اطلقه توسعا فى العبارات • وكذلك المحاسبى • والعقل ليس
بصورة ولا نور • ولكن نستفاد به الانوار والبصاير • وسياتى بيان فائدته فى هذه السوره
فى آية التوحيد ان شا الله تعالى قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة
قال المفسرون الصبر فى اللغة هو الحبس • يقال قتل فلان صبرا اى امسك وحبس حتى اتلف
وقد امر الله عز وجل بالصبر على الطاعة • وعن المخالفة فى كتابه العزيز • فمثل تعالى واصبروا •
وقوله تعالى والصلاة • قال العلما ان الله عز وجل خص الصلاة بالذكر من بين سايرالعبادات
تنويها بذكرها • وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة • ويروى ان ابن
عباس رضى الله عنهما نعى له اخوه قثم • وقيل بنت له وهو فى سفر فاسترجع • وقال عورة سترها
الله • ومؤونه كفاها الله • واجر ساقه الله • ثم تنحى عن الطريق وصلى • ثم انصرف الى راحلته وهو
نفرا واستعينوا بالصبر والصلاة • فالصلاة على هذا التاويل هى الشرعيه • وقال قوم هى الدعا

على عُرفها في اللغة. فكون الآية على هذا منسوخة لقول الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله. لان الثبات هو الصبر. والذكر هو الدعاء. وقال مجاهد المراد بالصبر في هذه الآية هو الصوم. ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر. فجمّا الصوم والصلاة على هذا القول والآية مناسبا في ان الصيام يمنع الشهوات ويزهد في الدنيا. والصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر وتخشع وتقرافيها القران الذي يُذكر الآخرة ٥ واعلم ان الصبر على الاذى والطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها ومنعها من تناولها. وهو من اخلاق الانبيا والصالحين. قال يحيى بن اليمان الصبر ان لا تتمنى حالة سوى ما رزقك الله والرضى بما قضى الله من امر دنياك واخراك. وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد للانسان الذي لا تمام له الا به. قال الطبري وصدق علي رضي الله عنه وذلك ان الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح. فمن لم يصبر على العمل بجوارحه لم يستحق الايمان بالاطلاق. فالصبر على العمل بالشرايع نظير الراس من الجسد للانسان الذي لا تمام له الا به. قال العلما رضي الله عنهم ان الله تعالى وصف جزا الاعمال وجعل له نهاية وحدا فقال تعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها. وجعل سبحانه جزا الصدقة في سبيل الله فوق هذا فقال تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل الى اخر الآية وجعل سبحانه اجر الصابرين بغير حساب بقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب. وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور. قال العلما ومن فضل الصبر ان الله سبحانه وصف نفسه به كما في حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس احد اوليس شي اصبر على اذى سمعه من الله عز وجل انهم ليدعون له ولدا وانه ليعافيهم ويرزقهم اخرجه البخاري رحمه الله. قال العلما وصف الله تعالى بالصبر انما هو بمعنى الحلم. ومعنى وصفه تعالى بالحلم هو تاخير العقوبة عن المستحقين لها. ووصفه تعالى بالصبر لم يرد في القران. وانما ورد في السنة من حديث ابي موسى. وتاوله اهل السنة على تاويل الحلم. وهذا قول ابن فورك وغيره. وجا في اسمايه تعالى الصبور للمبالغة في الحلم عن من عصى. واختلف العلما رضي الله عنهم في المخاطبين بقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة فقال قوم

المراد به المومنون لان من ينكر الصلاه والصبر على دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا
يقال له استعن بالصبر والصلاة فلاجرم وجب صرفه الى من صدق سيدنا محمد اصلى الله
عليه وسلم وامن به. وقال بعضهم يحتمل ان يكون الخطاب لبنى اسرآيل لان صرف الخطاب
الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القران. ولان اليهود لم ينكروا اصل الصلاه والصبر لكن صلاتهم
غير صلاه المومنين. فعلى هذا القول ان الله تعالى لما امرهم بالايمان سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال فقال لهم استعينوا بالصبر اي
بحبس النفس عن اللذات. وضممتم الى ذلك الصلاه هان عليكم ترك ما انتم فيه من حب الرياسة
والجاه والمال. وعلى القول الاول يكون معنى الاية واستعينوا على حوائجكم الى الله. وقيل
على ما شغلكم من انواع البلا. وقيل استعينوا على طلب الاخره بالصبر. وقل استعينوا
بالصبر على ادا الفرايض. وقال بعضهم معناه واستعينوا بالصبر على الصلاه. وعلى ما يجب
فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعات الاركان والآداب مع الخشوع والخشية.
فان من اشتغل بالصلاه ترك ما سواها. والله اعلم. وقوله تعالى وانها يعنى الصلاه
وقيل الاستعانه لكبيرة اي ثقيلة الا على الخاشعين يعنى المومنين. وقيل الخايفين.
وقال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى المصلين. وقال ابو روق المطيعين. وقال مقاتل المتواضعين.
وقال الزجاج الخاشع هو الذى يرى عليه اثر الذل والخشوع. واختلف المفسرون فى الضمير
من قوله تعالى وانها الى من يعود. فقال بعضهم يعود على الصلاه خاصة وحدها. لان الصلاة
تكبر على النفوس ما لا يكبر الصوم. والصبر هنا الصوم. فالصلاه فيها سجن النفوس. والصوم
انما فيه منع الشهوه. فليس من منع شهوةً واحده او شهوتين كمن منع جميع الشهوات.
فالصايم انما منع شهوة النسا والطعام والشراب. ثم ينبسط فى سايرالشهوات من الكلام
والمشى والنظر الى غير ذلك من ملاقاة الخلق فيتسلى بتلك الاشيا عما منع. والمصلى يمتنع
من جميع ذلك فجوارحه كلها مقيدة بالصلاه عن جميع الشهوات. واذا كان كذلك كانت الصلاه
اصعب على النفس. ومكابدتها اشد. فلذلك قال تعالى وانها لكبيره. وقال بعضهم يعود
الضمير عليهما. ولكنه تعالى كنى عن الاغلب وهو الصلاة. وهذا كقوله تعالى والذين يكنزون الذهب

تا ك حبس النفس عن اللذات م

بالصبر هم

والفضه ولا تنفقونها. وقوله واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها. فرد سبحانه الكناية
الى الفضة لانها الاغلب والاعم والى التجارة لانها الافضل والاهم. وقيل ان الصبر
لما كان داخلا في الصلاة اعاد عليهما كما قال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ولم يقل يرضوهما
لان رضى الرسول ادخل في رضى الله عز وجل. وقال بعضهم رد الكناية الى كل واحد منهما لكن
حذف اختصارا قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية ولم يقل ايتين. ومنه قول الشاعر
فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب ٥ وقال بعضهم يعود الضمير
على العبادة التي تضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة. وقيل يعود على اجابة سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم لان الصبر والصلاة مما كان يدعوا اليه صلوات الله عليه. وقيل
يعود على الكعبة شرفها الله لان الامر بالصلاة انما هو اليها ٥ وقوله تعالى لكبيرة اي
ثقيله شاقة ٥ وقوله تعالى الا على الخاشعين قال العلما الخاشعون جمع خاشع وهو
المتواضع. والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع. وقال قتاده
الخشوع في القلب وهو الخوف وغض البصر في الصلاة. ويقال مكان خاشع وهو الذي لا نبات
له. وخشعت الاصوات اي سكنت. ويقال خشعت حراشي صدره اذا القى بزاقا لزجا ٥
وخشع ببصره اذا غضه. ويقال الخشعة قطعه من الارض رخوه. ويقال بلده خاشعة
اي مغبره لا منزل بها ٥ وقال سفين الثوري سالت الاعمش عن الخشوع فقال ما ثوري
انت تريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ثم قال ليس الخشوع باكل الخشن ولبس
الخشن وتطامن الراس ولكن الخشوع ان ترى الشريف والدني في الحق سوا. وتخشع لله في
كل فرض افترض عليك. وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه نظر الى شاب قد نكس
راسه فقال له ما هذا ارفع راسك فان الخشوع لا يزيد على ما في القلب. وقال علي
ابن ابي طالب رضى الله عنه الخشوع في القلب وان تلين كنفك للمرء المسلم وان لا تلتفت في
صلاتك. وبيانى هذا المعنى عند قوله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
قال بعض العارفين من اظهر للناس خشوعا فوق ما في قلبه فانما اظهر نفاقا على نفاق
وقال سهل بن عبد الله التستري رحمة الله عليه لا يكون العبد خاشعا حتى تخشع كل شعرة

على حدة. وذلك ان الله تعالى يقول تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم. قال العلماء وهذا هو الخشوع المحمود لان الخوف اذا سكن القلب اوجب خشوع الظاهر. فلا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقا متادبا متذللا. وقد كان السلف رضى الله عنهم يجتهدون في ستر ما يظهر من ذلك ٥ واما الخشوع المذموم فهو تكلفه. والتباكي ومطاطاة الراس كما يفعله الجهال ليراهم الناس بعين البر والاجلال. وذلك خدع من الشيطان وتسويل من نفس الانسان. وروى الحسن ان رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانه يتحازن فلكزه عمر وقال لكمه ٥ وكان عمر رضى الله عنه اذا تكلم اسمع. واذا مشى اسرع. واذا ضرب اوجع. وكان رضى الله عنه ناسكا صدقا. وخاشعا حقا. وروى ابن ابى نجيح عن مجاهد قال الخاشعون هم المومنون حقا. وقوله تعالى الذين يظنون اى يعلمون ويستيقنون. والظن هنا بمعنى اليقين. ومنه قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه. وقوله وظنوا انهم موافقوها ٥ وقال الشاعر ٥

رب هم فرجته بغرم. وعيوب كشفتها بظنون ٥ وقيل ان الظن في الآية يصح ان يكون على بابه. ويضمر في الكلام بذنوبهم فكانهم يتوقعون لقاء مذنبين. وهذا قول الماوردى والمهدوي ٥ وزعم الفراء ان الظن قد يقع بمعنى الكذب. ولا يعرف ذلك البصريون. واصل الظن وقاعدته الشك مع ميل الى احد معتقديه. وقد يوقع موقع اليقين كما في هذه الاية وغيرها لكنه لا يوقع فيما قد خرج الى الحس. لا تقول العرب في رجل مر بي اظن هذا انسانا. وانما يحد الاستعمال فيما لم يخرج الى الحس بعد كهذه الآية والشعر. وكقول الله تعالى فظنوا انهم مواقعوها ٥ وقد يجيء اليقين بمعنى الظن وقد تقدم بيانه في اول السورة. وتقول سئوت به ظنا. واسات به الظن. وقوله تعالى انهم ملاقوا ربهم يعني في الآخرة. وفي هذه الاية دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الدار الآخرة. وقوله تعالى وانهم اليه راجعون يعني مبعوثون ومحاسبون بعد الموت. كما كانوا في بدو الخلق لا يملكون ضرا ولا نفعا. وقيل المعنى لا يملك امرهم في الآخرة احد سواه. وقيل يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم اشفاقا من المعاصي. وقيل انهم اليه راجعون

اي ميتون والله تعالى اعلم باسرار كلامه العظيم ۝ قوله عز وجل يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم قال العلما انما اعاد سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا
للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير هذه الاية
وقوله تعالى وانى فضلتكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم واهل كل زمان عالم
وقيل المراد به كل العالمين بما جعل فيهم من الانبيا وهذه خاصة بهم وليست لغيرهم
قال العلما وهذا التفضيل وان كان في حق الآبا ولكن يحصل به الشرف للابنا ۝ وقوله
تعالى واتقوا يوما اى واخشوا عذاب يوم وهذا امر معناه الوعيد والمراد بقوله
واتقوا يوما اي اتقوا عذابه وهوله وهو يوم القيامة وقوله لا تجزي نفس عن نفس
شيا اى لا تقضي نفس عن نفس حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة
ولا ترد عنها شيا مما اصابها بل يفر المرء من اخيه وامه وابيه وتقول جزى عني
هذا الامر يجزي كما تقول قضى عني واجتزات بالشي اجتزي اذا اكتفيت به وفي حديث
ابي بردة بن نيار في الاضحية ولن تجزي عن احد بعدك اى لن تغني عن احد بعدك
معنى لا تجزي اى لا تقضي ولا تغني ولا تكفي ان لم يكن عليها شي فان كان تجزي وتقضي
وتغني بغير اختيارها من حسناتها ما عليها من الحقوق كما في حديث ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه او شي
فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر
مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه فحمل عليه اخرجه البخاري
ومثله ايضا حديث المفلس الذي رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع له قال
ان المفلس من امتي ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكوة وياتي قد شتم هذا وقذف هذا
واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت
حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وقوله
تعالى ولا تقبل منها شفاعة اى في ذلك اليوم قال العلما والشفاعة ماخوذة من الشفع

وهما الاثنان. تقول كان وترا فشفعته شفعا. والشفعة منه ايضا. لانك تضم ملك
شريكك الى ملكك. والشفيع هو صاحب الشفعة وصاحب الشفاعة. وتقال ناقة
شافع اذا اجتمع لها حمل وولد يتبعها. تقول منه شفعت الناقة شفعا. وناقة شفوع.
وهي التي تجمع بين محلبين في حلبة واحدة. وتقول ايضا استشفعت فلانا الى فلان
اي سالته ان يشفع لي اليه. وبحال تشفعت اليه في فلان فشفعني فيه. فالشفاعة
اذا ضم غيرك الى جاهك ووسيلتك. فالشفاعة على التحقيق اظهار لمنزلة الشفيع
وايصال منفعة للمشفوع. ومذهب اهل السنة ان الشفاعة في القيامة حق وانكرها
المعتزلة. وخلدوا المذنبين من المومنين الذين دخلوا النار في العذاب. والاخبار متظاهرة
بان من كان من العصاة المذنبين الموحدين من امم النبيين هم الذين تنالهم الشفاعة
الشافعين من الملايكة والنبيين والشهدا والصالحين. وتمسك بعض العلما في الرد على
المعتزلة شيئين احدهما الاخبار الكثيرة التي تواترت في المعنى. والثاني الاجماع من
السلف على تلقي هذه الاخبار بالقبول. ولم يبدل من احد منهم في عصر من الاعصار نكير.
فظهور رواتها واطباقهم على صحتها وقبولهم لها دليل قاطع على صحة عقيدة اهل
الحق وفساد دين المعتزلة. فان قالوا وردت نصوص من الكتاب توجب رد هذه
الاخبار منها قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع. قالوا واصحاب الكبائر ظالمون.
ومنها قوله تعالى من يعمل سوا يجز به. ومنها قوله تعالى ولا تقبل منها شفاعة. قلنا
ليست هذه الآيات عامة في كل ظالم. والعموم لا صيغة له. فلا تعم هذه الآيات كل من يعمل
سوا وكل نفس. وانما المراد بها الكافرون دون المومنين. بدليل الاخبار الواردة
في ذلك. وايضا فان الله تعالى اثبت شفاعة لاقوام ونفاها عن اقوام. فقال تعالى في
الكافرين فما تنفعهم شفاعة الشافعين. وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى. وقال
تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له. فعلمنا بهذه الجملة ان الشفاعة انما تنفع
المومنين دون الكافرين. وقد اجمع المفسرون على ان المراد بقوله تعالى واتقوا يوما لا
تجزي نفس عن نفس شيا ولا تقبل منها شفاعة النفس الكافرة لا كل نفس. ونحن وان قلنا

بعموم العذاب لكل ظالم عاص فلا نقول انهم مخلدون فيها بدليل الاخبار التي رويناها،
وبدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون. فان قالوا قد قال الله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى.
والفاسق غير مرضي. قلنا لم يقل تعالى لمن لا يرضى. وانما قال لمن ارتضى. ومن ارتضاه
الله للشفاعة هم الموحدون بدليل قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا. وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم ما عهد الله مع خلقه. قال ان يؤمنوا ولا
يشركوا به شيأ. وقال المفسرون الا من قال لا اله الا الله. فان قالوا المرتضى هو
التايب الذي اتخذ عند الله عهدا بالانابة اليه. بدليل ان الملايكة استغفروا لهم بقوله
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك. فكذلك شفاعة الانبيا عليهم السلام انما هي لاهل
التوبة دون اهل الكبايرة. قلنا عندكم لم يجب على الله قبول التوبة. فاذا قبل الله
توبة المذنب فلا يحتاج الى الشفاعة ولا الى الاستغفار. واجمع اهل التفسير على ان
المراد بقوله فاغفر للذين تابوا اي من الشرك. واتبعوا سبيلك يعني سبيل المومنين سالوا
الله تعالى ان يغفر لهم ما دون الشرك من ذنوبهم. كما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء. فان قالوا جميع الامة يرغبون في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت
لاهل الكبايرخاصة بطل سوالهم. قلنا انما يطلب كل مسلم شفاعة الرسول ويرغب
الى الله تعالى في ان تناله لاعتقاد انه غير سالم من الذنوب. ولا قايم لله سبحانه وتعالى
بكل ما افترض عليه. بل كل واحد معترف على نفسه بالنقص فهو لذلك يخاف العقاب
ويرجوا النجاة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينجوا احد الا برحمة الله عز وجل.
فقيل ولا انت يا رسول الله. فقال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته. والله تعالى اعلم.
وقوله تعالى ولا يوخذ منها عدل اي فداء كما كانوا ياخذون في الدنيا. وهو من مسالة
الشي بالشي ولا هم ينصرون اي لا يمنعون من العذاب. قال العلما النصرة على وجهين
نصرة على العون ونصرة على المنع. بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما
او مظلوما. فنصرة الظالم هو المنع. ونصرة المظلوم هو العون ٥ وسبب نزول هذه

الاية فما ذكر المفسرون ان بني اسرائيل قالوا نحن ابنآء الله واحباؤه وابنآء انبيآيه وسيشفع
لنا اباؤنا فاعلمهم الله تعالى عن يوم القيامة انه لا تقبل فيه الشفاعات ولا يوخذ فيه
فدية وانما خص الشفاعة والفدية والنصر بالذكر لانها هي المعاني التي اعتادها بنو آدم
في الدنيا فان الواقع في الشدة لا يتخلص الا بان يشفع له او ينتصر او يفتدي والله اعلم
قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون اي واذكروا اد خلصنا اسلافكم واجدادكم
فاعتد بها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم وقال بعض المفسرين هذه الاية
وما بعدها تذكير بعض النعم التي كانت له عليهم اي اذكروا نعمتي بانجايكم من عدوكم
وجعل الانبيآ فيكم وهذا الخطاب للموجودين والمراد من سلف من الآبآ انما قال تعالى
انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية اي حملنا آباكم وقيل انما قال تعالى واذ انجيناكم لان
نجاة الآبا كانت سببا لنجاة هولا الموجودين ومعنى قوله نجيناكم اي القينا كم على نجوة
من الارض والنجوة ما ارتفع من الارض هذا هو الاصل ثم سمي الفايز ناجيا فالناجي
من خرج من ضيق الى سعة وقرى واذ نجيتكم من آل فرعون وآل فرعون هم قومه
واتباعه واهل دينه وكذلك آل الرسول صلى الله عليه وسلم من هو على دينه وملته
في عصره وسايار الاعصار وسوآ كان شيبا له او لم يكن ومن لم يكن على دينه وملته
فليس من آله ولا من اهله وان كان شيبه وقربه خلافا للرافضة حيث قالوا ان آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة والحسن والحسين فقط ودليل اهل السنة قول الله
تعالى واغرقنا آل فرعون وقوله تعالى ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي ادخلوا
آل دينه اذ لم يكن له ابن ولا بنت ولا اب ولا عم ولا اخ ولا عصبة ولا خلاف ان
ان من ليس بمومن ولا موحد فانه ليس من آل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وان كان قريبا له
ولهذا يقال ان ابا لهب وابا جهل ليسا من آله ولا من اهله وان كان بينهما وبين النبي صلى
الله عليه وسلم قرابة ولهذا قال الله تعالى في ابن نوح يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم جهارا غير سر يقول ان آل ابي يعني فلانا ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح

المومنين. وقالت طائفة آل النبي صلى الله عليه وسلم ازواجه وذريته خاصة لحديث
ابي حميد الساعدي رضي الله عنه انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك. قال قولوا اللهم صل
على محمد وعلى ازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم. وبارك على محمد وعلى ازواجه وذريته
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد. رواه مسلم ٥ وقالت طائفة من اهل العلم الاهل معلوم
والآل والاتباع. والاول هو الصحيح لما ذكرنا ولحديث عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته
فقال اللهم صل على آل ابي اوفى ٥ واختلف النحاة هل يضاف الال الى البلدان ام لا فقال
الكسائي انما يقال آل فلان وآل فلانة. ولا يقال في البلدان هو من آل حمص. ولا من آل
المدينة. وقال الاخفش انما يقال ال فلان في الرئيس الاعظم نحو ال سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم. وآل فرعون لانه رئيسهم في الضلاله. قال وقد سمعناه ايضا في البلدان. قالوا اهل
المدينة وآل المدينة. واختلفوا ايضا هل يضاف الآل الى المضمر ام لا فمنع ذلك
الكسائي والزجاج فيقال اللهم صل على محمد وال محمد. ولا يقال وآله. والصواب ان يقال
اهله. وذهبت طائفة اخرى الى ان ذلك يقال. وهو الصواب لان السماع الصحيح يعضده
فانه قد جاء في شعر عبد المطلب ٥

لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك. وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك.

واختلفوا ايضا في اصل آل. فقال بعضهم اصله اهل ثم ابدل من الهاء الفا. فان صغرته رددته
الى اصله فقلت اهيل. وقال المهروي اصل آل أوّل. وقيل اصله اهل. قلبت الهاء همزة
ثم قلبت الهمزة الفا. وجمعه آلون وتصغيره أويل. حكاه الكسائي. وقال غيره تصغيره
أهيل. والله تعالى اعلم ٥ فذلك قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون. وفرعون اسم ذلك الملك بعينه
وقيل هو اسم كل ملك من ملوك العمالقة. مثل كسرى للفرس. وقيصر للروم. والنجاشي للحبشة.
قال اهل التاريخ واسم فرعون موسى قابوس. وهذا قول الكلبي. وقال وهب بن منبه اسمه
فرعون الوليد بن مصعب بن الريان. وكنيته ابو مره. وهي كنية ابليس. وقيل كنيته ابو العباس
وقيل ابو الوليد. واصله من بني عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام. وقال

السهيلى كل من ولى القبط ومصر يسمى فرعون • وكان فرعون فارسيا من اهل اصطخر •
وقال المسعودى لا يعرف لفرعون تفسير بالعربية • وقال الجوهرى فرعون لقب
الوليد بن مصعب ملك مصر • وكان لعنه الله عاتٍ • والعُتاة الفراعنة • وقد تفرعن
وهو ذو فَرْعنةٍ اى ذُو دُهاءٍ ونُكْرٍ • وفى الحديث اخذنا فرعون هذه الامة • والله اعلم •
وقوله تعالى يسومونكم اى يكلفونكم ويذيقونكم ويلزمونكم اياه • وقال ابو عبيد
سومونكم اى يولونكم • ويقال سامَهُ خُطَّةَ خَسْفٍ اذا اولاه اياها • ومنه قول عمرو بن كلثوم •
اذا ما الملكُ سَامَ الناسَ خسفًا • أبَينا ان نُقِرَّ الخسفَ فينا • وقيل يسومونكم اى
يديمون تعذيبكم • والسوم الدوام • ومنه سايمة الغنم لدوامها الرعى • وقوله
سوء العذاب يعنى اشد العذاب واسوأه • وقيل معناه يصرفونكم فى العذاب مرة كذا
ومرة كذا • وذلك ان فرعون جعل بنى اسرآيل خدمًا وخولا • وصنفهم فى اعماله اصنافا •
فصنف يبنون • وصنف يحرثون ويزرعون • وصنف يخدمونه • ومن لم يكن منهم فى عمل
من هذه الاعمال وضع عليه الجزية • فذلك سوء العذاب • وقال وهب بن منبه كان بنو اسرآيل
اصنافا فى اعمال فرعون • فذووا القوة يسلخون السوارى من الجبال حتى فرحت ايديهم
واعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها • وصنف يقلون الحجارة والطين يبنون
له القصور • وطائفة تضربون اللبن • ويطبخون الآجُرّ • وطائفة يحفرون الخلجان والقناة •
منهم يضرب عليهم الخراج يعنى الجزية ضريبة يودونها كل يوم • فمن غربت عليه الشمس قبل
ان يودى ضريبته غُلّت يمينه الى عنقه شهرا • والنساء يغزلون الكتان وينسجونه •
وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله تعالى يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم اى يتركونهن احياء • وذلك ان فرعون لعنه الله راى فى منامه كان نارًا
اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطى بها ولم تتعرض لبنى اسرآيل • فهاله ذلك
ودعا السحرة والكهنة وسالهم عن رويا • فقالوا له انه يولد فى بنى اسرايل غلام يكون
على يديه هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك • فامر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى
اسرايل وجمع القوابل من اهل مملكته وقال لهن لا يسقط على ايديكم غلام من بنى اسرآيل

الا قتل ولا جاريه الا تركت ووكل بالقوابل ناسا فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى
اثني عشر الفا وقتل قتلى طلبه سبعين الفا واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل
رؤس القبط على فرعون وقالوا له ان الموت قد وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت
كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبح سنة ويترك سنة فولد هرون
عليه السلام في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها قال المفسرون
في قول الله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون الآية نسب الله عز وجل الفعل الى آل فرعون وهم انما
كانوا يذبحون الصبيان ويستحيون النساء بامره وسلطانه لتوليهم ذلك بانفسهم وليعلم ان المباشر
ماخوذ بفعله قال الطبري ويقتضي هذا ان من امره ظالم بقتل احد فقتله المامور فهو
الماخوذ به وقد اختلف العلماء في هذه المسئلة على ثلاثة اقوال احدها انهما يقتلان معا
الآمر والمامور الآمر بامره والمامور بمباشرته وهذا قول النخعي وبه قال الامام الشافعي
والامام مالك في بعض قوليهما قال الامام الشافعي اذا امر السلطان رجلا بقتل رجل والمامور
يعلم انه امر بقتله ظلما كان على المامور والامام القود كقاتلين معا وان اكرهه الامام عليه
وعلم انه المامور انه يقتله ظلما كان على الامام القود وفي المامور قولان احدهما ان عليه
القود والآخر لا قود عليه وعليه نصف الدية حكى هذا القول ابن المنذر وقال اصحاب
الامام مالك لا يخلوا المامور اما ان يكون ممن يلزمه طاعة الآمر ويخاف شره كالسلطان والسيد
لعبده فيكون القود في ذلك لازما لهما واما ان يكون ممن لا يلزمه طاعته ويقتل المباشر
وحده دون الآمر وذلك كاب يامر ولده او المعلم بعض صبيانه او الصانع بعض متعلميه
اذا كان محتلما فان كان غير محتلم فالقتل على الآمر وعلى عاقلة الصبي نصف الدية وقال
ابن مانع لا تقتل السيد اذا امر عبده بقتل انسان وان كان العبد اعجميا وقال ابن حبيب
القتل عليهما وهو قول ابن القاسم واما امر من لا خوف على المامور في مخالفته فانه
لا يلحق بالاكراه بل يقتل المامور دون الآمر ويحبس الآمر وقال الامام احمد في السيد يامر
عبده ان يقتل رجلا يقتل السيد وهذا القول مروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال
علي رضي الله عنه ويستودع العبد السجن وقال الامام احمد ويحبس العبد ويضرب ويودب

وقال سفين الثورى نعزر السيد وقال الحكم وحماد نقتل العبد وقال قتادة
نقتلان جميعا وقال الامام الشافعى ان كان العبد فصيحا عقل قتل العبد وعوقب
السيد وان كان العبد اعجميا فعلى السيد القود وقال سلمان بن موسى لا نقتل الآمر
ولكن يديته ثم يعاقب ويحبس وهذا هو القول الثانى ونقتل المامور للمباشرة كذلك
قال عطا والحكم وحماد والامام الشافعى والامام احمد واسحق فى الرجل يامر الرجل بقتل
الرجل ذكره ابن المنذر وقال زفر لا نقتل واحد منهما وهذا هو القول الثالث حكاه ابو
ابو المعالى وراى زفر ان الآمر والمباشر ليس كل واحد منهما مستقلا فى القود فكذلك
لا نقتل واحد منهما عنده والله تعالى اعلم وقرا الجمهور يذبحون ابناكم بالتشديد وقرا
ابن محيص يَذْبَحُون ابناكم بالتخفيف والقراة الاولى ارجح اذ الذبح متكرر والله اعلم
وقوله تعالى وفى ذلكم بلآء من ربكم عظيم اى اختبار وامتحان قال ابو الهيثم البلا
يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى
الشدة بالصبر فان حمل قوله تعالى وفى ذلكم بلآء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلا
المحنة وان حمل على الانجا كان من النعمة وقال بعضهم ان الله تبارك وتعالى يبلوا
عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره ويبلوه بالبلوى التى يكرهها ليمتحن صبره فقيل للحسن
بلاء وللسيئى بلاء وقال بعضهم الاشارة بقوله وفى ذلكم الى التنجية فيكون البلآء على
هذا القول فى الخير ومعناه تنجيتكم نعمة من الله عليكم وقال الجمهور الاشارة انما هى
للذبح ونحوه والبلآء هنا فى الشر ومعناه وفى الذبح مكروه وامتحان وقال ابن كيسان
يقال فى الخير ابلاه الله وبلاه وانشد يقول

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم ... فابلاهما خير البلآء الذى يبلو

فجمع بين اللغتين والاكثر ان يقال فى الخير ابلاه يبليه وفى الشر بلوته وفى الاختبار ابتليته وبلوته والله اعلم
قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر اى فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك
بسبب دخولكم فيه وقيل فرقنا بمعنى فلقنا فكان كل فرق كالطود العظيم اى كالجبل
العظيم واصل الفرق الفصل ومنه فرق الشعر ومنه ايضا الفرقان لانه يفرق بين

الحق والباطل اى يفصل. ومنه فالفارقات فرقا يعنى الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل
ومنه ايضا يوم الفرقان يعنى يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل. ومنه ايضا
وقرانا فرقناه. ومعنى قوله تعالى بكم اى لكم فالباء بمعنى اللام. وقيل الباء فى مكانها اى
فرقنا البحر به. والبحر معروف سمى بحرا لانشاعه. ويقال فرس بحر اذا كان واسع الجرى
اى كثيره. ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فرس ابى طلحة وان وجدناه لبحرا
والبحر هو الماء الملح. ويقال ابحر الماء اذا ملح. قال الشاعر ٥

وقد عاد ماء الارض بحرا فزادنى الى مرضى ان ابحر المشرب العذب ٥

ويطلق البحر ويراد به البلدة. يقال هذه بحرتنا اى بلدتنا. والله اعلم فصل فى اختلاف العلماء فى انجا
بنى اسرايل واغراق فرعون وجنوده. وذلك انه لما دنى هلاك فرعون امر الله عز وجل موسى
عليه السلام ان يسرى ببنى اسرآيل من مصر بالليل. فامر موسى عليه السلام قومه ان يسرجوا
فى بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا الحلى القبط لتبقى لهم. اوليتبعوهم لاجل المال. وافعل
الله ذلك لبنى اسرايل. واخرج الله عز وجل كل ولد زنا كان فى القبط من بنى اسرآيل الى بنى
اسرآيل. وكل ولد زنا كان فى بنى اسرايل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى ابيه. والقى
الله عز وجل على القبط الموت. فمات كل بكر لهم. فاشتغلوا بدفنهم. وقيل بلغ خبر بنى اسرآيل
وما ارادوا الى فرعون. فقال لا اخرج فى طلبهم حتى يصيح الديك. فما صاح ذلك الليلة ديك ابدا.
وخرج موسى عليه السلام فى بنى اسرآيل. وهم ستمايه الف. وعشرون الف مقاتل. لا تعد فيه
ابن العشرين لصغره. ولا ابن الستين لكبره. وذلك سوى الابنا والنسا. وكانوا يوم دخلوا مصر
مع يعقوب عليه السلام اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامراة. فانمى الله عز وجل عددهم
وبارك فيهم حتى خرجوا يوم فرعون فى هذا العدد العظيم. فلما اراد والسير ضرب عليهم التيه
فلم يدروا اين يذهبون. فدعا موسى عليه السلام مشيخة بنى اسرآيل وسالهم عن ذلك. فقالوا
له ان يوسف عليه السلام لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه
معهم. فلذلك انسد علينا الطريق. فسالهم عن موضع قبره. فلم يعلموا. فقام موسى عليه السلام
ينادى انشد الله كل من يعلم اين موضع قبر يوسف الا اخبرنى به. وان لم يعلم فصمت اذناه.

عن قولی فکان یمر بین الرجلین ینادی فلا یسمعان صوته حتی سمعته عجوز منهم فقالت له
ارایتک ان دللتک علی قبر یوسف اتعطینی کلما اسالک فابی علیها وقال حتی اسال ربی عز
وجل فسال الله عز وجل فامره ان یعطیها سولها فقال انی عجوز کبیره لا استطیع المشی
فاحملنی معک واخرجنی من مصر هذا فی الدنیا واما فی الاخره فاسالک ان لا تنزل غرفة
من غرف الجنة الا تنزلتها معک قال نعم قالت انه فی النیل من جوف الماء فادع الله عز وجل
ان یحسر عنه الماء فدعا الله عز وجل فحسر عنه الماء ودعا ان یوخر طلوع الفجر حتی یفرغ
من امر یوسف ثم حفر موسی ذلک الموضع فاستخرجه وهو فی صندوق من مرمر وحمله
معه حتی دفنه بالشام فعند ذلک فتح لهم الطریق فسار موسی بنی اسرائیل هو فی ساقتهم
وهرون فی مقدمتهم ونذر بهم فرعون فجمع قومه وامرهم ان یخرجوا فی طلب بنی اسرائیل
حین یصیح الدیک فوالله ما صاح دیک بمصر تلک اللیلة وخرج فرعون فی طلبهم فی الف الف
وسبعمائة الف وکان فیهم سبعون الفا من دهم الخیل سوی سایر الشیات وقال محمد
ابن کعب القرظی کان فی عسکر فرعون مائة الف حصان ادهم وکان فرعون فی الدهم وکان
علی مقدمة عسکره هامان وقیل کان فرعون فی سبعة الاف الف وکان بین یدیه مایة
الف ناشب ومائة الف حراب اصحاب الاعمدة وسار بنو اسرائیل حتی وصلوا الی البحر والماء
فی غایة الزیادة ونظروا حین اشرقت الشمس فاذا هم بفرعون فی جنوده فبقوا متحیرین
فقالوا یا موسی این ما وعدتنا کیف نصنع وما الحیلة هذا فرعون خلفنا ان ادرکنا قتلنا
والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا این ما وعدتنا فقال موسی کلا ان معی ربی سیهدین فاوحی
الله عز وجل الی موسی ان اضرب بعصاک البحر فضربه فلم یطعه فاوحی الله الیه ان کنه فضربه
بعصاه وقال انفلق یا خالد فانفلق وکان کل فرق کالطود العظیم فظهر فیه اثنا عشر
طریقا لکل سبط منهم طریق وارتفع الماء بین کل طریقین کالجبل وارسل الله عز وجل الریح
والشمس علی قعر البحر حتی صار یبسا وخاضت بنو اسرائیل البحر کل سبط فی طریق وعن
جوانبهم الماء کالجبل الضخم ولا یری بعضهم بعضا فخافوا وقال کل سبط منهم قد هلک
اخواننا فاوحی الله عز وجل الی جبال الماء ان تشبکی فصار الماء شبکات او کالشبابیک یری بعضهم

فرس ادهم شدید السواد
حصان ذکر الخیل ومائه الف خلاف الانثی

بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين. فذلك قول الله عز وجل واذ فرقنا
بكم البحر فانجيناكم يعني من فرعون ومن الغرق واغرقنا آل فرعون وذلك ان فرعون
لما وصل الى البحر فراه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى ادرك
عبيدي الذين ابقوا مني فاقتلهم. ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا. وقالوا له ان كنت
ربا فادخل البحر كما دخل موسى. وكان فرعون على حصان ادهم. ولم يكن في خيل فرعون فرس
انثى قط. فجا جبريل عليه السلام راكبا على فرس انثى وديق. فتقدمهم وخاض البحر فلما
شم ادهم فرعون رائحتها اقتحم البحر في اثرها ولم يملك فرعون من امره شيئا واقتحمت الخيول
خلفه في البحر. وجا ميكائيل عليه السلام خلفهم يسوقهم. وهو على فرس يستحثهم ويقول
الحقوا باصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر. وخرج جبريل من البحر. وهم اولهم ان يخرج.
امر الله تعالى البحر ان ياخذهم. فالتطم عليهم وغرقهم اجمعين. وكان بين طرفي البحر
اربعة فراسخ. وهو بحر القلزم. وهو طرف من بحر فارس. وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له
اساف. وكان اغراق فرعون وجنوده بمرأى من بني اسرائيل. فذلك قول الله عز وجل
وانتم تنظرون يعني الى اهلاكهم. وقيل الى مصارعهم. وقيل ان البحر قذفهم جميعا الى
الى الساحل حتى نظروا اليهم. ووافق ذلك يوم عاشوراء. فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم
شكرا لله عز وجل وامر بصيامه. والله اعلم. قال العلما رضي الله عنهم ان الله عز وجل ذكر في
كتابه الانجا والاغراق. ولم يذكر اليوم الذي كان ذلك فيه. وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم
فيما روى مسلم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة
فوجد اليهود تصوم يوم عاشوراء. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا اليوم الذي
تصومونه. فقالوا هذا يوم عظيم نجى الله فيه موسى وقومه وغرق فيه فرعون وقومه.
فصامه موسى شكرا فنحن نصومه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن احق بموسى منكم.
فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه. واخرجه البخاري ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما
وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انتم احق بموسى منهم فصوموا. والله اعلم.

مسئلة ظاهر هذه الاحاديث تدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم انما صام عاشوراء وامر

بصيامه اقتدا بموسى عليه السلام على ما اخبر به اليهود. وليس كذلك لما روته عائشة
رضى الله عنها قالت كان يوم عاشورا تصومه قريش فى الجاهلية. وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية. فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه. فلما فرض
رمضان ترك صيام يوم عاشورا فمن شاء صامه ومن شاء تركه. اخرجه البخارى ومسلم
فان قيل يحتمل ان تكون قريش انما صامته باخبار اليهود لها لانهم كانوا يسمعون
منهم. لانهم كانوا عندهم اهل علم. فصامه النبى صلى الله عليه وسلم كذلك فى الجاهلية اى
بمكة. فلما قدم المدينة ووجد اليهود يصومونه قال نحن احق واولى بموسى منكم فصامه
اتباعا لموسى وامر بصيامه. اى اوجبه واكد امره حتى كانوا يصومون الصغار. قلنا له
هذه شبهة من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لعله كان متعبدا بشريعة موسى وليس
كذلك على ما ياتى بيانه فى تفسير سورة الانعام ان شاء الله تعالى. ٥ واختلف العلما
رضى الله عنهم فى يوم عاشورا هل هو التاسع من المحرم او العاشر فذهب الامام الشافعى
رحمه الله الى حديث الحكم بن الاعرج قال انتهيت الى ابن عباس رضى الله عنهما وهو متوسد
ردآه فى زمزم. فقلت اخبرنى عن صوم عاشورا. فقال اذا رايت هلال المحرم فاعدد
واصبح يوم التاسع صايما. فقلت هكذا كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يصومه. قال نعم.
خرجه مسلم رحمه الله. وذهب سعيد بن المسيب والحسن البصرى والامام مالك وجماعة
من السلف الى انه العاشر. وذكر الترمذى حديث الحكم ولم يصفه بصحة ولا حسن. ثم
اردفه. قال حدثنا قتيبة. قال حدثنا عبد الرزاق عن يونس عن الحسن عن ابن عباس رضى الله عنهما.
قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم يوم عاشورا يوم العاشر. قال ابو عيسى حديث
ابن عباس حديث حسن صحيح. قال الترمذى وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال صوموا
التاسع والعاشر وخالفوا اليهود. وبهذا الحديث يقول الامام الشافعى والامام احمد
واسحق. قال غير الترمذى وقول ابن عباس للسايل فاعدد واصبح يوم التاسع صايما ليس
فيه دليل على ترك صوم يوم العاشر. بل وعد ان يصوم التاسع مضافا الى العاشر. قالت
العلما فصيام التاسع والعاشر جمع بين الاحاديث. وقول ابن عباس للحكم لما قال له هكذا

كان يصوم محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم معناه ان لو عاش والا فما كان النبي
صلى الله عليه وسلم صام التاسع قط وبيّنه ما خرجه ابن ماجة في سننه ومسلم في صحيحه
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيت الى قابل لاصومن
اليوم التاسع فضيلة روى ابو قتادة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صيام
يوم عاشورا احتسب على الله ان يكفر السنة التي قبله اخرجه مسلم والترمذي وقال لا
نعلم في شيء من الروايات انه قال في صيام عاشورا كفارة سنة الا في حديث ابي قتادة رضي الله عنه
وقال المفسرون رحمهم الله في قول الله عز وجل لبني اسرآيل واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم
واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون عدد الله عليهم مننه واحدة بعد واحدة وذلك ان فرعون
وجنوده طفوا على الما فنظر اليهم بنو اسرايل يغرقون والى انفسهم يجون ففي هذا اعظم
المنن وقيل ان الله تعالى اخرجهم لهم على الساحل غرقى حتى راوهم فهذه منه بعد منة
وقيل معنى وانتم تنظرون اى تصايركم الاعتبار لانهم كانوا في شغل عن الوقوف والنظر
بالابصار وقيل المعنى وانتم بحال من ينظر لو نظر كما تقول هذا الامر منك سرا ى وسمع
اى بحال تراه وتسمعه ان شيت وهذا القول والقول الاول اشبه باحوال بني اسرآيل
لتوالي عدم الاعتبار فيما صدر منهم بعد خروجهم من البحر وذلك ان الله تعالى لما
انجاهم وغرق عدوهم فرعون قالوا لموسى عليه السلام يا موسى ان قلوبنا لا تطمئن ان فرعون
قد غرق حتى امر الله عز وجل البحر فرمى به على الساحل فنظروا اليه وروى ابو بكر بن ابي
شيبة عن قيس بن عباد ان بني اسرآيل قالت ما مات فرعون وما كان ليموت ابدا قال فلم
يعدد ان سمع الله تكذيبهم نبيه رمى به على ساحل البحر كانه ثور احمر يتراياه بنو اسرآيل
فلما اطمانوا وبعثوا من طريق البر الى مدائن فرعون حتى نقلوا كنوزه وغرقوا في النقمة
وبطروا راوا قوما يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة حتى
زجرهم موسى وقال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين اى عالمي زمانهم ثم امرهم
ان سيروا من مصر الى الارض المقدسة التي كانت مساكن ابايهم وتطهروا من ارض فرعون
فابوا وقالوا اتريد ان تجعلنا لحمة للجبارين وكانت الارض المقدسة في ايدي الجبارين

فلو انك ترى اذ يزيد فرعون كان

قد غلبوا عليها فاحتاجوا الى دفعهم عنها بالقتال. قال موسى عليه السلام يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين. قالوا يا موسى ان
فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها. الى قولهم انا ها هنا قاعدون. حتى دعى
عليهم وسماهم فاسقين فبقوا فى التيه اربعين سنة عقوبة لهم ثم رحمهم الله عز وجل ومن
عليهم بالسلوى والغمام على ما ياتى بيانه ان شاء الله. ثم سار موسى الى طور سينا ليجيئهم بالتوراة
فاتخذوا العجل من بعده على ما ياتى بيانه. ثم قيل لهم قد وصلتم الى بيت المقدس فادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة. فدخلوا يزحفون على استاههم وخالفوا على ما ياتى بيانه. وكان
موسى عليه السلام شديد الحياء ستيرا فاذوه وقالوا انه آدر. فلما اغتسل وضع ثوبه على
حجر ففر الحجر بثوبه الى مجالس بنى اسرائيل وموسى على اثره عريان يقول ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر
حتى نظروا اليه ليس به باس. فذلك قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين آذوا
موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها. على ما ياتى بيانه. ثم لما مات هرون قالوا
لموسى انت قتلته وحسدته حتى نزلت الملايكة بسريره وهرون ميت عليه. وسياتى فى
سورة المايدة قصته. ثم سالوه ان يعلموا اية فى قبول قربانهم فجعلت نار تجئ من السما
فتتقبل قربانهم. ثم سالوه ان يبين لهم كفارات ذنوبهم فى الدنيا. فكان من اذنب ذنبا
اصبح على بابه مكتوب عملت كذا وكفارته كذا قطع عضو من اعضايك سميته له. ومن
اصابه بول لم يطهر حتى يقرضه وينزل جلدته من بدنه. ثم بدلوا التوراة وافتروا على
الله وكتبوا بايديهم واشتروا به عوضا. ثم صار امرهم الى ان قتلوا انبياهم ورسلهم. فهذه
معاملتهم مع ربهم وسيرتهم فى دينهم وسوء اخلاقهم. وسياتى بيان كل فصل من هذه
الفصول مستوفى فى موضعه ان شاء الله تعالى. قال الطبرى وفى اخبار القران العظيم على
لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بهذه المغيبات التى لم تكن من علم العرب ولا وقعت
الا فى حق بنى اسرائيل دليل واضح عند بنى اسرائيل وهم اليهود الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله
عليه وسلم قايم عليهم بنبوته ٥ وقال الغزنوى فى تفسيره فان قيل لم لم يعط
الله تارك وتعالى كل نبى وكل امة مثل هذه الايات العظام التى اعطاها موسى وقومه من

فرق البحر ونحو ذلك. قيل له لان الله تعالى انما يعطى الايات على حسب ما يرى للمخلو من
المصلحة فى ذلك. وكان فى قوم موسى من البلاده وردأة الفهم ما كان لا يمكنهم الاستدلال
على نبوة موسى عليه السلام بالآيات الخفيه. الا ترى انهم بعد ما عبروا البحر مروا على قوم
يعكفون على اصنام لهم فقالوا لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة. واما بيننا صلوات الله
عليه والعرب فهم من جودة القريحة والذكا والفطنه بحيث يمكنهم الاستدلال بالايات
الخفية فلم يحتاجوا فى الاستدلال على نبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مشاهدة فرق
البحر ولا غيره من الآيات ٥ والله تعالى اعلم بمراده قوله عز وجل واذ وعدنا
موسى اربعين ليلة اعلم ان ابا عمرو رحمه الله تعالى قرا وعدنا بغير الف. واختار ابو
عبيد هذه القراه ورجحها. وانكر واعدنا. وقال لان المواعدة انما تكون من البشر فاما الله
عز وجل فهو المنفرد بالوعد والوعيد. قال وعلى هذا وجدنا القران العظيم كقوله عز وجل
ان الله وعدكم وعد الحق. وقوله وعد الله الذين امنوا منكم. وقوله واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين الى غير ذلك. قال مكى وايضا فان ظاهر اللفظ فيه وعد من الله تعالى لموسى عليه السلام
فوجب حمله على الواحد لظاهر النص ان الفعل المضاف الى الله تعالى وحده. وقال ابو
حاتم قراه العامة عندنا واذ وعدنا بغير الف. لان المواعدة اكثر ما تكون بين المخلوقين
والمتكافيين كل واحد منهما يعد صاحبه. وقال الجوهري الميعاد يراد به المواعدة
والوقت والموضع. وقال مكى المواعدة اصلها من اثنين. وقد تاتى المفاعلة فى كلام
العرب من واحد. كقولهم طارقت النعل. وداويت العليل. وعاقبت اللص. والحال ان
الفعل من واحد. فيكون على هذا لفظ المواعدة من الله تعالى خاصة لموسى عليه السلام
كمعنى وعدنا فيكون القراتان بمعنى واحد. والاختيار واذ واعدنا بالالف لانه بمعنى
وعدنا فى احد معنييه. ولانه لابد لموسى عليه السلام من وعدنا وقبول يقوم مقام الوعد
فتصح حينيذ المفاعله. وقال بعضهم وقراه واعدنا بالالف اجود واحسن. وهى قراة
مجاهد والاعرج وابن كثير ونافع والاعمش وحمزه والكسائى رحمهم الله. وليس قوله تعالى
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات من هذا فى شئ لان قوله وواعدنا موسى انما هو من

باب الموافاة. وليس هذا من الوعد والوعيد في شيء. وانما هو من قولك هو عدك لجمعة. وموعدك
موضع كذا. والفصيح في هذا ان يقال واعدته. وقال ابو اسحق الزجاج واعدنا ها هنا
بالالف جيد. لان الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة فمن الله عز وجل وعد. ومن موسى
قبول واتباع يجري مجرى المقابلة. والله تعالى اعلم. وقوله تعالى موسى. قال المفسرون
موسى اسم عبري. لا ينصرف للعلمية والتعريف. والقبط يقولون للماء مو. وللشجر شا.
فلما وجد موسى في التابوت بين الماء والشجر سمي موشى بالشين المعجمة ثم قلب الشين سينا
فسمي موسى. وقال السدي لما خافت ام موسى عليه السلام جعلته في التابوت والقته في اليم
كما اوحى الله اليها فالقته في اليم بمنجار عند دست فرعون فخرج جواري اسية امراة فرعون
يغتسلن فوجدنه فسمي باسم المكان الذي وجد فيه. وذكر النقاش وغيره ان اسم التي
التقطته صابوت. وقال ابن اسحق وموسى هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي
ابن يعقوب اسرايل الله بن اسحق بن ابرهم عليهم السلام. وقوله تعالى اربعين ليلة
قال العلماء في الكلام حذف تقديره واذ واعدنا موسى تمام اربعين ليلة. والاربعون كلها
داخله في الميعاد. والاربعون في قول اكثر المفسرين ذو القعدة وعشر من ذي الحجة. وكان
ذلك بعد ان جاوز البحر وساله قومه ان ياتيهم بكتاب من عند الله. ذكر القصة
في ذلك. قال العلماء رضي الله عنهم ان الله تبارك وتعالى لما انجى بني اسرآيل من البحر واغرق عدوهم
ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها وعد الله عز وجل موسى ان ينزل عليه التوراة. فقال
موسى لقومه اني ذاهب الى ميقات ربي لآتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تاتون وما تذرون.
ووعدهم اربعين ليلة. واستخلف عليهم اخاه هرون عليه السلام. ثم خرج الى الطور. وصحب معه
سبعين رجلا من خيار بني اسرآيل. وقيل لما جاء الوعد اتاه جبريل عليه السلام على فرس
يقال له فرس الحياة. لا يصيب شيا الا حيي. ليذهب موسى الى ميقات ربه. فراه السامري.
وكان صايغا اسمه ميخا. وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر. وقيل كان من اهل ماجرما.
وقيل من اهل كرمان. وقيل انه كان من بني اسرآيل من قرية يقال لها سامرة. وكان منافقا
يظهر الاسلام. وكان من قوم يعبدون البقر. فلما راى جبريل على ذلك الفرس وراى موضع

حافر الفرس تخضّر فی الحال فعال فی نفسه ان لهذا شانا. وقیل انه رای جبریل حین دخل
البحر قد امر فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه. والقی فی روعه انه اذا القی فی شیء حیی.
ولما ذهب موسی علیه السلام الی میقات ربه ومکث علی الطور اربعین لیلة وانزل الله علیه
التوراة فی الالواح وکانت الالواح من زبرجد وقربه بخیا واسمعه صریف الاقلام. وقیل
انه علیه السلام مکث اربعین لیله لم یحدث فیها حدثا قط الی ان هبط من الطور. وکانت
بنوا اسرایل قد استعاروا حلیا کثیرا من القبط حین ارادوا الخروج من مصر بحلة عرس لهم
فلما هلک فرعون وقومه بقی ذلک الحلی فی ایدیهم. فلما فصل موسی قال لهم السامری ان
الحلی الذی استعرتموه من القبط غنیمة لا تحل لکم فاحفروا حفیره وادفنوها فیها حتی
یرجع موسی ویری فیها رایه. ففعلوا ما امرهم. فلما اجتمعت الحلی صاغها السامری عجلا
فی بلثه ایام. ثم القی فیه القبضه التی اخذها من تراب فرس جبریل علیه السلام. فخرج عجلا
من ذهب مرصعا بالجواهر کاحسن ما یکون. وخار خورة. وقیل کان یخور ویمشی. وقال
لهم السامری هذا الهکم واله موسی فنسی ای ترکه الهه هاهنا وخرج یطلبه. وکانت بنوا
اسرایل قد اخلفوا الوعد فعدّوا الیوم مع اللیله یومین. فلما مضی عشرون یوما ولم یرجع
موسی وقعوا فی الفتنة. وقیل کان موسی وعدهم ثلثین لیلة. ثم زیدت العشر فکانت
فتنتهم فی تلک العشرة. فلما مضت الثلاثون ولم یرجع موسی ظنوا انه قد مات. ورأوا
العجل وسمعوا قول السامری عکف علی العجل ثمانیة الاف رجل یعبدونه. وقیل عبدا
کلهم الاهرون مع اثنی عشر الف رجل. عکفوا علیه یعبدونه من دون الله عزوجل. فذلک
قول الله تعالی ثم اتخذتم العجل یعنی الها وانتم ظالمون ای وانتم ضارون لانفسکم بالمعصیة
حیث وضعتم العبادة فی غیر موضعها. وروی ایضا ان السامری قال لهم هذا الهکم واله
موسی فاطمانوا الی قوله. ونهاهم هرون علیه السلام. وقال یا قوم انما فتنتم به وان ربکم الرحمن
فاتبعونی واطیعوا امری. قالوا لن نبرح علیه عاکفین حتی یرجع الینا موسی. فلم یتبع هرون
ولم یطعه فی ترک عبادة العجل الا اثنا عشر الفا کما تقدم. وتهافت فی عبادته سایرهم وهم
اکثر من الفی الف. فلما رجع موسی من المیقات ووجدهم قد عبدوا العجل غضب والقی الالواح

س بحلة ای من بعد موسی ہی

من شدة غضبه وكانت من الواح الجوهر وقيل من الزبرجد فتكسرت وفقد من جملتها
ستة اجزاء وبقي جزء واحد وهو الحلال والحرام وما يأتون وما يذرون واحرق
موسى عليه السلام العجل وذراه في البحر فشربوا من مائه حبا للعجل فظهرت على شفاههم
صفرة وورمت بطونهم فتابوا فلم تقبل توبتهم الا ان يقتلوا انفسهم وذلك قول
الله تعالى فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم على ما يأتي تفسيره مستوفى في موضعه ان شاء الله
فقاموا بالخناجر والسيوف بعضهم الى بعض من لدن طلوع الشمس الى ارتفاع الضحى
فقتل بعضهم بعضا لا يسأل والد عن ولده ولا ولد عن والده ولا اخ عن اخيه ولا احد عن
احد كل من استقبله ضربه بالسيف وضربه الآخر مثله حتى عج موسى الى الله صارخا
يا رباه قد فنيت بنو اسرائيل البقية فرحمهم الله عز وجل وجاد عليهم بفضله
فقبل توبة من بقي وجعل سبحانه من قتل في الشهدا على ما يأتي بيانه في موضعه ان شاء الله
وذلك قوله تعالى واذ واعدنا موسى اربعين ليلة فان قيل لم خص الليالي بالذكر دون
الايام قيل له ان الليلة اسبق من اليوم فهي قبله في الرتبة ولذلك وقع بها التاريخ
فالليالي اول الشهر والايام تبع لها والله اعلم قال العلما وفي هذه الاية اشارة الى مواصلة
الصوم لانه تعالى لو ذكر الايام لامكن ان يعتقد ان موسى عليه السلام كان يفطر بالليل
فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام ان موسى واصل الصوم اربعين يوما بليليها ٥
وقال ابن عطية سمعت والدي يقول سمعت الشيخ الزاهد الامام الواعظ ابا الفضل الجوهري
رحمه الله يعظ الناس ويقول اين حال موسى عليه السلام في القرب من الله ووصله ثمانين من
الدهر من قوله حين سار الخضر لفتاه في بعض يومنا هذا غداءنا ٥ قال وقد استدل بهذا
علما الصوفية على الوصال وان افضله اربعون يوما وسيأتي الكلام على الوصال في ايات
الصيام من هذه السورة ان شاء الله تعالى ويأتي في سورة الاعراف زيادة احكام لهذه الآية
عند قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر ويأتي ايضا قصة العجل مزيدا ان
في كيفيته وحواره هناك وفي سورة طه ان شاء الله تعالى وقوله تعالى ثم عفونا عنكم
قال العلما العفو عفو الله عز وجل عن خلقه وقد يكون قبل العقوبة وبعدها بخلاف

الغفران فانه لا يكون معه عقوبة البته ۞ وكل من استحق عقوبة فتركت له فقد عفى عنه ۞
فالعفو محو الذنب اى محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم ۞ وقوله من بعد ذلك اى من
بعد عبادتكم العجل ۞ قال العلما وسمى العجل عجلا لاستعجالهم عبادته ۞ والعجل ولد البقرة
والعجول مثله ۞ والجمع العجاجيل ۞ والانثى عجله ۞ وقوله تعالى لعلكم تشكرون اى
تشكرون عفو الله عنكم ۞ واما الشكر فهو فى اللغة الظهور ۞ من قولهم دابة شكور
اذا ظهر عليها من السمن فوق ما تحطى من العلف ۞ وحقيقته الثنا على الانسان بمعروف
يوليكه كما تقدم فى الفاتحة ۞ وقال الجوهري الشكر هو الثنا على المحسن بما اولاكه من
المعروف يقال شكرته وشكرت له ۞ وهو باللام افصح ۞ والشكران خلاف الكفران ۞ وروي
الترمذي عن ابى هريره رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يشكر الله من لا
يشكر الناس ۞ قال الخطابى رحمه الله هذا الكلام يتأول على معنيين احدهما ان من كان
من طبعه كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعم الله عز وجل
وترك الشكر له ۞ والمعنى الثانى ان الله تعالى لا يقبل شكر العبد على احسانه اليه اذا
كان العبد لا يشكر احسان الناس اليه ويكفر معروفهم لاتصال احد الامرين بالآخر ۞
وقد تكلم العلما رضى الله عنهم فى معنى الشكر ۞ فقال ابن عباس رضى الله عنهما الشكر هو
الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلايق فى السر والعلانيه ۞ وقال سهل بن عبد الله الشكر
هو الاجتهاد فى بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية فى السر والعلانيه ۞ وقال الحسن رضى الله عنه
شكر النعمة ذكرها ۞ قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث ۞ وقال ابو بكر الوراق حقيقة
الشكر معرفة المنعم ۞ وان لا تعرف لنفسك فى النعمة حظا بل ترا هامن الله عز وجل ۞ قال الله
عز وجل وما بكم من نعمة فمن الله ۞ وروى وهب بن منبه رضى الله عنه قال قال داود عليه
السلام الهي كيف لى ان اشكرك وانا لا اصل الى شكرك الا بنعمتك ۞ فاوحى الله اليه يا داود
الست تعلم ان الذي بك من النعم منى ۞ قال بلى يا رب ۞ قال انى ارضى بذلك منك شكرا ۞ قال
وهب وكذلك قال موسى عليه السلام الهي انعمت على النعم السوابغ وامرتنى بالشكر لك
عليها ۞ وانما شكري اياك نعمة منك على ۞ فقال الله عز وجل له يا موسى تعلمت العلم الذي لا

يفوقه علم. حسبي من عبدي ان يعلم ان ما به من نعمة فمني. وقالت فرقة اخري الشكر
هو الاعتراف في تقصير الشكر للمنعم. ولذلك قال الله عز وجل اعملوا آل داود شكرا. فقال
داود وكيف اشكرك يارب والشكر نعمة منك. قال الله تعالي الآن قد عرفتني يا داود وشكرني
اذ عرفت ان الشكر مني نعمة. قال داود يارب ارني اخفى نعمك علي. قال يا داود تنفس.
فتنفس داود. فقال الله يا داود من يحصي هذه النعمه الليل والنهار. وقال الجنيد حقيقه
الشكر العجز عن الشكر. وقال الشبلي الشكر هو التواضع تحت رؤية المنة. وقال الجنيد
ايضا كنت بين يدي السري السقطي العب وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون
في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر. فقلت ان لا يعصى الله بنعمه. فقال اني اخشى ان يكون حظك
من الله لسانك. قال الجنيد فلا ازال ابكي على هذه الكلمة التي قالها السري لي. وقال
بعضهم اصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها وضده الكفر وهو نسيان النعمة وستترها.
والشكر على ثلاثة اضرب شكر بالقلب. وشكر باللسان. وشكر سائر الجوارح. فاما
شكر القلب فهو تصور النعمة. واما شكر اللسان فهو الثناء على النعمة. واما شكر الجوارح
فهو مكافاة النعمة بقدر استحقاقها. وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر
والعلانيه. وقال الله عز وجل حسبي من عبدي ان يعلم ان ما به من نعمة فمني. وقال
داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا. كما جعل اعترافه
بالعجز عن معرفته معرفة. وقيل شكر النعمة ان لا تراها البتة وترى المنعم. وقيل
الشكر خمسة اشياء مجانبه السيئات والمحافظة على الحسنات ومخالفة الشهوات وبذل
الطاعات ومراقبه جبار الارض والسموات. وقال ابو الفيض ذو النون المصري رحمه الله عليه
الشكر لمن فوقك بالطاعة. ولنظيرك بالمكافاة. ولمن دونك بالاحسان والافضال. وسئل
الشيخ ابو الحسن القناد رحمة الله عليه من اشكر الشاكرين. فقال الطاهر من الذنوب الذي
يعد نفسه من المذنبين. والمجتهد في النوافل يعد نفسه في الفرايض يعد نفسه من المقصرين.
والراضي بالقليل من الدنيا يعد نفسه من الراغبين. والقاطع بذكر الله دهره يعد نفسه
من الغافلين. والدايب في العمل عمره يعد نفسه من المفلسين. فهذا شكر الشاكرين.

قوله تعالى واذ آتينا موسى الكتاب يعني التوراة والفرقان اختلف العلماء فيه فقال
بعضهم هو نعت الكتاب والواو زايدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام والكفر والايمان
وقيل الفرقان هو النصر على الاعدا والواو على اصلها وقيل اراد بالفرقان القران وفيه
اضمار تقديره واذ آتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان وقال ابن زيد الفرقان انفراق
البحر لموسى حتى صار فرقا فعبر وافيه وقيل الفرقان الفرج من الكرب لان بني اسرآيل كانوا
مستعبدين مع القبط ومنه قوله تعالى ان تقوا الله يجعل لكم فرقانا اى فرقا ومخرجا
وقيل الفرقان هو الحجة والبيان وقيل الفرقان هو الفرق بين بني اسرآيل وبين قوم فرعون
انجى هولا وغرق اولئك ونظيره قوله تعالى يوم الفرقان يعني يوم بدر والله اعلم قوله
تعالى واذ قال موسى لقومه يعني الذين عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم
العجل يعني الهما تعبدونه فكانهم قالوا ايش نصنع وما الحيلة قال فتوبوا الى باريكم
اى فارجعوا الى خالقكم بالتوبة فقالوا كيف نتوب قال فاقتلوا انفسكم يعني ليقتل
البرئ منكم المجرم فان قيل التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم ان لا يعود
اليه ابدا وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قيل له ليس المراد بتفسير
التوبة بالقتل بل المراد بيان ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل فان قيل التايب من
الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قيل له ذلك مما تختلف فيه
الشرايع فلعل شرع موسى كان يقتضي ان يقتل التايب عن الردة اما عاما في حق الكل او
خاصا في حق الذين عبدوا العجل وقوله تعالى ذلكم يعني القتل خير لكم عند باريكم لان
الموت لا بد منه قال ابن عباس رضي الله عنهما ابى الله عز وجل ان يقبل توبة بني اسرآيل الا بالحال
الذي كرهوا ان يقاتلوهم حين عبدوا العجل فلما امرهم موسى عليه السلام بالقتل قالوا نصبر
لامر الله عز وجل فجلسوا بافنيه محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب قال
واصلت القوم عليهم الخناجر والسيوف واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه
وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فلم يمكنهم المضي لامر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل
فارسل الله عليهم سحابة سودا لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى

وقوله لخالكم يعني الى بارئكم

قاتله او التقاه بيدا ورجل فهو ملعون مردوده توبته • فكانوا يقتلونهم الى المسا • فلما
كثر فيهم القتل دعا موسى وهرون الله عز وجل وبكا وتضرعا وجزعا • وقالا يارب هلكت
بنوا اسرآيل البقية البقية • فكشف الله عز وجل السحابة عنهم • وامرهم ان يرفعوا السلاح
عنهم • ويكفوا عن القتل • فتكشفت عن الوف من القتلى • قال علي بن ابى طالب رضى الله عنه كان
عدد القتلى سبعين الفا • فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه اما ترضى يا ان ادخل
القاتل والمقتول الجنة • فكان من قتل منهم شهيدا • ومن بقى مكفر عنه ذنوبه • فذلك قوله
عز وجل فتاب عليكم يعنى ففعلتم ما امرتم به فتجاوز عنكم اى عن الباقين منكم • قال
سفين بن عيينه رحمة الله عليه التوبة نعمة من الله عز وجل انعم بها على هذه الامة دون غيرها
من الامم • وكانت توبة بنى اسرآيل القتل • واجمعوا على انه لم يومر كل واحد من عبده العجل
بان يقتل نفسه بيده • وقال الزهري لما قيل لهم فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم قاموا
صفين وقتل بعضهم بعضا حتى قيل كفوا • فكان ذلك شهادة للمقتول وتوبة للحى على ما تقدم •
وقال بعض المفسرين ارسل الله عليهم ظلاما ففعلوا ذلك • وقيل وقف الذين عبدوا العجل
صفا ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم • وقيل قام السبعون الذين كانوا
مع موسى فقتلوا اذ لم يعبدوا العجل مع من عبده • ويروى ان يوشع بن نون خرج عليهم
وهم يحتبون فقال ملعون من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او التقاه بيدا ورجل •
فما حل احد منهم حبوته حتى قتل منهم من قتل • واقبل الرجل يقتل من يليه • وقال بعضهم
انما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل انفسهم على القول الاول لانهم راوا المنكر فلم يغيروه وانما
اعتزلوا • وكان الواجب عليهم ان يقاتلوا من عبده • وهذه سنة الله تعالى في عباده اذا
فشا المنكر ولم يغير عوقب الجميع • وروى جرير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى هم اعز منهم وامنع لا يغيرون الا عمهم الله بعقاب اخرجه
ابن ماجة • وروى ابو داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اول ما دخل النقص على بنى اسرآيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله
ودع ما تصنع فانه لا يحل لك • ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله

وشربه وقعيده. فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض. ثم قال لعن الذين كفروا
من بني اسرآيل على لسان داود وعيسى بن مريم الى قوله فاسقون. الى اخر الحديث. ولفظ الزمذي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنوا اسرايل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا.
فجالسوهم في مجالسهم. وواكلوهم وشاربوهم. فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. وعن ابن عمر عن الله رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان
تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل ان تستغفروه فلا يغفر لكم. ان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب اجلا. وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى
لما تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان انبيائهم ثم عمهم بالبلاء
رواه الاصبهاني. وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا
تزال لا اله الا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة مالم يستخفوا بحقها. قالوا
يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها. قال يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكروا ولا يغيروا
رواه الاصبهاني ايضا. والاحاديث في هذا كثيرة. وسنذكرها عند تفسير ايات الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ان شاء الله تعالى. وقوله تعالى انه هو التواب اي الرجاع بالمغفرة القابل
للتوبة. وقيل التواب لقبول التوبة وان كثرت الرحيم بعفو الحوبة وان كبرت. قال بعض
المفسرين انا القتل لما استحر في بني اسرآيل وبلغ سبعين الفا عفى الله عنهم. قال وانما على
سبحانه عنهم لانهم اعطوا المجهود في قتل انفسهم. قال العلماء فما انعم الله على هذه الامة نعمة
بعد الاسلام هي افضل من التوبة. والله الموفق قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة يعني لن نصدقك حتى نرى الله جهرة اي عيانا. وذلك ان الله عز وجل
امر موسى عليه السلام ان ياتيه في ناس من بني اسرآيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار
موسى سبعين رجلا من خياركم. وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم. ففعلوا ذلك.
وخرج بهم موسى عليه السلام الى طور سينا لميقات ربه. فلما بلغوا ذلك الموضع قالوا لموسى
اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا. فقال لهم موسى افعل. فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود

المنكر
لمن لا ينكر
معللا عدم نفع التوجيه

الغمام وتغشى الجبل كله: فدخل موسى في الغمام، وقال للقوم ادنوا، وكان موسى عليه السلام
اذا كلمه ربه عز وجل وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد من بني آدم ان ينظر اليه،
فضرب دونه حجاب، ودنى القوم حتى دخلوا في الغمام، وخروا سجدا وسمعوا الله جل جلاله
وهو يكلم موسى يامره وينهاه، واسمعهم الله تعالى انني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من
ارض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري، فلما فرغ موسى من كلام ربه وانكشف
الغمام اقبل اليهم، فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، وانما قالوا جهره توكيدا للرويا لئلا
يتوهم ان المراد بالرويا العلم فاخذتكم الصاعقة اختلفوا في الصاعقة، فقيل هي الموت، وهذا
القول ضعيف لان قوله وانتم تنظرون يردده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين
اليها، وقيل ان الصاعقه هي سبب الموت، واختلفوا في ذلك السبب، فقيل ان نارا نزلت
من السما فاحرقتهم حميعا، وقيل انتهم صيحة من السما، وقيل ارسل مجموعا عظيما من الملايكه
فسمعوا بحسهم فخروا صعقين فذلك قول الله عز وجل فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون
اي ينظر بعضكم الى بعض كيف ياخذه الموت، فلما هلكوا جعل موسى عليه السلام يبكي ويتضرع
ويقول الهي ماذا اقول لبني اسرايل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل
واياي انهلكتنا بما فعل السفها منا، فلم يزل يناشد ربه عز وجل حتى احياهم الله رجلا رجلا بعد
وذلك بعد ما ماتوا يوما وليله ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون، فذلك قوله عز وجل
ثم بعثناكم اي احييناكم من بعد موتكم اي لتستوفوا بقية اجالكم وارزاقكم، قال العلما
ولو انهم كانوا قد ماتوا لانقضت آجالهم لم يبعثوا الا يوم القيامه لعلكم تشكرون بعدم تفسير الشكر
وستاتي قصتهم في سوره الاعراف ان شا الله تعالى، وقال ابن فورك يحتمل ان تكون معاقبتهم
لاخراجهم طلب الرويه عن طريقه بقولهم لموسى ارنا الله جهره، وليس ذلك من مقدور موسى عليه السلام
وقد اختلف العلما في جواز رويه الله تعالى فانكرها اكثر المبتدعه في الدنيا والاخره،
واهل السنه والسلف على جوازها في الدنيا والآخره، فعلى هذا لم يطلبوا من الرويه محالا،
وقد سالها موسى عليه السلام، وسياتي الكلام في الرويه في سورة الانعام والاعراف ان شا الله تعالى،
قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام اي جعلناه عليكم كالظله، والغمام جمع غمامة كسحابة
وانزلنا عليكم المن والسلوى،

وسحاب. قال السدي الغمام هو السحاب الابيض. قال المفسرون ان الله عز وجل ظلل على بني اسرائيل
الغمام ليقيهم حر الشمس في التيه. وذلك انهم كانوا في التيه ولم يكن لهم فيه شيء يسترهم ولا يقيهم
حر الشمس ولا يستظلون به فشكوا ذلك الى موسى عليه السلام. فارسل الله عليهم غماما ابيض
رقيقا يسترهم من الشمس. وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن قمر. فقالوا
يا موسى هذا الظل قد حصل فاين الطعام. فانزل الله عليهم المن. واختلف العلماء في المن ما
هو على اقوال. احدها انه الترنجبين. وهذا قول اكثر المفسرين. الثاني هو شيء كالصمغ كان ينزل
على الشجر طعمه كالشهد. الثالث وهو قول عكرمة انه شيء انزله الله عليهم مثل الرب الغليظ.
وقيل هو شراب حلو. وقال وهب بن منبه هو الخبز الرقاق. قال العلماء اصل المن هو
ما يمن الله به عباده مما لا تعب فيه ولا نصب ولا زرع. ومنه ما روى سعيد بن حسان رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن. وماؤها شفاء للعين. ومعنى الحديث
ان الكمأة شيء انبته الله من غير سعي احد ولا مونة. فهو من نزله المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل.
وقوله صلى الله عليه وسلم وماؤها شفاء للعين معناه ان يخلط مع الادوية فينتفع به.
لا انه يقطر ماؤها بحتا في العين. وقيل ان تقطيره في العين نفع لكل وجع مخصوص.
وليس بموافق لكل وجع في العين. قال المفسرون وكان هذا المن ينزل على اشجارهم في التيه
في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج. لكل انسان منهم صاع كل ليلة. فقالوا يا موسى
قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم. فارسل الله عز وجل عليهم السلوى.
وهو طائر يشبه السمانا. وقيل هو السمانا بعينه. وهذا قول الضحاك. وقال الجوهري
السلوى هو العسل. وانشد الهذلي ۞

وقاسمها بالله جهدا لانتما ... ألذ من السلوى اذا ما اشورها ... قال المورج احد علماء
اللغة والتفسير ان العسل يسمى السلوى بلغة كنانة. لانه يسلى به. ومنه عين السلوان.
قال الشاعر ۞ لو اشرب السلوان ما سليت ... ما بي غنى عنك وان عنيت ... ۞
والسلوانة بالضم خرزة كانوا يقولون اذا صبت عليها ماء المطر وشربه العاشق سلا.
قال الشاعر ۞

شربتُ على سُلوانَةٍ مَأْمُزْنَةٍ ۞ فَلَا وجَدِيْدِ العَيشِ يَا مَيُّ مَا اَسْلُوْ ۝ واسم ذاك
المآ السلوان. وقال بعضهم السلوان دوآ يسقاه الحزين فيسلو. والاطبآ يسمونه المفرح.
يقال سليت وسلوت لغتان. ويقال فلان فى سلوة من العيش اى فى رغد ۝ واختلف
العلما فى السلوى هل لفظه لفظ جمع او مفرد. فقال الاخفش لا واحد له من جنسه مثل الخير
والشر. وهو يشبه ان يكون واحده سلوى مثل جماعة. وقال الخليل واحده سلوانه. وانشد ۝
وانّى لتعْرُونى لذكرك سَلوة ۞ كما انتفض السلوانُ مِن بَلَلِ القطرِ ۝ وقال الكسآي
السلوى واحدها وجمعها سلاوٍ ۝ والسلوى عطف على المن. ولم يظهر فيه الاعراب
لانه مقصور. ووجب هذا فى المقصور كله لانه لا يخلو من ان يكون فى آخره الف. قال
الخليل والالف حرف هوآئ لا مستقر له فاشبه الحركة فاستحالت حركته. وقال الفرآ
لو حركت الالف صارت همزة. والله تعالى اعلم وقوله تعالى كُلُوا اى وقلنا لهم كلوا.
من طيباتِ اى حلالات مَا رزقناكم ولا تدخروا شيا لغدٍ. فخالفوا وادخروا فلَ وَدَّ
وفسد. فقطع الله عنهم ذلك. روى البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قالَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنوا اسرآيل لم تخبث اللحم او قال لم يخنز. وفى رواية لم
تخبث الطعام. ولم يخنز اللحم. ولولا حوآ لم تخن انثى زوجها الدهر. قوله صلى الله عليه وسلم
لم يخنز اللحم اى لم ينتن ولم يتغير. وقوله تعالى وَمَا ظَلَمُونَا اى وما بخسوا حقنا.
وقيل وما ضرونا بالمعصية ولكن كانوا انفسَهُم يظلمُونَ اى باخذهم اكثر مما حد لهم.
فاستحقوا بذلك عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مونةٍ ولا تعب فى
الدنيا ولا حساب فى العقبى. قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية سميت قرية
لاجتماع الناس فيها. وقال بعضهم فى قوله تعالى ادخلوا هذه القرية يعنى المدينة سميت قرية
لانها تقرت اى اجتمعت. ويقال قريت المآ فى الحوض اى جمعته. قال الجوهرى والمقراة
الحوض. والمقارى الجفان العظام. قال الشاعر ۝

عظامُ المقارِي صيفُهم لا يفرع ۞ وواحد المقارى مقراة. والقَرْيَةُ بكسر القاف لغة
اهل اليمن. واختلف المفسرون فى تعيين هذه القرية. فقال ابن عباس رضى الله عنهما هى اريحا.

وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة وراسهم عوج بن عنق
فعلى هذا القول يكون القايل يوشع بن نون لانه هو الذي فتح اريحا بعد موت موسى عليه السلام
لان موسى مات في التيه وقال جمهور المفسرين هي بيت المقدس فعلى هذا يكون القايل موسى
عليه السلام ومعنى الاية اذا خرجتم من التيه بعد مضي الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس ٥
وقال بعضهم هي البلقا وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وتدمر وقيل هي
الشام كلها قال العلما وهذه نعمة اخرى وهي انه اباح لهم دخول القرية وازال عنهم التيه
وقوله تعالى فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي موسعا عليكم قال العلما وكانت ارضا مباركة عظيمة
الغلة فلذلك قال تعالى رغدا وهو نعت لمصدر محذوف تقديره اكلا رغدا وقوله تعالى
وادخلوا الباب يعني بابا من ابواب القرية وكان لها سبعة ابواب فمن قال ان القرية اريحا
قال ادخلوا اي باب كان وكان لها سبعة ابواب كما تقدم ومن قال ان القرية هي بيت المقدس قال
هو باب حطة وهذا قول مجاهد وغيره وقيل هو باب القيامة الذي كان يصلي اليها موسى وسوا
اسرايل وقوله تعالى سجدا اي منحنين خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود
وقال وهب بن منبه قيل لهم ادخلوا الباب فاذا دخلتموه فاسجدوا واشكروا الله عز وجل
وذلك انهم كانوا اذنبوا باباؤهم دخول اريحا فلما فعلوا من التيه احب الله عز وجل ان سقذهم
من الخطية وقوله تعالى وقولوا حطة اي حط عنا خطايانا قال قتادة امروا بالاستغفار
وقال ابن عباس رضي الله عنهما معنى وقولوا حطة اي قولوا لا اله الا الله فانها تحط الذنوب والخطايا
على تقدير مسالتنا حطة وفي حديث اخر عن ابن عباس قيل لهم قولوا مغفرة اي قولوا شيا تحط
ذنوبكم كما يقال قل خيرا وهو بتسيير نصب حطة والامة من القرا على رفع حطة وهو
اولى في اللغة وقال الجوهري وابن فارس حطة كلمة امروا بها بنوا اسرايل لو قالوها
لحطت اوزارهم وقال بعضهم يحتمل ان بني اسرايل تعبدوا بهذا اللفظ بعينه وهو الظاهر
من الحديث الذي رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرايل
ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم
وقالوا حبة في شعره واخرجه البخاري ايضا وقال فبدلوا وقالوا حطة حبة في شعره وفي

القامة

غير الصحيحين حنطة في شعره. وقيل حطى سمانا. وهي لفظة عبرانية. تفسيرها
حنطة حمراء. حكاها ابن قتيبة. وحكاها الهروي عن السدي ومجاهد. فكان قصدهم
خلاف ما امرهم الله عز وجل. فعصوا وتمردوا واستهزؤا فعاقبهم الله تعالى بالرجز.
وهو العذاب. وقال ابن زيد عاقبهم الله بطاعون اهلك منهم سبعين الفا في ساعة. وقال
قتادة طوطئ لهم الباب. اي جعل قصيرا ليدخلوه ركعا. فدخلوا متوركين على استاههم.
واستدل بعض العلماء بهذه الآية على ان تبديل الاقوال المنصوص عليها في الشريعة لا
يخلوا اما ان يقع التعبد بلفظها. او بمعناها. فان وقع بلفظها فلا يجوز تبديلها لان الله
تعالى قد ذم من بدل امره. وان وقع بمعناها جاز تبديلها بما يودي الى ذلك المعنى.
ولا يجوز بما يخرج عنه. وقد اختلف العلماء في هذا المعنى. فقال الامام ابو حنيفة والامام
مالك والامام الشافعي واصحابهم رضي الله عنهم يجوز للعالم بمواقع الخطاب البصير بايجاد
الكلمات نقل الحديث بالمعنى. ولكن شرط المطابقة للمعنى بكماله. وهذا قول الجمهور.
ومنع ذلك كثير من العلماء منهم ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجا بن حيوة. وقال مجاهد
انقص من الحديث ان شئت ولا تزد فيه. وكان الامام مالك يشدد في حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في التاء والياء ونحو هذا. وعلى هذا جماعة من ائمة الحديث. لا يرون
ابدال اللفظ ولا تغييره. حتى انهم يسمعون حديثا ملحونا ويعلمون ذلك فلا يغيرونه.
وروى عن قيس بن عباد قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من سمع حديثا فحدث به كما
سمع فقد سلم. وروى نحوه عن عبد الله بن عمرو. وزيد بن ارقم. وكذا الخلاف في التقديم
والتاخير والزيادة والنقصان. فان منهم من يعتمد المعنى ولا يقيد اللفظ. ومنهم من يشدد
في ذلك ولا يفارق اللفظ ابدا. وذلك هو الاحوط في الدين والاتقى والاولى. ولكن اكثر العلماء
على خلافه. والقول بالجواز هو الصحيح ان شاء الله تعالى. وذلك ان المعلوم من سيره الصحابة
رضي الله عنهم انهم كانوا يروون الوقايع المتحدة بالفاظ تختلفه. وما ذاك الا انهم كانوا
يصرفون عنايتهم للمعاني. ولم يلتزموا التكرار على الاحاديث ولا كتبها. كما روى عن واثلة
ابن الاسقع رضي الله عنه انه قال ليس كل ما اخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلناه اليكم

حسبكم المعنى. وقال قتادة روى عن زرارة بن اوفى رحمة الله عليه قال لقيت عدة من
اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاختلفوا على فى اللفظ واجتمعوا فى المعنى. وكان النخعى
والحسن والشعبى رحمهم الله يأتون بالحديث على المعانى. وقال الحسن اذا اصبت المعنى اجزاك
وقال سفين الثوري اذا قلت لكم انى احدثكم كما سمعت فلا تصدقونى انما هو المعنى. وقال
وكيع ان لم يكن المعنى واسعا فقد هلك الناس. واتفق العلماء رضى الله عنهم على نقل الشرع
للعجم بلسانهم وترجمته لهم. وذلك هو النقل بالمعنى. وقد جعل الله عز وجل ذلك فى
كتابه العزيز فيما قص من انبائنا. قد سلف. فقص سبحانه قصصا ذكر بعضها فى مواضع
بالفاظ مختلفة والمعنى واحد. ونقلها سبحانه من السنتهم الى اللسان العربى. وهو مخالف لها
فى التقديم والتاخير والحذف والالغاء والزيادة والنقصان. واذا جاز ابدال العربية
بالعجمية فلان يجوز بالعربية اولى. وبهذا القول احتج الحسن والامام الشافعى. وهو الصحيح
فى الباب. والله اعلم. فان قيل قد قال النبى صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتى فبلغها
كما سمعها. وذكر الحديث. وما ثبت عنه ايضا انه صلى الله عليه وسلم امر رجلا ان يقول عند
مضجعه فى دعائه علمه آمنت بكتابك الذى انزلت وبنبيك الذى ارسلت. فقال الرجل وبرسولك
الذى ارسلت. فقال النبى صلى الله عليه وسلم وبنبيك الذى ارسلت. ولم يسوغ صلى الله عليه وسلم
لمن علمه الدعاء مخالفة اللفظ. وقال فى الحديث الاول فاداها كما سمعها. او قال فبلغها كما
سمعها. قيل له اما قوله اداها كما سمعها فالمراد حكمها لا لفظها. لان اللفظ غير معتبر.
ويدل على ان المراد من الخطاب حكمه. قوله رب حامل فقه غير فقيه. ورب حامل فقه
الى من هو افقه منه. ثم ان هذا الحديث نقل بعينه بالفاظ مختلفة والمعنى واحد. وان امكن
ان تكون جميع الالفاظ قول النبى صلى الله عليه وسلم فى اوقات مختلفة. لكن الاغلب انه حديث
واحد نقل بالفاظ مختلفة. وذلك ادل دليل على الجواز. واما رده صلى الله عليه وسلم
الرجل من قوله برسولك الى قولك وبنبيك. فان اسم النبى امدح. ولكل نعت من هذين النعتين
موضع. الا ترى ان اسم الرسول يقع على الكافة. واسم النبى لا يستحقه الا الانبياء عليهم السلام.
وانما فضل الرسل من الانبيا لانهم جمعوا النبوه والرساله صلوات الله عليهم. فلما قال

وبنبيك جاء بالنعت الامدح. ثم قيده بالرسالة بقوله الذى ارسلت. وايضا فان نقله
من قوله وبرسولك الى قوله وبنبيك ليجمع بين النبوة والرسالة. والله اعلم فان قيل
اذا جاز للراوي الاول تغيير الفاظ الرسول صلوات الله عليه جاز للثانى تغيير الفاظ الاول
ويودي ذلك الى طمس الحديث بالكلية لدقة الفروق وخفاياها. قيل له الجواز مشروط
بالمطابقة والمساواة. كما ذكرنا فان عدمت لم يجز ۞ وقال ابن العربى الخلاف
فى هذه المسئلة انما يتصور بالنظر الى عصر الصحابة والتابعين لتساويهم فى معرفة اللغة الجبلية
الذوقية. واما من بعدهم فلا يشك فى ان ذلك لا يجوز. اذ الطباع قد تغيرت والفهوم
قد تباينت والعوايد قد اختلفت. وهذا هو الحق والله اعلم ۞ رجعنا الى التفسير ۞
وقوله تعالى نغفر لكم خطاياكم اى نسترها عليكم. من الغفر. وهو الستر. لان المغفرة
تستر الذنوب وسنزيد المحسنين يعنى ثوابا. وقيل نزيدهم احسانا على الاحسان المتقدم
عنده. قال العلماء رضى الله عنهم والمحسن من صحح عقد توحيده. واحسن سياسة نفسه واقبل
على اداء فرايضه. وكفى المسلمين شره. فهذا صفة المحسن. وفى حديث جبريل عليه السلام ما
الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه. فان لم تكن تراه فانه يراك. قال صدقت. وذكر الحديث.
خرجه مسلم رحمه الله. قوله تعالى فبدل اى فغير الذين ظلموا اى ظلموا انفسهم بالمعصية.
قولا غير الذى قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة. فقالوا بلسانهم
هنطا ثا سمقاثا. اى حبة حمرا. وذلك استخفافا منهم بامر الله عز وجل. وقيل طوطى
لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فابوا ذلك. ودخلوا زحفا على استاههم. فخالفوا فى الفعل
كما خالفوا فى القول وبدلوه. وقال بعض المحققين قيل لبنى اسرايل قولوا حطة. فقالوا
حنطة. فزادوا حرفا فى الكلام. فلقوا من البلا ما لقوا. تعريفا ان الزيادة فى الدين والابتداع
فى الشريعة عظيمة الخطر شديدة الضرر. هذا فى تغيير كلمة هى عبارة عن التوبة اوجبت
كل ذلك من العذاب. فما ظنك بتغيير ما هو من صفات المعبود سبحانه. هذا والقول انقص
من العمل. فكيف بالتبديل والتغيير فى الفعل. والله الموفق. وقوله تعالى فانزلنا على
الذين ظلموا رجزا من السما يعنى عذابا من السما. وذلك ان الله تبارك وتعالى ارسل عليهم طاعونا.

فهلك منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا حاكانوا يفسقون اى بسبب فسقهم وعصيانهم
وخروجهم عن امر الله عزوجل قوله عزوجل واذ استسقى موسى لقومه اى طلب
السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا فى التيه فسالوا موسى ان يستسقى لهم فاستسقى قال
المفسرون والاستسقا انما يكون عند عدم الماء وحبس القطر واذا كان ذلك فالحكم حسن
اظهار العبودية والفقر والمسكنة فى الذلة مع النوبة النصوح وقد استسقى نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فخرج الى المصلى متواضعا متذللا متخشعا متوسلا متضرعا وحبذا
به صلوات الله عليه فكيف بنا ولا توبة معنا الا العناد ومخالفة رب العباد فانى نسقى
لكن قد قال صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن عمر ولم يمنعوا زكوة اموالهم الا منعوا القطر
من السما ولولا البهايم لم يمطروا الحديث وسياتى بكماله ان شا الله وقال العلما سنة
الاستسقا الخروج الى المصلى على الصفة التى ذكرنا والخطبة والصلاة وبهذا قال الجمهور
وذهب الامام ابو حنيفة الى انه ليس من سنة الاستسقا صلاة ولا خروج وانما هو دعا لا غير
واحتج بحديث انس بن مالك رضى الله عنه اخرجه البخارى ومسلم وروى ابو يوسف ومحمد بن الحسن
من اصحاب الامام ابى حنيفه ان الخروج والصلاة والدعا سنة بدليل ما روى عبد الله بن زيد
المازنى رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصلى فاستسقى وحول رداه
وصلى ركعتين وسياتى من احكام الاستسقا زيادة فى سوره هود ان شا الله تعالى وقوله
تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر قال المفسرون العصا معروف وهو اسم مقصور وجمعه عصى
والفه منقلبه عن واو والجمع عصى وعصى قال الفرا اول لحن سمع بالعراق هذه
عصاتى وقد يعبر بالعصا عن الاجتماع والافتراق ومنه يقال فى الخوارج قد
شقوا عصى المسلمين اى اجتماعهم وافتراقهم ويقال انشقت العصا اذا وقع الخلاف
قال الشاعر ه اذا كانت الهيجا فانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند ه
اى يكفيك ويكفى الضحاك وقولهم ايضا لا ترفع عصاك عن اهلك يراد به الادب والله اعلم
وقوله تعالى الحجر وهو معروف وقياس جمعه فى ادنى العدد احجار وفى الكثير حجار
وحجارة والحجارة نادر كذا قال الجوهرى وغيره قال بعضهم والحجاره فى القرآن كثير كقوله تعالى

فهی کالحجارة وان من الحجارة لما کونوا حجارة ترمیهم بحجارة وامطرنا علیهم حجارة فلا تکون
نادرا الا فی القیاس لا فی الاستعمال والله اعلم قال المفسرون کان عصی موسی من آس الجنة
طولها عشرة اذرع علی طول موسی ولها شعبتان تتقدان فی الظلمة نورا واسمها علیق
وقیل اسمها نبعة حملها ادم معه من الجنة فتوارثها الانبیا حتی وصلت الی شعیب علیه السلام
فاعطاها موسی وسیاتی الکلام علیها وعلی منافعها ان شا الله تعالی واما الحجر الذی امر الله
موسی ان یضربه فاختلف العلما فیه فقال وهب بن منبه لم یکن حجرا معینا بل کان موسی
علیه السلام یضرب ای حجر کان فینفجر عیونا لکل سبط عین وکانوا اثنی عشر سبطا
وقیل کان حجرا معینا بدلیل انه عرفه بالالف واللام وقال ابن عباس رضی الله عنهما کان
حجرا خفیفا مربعا طوریا علی قدر راس الرجل وقیل علی قدر راس الشاة وکان موسی
علیه السلام یضعه فی مخلاة فاذا احتاجوا الی الما وضعه وضربه بعصاه وقیل کان
یلقی فی جوالق ویرحل به فاذا نزلوا وضع فی وسط محلتهم وروی انهم لم یکونوا یحملون
الحجر لکنهم کانوا یجدونه فی کل مرحلة من الرحلة الاولی وهذا اعظم فی الآیة والاعجاز
وقال بعض المفسرین کان للحجر اربعة وجوه فی کل وجه ثلاثة اعین لکل سبط عین وقیل
کان من الرخام وقیل کان من الکدان وهی الحجارة اللینة وقال سعید بن جبیر هو الحجر
الذی وضع موسی علیه ثوبه ففر به فاتاه جبریل علیه السلام وقال له ان الله یامرک ان
ترفع هذا الحجر فلی فیه قدرة ولک فیه معجزة فوضعه فی مخلاته فلما سالوه السقیا قیل
اضرب بعصاک الحجر وکان اذا احتاجوا الی الما وضعه وضربه بعصاه فینفجر منه عیونا
لکل سبط عین تسیل انهرا فی جدول وکان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فیذهب الما
ویبس الحجر قال العلما وما اوتی نبینا محمد صلی الله علیه وسلم من نبع الما وانفجاره من بین
اصابعه اعظم فی المعجزة فانا نشاهد الما یتفجر من الاحجار انا اللیل وآنا النهار
ومعجزة نبینا صلی الله علیه وسلم لم یکن لنبی قبله وهو خروج الما من بین لحم ودم وقد
روی الائمة الثقات والفقها الاثبات عن عبد الله رضی الله عنه قال کنا مع النبی صلی الله علیه
وسلم فلم نجد ما نتوضا ای من حجارة فادخل یده فیه فلقد رایت الما یتفجر من بین

اصابعه ويقول حي على الطهور. قال الاعمش فحدثني سالم بن ابي الجعد قال قلت لجابر كم كنتم يومئذ قال الفا وخمسمائة. لفظ النسائي رحمه الله. فذلك قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر. وقوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وفي الكلام حذف معناه فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد. وقيل انبجست اي عرقت. وانفجرت اي سالت. وقال بعضهم الانبجاس اضيق من الانفجار. لانه يكون انبجاسا ثم يصير انفجارا. وقال الهروي انبجس وتبجس وتفجر وتفتق بمعنى واحد. قال العلماء ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على تفجير الماء وفلق البحر من غير ضرب ولكن اراد سبحانه ان يربط الاسباب بالاسباب حكمة منه للعباد. في وصولهم الى المراد وليثيبهم على ذلك ثوابهم وعقابهم في المعاد. قال المفسرون والعين من الاسماء المشتركة. يقال عين الماء وعين الانسان. وعين الركبة. وعين الشمس. والعين ايضا سحابة تقبل من ناحية القبلة. والعين ايضا مطر يدوم خمسا او ستا لا يقلع. والعين الثقب في المزادة. والعين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدمع من عين الحيوان. وقيل لما كان عين الحيوان اشرف ما فيه شبهت به عين الماء لانها اشرف ما في الارض. والله اعلم ٥ وقوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم اي موضع شربهم لا يدخل سبط مع غيره لكل سبط منهم عين قد عرفها لا يشرب من غيرها. قال العلماء والاسباط في بني اسرائيل كالقبايل في العرب. وهم ذرية الاثني عشر اولاد يعقوب عليهم السلام. وكان لكل سبط عين من تلك العيون لانتعدادها. وقال مقاتل بلغنا انه كان في كل سبط خمسون الف مقاتل من سوى خيلهم وذوابهم. وقوله تعالى كلوا واشربوا من رزق الله اي كلوا من المن والسلوى. واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي ياتيكم بلا مشقة ولا مؤونة ولا تبعة ولا تعثوا في الارض مفسدين والعيث اشد الفساد. والله تعالى اعلم قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد وذلك انهم سئموا المن والسلوى وتذكروا عيشهم الاول بمصر. قال الحسن كانوا اناسا اهل كراث وبصال واعداس فتزعوا الى عكرهم عكر السوء واشتاقت طباعهم الى ما جرت عليه عادتهم. وقالوا لن نصبر على طعام واحد. وكنوا عن

المن بطعام واحد وهما كانا اثنان لانهم كانوا ما كلون احدهما الآخر فلذلك قالوا لطعام
واحد وقيل كانوا يجنون المن بالسلوى فيصير طعاما واحدا وقيل المعنى لن نصبر
على الغنا فنكون جميعا اغنيا فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض لاستغنا كل واحد
بنفسه وكذلك كانوا فهم اول من اتخذ العبيد والخدم وقولهم فادع لنا ربك اى
سل لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها قال المفسرون هما البقل والقثا
المعروفان وفومها اختلف العلما فى الفوم ما هو فقال ابن عباس رضى الله عنهما الفوم هو الخبز
وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم لانه المشاكل للبصل وهذا قول الضحاك والثا تبدل من
الفا وقرا ابن مسعود وقثائها وثومها بالثا المثلثة وروى ذلك عن ابن عباس وقال امنة
ان ابى الصلت ۞ كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومان والبصل
الفراديس واحدها فردوس وكرم مفردس اى معرش وانشد حسان ايضا
وانتم اناس لئامٌ الاصول طعامكم الفوم والحوقل يعنى الثوم والبصل وهذا
قول الكسايى والنضر بن شميل وقال ابن دريد الفومة السنبله وقال بعضهم الفوم
هو الحمص وهى لغة شاميه وبابيه فارسيه مغيرة عن فوى لانهم قد يغيرون فى النسب
كما قالوا سهلى ودهرى ويقال فوموا لنا اى اختبزوا وقال عطا وقتاده الفوم كل
حب يختبز وقيل الفوم هى الحبوب كلها والله اعلم وقوله تعالى وعدسها وبصلها قال
العلما انما طلبوا هذه الانواع لانها تقيى على تقوية الشهوة ولانهم ملوا من البقا فى التيه
فسالوا هذه الاطعمة التى لا توجد الا فى البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة
قال المفسرون والعدس معروف قال الجوهرى ويوثر عن النبى صلى الله عليه وسلم مرحديث
على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال عليكم بالعدس فانه مبارك مقدس وانه يرق القلب
ويكثر الدمعه فانه بارك فيه سبعون نبيا آخرهم عيسى ابن مريم رواه الثعلبى
وغيره وروى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان ياكل يوما خبزا بزيت ويوما خبزا
بملح ويوما بعدس قال الحليمى والعدس والزيت طعام الصالحين ولو لم يكن للعدس
فضيله الا انه ضيافه ابرهيم الخليل عليه السلام فى مدينته لكان فيه كفايه وهو مما

وحل البقل البقل
بلغة اليمن ج

تخفف البدن فتخف للعباده • ولا تثور منه الشهوات كما تثور من غيره من اللحم والحنطة
من جمله الحبوب وهي الفوم على الصحيح • والشعير قريب منها • وكان الشعير طعام اهل
المدينة الشريفه • كما ان العدس طعام قرية ابرهيم عليه السلام • وروى عن عائشه رضي الله عنها
انها قالت ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاثا تباعا
حتى قبض • واما البصل فاختلف العلما رضي الله عنهم في جواز اكله وكذلك الثوم ومالة
رايحة كريهة من ساير البقول • فذهب جمهور العلما الى اباحة ذلك للاحاديث الثابته في ذلك
وذهبت طايفة من اهل الظاهر القايلين بوجوب الصلاه فرضا في الجماعة الى المنع • وقالوا كل
ما منع من اتيان الفرض والقيام به فحرام عمله والتشاغل به • واحتجوا بان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سماها خبيثة • والله عز وجل وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بانه يحرم الخبايث
وحجة الجمهور ما ثبت عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بقدر فيه
خضرات من بقول فوجد له ريحا فقال فاخبر بما فيها من البقول • فقال قربوها الى بعض اصحابه
كانوا معه • فلما راه كره اكلها قال كل فاني اناجي من لا تناجي • فهذا الحديث بين الاباحة
والخصوص لغيره • وفي صحيح مسلم ايضا عن ابي ايوب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قدم المدينة نزل على ابي ايوب رضي الله عنه فصنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فيه ثوم
فلما رد اليه سال عن موضع اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له لم ياكل ففزع
وصعد اليه • فقال احرام هو يا رسول الله • قال النبي صلى الله عليه وسلم لا • ولكني اكرهه • قال فاني
اكره ما تكره • او ما كرهت • قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوتى • يعني ياتيه الوحي • وهذا
ايضا نص على عدم التحريم • وكذلك ما رواه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم حين اكل الثوم من خيبر وفتحها ايها الناس انه ليس لي تحريم ما احل الله •
ولكنها شجرة اكره ريحها • فهذه الاحاديث تشعر بان الحكم خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم
اذ هو صلوات الله عليه مخصوص بمناجاة الملك • لكن قد علل هذا الحكم حيث قال من اكل هذه
البقلة الثوم • وقال مره من اكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا • فان الملايكة
تتاذى مما يتاذى منه بنو آدم • وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث فطول ايها

الناس تاكلوا شجرتين لا اراهما الاخبيثتين هذا البصل والثوم لقد رات رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا وجد رائحتهما من الرجل فى المسجد امر به فاخرج الى البقيع فمن
اكلهما فليمتهما طبخا خرجه مسلم والله تعالى اعلم قال العلما لما سالوا موسى الدعا الى
طلبتهم اجابهم بقوله قال استبدلون الذى هو ادنى اى الذى هو اخس واردى
وهو الذى طلبوه بالذى هو خير يعنى بالذى هو اشرف وافضل وهو ما هم فيه قال
العلما والاستبدال هو وضع الشى موضع الآخر واختلف المفسرون فى الوجوه التى
توجب فضل المن والسلوى على الشى الذى طلبوه وهى خمس وجوه الاول ان يقول
لما كانت لا خطر لها بالنسبة الى المن والسلوى كان المن والسلوى افضل وهذا قول
الزجاج الثانى لما كان المن والسلوى طعاما مَنّ الله به عليهم وامرهم باكله وكان فى
استدامة امر الله وشكر نعمته اجر وذخر فى الآخرة والذى طلبوه عار من هذه الخصال
كان ادنى فى هذا الوجه الثالث لما كان ما مَنّ به عليهم اطيب والذ من الذى سالوه
كان ما سالوه ادنى من هذا الوجه لا محالة الرابع لما كان ما اعطوا لا كلفة فيه
ولا نصب والذى طلبوه لا يجى الا بالحرث والزراعة والتعب كان ادنى الخامس لما
كان ما ينزل عليهم لا من بيّة فى حله وخلوصه لنزوله من عند الله والحبوب والارض
تتخللها البيوع والغصوب وتدخلها الشبه كانت ادنى من هذا الوجه مسئلة وفى
هذه الاية دليل على جواز اكل الطيبات والمطاعم المستلذات وكان النبى صلى الله عليه
وسلم يحب الحلوا والعسل ويشرب الما البارد العذب وسياتى هذا المعنى فى سورة المايدة
والنحل ان شا الله تعالى وقوله سبحانه اهبطوا مصرا يعنى فان ابيتم الا ذلك فاهبطوا
مصرا من الامصار وقيل هى مصر بعينها قال بعضهم قوله تعالى مصرا بالتنوين قراة
الجمهور وهو خط المصحف ومن صرفها اراد مصرا من الامصار غير معين وروى عكرمة
عن ابن عباس فى قوله تعالى اهبطوا مصرا قال مصرا من هذه الامصار وقالت طايفة ممن صرفها
ايضا اراد مصر فرعون بعينها واستدل الاولون بما اقتضاه ظاهر القران من امرهم دخول
القرية وبما تظاهرت به الرواية انهم سكنوا الشام بعد التيه ٥ واستدل الآخرون

مما فى القران من ان الله تعالى اورث بنى اسرآيل ديار آل فرعون وآثارهم • واجازوا صرفها
قال الكسائى والاخفش اجازوا صرفها لخفتها وشبهها بهند ودعد • والخليل والفرا لا
لا يجيزون هذا • لانك لو سميت امراة بزيد لم تصرف • وقال غير الاخفش اراد المكان
فصرف • وقرا الحسن وابان بن تغلب وطلحة اهبطوا مِصْرَ • بترك الصرف • وكذلك هى فى
مصحف ابى بن كعب وهى قراءة ابن مسعود • وقالوا هى مصر فرعون • وقال اشهب قال لى الامام
مالك هى مصر قريتك مسكن فرعون • ذكره ابن عطيه رحمه الله ۝ والمصر اصله فى اللغة
الحد • ومصر الدار حدودها • ويقال ان اهل هجر يكتبون فى شروطهم اشترى فلان من فلان
الدار بمصورها اى بحدودها ۝ وقال الشاعر ۝

وجاعل الشمس مصرًا لا خفآ بِهِ • بين النهار وبين الليل قد فصلا • ۝ والله تعالى اعلم
وقوله تعالى فان لكم ما سالتم يعنى من نبات الارض • وقرا ابن وثاب والنخعى فان
لكم ما سِلْتُم • بكسر السين • يقال سَأَلتُ وسِلْتُ بغير همز • وهو من ذوات الواو • والله اعلم
وضربت عليهم الذِلة اى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم • والزموا الذل والهوان
وقضى عليهم بهما • وانشد الفرزدق فى جرير ۝

ضَربت عليك العنكبوت بنسجها • وقضى عليك به الكتابُ المُنزَل ۝ ويقال ضرب الحاكم
على اليد • اى حكم والزم • والذِلة الذُل والصَغار • والمسكنة الفقر • فلا يوجد يهودى وان
كان غنيا خالٍ من زىّ الفقر ومهانته • ولا ترى فى اهل الملل اذل ولا احرص على المال من
اليهود • وقال الحسن وقتادة الذلة الجزية وزىّ اليهودية • وقال ابو عبيدة الذلة
الصغار • والمسكنة مصدر المسكين • والمسكنة هى الفقر والفاقة كما تقدم • وسمى الفقير مسكينا
لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة • وباءُوا اى انقلبوا ورجعوا بغضب من الله اى لزمهم
ذلك • قال العلما وغضب الله عليهم ذلتهم • وتوعده اياهم فى الدنيا • وانزال العقوبة بهم
فى العُقبى • وقال بعضهم غضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه • وقوله تعالى ذلك اى
ذلك الغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله اى بصفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآيته
الرجم التى فى التوراة • ويكفرون بالانجيل والقران • وقال بعضهم يكفرون بكتاب الله ومعجزات

انبيآيه وقوله تعالى ويقتلون النبيين وقرانافع النبيئين بالهمز حيث وقع فى القران
الا فى موضعين فى سورة الاحزاب قوله تعالى ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى وقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا انه قرا بلا مد ولا همز وانما ترك همز هاذين
لاجتماع همزتين مكررتين وترك باقى القرا الهمز فى جميع ذلك فاما من همز فهو عنده
من انبا اذا اخبر واسم فاعله مُنْبِئٌ وجمع نبى انبيآء وقد جآء فى جمع نبى نُبَآءٌ
وانشد العباس بن مرداس السلمى يمدح النبى صلى الله عليه وسلم ٥
يَا خَاتَمَ النُّبَآءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ ۝ بِالْحَقِّ كُلَّ هُدَى السَّبِيْلِ هُدَا كَا ۝ هذا معنى قراه الهمز
واختلف القايلون بترك الهمز فمنهم من اشتق اشتقاق مَنْ هَمَزَ ثم سهل الهمز ومنهم
من قال هو مشتق مِن نَبَا يَنْبُو اذا ظهر فالنبى مشتق من النبوة وهو الارتفاع فمنزله النبى
رفيعة والنبى ايضا بترك الهمز هو الطريق سُمى الرسول نبيا لاهتدآ الخلق به كالطريق
والانبيآ عليهم السلام للناس كالسبيل فى الارض ويروى ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم
السلام عليك يا نبيَّ الله وهمز فقال النبى صلى الله عليه وسلم لستُ بنبيِّ الله وهمز ولكنى
نبيُّ الله ولم يهمز والله تعالى اعلم ٥ وقوله بغير الحق اى بغير جرم مثل قتلهم زكريا
ويحيى وشعيا وغيرهم من الانبيآ وقوله بغير حق بعظيم للشنعه والذنب الذى اتوه ٥
فان قيل قتل الانبيا لا يكون الا بغير حق فما فايده ذكره قيل له ذكره وصفا للقتل
والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما امر الله تعالى به وتارة يوصف بغير الحق وهو قتل العدوان
فهو كقوله رب احكم بالحق والحق وصف للحكم لا ان حكمه ينقسم الى حق وجور والله اعلم
ويروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا فى اول النهار وقامت سوق بقلهم فى آخر النهار
فان قيل كيف يمكن ان يُخَلّى بين الكافرين وقتل الانبيا قيل له ذلك كراهة لهم
وزيادة فى منازلهم وهذا كمن يقتل فى سبيل الله من المومنين وليس ذلك بخذلان لهم
وقال ابن عباس والحسن رضى الله عنهم لم يقتل قط نبى من الانبيآ الا من لم يومر بقتال وكل من
امر بقتال نصر ٥ وقوله تعالى ذلك اى القتل والكفر بما عصوا وكانوا يعتدون
اى يتجاوزون امرى ويركبون محاريى والاعتدا هو تجاوز الحد فى كل شى وعرفه فى

ويقال النهر نهرى قتلوا ويقتلون الانبيا

الظلم والمعاصي • قال بعض العلماء لما ذكر الله عز وجل انزال العقوبة بهم بين لهم علة ذلك
فبدا اولا بما فعلوه في حق الله تعالى وهو حملهم به مع ارشاد الانبيا عليهم السلام والكتب
المنزله وجحدهم بعمه • ثم ثنى بما يتلوه في العظم وهو قتل الانبيا عليهم السلام • ثم ثلث بما
يكون منهم من المعاصي التي تخصهم • ثم ربع بما يكون من المعاصي المتعدى ضررها الى الغير
مثل الاعتدا والظلم • وذلك في نهاية حسن الترتيب • والله تعالى اعلم قوله عز وجل
ان الذين آمنوا والذين هادوا قال المفسرون في قوله تعالى ان الذين امنوا اى صدقوا بنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم • وقال سفين بن عيسى المراد به المنافقون • وكانه في ظاهر الامر للذين امنوا
فلذلك قرنهم باليهود والنصارى والصابين • ثم بين حكم من آمن بالله واليوم الآخر من جميعهم •
وقوله تعالى والذين هادوا اى صاروا يهودا • نسبوا الى يهوذا • وهو اكبر اولاد يعقوب عليه السلام
فقلبت العرب الذال دالا • لان الاعجمية اذا عربت غيرت عن لفظها • وقيل سموا يهودا
لتوبتهم من عبادة العجل • يقال هاد اذا تاب • والهايد التايب • قال الشاعر
انى امرؤ من حبه هايد • اى تايب • وفي التنزيل انا هدنا اليك اى تبنا اليك • ويقال ايضا
هاد القوم يهودون هودا وهيادة • اذا تابوا • وقال ابن عرفه هدنا اليك اى سكنا الى
امرك • والهوادة السكون والموادعة • وقرا ابن السماك والذين هادوا بفتح الدال • والله اعلم
وقوله تعالى والنصارى جمع • واحده نصراني • وقال سيبويه واحده نصران • باسقاط
الياء • والانثى منه نصرانة • كندمان وندمانه • وهو نكره يعرف بالالف واللام • وقال
الخليل واحد النصارى نصري • كمهري ومهاري • ولكن لا يستعمل نصران ونصرانه على قول سيبويه
الا بيا النسب • لانهم قالوا رجل نصراني وامراة نصرانيه • ونصرة اذا جعله نصرانيا • وفي
الحديث فابواه يهودانه وينصرانه • وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمع بي احد من هذه
الامة يهودي ولا نصراني ثم لم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار • قال بعض
المفسرين سموا انصاريا لقول الحواريين نحن انصار الله • وقال ابن عباس وقتاده سموا انصارى
لانتزايهم الى قرية يقال لها ناصره • وكان المسيح عليه السلام ينزلها فنسب اليها فقيل عيسى الناصري
فلما نسب اصحابه اليه قيل النصارى • وقال بعضهم سموا انصارى لنصره بعضهم لبعض •

قال الشاعر ۞ لما رايت نبطا انصارا شمرت عن ركبتي الازارا كنت لهم من النصارى جارا والله تعالى اعلم ۞ وقوله تعالى والصابئين قال بعض العلما هو جمع صابى وقيل جمع صابٍ ولذلك اختلف العلما فى همزه فمن همزه جعله من قولهم صبات النجوم اذا طلعت وصبأت ثنية الغلام اذا خرجت ومن لم يهمزه جعله من قولهم صبا يصبو اذا مال فالصابى فى اللغة من خرج ومال من دين الى دين ولهذا كانت العرب تقول لمن اسلم قد صبا فالصابيون قد خرجوا من دين اهل الكتب والله اعلم قال المفسرون ولا خلاف فى ان اليهود والنصارى اهل كتاب ولاجل كتابهم جاز لنا نكاح نسايهم واكل طعامهم على ما ياتى بيانه فى سوره المايده ان شا الله تعالى وضرب الجزيه عليهم ياتى فى سوره برآة ان شا الله ۞ واختلفوا فى الصابئين فقال عمر وابن عباس رضى الله عنهما هم قوم من اهل الكتاب قال عمر رضى الله عنه ذبايحهم ذبايح اهل الكتاب وقال ابن عباس رضى الله عنهما لا تحل ذبايحهم ومناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لا تحل ذبايحهم ومناكحتهم وقيل هم بين النهود والنصارى يحلقون اوساط رؤسهم وقال قتادة ومقاتل هم قوم يقرون بالله عز وجل ويعبدون الملايكه ويقرون الزبور ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيا وقال اسحق بن راهويه لا باس بذبايح الصابئين لانهم طايفة من اهل الكتاب وقال الامام ابو حنيفه لا باس بذبايحهم ومناكحة نسايهم وقال الخليل هم قوم يشبه دينهم دين النصارى الا ان قبلتهم مهب الجنوب يزعمون انهم على دين نوح عليه السلام والذى تحصل من مذهبهم فما ذكره العلما انهم قوم موحدون يعبدون الكواكب ويعتقدون تاثيرها وانها فعالة ويقولون ان الله تبارك وتعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هى التى تعبد الله تعالى ولهذا افتى ابو سعيد الاصطخرى بكفرهم لخليفة القادر بالله حين ساله عنهم وقال عبد العزيز بن يحيى الصابيون قوم انقرضوا ولم يبق منهم احد وقال الغزنوى فى تفسيره قال الامام ابو حنيفه رحمة الله الصابئون من اهل الكتاب تحل مناكحتهم وذبايحهم انما هم يعظمون الكواكب السبعة ولا يعبدونها وقال ابو يوسف ومحمد بن الحسن

ليسوا من اهل الكتاب ولا يحل للمسلمين ذبايحهم ولا مناكحة نسايهم لانهم يعبدون
الكواكب السبعة ويقولون انها مدبرات وان الله تعالى جعل تدبير العالم اليها وعابد
الكوكب كعابد الوثن ولا خلاف بين الامام ابي حنيفه واصحابه في ذلك وانما اختلفوا
لاشتباه حالهم والله اعلم ولما ذكر الله عز وجل هذه الطوائف قال بعده من آمن
بالله واليوم الآخر فان قيل كيف قال تعالى في اول الآية ان الذين امنوا وقال في آخرها
من آمن بالله فما فايدة التعميم اولا ثم التخصيص آخرا قيل له اختلف العلما رضي الله عنهم
في حكم الاية فلهم فيه طريقان احدهما انه تعالى اراد الذين امنوا على التحقق ثم اختلفوا
فيهم فقيل هم الذين امنوا في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة
وبحيرا الراهب وابي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وزيد بن عمرو بن نفيل والبرا النبي
ووفد النجاشي امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فمنهم من ادركه وتابعه ومنهم
من لم يدركه فكانه تعالى قال ان الذين امنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين
كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصاري والصابيين من آمن منهم بالله واليوم
الآخر وبنبي محمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم وقيل هم المومنون من
الامم الماضية وقيل هم المومنون من هذه الامة والله تعالى اعلم والذين هادوا يعني الذين
كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابيين
يعني في زمن استقامة امرهم من امن منهم ومات وهو مومن لان حقيقة الايمان يكون
بالوفاة والله اعلم واما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان في اول الآية انما
هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبيا الماضين ولم يومنوا بك وقيل
هم المنافقون الذين امنوا بالسنتهم ولم يومنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابيين
فكانه تعالى قال هولا المبطلون كل من آمن منهم الايمان الحقيقي صار مومنا عند الله وقيل
ان المراد من قوله تعالى ان الذين امنوا يعني يا محمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين
الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر
وعمل صالحا يعني في ايمانه فلهم اجرهم عند ربهم اي جزا اعمالهم والاجر جزا العمل

ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون اى لاخوف عليهم فيما قدموا ولا يحزنون فيما خلفوا. وقيل لاخوف عليهم فى النار. ولاهم يحزنون بقطيعه الملك الجبار. وقيل لاخوف عليهم فى الكاير. فانى اغفرها. ولاهم يحزنون على الصغاير فانى اكفرها قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم اى عهدكم يا معشر اليهود ورفعنا فوقكم الطور يعنى الجبل العظيم. قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تبارك وتعالى امر جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التوراه على موسى امرهم ان يعملوا باحكامها فابوا ان يقبلوها لما فيها من الآصار والاثقال والتكاليف الشاقه. وكانت شريعة ثقيلة امر الله عز وجل جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم. وكان قدره فرسخا فى فرسخ. فرفعه فوق رؤسهم قدر قامة كالظله. وقيل لهم ان لم يقبلوا ما فى التوراة والا ارسلت هذا الجبل عليكم. وقال بعض المفسرين ان موسى عليه السلام لما جاء بنى اسرآئل من عند الله والالواح فيها التوراة قال لهم خذوها والتزموها فقالوا لا. الآ ان يكلمنا الله بها كما كلمك. فصعقوا اى ماتوا. ثم احيوا. فقال لهم خذوها فقالوا لا. فامر الله عز وجل الملائكه فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ فى مثله. وكذلك كان عسكرهم. فجعل عليهم مثل الظله. واتاهم البحر الملح من خلفهم. ونار من قبل وجوههم. وقيل لهم خذوها وعليكم المشاق ولا تضيعوها. والا سقط عليكم الجبل. فسجدوا وتوبة لله عز وجل واخذوا التوراة بالمشاق. قال بعض العلماء لو اخذوها اول مرة لم يكن عليهم مشاق. قال الله عز وجل لهم خذوا اى وقلنا لهم خذوا ما اتيناكم اي ما اعطيناكم بقوة اى بجد واجتهاد. وهذا قول ابن عباس وعامه والسدى. وقال بعضهم بنية واخلاص. وقال مجاهد القوة العمل بما فيه. وقال بعضهم فى قوله تعالى بقوة اى بقوة درس واذكروا ما فيه اى ادرسوا ما فيه. وقيل احفظوا اوامره ووعيده ولا تنسوه ولا تضيعوه. قال الشعبى وسفيان بن عيينة وهذا هو المقصود من كتب الله المنزله العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وتدريسها. فان ذلك تبديلها. وروى النسايى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان شر الناس رجلا فاسقا يقرا القران لا يرعوى الى شى منه. فبين صلى الله عليه وسلم ان المقصود هو العمل كما بينا.

وقال الامام مالك رحمه الله قد نقرا القران من لا خير فيه فما لزم اذا من قبلنا واخذ
عليهم لازم لنا وواجب علينا قال الله عز وجل واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم فامرنا
سبحانه باتباع كتابه والعمل بمقتضاه لكن تركنا ذلك كما تركت اليهود والنصارى وبقيت
اشخاص الكتب والمصاحف لا تفيد شيا لغلبة الجهل وطلب الرياسه واتباع الاهواء وروى
الترمذي عن جبير بن نفير عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشخص ببصره الى السما ثم قال هذا اوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شئ
فقال زياد بن لبيد الانصارى كيف يختلس منا وقد قرانا القران فوالله لنقرأنه ولنقرئنه
نسآنا وابنآنا فقال ثكلتك امك يا زياد ان كنت لاعدك من فقها المدينة هذه التوراة
والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم وذكر الحديث وسياتى ذكره وخرجه النسائى
ايضا من حديث جبير بن نفير ايضا عن عوف بن مالك الاشجعى من طرق صحيحة وان النبى صلى
الله عليه وسلم قال لزياد ثكلتك امك يا زياد هذه التوراه عند اليهود والنصارى ٥
وفى الموطا عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لا نسان انك فى زمان كثير فقهاؤه
قليل قراؤه تحفظ فيه حدود القران وتضيع حروفه قليل من يسال كثير من يعطى
يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة يبدون اعمالهم قبل اهوايهم وسياتى على الناس
زمان كثير من يسال قليل من يعطى يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة يبدون فيه
اهواهم قبل اعمالهم ٥ وهذه نصوص تدل على ما ذكرنا وقد قال يحيى سالت ابن نافع
عن قوله صلى الله عليه وسلم يبدون اهواهم قبل اعمالهم قال يقول يتبعون اهواهم ويتركون
العمل بالذى افترض عليهم فذلك معنى قوله تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون اى لكى
تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى والارض تحت رؤسكم بهذا الجبل فلما راوا ذلك
نازل بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة فى سجود
اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب ٥ وقد
تقدم تفسير التقوى فلا معنى لاعادته والله اعلم قوله تعالى ثم توليتم اى اعرضتم وعصيتم
من بعد ذلك اى من بعد ما قبلتم التوراة فلولا فضل الله عليكم ورحمته بالامهال وتاخير

العذاب لكنتم من الخاسرين اى المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب فى العقبى. والله اعلم ٥
قوله عز وجل ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت قال العلما معنى قوله
تعالى ولقد علمتم اى عرفتم اعيان المعتدين وقد علمتم احكامهم. والاعتدا هو التجاوز
فى الحدود وقد تقدم معناه. وروى النساى عن صفوان بن عسال المرادى رضى الله عنه قال قال
يهودي لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي. فقال لا تقل نبي. لو سمعك كان له اربعة اعين. فاتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالاه عن تسع ايات بينات. فقال لهم لا تشركوا بالله شيأ ولا
تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق. ولا تمشوا ببرئ الى سلطان ولا
تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة. ولا تولوا يوم الزحف. وعليكم خاصة يهود
الا تعدوا فى السبت. فقبلوا يديه ورجليه. وقالوا نشهد انك نبي. قال فما يمنعكم ان
تتبعوني. قالوا ان داود دعى ان لا يزال من ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا
يهود. اخرجه الترمذي. وقال حديث حسن صحيح. وساتى لفظه فى سوره سبحان ان شآ الله تعالى.
وقال بعض المفسرين المراد بالاعتدا فى يوم السبت ترك تعظيمه بترك الاشتغال فيه بالطاعات
وعدم ترك المنكرات. وقال بعض العلما السبت ماخوذ من السبت وهو القطع لان الاشيا
فيه سبتت اى قطعت وتمت خلقتها. وقال بعضهم السبت ماخوذ من السبوت الذى هو
الراحة والدعة ٥ ذكر الاشارة الى القصة. قال العلما بالاخبار ان اصحاب
السبت كانوا فى زمن داود عليه السلام بقرية تقال لها ايلة. وهى على ساحل البحر بين المدينة
والشام كانت مسكن بنى اسرآيل. وحرم الله عز وجل عليهم صيد السمك يوم السبت. فكان اذا
دخل السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الما من كثرتها. وحتى تخرج
خراطيمهن من الما لا منها. فاذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل البحر اى قعر البحر. فذلك
قوله تعالى اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا. ويوم لا يسبتون لا تاتيهم. ثم ان الشيطان
لعنه الله وسوس اليهم. وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت. فعمد رجال منهم فحفروا
حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها الانهار. فاذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك
الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرون على الخروج

منها لعمقها وقلة الما فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل كانوا يسوقون الحيتان الى
الحياض يوم السبت ولا ياخذونها فاذا اصبح يوم الاحد اخذوها وقيل كانوا نصبوا
الحبايل والشصوص يوم الجمعة وتخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم ينزل عليهم
عقوبة وكثرت اموالهم وتجروا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا
وملحوا واكلوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صاروا هل القرية ثلاثة اصناف وكانوا
نحوا من سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم ينه
وصنف انهمكوا في الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثني عشر الفا فلما
ابى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة ابدا فقسموا القرية بينهم
بجدار وغبروا على ذلك سنين فلعنهم داود عليه السلام وغضب الله عز وجل عليهم لاصرارهم
على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا
بابهم فلما ابطؤا تسوروا عليهم الجدار فاذا هم جميعا قردة لها اذناب يتعاوون
وقال قتادة صاروا الشبان قردة والشيوخ خنازير فمكثوا بلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث
مسيخ فوق بلاثة ايام ولم يتوالدوا وقال ابن رومان كانت القردة تعرف اشباهها
من الانس ولا تعرف الانس اشباهها من القردة فجعلت القردة تاتي شبيهها من الانس فتشم
ثيابها وتبكي فتقول الم ننهكم فتقول براسها نعم فما نجى الا الذين نهوا وهلك سائرهم
وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انهم لم يتلدوا بعد ما مسخوا قال وكذلك الممسوخ لا
يكون له نسل ولا ذرية وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا رجالا ونساء فمسخهم الله عز وجل
الذكر ذكرا والانثى انثى وكانوا ستة آلاف وكانت تسيل دموعهم ولم ياكلوا ولم يشربوا
ولم يتناسلوا ثم اهلكهم الله عز وجل وجاءت ريح فهبت بهم والقتهم في البحر وما مسخ
الله تعالى امة الا اهلكها فذلك قول الله عز وجل فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
وهو امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين اي مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتاخير
تقديره فقلنا لهم كونوا خاسئين قردة والله تعالى اعلم واختلف العلماء رضي الله عنهم في الممسوخ
هل نسل ام لا على قولين قال الزجاج قال قوم يجوز ان تكون هذه القردة منهم وقال

الجمهور الممسوخ لا ينسل. وان القردة والخنازير وغيرها كانت قبل ذلك. والذين مسخهم الله
قد هلكوا. ولم يبق منهم نسل. لانه قد اصابهم السخط والعذاب فلم يكن لهم قرار في الدنيا
بعد ثلاثة ايام. وقال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة ايام. ولم يأكل
ولم يشرب ولم ينسل. وقال ابن عطية وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبت ان الممسوخ
لا ينسل ولا ياكل ولا يشرب ولا يعيش اكثر من ثلاثة ايام. وهذا هو الصحيح من القولين. فاما
من احتج على صحة القول وهو ان القرده مما مسخ. فهو ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم الاول ص
قال فقدت امة من بني اسرائيل لا يدرى ما فعلت ولا ارى ها الا الفار. الا ترونها اذا وضع
لها البان الابل لم تشربه. واذا وضع لها البان الشاء شربته. رواه ابو هريرة واخرجه مسلم.
واحتجوا ايضا بحديث الضب الذي رواه ايضا مسلم عن ابي سعيد وجابر رضي الله عنهما قال
جابر اتي النبي صلى الله عليه وسلم بضب فابى ان ياكل منه. وقال لا ادرى لعله من القرون
التي مسخت. فمتاول على ما اتى بيانه. وفي صحيح البخاري عن عمرو بن ميمون رضي الله عنه
انه قال رايت في الجاهلية قردة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم. وهذا الحديث ثبت
في بعض نسخ البخاري وسقط في بعضها وثبت في نص الحديث قد زنت. وسقط هذا اللفظ
عند بعضهم. قال بعضهم فان قيل كان البهايم بقي فيهم تعارف الشرايع حتى ورثوها خلفا
عن سلف الى زمان عمرو بن ميمون. قلنا نعم كذلك كان. لان اليهود غيروا الرجم فاراد الله
عز وجل ان يقيمه في ممسوخهم ابلاغا في الحجة على ما انكروه من ذلك وغيروه لتشهد
عليهم كتبهم واحبارهم وممسوخهم حتى يعلموا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون. ويحيي
ما يبدلون وما يغيرون. ويقيم عليهم الحجة من حيث لا يشعرون. وينصر نبيه وهم لا ينصرون.
واما حجة الجمهور فقالوا في حديث ابي هريرة ولا اراها الا الفار. وفي الضب لا ادرى لعله من
القرون التي مسخت وما كان مثله. فانما كان ظنا وخوفا ان يكون الضب والفار وغيره مما
مسخ. وكان هذا حدسا منه صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه ان الله لم يجعل لمسخ نسلا ولا عقبا.
فلما اوحى الله بذلك زال عنه التخوف وعلم ان الضب والفار ليسا مما مسخ. وعند ذلك اخبر بقوله
صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن القرده والخنازير هي مما مسخ فقال ان الله لم يهلك قوما او يعذب

قوما فيجعل لهم نسلا وان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك. وهذا نص صريح رواه عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه واخرجه مسلم في كتاب القدر. وثبت النصوص باكل الضب بحضرة النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى مايدته فلم ينكر ذلك. فدل على صحة ماذكرنا. وبالله توفيقنا. وروي
عن مجاهد في تفسير هذه الاية انه انما مسخت قلوبهم فقط وردت افهامهم كافهام القردة
ولم يقله غيره من المفسرين والله اعلم. وقوله عز وجل **فجعلناها** يعني عقوبتهم بالمسخ. وقيل
هي القرية. وقيل القردة. وقيل الامة التي مسخت **نكالا** اي عقوبة وعبرة وفضيحة شاهرة.
لما بين يديها وما خلفها قال ابو العالية والربيع معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم
وعبرة لمن بعدهم. وقال ابن عباس والسدي لما بين يدي المسخة. وهو ما قبلها من ذنوب القوم.
وما خلفها لمن يعمل بعدها مثل ذلك الذنوب. وقال الفراء جعلت المسخة نكالا لما مضى من
الذنوب ولما يعمل بعدها ليخافوا المسخ بذنوبهم. وروى عن ابن عباس ايضا قال معناه جعلنا
عقوبة قرية اصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال. وما
خلفها اي ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك. وهو قوله تعالى **وموعظة للمتقين**
اي المومنين من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلا يفعلوا مثل فعلهم. وقيل للمتقين الذين
نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم. وقيل موعظة لكل متق سمعها. وقال الماوردي
انما خص المومنين بالذكر وان كانت موعظة لجميع العالمين لتفردهم بها عن الكافرين المعاندين.
وقال الزجاج وموعظة للمتقين يعني امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خشية ان ينتهكوا
من حرم الله عز وجل ما نهاهم عنه فيصيبهم ما اصاب اصحاب السبت اذ انتهكوا حرم الله
في سبتهم. والله تعالى اعلم باسرار كلامه العظيم ۞ **قوله عز وجل** واذ قال موسى لقومه
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قال العلماء البقرة واحدة البقر. وهي الانثى. والثور اسم
للذكر مثل ناقة وجمل. وامراة ورجل. وقيل البقرة واحد البقر. الانثى والذكر سواء
واصله من قولك بقر بطنه اذا شقه. فالبقرة تشق الارض بالحرث وتثيره. ومنه الباقر
لابي جعفر محمد بن علي زين العابدين لانه بقر العلم وعرف اصله اي شقه. وفي حديث ابن عباس
رضي الله عنهما في شان الهدهد فبقر الارض اي نظر موضع الماء فراى الماء تحت الارض. وقال

الازهري البقر اسم للجنس وجمعه باقر قال ابن عرفة يقال بَقيرٌ وباقير وبيقورٌ
وقرا عكرمة وابن يعمر ان البَاقِرَ تشابه علينا ٥ والثور واحد الثيران والثور ايضًا
السيّد من الرجال والثور ايضا القطعه من الاقط وثور ايضا جبل بمكه وثور ايضا قبيله
من العرب ٥ وفي الحديث ووقف العشا ما لم يغب ثور الشفق وثور الشفق هو انتشاره يقال
ثار يثور ثورًا وثورانا اذا انتشر في الافق والله تعالى اعلم ذكر الاشارة الى
قصة البقرة قال علما السير والاخبار انه كان في بني اسرايل رجل غنيّ وله
ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه فلما قتله حمله من قريته
الى قرية اخرى والقاه على بابها وقيل قتله ثم احتمله وري به على باب رجل من اهل تلك
القرية ثم اصبح يطلب بثاره ودمه ويدعيه عليه قالوا فجاؤا وليّا القتيل الى موسى عليه
السلام واتوا بناس وادعوا عليهم القتل وسالوا القصاص فسالهم موسى عليه السلام عن
ذلك فجحدوا فاشتبه امر القتل على موسى عليه السلام ووقع بينهم خلاف قال الكلبيّ
وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسالوا موسى عليه السلام ان يدعوا الله عز وجل ليبين
لهم ذلك فسال موسى عليه السلام ربه عز وجل فامرهم الله تعالى بذبح بقره وامره ان يضرب
القتيل ببعضها فقال لهم موسى عليه السلام ان الله يامركم انْ تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا
هزوا اى نحن نسالك عن امر القتيل وانت تستهزئ بنا وتامرنا بذبح بقره وانما قالوا ذلك
لبعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه وقال الماوردي انما امروا
والله اعلم بذبح بقره دون غيرها لانها من جنس ما عبدوه من العجل ليمحق ما عندهم ما كانوا
يرونه من تعظيمه وليعلم باجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته وهذا المعنى علة في ذبح
البقره وليس بعلة في جواب السايل ولكن المعنى فيه ان يحيى القتيل بقتيل حيّ فيكون اظهر
لقدرة الله عز وجل في اختراع الاشيا من اضدادها فاجابهم موسى عليه السلام فقال اعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين اى امتنع بالله ان اكون من المستهزئين بالمومنين وقيل اعوذ بالله
ان اكون من الجاهلين بالجواب لا على وفق السوال وذلك لان الخروج عن جواب السايل المسترشد
الى الهزء جهل فاستعاذ موسى عليه السلام من ذلك لانها صفة تنتفي عن الانبيا عليهم السلام

سلك قصة بقر

والجهل نقيض العلم فاستعاذ موسى عليه السلام من الجهل كما جهلوا في قولهم اتتخذنا هزوا
لمن يخبرهم عن الله عز وجل. قال العلما وظاهر هذا القول يدل على فساد اعتقاد من قاله
ولا يصح ايمان من قال لنبي قد ظهرت معجزاته وقال ان الله يامركم بكذا اتتخذنا هزوا. ولو
قال ذلك اليوم احد عن بعض اقوال النبي صلى الله عليه وسلم لوجب تكفيره. وذهب قوم من
العلما الى ان ذلك من قومه كان على جهة غلظ الطبع والجفا والمعصية. على نحو ما قال
القائل للنبي صلى الله عليه وسلم في قسمة غنايم حنين ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله.
وكما قال الآخر اعدل يا محمد. وهذا كله ادل دليل على قبح الجهل. وانه مفسد للدين. قال
العلما وفي الاية دليل على منع الاستهزا بدين الله وبالمسلمين ومن يجب تعظيمه. وان ذلك
جهل. وصاحبه مستحق للوعيد. وليس المزاح من الاستهزا سبيل الا ترى ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يمزح. وكذلك الايمه بعده رضي الله عنهم. قال المفسرون فلما علم بنو اسرايل
ان ذبح البقره عزم من الله عز وجل استوصفوه. ولو انهم عمدوا الى اي بقرة كانت فذبحوها
لاجزت عنهم. ولكن شددوا فشدد الله عليهم. وكان في ذلك حكمة لله عز وجل. وذلك
انه كان في بني اسرايل رجل صالح وله ابن طفل وله عجلة. فاتى سلك العجلة الى غيظة. وقال
اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر. ومات الرجل. فصارت العجله في الغيظة
عوانا اي كبيره. وكانت تهرب من كل من راها. فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بوالدته
وكان يقسم ليله ثلاثه اثلاث. يصلي ثلثا. وينام ثلثا. ويجلس عند راس امه ثلثا. فاذا اصبح
انطلق فاحتطب واتى به السوق فيبيعه بما شا الله فيتصدق بثلثه. ويا كل هو وامه ثلثه. ويعطي
والدته ثلثه. فقالت له والدته يوما يا بني ان اباك ورثك عجله استودعها الله تعالى في
غيظه كذا. فانطلق وادع اله ابرهم واسمعيل واسحق ان يردها عليك. وعلامتها انك اذا
نظرت اليها تخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها. وكانت تلك البقره تسمى المذهبة
لحسنها وصفرتها وصفا لونها. فاتى الفتى الغيظه فراها ترعى. فصاح بها. وقال اعزم عليك
بالله ابرهم واسمعيل واسحق. فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه. فقبض على عنقها. وقال
على فرتها نقودها. فتكلمت البقره باذن الله عز وجل. وقالت له ايها الفتى البار بوالدته

اركبنى فان ذلك اهون علىك. فقال الفتى ان امى لم تامرنى بذلك. ولكن قالت خذ بعنقها.
فقالت البقره والله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على ابدا. فانطلق فانك لو امرت
الجبل ان يطيعك وينقلع من اصله لانقلع لبرك بامك. فسار الفتى بها الى امه فاستقبله
عدو الله ابليس فى صوره راع فقال ايها الفتى انى رجل من رعاة البقر اشتقت الى اهلى
فاخذت ثورا من شرانى فحملت عليه زادى ومتاعى حتى اذا بلغت بعض الطريق ذهبت
لاقضى حاجتى فغدرا وصعد الجبل وما قدرت عليه. وانى اخشى على نفسى الهلكة. فاردت
ان يحملنى على بقرتك وتنجينى من الموت واعطيك اجرتها بقرتين مثل بقرتك. قال فابى
الفتى. وقال له اذهب وتوكل على الله. فلو علم الله فيك الصدق لبلغك بلا زاد ولا راحلة.
فقال ابليس ان شئت فبعنيها وان شئت فاحملنى عليها واعطيك عشرة مثلها. فقال الفتى
ان امى لم تامرنى بذلك. فبينما هما كذلك اذ طار طاير من بين يدى الفتى ونفرت البقره
هاربة فى الفلاه. وغاب عنه الراعى من ساعته فلم يدر اين ذهب. فدعاها الفتى باسم اله
ابرهيم. فرجعت اليه البقره. وقالت له ايها الفتى البار بوالدته الم تر الطاير الذى طار. قال
قال نعم. قالت انه ابليس عدو الله اختلسنى اما انه لو ركبنى لما قدرت على ابدا. فلما دعوت
اله ابرهيم جاء ملك فانتزعنى من يد ابليس ورد نى اليك لبرك بامك وطاعتك لها. فجاءت
بها الفتى الى امه. فقالت له امه يا بنى انك فقير لا مال لك وشق عليك الاحتطاب بالنهار
والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقره وخذ ثمنها. فقال بكم ابيعها يا اماه. قالت سلاثة
دنانير. ولا تبعها بغير رضاى ومشورتى. وكان ثمن البقره فى ذلك الوقت ثلاثة دنانير.
فانطلق بها الفتى الى السوق. وبعث الله عز وجل ملكا ليرى خلقه قدرته. وليختبر الفتى
كيف بره بوالدته. وكان الله به خبيرا. فقال له الملك بكم تبيع هذه البقره. فقال ثلاثة دنانير.
واشترط عليك رضى والدتى. فقال له الملك خذ ستة دنانير ولا تستامر امك. فقال الفتى
لو اعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا امى. فردها الى امه واخبرها بالثمن. فقالت
له ارجع فبعها ستة دنانير على رضى منى. اى على مشورتى. فانطلق بها الى السوق. واتى الملك
فقال استامرت امك. فقال نعم انها امرتنى الا انقصها من ستة دنانير على ان استامرها.

مطلع حكاية غريبة

فطاف الملك فاتى اعطيك اثنى عشر دينارا ولا تستامرها، فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها
بذلك، فقالت له امه ان الذى باتاك ملك فى صورة ادمى ليجربك، فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان
نبيع هذه البقرة ام لا، ففعل ذلك، فقال له الملك اذهب الى امك فقل لها امسكى هذه البقرة
فان موسى بن عمران يشترى بها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرايل، فلا تبيعوها الا بملئ مسكها
ذهبا، والمسك الجلد، فامسكوا البقرة، وقد راى الله عز وجل على بنى اسرآيل ذبح تلك البقرة
بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله ورحمة، فذلك قوله عز وجل
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى اى سل لنا ربك سن لنا ما هى وما سنها قال موسى عليه
السلام انه يقول يعنى الله عز وجل انها بقرة لا فارض ولا بكر اى لا كبيرة ولا صغيرة،
قال مجاهد الفارض الكبيرة المسنة التى لا تلد، والبكر الفتية الصغيرة التى لم تلد قط،
عوان بين ذلك اى نصف بين الشيئين فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا
السوآل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفرآ فاقع لونها
قال ابن عباس رضى الله عنهما اى شديد الصفرة، وقيل صاف لونها، وقيل الصفرآ السودآ،
والاول اصح لانه يقال اصفر فاقع، واسود حالك، واحمر قانى، واخضر ناضر، وقال صاحب
الكشاف الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه، يقال فى التوكيد اصفر فاقع ووارس،
كما تقول اسود حالك وحانك، وابيض نقق ولهق، واحمر قانئ، واخضر ناضر ومدهام،
وقال بعضهم يريد خالص لونها لا لون فيها سوى لون جلدها، وقوله تسر الناظرين
اى يعجبهم حسنها وصفا لونها، قال وهب رضى الله عنه كان شعاع الشمس يخرج من جلدها ولهذا
قال ابن عباس رضى الله عنهما الصفرة تسر النفس، وكان رضى الله عنه يحض على لبس النعال الصفر لانها
عنه النقاس، وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه من لبس نعلى جلد اصفر قل همه، لان الله تعالى
يقول صفرآ فاقع لونها تسر الناظرين، رواه الثعلبى، وكان عبد الله بن الزبير ومحمد بن ابى بكر
ينهيان عن لبس النعال السود لانها تهم، وقال الغزنوى السرور هو لذة فى القلب عند
حصول نفع او توقع نفع، وقال ايضا وفى الآية دليل على جواز النسخ قبل وقوع الفعل بعد
التمكن منه، لان قوله تعالى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة، اقتضى ذبح اى بقرة كانت على اى

صفة شاوا وقد كانوا متمكنين من ذلك. فلما قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول
انها بقره لا فارض ولا بكر نسخ التخيير الذى اوجبه الامر الاول فى ذبح اى بقره كانت وصار
الامر مقصورا على ما كان منها بهذه الصفة. فهو امر عموم فى اول القصة خصصه الله
تعالى بآية اخرى. ثم نسخ الله التخيير الذى كان فى ذبح اى لون شاوا منها بهذه الآية حيث قال
انها بقره صفرا فاقع لونها تسر الناظرين. فان قيل لم استقصوا فى السوال والبحث
عن صفة البقرة. ولو عمدوا الى ادنى بقرة لاجزت. قيل له لانهم امروا بذبح البقره
لا عجوبة. وهى بيان حال القتيل لهم فحسبوا انه لا تظهر تلك الا عجوبة الا من بقره مخصوصه.
كما ان العجايب التى كانت تظهر لبنى اسرايل من عصا موسى عليه السلام لم تظهر من الضرب
بساير العصى. على انه يحتمل ان القوم جهلوا القول بالعموم كما يجهل بعض الناس اليوم.
فظنوا ان ذلك امر بذبح بقره مخصوصة فعادوا فى السوال مرة بعد اخرى. والله اعلم.
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اسايمة ام عاملة ان البقر تشابه علينا اى التبس واشتبه
امره علينا. قال العلما سالوا سوا الارابعا ولم يمتثلوا الامر بعد البيان. وانما قالوا ان
البقر شابه علينا لان وجوه البقر شابه. ومنه حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر فتنا كقطع الليل المظلم تاتى كوجوه البقر. يريد انها
يشبه بعضها بعضا. ووجوه البقر تتشابه. ولذلك قالت بنوا اسرايل ان البقر شابه علينا
وانا ان شا الله لمهتدون اى الى وصفها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو
لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر. قال انه يقول انها بقره لا ذلول اى ليست من ذلة
للعمل. وقال بعضهم غير رايضة لم تذل للا بالعمل تثير الارض اى تقلبها للزراعة ولا تسقى
الحرث اى ليست سانية. والسانية هى التى تستقى الما من البير لسقى الارض. قال الحسن
كانت تلك البقرة وحشية. ولهذا وصفها الله عز وجل بانها لا تثير الارض ولا تسقى الحرث.
اى تسنى بها لسقى الزرع. ولا يسقى عليها. قال العلما واثاره الارض تحريكها وبحثها.
ومنه الحديث اثيروا القران فانه علم الاولين والآخرين. وفى رواية اخرى من اراد العلم
فليثور القران. وقد تقدم. وقال تعالى واثاروا الارض اى قلبوها للزراعة. والحرث ما

صعبه م

حرث وزرع وسياتى بيانه وقوله تعالى مسلمة اى برية من العيوب وهذا قول قتادة وابو العالية وقال الحسن سليمة القوايم لا اثر فيها للعمل لا شية فيها اى لا لون فيها غير لونها هى صفرا كلها لا بياض فيها ولا حمرة ولا سواد كما قال تعالى فاقع لونها قال العلما والشية ماخوذه من وشى الثوب اذا نسج على لونين مختلفين وتقال ثور موشى اذا كان فى وجهه وقوايمه سواد وقال ابن عرفة الشية اللون ولا يقال لمن نمر واش حتى يغير الكلام ويلونه فيجعله مرويا ويزين منه ما شاء والوشى ايضا الكثره تقال وشا بنو فلان اذا كثروا وتقال فرس ابلق وكبش اخرق وتيس ابرق وغراب ابقع وثور اشيه كل ذلك بمعنى البلقة هكذا ذكره اهل اللغة قال المفسرون وهذه الاوصاف فى البقره سببها انهم شددوا فشدد الله عليهم ودين الله يسر والتعمق فى دين الله وسوال الانبيآ وغيرهم من العلما مذموم نسال الله العافيه وقال صاحب الكشاف روى عن بعض الخلفا انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب له العامل يقول بايتهما ابدا فارسل الخليفه يقول انى قلت لك اقطع الشجر وانت تقول باى شى ابدا وروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انه قال لبعضهم اذا امرتك ان تقطع فلانا شاة سالتنى اضاين ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر امراتى فان اخبرتك قلت اسودا امرضا اذا امرتك بشى فلا تراجعنى ابدا وفى الحديث قال النبى صلى الله عليه وسلم اعظم المسلمين جرما من سال عن شى لم يحرم فحرم لاجل مسالته قال الفرنوى رحمه الله وفى بعض الروايات ان هذه البقره كانت لرجل فى بنى اسرايل يبيع الجوهر فجاه ابليس لعنه الله يوما من الايام بجراب من اللولو ساوى مايتى الف فعرضه عليه بماية الف نصف قيمته فلما اتفوا العقد واراد ان يدفع له الثمن وجد الجوهرى مفتاح الصندوق تحت راس ابيه وهو نايم فذهب ليوقظه ليرفع المفتاح فقال فى نفسه كيف اوقظ والدى من نومه لاجل ربح مايه الف لا والله لا افعل فرجع وقال ان والدى نايم والمفتاح تحت راسه فقال اذهب فايقظه وانا ابيعه منك بخمسين الفا فذهب ليوقظه فلم يحتمل قلبه حتى رجع فلم يزل اللعين يحط من الثمن حتى بلغ عشره دراهم فابى الرجل وقال لا والله لا اوقظ والدى لاجل هذا وترك ذلك الشرا فجعل الله عز وجل فى ماله البركه حتى اشترى ابقره

بملئ مسكها ذهبا اى بملئ جلدها ۝ وقوله تعالى قالوا الآن جئت بالحق اى بالبيان
التام الذى لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقره بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى
فاشتروها منه بملئ مسكها ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون اى وما قاربوا ان يفعلوا
ما أمروا به وقيل وما كادوا يفعلون لغلاء ثمنها وقيل خوفا على انفسهم من الفضيحة فى
معرفة القاتل منهم وهذا قول وهب بن منبه وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف
جميعا وقال بعضهم فى قوله وما كادوا يفعلون اخبار عن تثبطهم فى ذبحها وقلة مبادرتهم
الى امر الله تعالى قوله تعالى واذ قتلتم نفسا قال العلما خوطبت الجماعة بذلك لوجود
القتل فيهم فادارأتم فيها قال ابن عباس رضى الله عنهما اى اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو
الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا وقيل فادارأتم اى شككتم ۝ قال العلما هذا
الكلام مقدم على اول القصة بتقدير واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقال موسى ان الله
يامركم ان تذبحوا بقرة وهذا كقوله تعالى الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل
له عوجا بتقدير الحمد لله الذى انزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا ومثله فى القرآن كثير
واختلف المفسرون فى سبب قتل بنى اسرايل هذا فقيل قولان احدهما لاجل ابنة
له حسنا احب ان يتزوجها ابن عمها فمنعه عمه فقتله وحمله من قريته الى قرية اخرى
فالقاه هناك وقيل القاه بين قريتين ۝ الثانى انه قتل عمه وقيل ابن عمه لطلب
منزلته وماله فانه كان فقيرا وادعى قتله على بعض الاسباط وقال عكرمة فى سبب ذلك
انه كان لبنى اسرآئيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل باب قوم يدخلون منه فوجدوا قتيلا
فى سبط من الاسباط فادعى هولآء على هولآء وهولا على هولا ثم اتوا موسى يختصمون اليه
فقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الى آخر القصة وقوله تعالى والله مخرج ما كنتم
تكتمون اى مظهر ما كتمتم من امر القتيل لا محالة ولا يتركه الله مكتوما قال العلما
وعلى القول بانه قتل عمه طلبا لميراثه لم يرث قاتل عمد من حينئذ وهذا قول عبيدة
السلمانى وقال ابن عباس رضى الله عنهما قتل هذا الرجل عمه ليرثه قال ابن عطيه وبمثل
ذلك جآء الشرع عنا وحكى الامام مالك فى الموطا ان قصة ابيحة بن الجلاح فى عمه هى سبب

ان لا يرث قاتل ثم ثبت ذلك الاسلام كما ثبت كثيرا من نوازل الجاهلية • ولا خلاف بين العلماء
انه لا يرث قاتل العمد من الدية ولا من المال خلافا لبعض اهل البدع ۞ ويرث قاتل الخطأ
من المال ولا يرث من الدية في قول الامام مالك والاوزاعي وابي ثور والامام الشافعي • وذلك
لانه لا يتهم على انه قتله ليرثه ويأخذ ماله • وقال سفين الثوري والامام ابو حنيفه واصحابه
والامام الشافعي في قول له آخر لا يرث القاتل عمدا ولا خطأ شيا من المال ولا من الدية
وهو قول شريح وطاوس والشعبي والنخعي • ورواه الشعبي عن عمر وعلي وزيد رضي الله عنهم
قالوا لا يرث القاتل عمدا ولا خطأ شيا • وروي عن مجاهد القولان جميعا • والله تعالى اعلم
وقوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها اي ببعض البقرة • قال ابن عباس رضي الله عنهما اضربوه
بالعظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن • وقال الضحاك ضربوا الميت بلسانها • وقيل
ضربوب بعجب ذنبها • وقيل ضربوه بذنبها • وقيل ضربوه بفخذها الايمن • وقيل باذنبها • وقيل
ضربوه بعظم من عظامها • والمقطوع به عند العلما انهم ضربوه ببعض من اعضايها • وليس في القران
ما يدل عليه • وذلك يقتضي التخيير • فلما ضربوه قام القتيل باذن الله عز وجل وداجه
تشخب دما • وقال قتلني فلان • ثم سقط ومات مكانه • فحرم وارثه الميراث • قال النبي صلى
الله عليه وسلم من ورث قاتل بعد صاحب البقره ۞ واستدل الامام مالك رحمه الله في
رواية ابن وهب وابن القاسم على صحة القول بالقسامة بقول المقتول دمي عند فلان او فلان
قتلني • ومنعه الامام الشافعي وجمهور العلما • قالوا لان قول المقتول دمي عند فلان او فلان
قتلني خبر يحتمل الصدق والكذب • واما قتيل بني اسرايل فكان معجزة واخبر تعالى انه
يحييه • وذلك يتضمن الاخبار بقاتله جزما لان خلاه احتمال فافترقا • وقال ابن العربي
المعجزة انما كانت في احيايه فلما صار حيا كان كلامه كساير كلام الناس كلهم في القبول والرد
وهذا من دقيق العلم لم يتفطن له الا الامام مالك رحمه الله • وليس في القران انه اذا اخبر
وجب صدقه • فلعله امرهم بالقسامة معه • واستبعد ذلك الامام الشافعي والبخاري
وجماعة من العلما • وقالوا كيف تقبل قوله في الدم ولا تقبل قوله في درهم • والله تعالى اعلم
وقال الغزنوي في الايه دليل على ان من التبس عليه امر من الامور وسأل الله عز وجل

ان يكشف ذلك او سأله حاجة اخرى فان سبيله ان يقدم على سؤاله نوعا من القربة حتى ١٤٠
يكون دعاوه اقرب الى الاجابة فان بني اسرآيل كانوا يعدون القربان من افضل القرب
حتى جعلوا للقربان ست مذابح على حدة وكان لا يدخل ذلك البيت الا خيارهم. فامرهم الله
تعالى بذبح هذه البقرة ليلبس لهم امر القتل بعد ذلك. وجعل ذلك تعليما لسائر الناس
والله تعالى اعلم. وقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى يعني يوم القيامة كما احيى قتيل
بني اسرآيل. وكان اسمه عاميل ويريكم اياته يعني دلايله لعلكم تعقلون اي تمنعون
انفسكم عن المعاصي. وقيل لعلكم تعقلون فتعملون على قضيه عقولكم. وهي ان من قدر على
احيآ نفس واحده قدر على احيآ جميعها لعدم الاختصاص. قال الفرنوي فان قيل
اي فايده في هذا الخطاب لبني اسرآيل وهم كانوا مقرين بالبعث. قيل له بلى كانوا مقرين
ولكن من حيث الاستدلال واتباع الرسول. لا من حيث المعاينه والمشاهدة. فاذا عاينوا
ذلك وشاهدوا ازداد يقينهم وانتفت الشبهة. كما قال ابرهيم عليه السلام رب ارني كيف
تحيي الموتى الآية. فان قيل كان حق هذه القصة ان يقدم ذكر القتيل اولا ثم ذبح البقره
بعد ذلك. فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب. قيل له وجه ذلك ان الله تعالى
لما ذكر من قصص بني اسرآيل وما وجد من خنايا تهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من
الآيات العظيمه. وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع. ان كانتا
تتصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما
يتبعه. والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة. فلو قدم ذكر قصة القتيل على قصة
الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من ثنية التقريع. فلهذا قدم ذكر الذبح
اولا ثم عقبه بذكر القتيل. فان قيل ما فايده ضرب القتيل ببعض البقره. والله تعالى
قادر على ان يحييه ابتدآ من غير ضرب بشيء. قيل له الفايده فيه ان تكون الحجة اوكد. وعن
الحيله ابعد. لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى انما احياه بضرب من السحر او الحيله. فاذا
احيي القتيل عند ما ضرب ببعض البقره وبما فعلوه هم انتفت الشبهة. وعلم ان ذلك من عند
الله عز وجل وبامره كان ذلك. فان قيل هلا امروا بذبح غير البقره. قيل له الكلام

فی غیر البقرة لو امر وابه کالکلام فی البقره ۰ ثم فی ذبح البقره فوایل منها التقرب بالقربان
علی ما کانت العادة جاریة عندهم ۰ ومنها ان هذا القربان کان عندهم من اعظم القرابین
ومنها تحمل المشقة العظیمه فی تحصیلها بتلک الصفة ۰ ومنها حصول ذلک المال العظیم
الذی اخذه صاحبها فی ثمنها ۰ والله تعالی اعلم باسرار کلامه العظیم فصل ۵ حکم هذه
المسئلة فی شریعة الاسلام اذا وقعت ۵ اختلف العلماء رضی الله عنهم فی الحکم بالقسامة ۰
فروی عن سالم وابی قلابة وعمر بن عبد العزیز والحکم بن عتبة التوقف فی الحکم بها وایلی
هذا مال البخاری لانه اتی بحدیث القسامة فی غیر موضعه ۰ وقال جمهور العلماء رضی الله عنهم
الحکم بالقسامة ثابت عن النبی صلی الله علیه وسلم ۰ ثم اختلفوا فی کیفیة الحکم بها فقالت
طائفة یبدا فیها المدعون بالایمان فان حلفوا استحقوا وان نکلوا حلف المدعی علیه خمسین
یمینا ۰ وهذا قول اهل المدینة واللیث بن سعد والامام الشافعی والامام احمد وابی ثوره
وهو مقتضی حدیث حویصة ومحیصة خرجه الایمه ۵ وذهبت طائفه الی انه یبدا
بالایمان المدعا علیهم فیحلفون ویبرون ۰ وهذا قول عمر بن الخطاب والشعبی والنخعی ۰ وبه
قال سفین الثوری والامام ابو حنیفة واهل الکوفة ۰ واحتجوا بحدیث سعید بن عبید عن
بشیر بن یسار ۰ وفیه فبدا بالایمان المدعا علیهم وهم الیهود ۰ واحتجوا ایضا بما روی
ابو داود عن الزهری عن ابی سلمة بن عبد الرحمن عن رجال من الانصار ان النبی صلی الله علیه
وسلم قال لیهود وبدا بهم ایحلف منکم خمسون رجلا فابوا ۰ فقال للانصار فقالوا نحلف
علی الغیب یا رسول الله ۰ فجعلها رسول الله صلی الله علیه وسلم دیة علی یهود ۰ لانه وجد
بین اظهرهم ۵ واحتجوا ایضا بقول النبی صلی الله علیه وسلم ولکن الیمین علی المدعا علیه ۰
وقالوا هذا هو الاصل المقطوع به فی الدعاوی الذی بنه الشرع علی حکمته بقوله صلی الله
علیه وسلم لو یعطی الناس بدعواهم لادعی ناس دماء رجال واموالهم ولکن الیمین علی المدعا
علیه ۵ واختلفوا ایضا فی وجوب القود بالقسامه ۰ فاوجبت طائفة القود بها وهذا
قول الامام مالک واللیث بن سعد والامام احمد وابی ثوره واحتجوا بما روی ان النبی صلی الله علیه
وسلم قال لحویصه ومحیصه وعبد الرحمن اتحلفون وتستحقون دم صاحبکم ۵ وبها

روي ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قتل رجلا بالقسامة من بني نصر بن مالك ۝ وقالت طائفة لا قود بالقسامة وانما
تجب الدية وهذا القول مروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما وهو قول النخعي
والحسن واليه ذهب سفيان الثوري والامام ابو حنيفة والكوفيون والامام الشافعي
واسحق واحتجوا بما رواه الامام مالك عن ابن ابي ليلى عن عبد الله بن سهل بن ابي حثمة
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله للانصار اما ان يدوا صاحبكم واما ان يؤذنوا
بحرب قالوا وهذا الحديث يدل على الدية لا القود وقالوا ايضا معنى قول النبي صلى الله
عليه وسلم وتستحقون دم صاحبكم يعني دم قتيلكم لان اليهود ليسوا اصحاب لهم ومن
استحق دية صاحبه فقد استحق دمه لان الدية قد توجد في العمد فيكون ذلك استحقاقا
للدم والله تعالى اعلم ۝ مسئلة قال بعض العلماء الموجب للقسامة هو اللوث واللوث
ان يغلب على الظن صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت او بستان او صحرا ثم تفرقوا
عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم اعداء
القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن انهم قتلوه وهذا قول الامام الشافعي وقال
الامام مالك اللوث هو قول المقتول دمي عند فلان والشاهد الواحد لوث كذا رواية
ابن القاسم عنه وروى اشهب عن الامام مالك انه يقسم مع الشاهد غير العدل ومع المرأة
وروى ابن وهب ان شهادة النساء لوث وقد اختلف العلماء في اللوث اختلافا كثيرا والمشهور
من مذهب الامام مالك انه الشاهد العدل وبه اخذ ابن القاسم وابن وهب وابن عبد الحكم
وروى عن عبد الملك بن مروان ان المجروح او المضروب اذا قال دمي عند فلان ومات
كانت القسامة ۝ وبه قال الامام مالك والليث بن سعد واحتج مالك بقتيل بني اسرائيل انه
قال قتلني فلان وقال الامام ابو حنيفة وسفيان الثوري واهل الكوفة لا حكم للوث ولا
يبدى يمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء اهلها
فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفوا له قاتلا فان حلفوا والا اخذوا الدية من سكانها
وقال الامام مالك والامام الشافعي ان القتيل اذا وجد في محلة قوم فرمه هدرا لا يؤخذ

به اقرب الناس دارا. لان القتيل قد يقتل ثم يلقى على باب ليلطخوا به. فلا يوخذ بمثل
ذلك حتى تكون الاسباب التى شرطوها فى وجوب القسامة. وقد قال عمر بن عبد العزيز
رضى الله عنه هذا مما يوخر فيه القضا حتى يقضى الله فيه يوم القيامة ٥ مسئلة قال
القاسم بن سعدة قلت للشافعى لا يقول الامام مالك بالقسامة الا باللوث فلم أر رد حديث
القسامة ولا لوث فيه. فقال الشافعى انزل الامام مالك العداوة التى كانت بين الانصار واليهود
بمنزلة اللوث. وانزل اللوث او قول الميت بمنزلة العداوة. قال ابن ابى زيد واصل
هذا فى قصة بنى اسرائيل حين احيى الله عز وجل الذى ضرب بعض البقرة فقال قتلنى فلان وبان
العداوة لوث. قال الامام الشافعى ولا نرى قول المقتول لوثا كما تقدم. وقال ايضا اذا
كان بين قوم وقوم عداوة ظاهرة كالعداوة التى كانت بين الانصار واليهود ووجد قتيل
فى احد الفريقين ولا يخالطهم غيرهم وجبت القسامة فيه ٥ واعلم انه لا يحلف فى
القسامة اقل من خمسين يمينا لقول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث حويصة ومحيصة
يقسم خمسون منكم على رجل منهم. فان كان المستحقون خمسين حلف كل واحد منهم يمينا واحدة
فان كانوا اقل من ذلك او نكل منهم من لا يجوز عفوه رددت الايمان عليهم بحسب عددهم ٥
ولا يحلف فى العمد اقل من اثنين من الرجال. ولا يحلف فيه الواحد من الرجال ولا النساء ٥
ويحلف الاوليا ومن يستحق بهم الاوليا من العصبة خمسين يمينا. وهذا مذهب الامام
مالك والليث بن سعد والثورى والامام ابى حنيفة والاوزاعى والامام احمد وداود ٥ وروى
مطرف عن الامام مالك انه لا يحلف مع المدعى عليه احد. ويحلف هو انفسهم سواء كانوا واحدا
او اكثر خمسين يمينا يبرؤن بها انفسهم. وهو قول الامام الشافعى ايضا. قال الشافعى لا
يقسم الاوارث. سواء كان القتل عمدا او خطا ٥ ولا يحلف على مال ويستحقه الا من له الملك
لنفسه او من جعل الله له الملك من الورثة. والورثة يقسمون على قدر مواريثهم. وبه
قال ابو ثور واختاره ابن المنذر وهو الصحيح. لان من لم يدع عليه لم يكن له سبب يتوجه
عليه به يمين. قال العلما مقصود هذه الايمان البراة من الدعوى. ومن لم يدع عليه برئ
وقال الامام مالك فى الخطا يحلف فيها الواحد من الرجال والنسا فيهما كملت خمسون يمينا

من كل واحد او اكثر استحق الحالف ميراثه ومن نكل لم يستحق شيا فان جا من غاب
حلف من الايمان ما كان يجب عليه لو حضر حسب ميراثه وهذا هو قول الامام مالك المشهور
عنه وقد روى عنه انه لا يرى في الخطا قسامة ۞ والله تعالى اعلم وتمام مسايل القسامه
وفروعها واحكامها مذكوره في كتب الفقه واختلاف العلما فيها فلا حاجه الى تطويلها
فلسطر هنا ك وفيما ذكرناه كفايه والله الموفق والهادي ۞ قوله تعالى ثم
قست قلوبكم يعني يبست وجفت وقيل غلظت وقل اسودت قال الزجاج تاويل
القسوة ذهاب اللين والرحمة والخشوع والخضوع وقل قساوة القلب انتزاع الرحمة
منه وقال بعضهم القسوه الصلابه والشده واليبس وهي عبارة عن خلوها من الاذعان
لآيات الله عز وجل وقال ابو العالية وقتادة وغيرهما المراد قلوب جميع بني اسرآيل ۞
وقال ابن عباس رضي الله عنهما المراد ورثه القتيل لانهم حين حيي واخبر بقاتله وعادا الى
موته انكروا قتله وقالوا كذب بعد ما راوا هذه الاية العظيمي فلم يكونوا قط اعمى قلبا
ولا اشد تكذيبا لنبيهم منهم عند ذلك لكن نفذ حكم الله بذلك وروى الترمذي عن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير
ذكر الله فان كثره الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسي ۞
وروى البزار في مسنده عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اربعه من الشقا جمود العين وقساوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا ۞
وروى الزاهدي حكايه في معنى هذا الحديث قال ان رجلا تبع رجلا عالما ليساله مسايل
ومشى معه سبعه ايام فرسخ وهو يساله فقال له العالم اني اراك تكثر السوال والتردد الي
فقال السآيل ايها الشيخ انا صاحب عيال فاعذرني قال سل عما بدا لك قال اخبرني ما اوسع
من السموات قال الحق يعني طاعة الله وطاعة رسوله قال اخبرني اي شي اغنى من البحر قال
قلب القانع قال اي شي ابرد من الزمهرير قال كلمة باردة تسمعها من الصديق قال اي
شي اذل من اليتيم قال النمام اذا ظهر فعله قال اي شي اصلب من الحجاره قال قلب الكافر
قال اي شي احر من النار قال حرص الحريص وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد

ظهور الدلالات التی جاء بها موسی علیه السلام وقیل من بعد ذلک اشارة الی احیاء القتیل بعد
ضربه ببعض البقرة فهی کالحجارة ای کالشیء الصلب الذی لا تخلخل فیه او اشد قسوة قال
بعضهم او بمعنی بل کقوله تعالی وارسلناه الی مائة الف او یزیدون معناه بل یزیدون وقال
الشاعر ۵ بدت مثل قرن الشمس رونق الضحی ۔ وصورتها او انت فی العین املح ۔ ۵
ای بل انت فی العین املح ۵ وقال بعضهم او بمعنی الابهام علی المخاطب ومنه قول الشاعر
احب محمدا حبا شدیدا ۔ وحمزة او علیا ۔ فان یک حبهم رشدا اصبه ۔ ولست بمخطیء
ان کان غیا ۔ ولم یشک الشاعر ان حبهم رشد ظاهر وانما قصد الابهام ۵ وقد قیل للاسود
حین اشتد هذا شککت ۔ قال کلا ۔ ثم استشهد بقول الله تعالی وانا او ایاکم لعلی هدی او فی ضلال
مبین ۔ وقال أو کان شاکا من اخبر بهذا ۔ وقال بعضهم او بمعنی الواو ای واشد قسوة
وکما قال تعالی آثما او کفورا ۔ عذرا او نذرا ۵ وقال الشاعر ۵
نال الخلافة او کانت له قدرا ۔ ای وکانت له قدرا ۵ وقال بعضهم او علی بابها من الشک
ومعناها عندکم انتم المخاطبون وفی نظرکم ان لو شاهدتم قسوتها لشککتم اهی کالحجارة
او اشد من الحجارة ۔ وقالت فرقة انما اراد الله عز وجل ان فیهم من قلبه کالحجر ۔ وفیهم من
قلبه اشد من الحجر ۔ ومعنی قوله تعالی او اشد ای مثل الحجارة او اشد ۔ وقرا ابو حیوة
فهی کالحجارة او اشد قساوة ۔ والمعنی واحد ۔ فان قیل لم شبه الله قلوبهم بالحجارة
ولم یشبهها بالحدید والحدید اشد من الحجارة ۔ قیل له لان الحدید قابل للین بالنار
وقد لان لداود علیه السلام والحجارة لیست قابلة للین فلا تلین قط ۔ ثم انه تعالی
فضل الحجارة علی القلب القاسی فقال عز وجل وان من الحجارة لما یتفجر منه الانهار
قال بعض المفسرون اراد به جمیع الحجارة ۔ وقال بعضهم اراد الحجر الذی کان یضرب علیه موسی
لسقی الاسباط ۔ والتفجیر التفتح بالسعة والکثرة ۔ قال قتاده عذر الحجارة ولم یعذر
شقی بنی آدم ۔ وقوله تعالی وان منها لما یشقق فیخرج منه الماء یعنی العیون الصغار التی
هی دون الانهار وان منها لما یهبط من خشیة الله ای ینزل من اعلا الجبل الی اسفله من
خشیة الله تعالی وقلوبکم یا معشر الیهود لا تلین ولا تخشع ولا تاتی بخیر وخشیة الحجارة عبارة

لا یوم

ذکا یتفجر
الکاف للتوکید ما بعدها فصلتها وعائدها
الضمیر منه والجمع اسم
ان تؤمن الحجارة تخبرها
تفسیر ابن جوزی
نعمی

عن انقيادها لامر الله تعالى وانها لا تمتنع عن ما يريد منها. فان قيل الحجر جماد لا
يعقل ولا يفهم فكيف يخشى. قيل له ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجماد
فتعقل وتخشى بالهامه لها. ومذهب اهل السنة ان الله تعالى في الجمادات والحيوانات
علما وحكمة لا نقف عليه غيره. فلها صلوة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله تعالى وان
من شئ الا يسبح بحمده. وقوله تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه. فيجب
على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله عز وجل. وروى مسلم عن جابر بن سمرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث. واني
لاعرفه الآن. وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك
يا رسول الله. اخرجه الترمذي. وقال حديث غريب. وروى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
قال كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم في خطبته. فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل اصوات العشار حتى نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه. وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي فنزل النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اخذها فضمها اليه. فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت.
قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر. قال مجاهد ما تنزل حجر من اعلا الى اسفل الا من
خشية الله عز وجل. وبذلك نزل القرآن. وقال القفال يهبط اي ينقاد ويذل الى ان تدحرج
وينحدر من اعلا الجبل الى اسفله. وقال بعض المفسرين في قوله تعالى وان منها لما يهبط من
خشية الله معناه ان من الحجارة ما هو انفع من قلوبكم لخروج الماء منها وتردية بها. وقال
بعض المتكلمين في قوله تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله هو البرد الهابط من السحاب.
وقال بعضهم لفظة الهبوط مجاز. وذلك ان الحجارة لما كانت القلوب تعتبر بخلقها وتخشع
بالنظر اليها اضيف تواضع الناظر اليها. وذكر ابن بحر رحمه الله ان الضمير في قوله تعالى
وان منها راجعة الى القلوب لا الى الحجارة. اي من القلوب ما لخضع من خشية الله. قال
بعض العلماء كل ما قيل يحتمله اللفظ. والاول هو الصحيح. فانه لا يمتنع ان يعطي الله تعالى بعض

الجمادات المعرفة فيعقل كالذي روى عن الجذع الذي كان يستند اليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا خطب فلما تحول الى المنبر حن وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الحديث
المتقدم انه قال ان حجرا بمكة كان يسلم علي في الجاهلية اني لاعرفه الآن وكما روى ان
كفار مكة لما اراد واقتل النبي صلى الله عليه وسلم انطلق الى ثبير ليختفي فيه منهم فقال له
ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان تقتلوك على ظهري فيبعث بني الله عز وجل فناداه
حرا الي يا رسول الله وثبير جبل بمنى وهو اعلاجبالها وحرا يواجهه من جانبه الآخر
وفي التنزيل قال الله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية وقال عز وجل
لو انزلنا على هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وسيأتي لهذا الباب
مزيد بيان في سورة سبحان ان شاء الله تعالى ٥ وقال في شرح الكشاف وحمل بعض المفسرين
الخشية هنا على معناها الحقيقي بناء على جواز خلق الله الحياة والعقل في الحجر وبعضده
قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء فان من جاز له انطاق الجوارح جاز له
جعل الحجر حيا ناطقا كما جعل الصلصال انسانا وجعله سبا وصهرا ٥ وكذلك سبحت
الاحجار في كف النبي صلى الله عليه وسلم وتكلمت الشاة المسمومة للنبي صلى الله عليه وسلم
وهذا كله بعد اثبات الله الحياة والعلم فيها والله اعلم بمراده وقوله تعالى وما الله
بغافل عما تعملون قال العلماء في هذا وعيد وتهديد والمعنى ان الله تعالى بالمرصاد
لهولاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها في الآخرة وقال بعضهم في
قوله تعالى وما الله بغافل في موضع نصب على لغة اهل الحجاز وفي موضع رفع على لغة تميم
والباء في بغافل زيد لقوله عما تعملون ومعناه ليس بغافل عن عملكم حتى لا يغادر صغيره ولا كبيره
الا احصيها عليكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٥ وقرا ابن
كثير وما الله بغافل عما يعملون بالياء فيكون الخطاب على هذا للنبي صلى الله عليه وسلم والله
اعلم باسرار كلامه العظيم قوله عز وجل افتطمعون ان يؤمنوا لكم قال بعض
المفسرين هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عما تقدم لانه هو الداعي الى الايمان وانما ذكره
الله عز وجل بلفظ الجمع تعظيما له وقال بعضهم هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه

رضي الله عنهم. وقال بعضهم نزلت في الانصار. وذلك انهم كان لهم حرص على اسلام اليهود
لاجل الحلف والجوار الذي كان بينهم فانزل الله عز وجل افتطمعون يعني افترجون ان يومنوا
لكم اي يصدقكم اليهود بما تخبرونهم. وقيل معناه ان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه
وسلم والمومنين بقوله تعالى افتطمعون يعني افتطمع يا محمد انت واصحابك المومنون ان يومن
هولا اليهود لاجلكم ولاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم. مع انهم لم يومنوا لموسى عليه السلام
وكان هو السبب في خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يديه. وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله وقرا الاعمش يسمعون كلم الله. قال بعض المفسرين المراد بالفريق هم الذين كانوا
مع موسى يوم الميقات. وهم الذين سمعوا كلام الله عز وجل ولم يمتثلوا امره وحرفوا القول
في اخبارهم لقومهم. وهذا قول الربيع بن انس وابن اسحق. وفيه ضعف. ومن قال من العلما
ان السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد ذهب بفضيلة موسى واختصاصه بالتكليم. وقد
قال السدي وغيره انهم لم يطيقوا سماع كلام الله عز وجل واختلطت اذهانهم ورغبوا
ان يكون موسى يسمع ويفسر لهم. فلما فترغوا وخرجوا بدلت طائفة منهم ما سمعت من
كلام الله عز وجل على لسان نبيهم موسى عليه السلام. كما قال الله تعالى وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله. فان قيل فقد روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
ان قوم موسى سالوه ان يسال ربه ان يسمعهم كلامه فسمعوا صوتا كصوت الشبور اني
انا الله لا اله الا انا الكم القيوم اخرجتكم من مصر بيد رفيعة وذراع شديدة. قيل له هذا
ضعيف لا يحتج به. وقد قال الله عز وجل وقوله الحق يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي. واختلف العلما بما اذا عرف موسى كلام الله عز وجل ولم يكن سمع قبل ذلك خطابه
فمنهم من قال انه سمع كلاما ليس بحروف ولا اصوات وليس فيه تقطيع ولا نفس فحينيذ علم
ان ذلك ليس هو كلام البشر. وانما هو كلام رب العالمين. وقال اخرون انه لما سمع كلاما لا من
جهة. وكلام البشر يسمع من جهة من الجهات الست. علم انه ليس من كلام البشر. وقيل انه
عليه السلام صار جسده كله مسامع حتى سمع بها ذلك الكلام. فعلم انه كلام الله جل وعلا.
وقال بعضهم ان المعجزة دلت على ان ما سمعه هو كلام الله عز وجل. وذلك انه قيل له

وانما الكلام الذي سمعه موسى عليه السلام

القى عصاك فالقاها فصارت ثعبانا، وكان ذلك علامة له على صدق الحال، وان الذى يقول له
انى انا ربك هو الله جل وعز، وقال بعضهم ان موسى عليه السلام كان اضمر فى نفسه شيا
لا يقف عليه الا علام الغيوب، فاخبره الله تعالى فى خطابه بذلك الضمير، فعلم ان الذى يخاطبه
هو الله جل وعز، وسياتى فى سوره القصص بيان ندا الله موسى من الشجره ان يا موسى انى انا الله رب العالمين، وقال
بعض المفسرون المراد بهم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الاقرب
لان الضمير راجع اليهم فى قوله تعالى افتطمعون ان يومنوا لكم، فعلى هذا القول يكون معنى
يسمعون كلام الله يعنى التوراة، لانه يصح ان يقال لمن سمع التوراة يسمع كلام الله، والله تعالى
اعلم بمراده وقوله تعالى ثم يحرفونه اى يغيرون كلام الله عز وجل ويبدلونه، فمن فسر
الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى استدل بقول ابن عباس رضى الله عنه
انها نزلت فى السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه، وذلك انهم لما رجعوا الى قومهم بعد
ما سمعوا كلام الله عز وجل، اما الصادقون منهم فانهم ادوا كما سمعوا، وقالت طائفة
منهم سمعنا الله يقول فى آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا، وان شيتم فلا تفعلوا،
فكان هذا تحريفهم، ومن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالذين كانوا فى زمن النبى
صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم وتبديلهم صفة النبى صلى الله عليه وسلم وآية الرجم
من التوريه، وقال مجاهد والسدى ايضا هم علما اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون
الحرام حلالا والحلال حراما اتباعا لاهوايهم، قال العلما والتحريف على وجهين تحريف
لفظ الى لفظ، وتحريف معنى، وهو حمل اللفظ على غير ما قصد له، والله اعلم، وقوله تعالى
من بعد ما عقلوه اى علموا صحة كلام الله عز وجل ومراده فيه، ثم مع ذلك خالفوه وهم
يعلمون يعنى فساد مخالفته، ويعلمون ايضا انهم كاذبون مفترون، قال العلما رضى الله عنهم
وهذا توبيخ لهم، والمعنى ان هولا اليهود قد سلفت لاباهم افاعيل سوء وعناد، فهم ان كفروا
وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك وهم على نسق اباهم، فكيف تطمعون فى ايمانهم، قال العلما فى
هذا الكلام دليل على ان من علم الحق وعاند فيه فهو بعيد من الرشد والخير، لانه علم الوعد
والوعيد ولم يسهه ذلك عن عناده، والله تعالى اعلم، قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا

قالوا امنا قال المفسرون نزلت هذه الاية في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقي اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم امنا بالذي امنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق
وانا نجد نعته وصفته في كتابنا واذا خلا بعضهم الى بعض يعني اذا خلا بعض اليهود
الذين لم ينافقوا ببعض وهم الذين نافقوا قالوا لا يؤمن لهم وعابيين عليهم اتحدثونهم
يعني اتخبرون اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بما فتح الله عليكم اي بما قضى الله عليكم في كتابكم
وبين لكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق ليحاجوكم به يعني ليخاصمكم
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق في
كتابكم لم لا تتبعونه وذلك لان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع رسول
الله صلى الله عليه وسلم امنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم بما
فتح الله عليكم اي بما حكم الله عليكم من العذاب لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم في الدنيا
والاخرة وقال بعض المفسرين في قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا نحن منافقي اليهود الذين امنوا ابا بكر
واصحابه رضي الله عنهم من المومنين قالوا امنا كما نكم وشهدنا ان محمدا صلى الله عليه وسلم
حق وانه صادق نجد نعته وصفته في كتابنا واذا خلا اي رجع بعضهم الى بعض يعني كعب
ابن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهوذا وغيرهم من روسا اليهود لامهم على ذلك
وقالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي بما قضى الله عليكم في كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق
وقال الاخفش اتحدثونهم بما من الله عليكم به واعطاكم ليحاجوكم به اي ليخاصموكم ويحتجوا
بقولكم عليكم عند ربكم وقال بعضهم هو ان الرجل من المسلمين كان يلقى قريبه وحليفه
وصديقه من اليهود فيساله عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حق وهو نبي فيرجعون
الى روسايهم فيلومونهم على ذلك وقال السدي كان ناس من اليهود امنوا ثم نافقوا
وكانوا يحدثون المومنين بما عذبوا به فقال لهم روساوهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
اي بما انزل عليكم من العذاب ليعيروكم به وليقولوا نحن اكرم على الله منكم وقال مجاهد
هو قول بني قريظة بعضهم لبعض حين سبهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم يا اخوان

القرده القردة والخنازير قالوا من اخبر محمدا هذا ما خرج الا منكم ٥ و قيل ان اليهود
اخبروا المومنين بما عذبهم الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما قضى
الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله ٥ وقيل ليجادلوكم ويخاصموكم
بما قلتم لهم عند ربكم في الاخره تقولون كفرتم به بعدان وقفتم على صدقه افلا تعقلون
ان هذه حجة عليكم حيث تعرفون به ثم لا تتابعونه لان الاقرار بالشي التزام له ٥ وقيل
افلا تعقلون ان ذلك لا يليق بما انتم عليه ٥ وقيل افلا تعقلون اى افليس لكم عقول فتعلمون
ما عليكم في ذلك ٥ وقال بعض المفسرين قوله تعالى افلا تعقلون من قول الاحبار للاتباع
وقال بعضهم هو خطاب من الله عز وجل للمومنين ومعناه افلا تعقلون ان بني اسرائيل لا
يومنون وهم بهذه الاحوال ٥ ثم استانف فقال تعالى اولا يعلمون يعني اليهود ٥ وهذا
استفهام معناه التوبيخ والتقريع ان الله يعلم ما يسرون اى ما يخفون وما يعلنون
اى ما يبدون وما يظهرون ٥ ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ٥ قوله
تعالى ومنهم اى من اليهود اميون اى لا يحسنون الكتابة ولا القراءة ٥ وقيل لا يحسنون
الكتب فيطالعوا التوراة ويحققوا ما فيها ٥ وقال ابن عباس وقتاده اميون معناه غير عارفين
بمعاني الكتاب تعلموها حفظا وقراءه بلا فهم ولا يدرون ما فيه ٥ قال العلماء رضي الله عنهم التوريه
والاميون جمع امي ٥ وهو المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة
ولا قراءة ٥ وقيل لانه تزني مع امه ولم تربه الرجال فيتعلم ما يتعلمه الرجال ٥ وقيل
الامي منسوب الى الامة وهي الجماعة لان معظمها لا يكتبون ٥ وقيل الامون الذين نزل
عليهم الكتاب فهم يقراونه ولا يعرفونه ٥ فكانهم نسبوا الى ام الكتاب ٥ وهو كتاب الله عز وجل
والامي ايضا في غير هذه الاية منسوب الى ام القرى مكه حرسها الله ٥ وقال بعضهم الامي
هو العامي الذي لا تمييز له ٥ والله اعلم بمراده وقوله تعالى لا يعلمون الكتاب اى التوريه
ولا يفهمون ما فيها الا اماني قال العلماء الاماني جمع امنية وهي التلاوه ٥ ومنه قول الله
عز وجل الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اى في تلاوته ٥ ومنه قول الشاعر ٥
تمنى كتاب الله اول ليله ٥ واخره لاقى حمام المقادر ٥ وقال آخر ٥

تمنى كتاب الله آخر ليله تمنى داود الزبور على رسلها قوله تمنى كتاب الله اى تلا كتاب الله
والامانى ايضا معناها الاكاذيب ومنه قول عثمان رضى الله عنه ما تمنيت منذ اسلمت
اى ما كذبت ومنه ايضا قول رجل من العرب لآخر أهذا شئ رويته ام شئ تمنيته اى
افتعلته والامانى ايضا معناها ما يتمناه الانسان ويشتهيه واختلف المفسرون
فى معنى قوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا امانى فقال الكلبى لا يحسنون الا ما يحدثهم به
علماؤهم وقال ابو عبيده لا يعلمون الكتاب الا تلاوة وقراءة عن ظهر القلب وقال مجاهد
الا امانى يعنى الاكاذيب باطلا وقيل معناه غير عارفين بما فى كتاب الله عز وجل وقال
الفرا الامانى الاحاديث المفتعلة واراد سبحانه بالامانى الاحاديث الكاذبة المختلقة
وهى الاشيا التى كتبوها علما وهم من عند انفسهم ثم اضافوها الى الله عز وجل وذلك من تغيير
نعت النبى صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقال قتادة وابو العاليه والحسن
هو من التمنى والمعنى تتمنون على الله الباطل والكذب وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما
معدودة وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم نحن ابنا الله
واحباؤه والله يعفو عنهم ويرحمهم وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون
الكتاب لكن يتمنون اشيا لا تحصل لهم وان هم الا يظنون اى ليسوا على يقين فهم يجادلون
بنوتك بالظن وقال مجاهد يكذبون ويحسدون لانهم لا علم لهم بصحة ما يتلون معناه
وانما هم مقلدون لاحبارهم فيما يقرؤون وقال ابن الانبارى ان العرب تجعل الظن
علما وشكا وكذبا وقال اذا قامت براهين العلم فكانت اكثر من براهين الشك فالظن
يقين واذا اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك واذا زادت براهين
الشك على براهين اليقين فالظن كذب كما فى هذه الاية قال الله عز وجل وان هم الا يظنون
اى يكذبون قال القرطبى رحمه الله تعالى اعلم ان الله عز وجل نعت احبار اليهود بانهم
يبدلون ويغيرون فقال وقوله الحق فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم الايه وذلك انه
لما درس الامر فيهم وسات رعية علمايهم واقبلوا على الدنيا حرصا وطمعا طلبوا اشيا
تصرف وجوه الناس اليهم فاحدثوا فى شريعتهم وبدلوها والحقوا ذلك بالتوراة وقالوا

هذا من عند الله ليقبلوها عنهم فتتاكد رياستهم وسائلوا بها حطام الدنيا واوساخها
وكان مما احدثوا فيه ان قالوا ليس علينا في الاميين سبيل والاميون هم العرب اى ما
اخذنا من اموالهم فهو حلال لنا وكان مما احدثوا فيه ايضا ان قالوا لا يضرنا ذنب فنحن
ابناء الله واحباؤه تعالى الله عن ذلك وانما كان في التوراة يا احباري ويا ابناء رسلي فغيروا
كلام الله هذا وكتبوا بدله يا احبائي وما ابناء فانزل الله عز وجل تكذيبهم في القرآن فقال
سبحانه وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فقالوا لن
يعذبنا الله وان عذبنا فاربعين يوما مقدار ايام العجل فانزل الله عز وجل تكذيبهم
وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا يعني توحيدا بدليل قوله
تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اى قال لا اله الا الله فلن يخلف الله عهده ام تقولون على
الله ما لا تعلمون ثم اكذبهم سبحانه فقال بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
فنفى سبحانه وتعالى ان الخلود في النار والجنة انما هو بحسب الكفر والايمان لا بما قالوه
واما التفسير فقوله تعالى فويل قال المفسرون رحمهم الله الويل كلمة تقولها
العرب لكل من وقع في هلكة واصلها في اللغة العذاب والهلاك وروى عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه
الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره اخرجه الترمذي وقال حديث غريب والخريف سنة
وقال بعضهم الخريف سبعون سنة وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه الويل واد في جهنم
لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت من شدة حره وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال الويل جبل من نار وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه الويل
واد في جهنم بين جبلين يهوى فيه الهاوي اربعين خريفا وقال سفيان وعطا الويل في هذه
الاية واد يجري في قيح جهنم من صديد اهل النار وقال ابن زيد الويل جبل من قيح ودم
وقال بعضهم هو صهريج في جهنم وحكى الزهراوي ان الويل باب من ابواب جهنم وقال ابن
عباس رضي الله عنهما الويل هو المشقة وشدة العذاب وقال الخليل الويل شدة الشر وقال

الاصمعي الويل تفجع والويل ترحم وقال سيبويه الويل لمن وقع في الهلكه ووتح زجر
لمن اشرف على الهلكه وقال ابن عرفة الويل الحزن يقال تويل الرجل اذا دعا بالويل
وانما يقال ذلك عند الحزن والمكروه وقال الفرا اصل في الويل وَيْ اى حزن كما تقول
وَىْ لفلان اى حزن له فوصلته العرب باللام وقدروا انها منه فاعربوها والله اعلم
وقوله تعالى يكتبون الكتاب بايديهم قال العلما اكد سبحانه الكتب بالايدى والكتب لا
يكون الا باليد وذلك مثل قوله تعالى ولا طاير يطير بجناحه وقوله تعالى يقولون بافواههم
وقل فايده قوله تعالى بايديهم بيان لجرمهم واثبات لمجاهرتهم فان من تولى الفعل
اشر موافقه ممن لم يتوله وقال بعضهم بايديهم كناية على انه من تلقاء يهم دون ان
ينزل عليهم وان لم تكن حقيقه في كتب ايديهم وقال بعضهم انما قال تعالى بايديهم تاكيدا
للكتابه لانه يحتمل ان يامر غيره بان يكتب فقال تعالى بايديهم لنفي هذه الشبهه والمراد
بالذين يكتبون الكتاب اليهود كما تقدم وذلك ان رؤسا اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال
رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينه فاحتالوا في بعوق سفلتهم عن الايمان
به فعمدوا الى صفته في التورية فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر
اكحل العين ربعه فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال ازرق العين سبط الشعر فكان اذا
سالهم سفلتهم عن صفته قراوا عليهم ما كتبوا ثم يقولون هذا من عند الله يعني هذه الصفة
التي كتبوها فاذا نظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة فيجدونه مخالفا لها
فيكذبونه ويقولون انه ليس به لنشتروا به اى بما كتبوا ثمنا قليلا يعني المآكل والرشى التي
كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله عز وجل فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم
مما يكسبون قال العلما في هذه الآية التحذير من التبديل والتغيير والزيادة في الشرع
فكل من بدل وغيرا وابتدع في دين الله ما ليس فيه ولا يجوز فيه فهو داخل في هذا الوعيد
الشديد والعذاب الاليم وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم امته لما قد علم
ما يكون في آخر الزمان فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين
ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحده اكحديث وساتي تمامه

فحذرهم صلوات الله عليه ان يحدثوا من يلقا انفسهم فى الدين خلاف كتاب الله عز وجل
او سنة او بيّنة اصحابه فيضلوا به الناس وقد وقع ما حذره وشاع وكثر وذاع فانا
لله وانا اليه راجعون ۝ قوله تعالى وقالوا يعنى اليهود لن تمسنا اى لن يصيبنا
النار الا اياما معدودة اى قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب وينقطع واختلف
المفسرون فى سبب نزول هذه الآية فقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لليهود من اهل
النار قالوا نحن ثم تخلفونا انتم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم لقد علمتم انا
لا نخلفكم فنزلت هذه الاية ۝ وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب نزولها
قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول انما هذه الدنيا سبعة
آلاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة ايام
فانزل الله عز وجل فيهم هذه الاية وقالت طائفة قالت اليهود مكتوب فى التوراة ان جهنم
مسيرة اربعين سنة وانهم يقطعون فى كل يوم سنة حتى يكملوها وتذهب جهنم فانزل الله
الاية وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال زعم اليهود انهم وجدوا فى التوراة مكتوبا
ان ما بين طرفى جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وقالوا انما
نعذب حتى ننتهى الى شجرة الزقوم فنذهب جهنم وتهلك وقال قتادة ان اليهود
قالت ان الله تعالى اقسم ان يدخلهم النار اربعين يوما عدد عباد تم العجل فاكذبهم الله
عز وجل بهذه الاية وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم فى امر فاقسم
ليعذبنا اربعين يوما تحلة القسم فقال الله عز وجل ردا عليهم وتكذيبا لهم قل اى
قل لهم يا محمد اتخذتم عند الله عهدا يعنى موثقا الا نعذبكم الا هذه المدة وقيل
اسلفتم عملا صالحا فامنتم واطعتم فتستوجبون بذلك الخروج من النار او هل عرفتم
ذلك بوحيه الذى عهده اليكم فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون
بلى قال العلماء هذا اثبات لما بعد النفى وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار
ابدا بدليل قوله تعالى هم فيها خالدون ثم قال تعالى من كسب سيئة قال العلماء السيئة
اسم يتناول جميع المعاصى كبيره كانت او صغيره وقال ابن عباس رضى الله عنهما السيئة هنا

حرف م

الشرك واحاطت به خطيته اى احرقت به من جميع جوانبه. والاحاطة الاحراق بالشى
من جميع نواحيه. قال ابن عباس وعطا وابو العاليه هو الشرك يموت عليه صاحبه ٥
وقيل هى الذنوب العظام الموجبة لاهلها النار. وهو الذى يموت على خطيته قبل ان يتوب.
وقيل هى الذنوب تحيط بالقلب. كلما عمل ذنبا ارتفعت حتى يغشى القلب. وسال رجل
الحسن البصرى عن هذه الآية فقال للسايل يا سبحان الله الا اراك ذا الحية ولا ترى ما
الخطيه المحيطه. وقال ابن عباس رضى الله عنهما احاطت بماله من حسنة فاحبطتها ٥
وقال بعضهم احاطت به اى اهلكته خطيته واحبطت ثواب طاعاته. فعلى من هب اهل
السنة يتعين تفسير السيئة والخطية فى هذه الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون فان الخلود فى النار هو للكفار والمشركين والذين امنوا
وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون فان قيل العمل الصالح
خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات. فلو دخل الايمان على
العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا. قيل له اجاب بعض العلماء بان
الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله آمنوا لا يفيد الا انه فعل
فعلا واحدا من اعمال الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات. وقيل
ان قوله تعالى آمنوا يفيد الماضى. وعملوا الصالحات يفيد المستقبل. فكانه تعالى قال امنوا
اولا ثم داوموا عليه اخرا. ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحة. والله تعالى اعلم بمراده ٥
قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاق بنى اسرآيل يعنى فى التوراة. قال ابن عباس
رضى الله عنهما الميثاق هو العهد الشديد. وقال مكى هو الميثاق الذى اخذ عليهم حين اخرجوا
من صلب آدم كالذر. وقال بعضهم هو ميثاق اخذ عليهم وهم عقلا فى حياتهم على السنة
انبيايهم. وهو قوله لا تعبدون الا الله وعبادة الله اثبات توحيده. وتصديق رسله.
والعمل بما انزل فى كتبه. وقيل حقيقة العبودية اربعة الوفا بالعهود. ومحافظة
الحدود. والرضا بالموجود. والصبر على المفقود. وقال سيبويه قوله تعالى لا
تعبدون متلق لقسم معناه واستحلفناهم والله لا تعبدون الا الله. واجازه المبرد والكسائى

والفرّاء وقرا ابی بن کعب وابن مسعود رضی الله عنهما واذ اخذنا میثاق بنی اسرائیل لا تعبدوا الا
الله علی النهی ولهذا وصل الکلام بالامر فقال تعالی وقولوا وقوموا وقولوا واقیموا وآتوا
وقیل هو فی موضع الحال ومعناه اخذنا میثاقهم موحدین او غیر معاندین وقال
الفرّاء والزجاج وجماعة معناه اخذنا میثاقهم بان لا یعبدوا الا الله وبان یحسنوا للوالدین
وبان لا یسفکوا الدما ثم حذفت ان والبا فارتفع الفعل لزوالها والله اعلم وقوله
تعالی وبالوالدین احسانا ای ووصینا هم وامرناهم بالوالدین احسانا نعتی برّا بهما وعطفا
علیهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فیما لا یخالف امر الله عز وجل ویوصل الیهما ما
یحتاجان الیه ولا یوذیهما البتة وان کانا کافرین بل یجب علیه الاحسان الیهما ومن الاحسان
الیهما ان یدعوهما الی الایمان بالرفق واللین وکذا ان کانا فاسقین یامرهما بالمعروف بالرفق
واللین من غیر عنف قال العلما رضی الله عنهم انما عطف سبحانه بر الوالدین علی الامر بعبادته
لان شکر المنعم واجب ولله تعالی علی عبده اعظم النعم لانه هو الذی خلقه واوجده بعد
العدم فیجب تقدیم شکره علی شکر غیره ثم ان للوالدین علی الولد نعمة عظیمة لانهما
السبب فی کون الولد ووجوده ثم ان لهما علیه حق التربیة ایضا فیجب شکرهما ثانیا
وقال بعض المفسرین الاحسان الی الوالدین هو معاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما وامتثال
امرهما والدعا بالمغفرة بعد مماتهما وصلة اهل ودهما فصل فی بر الوالدین
عن عبد الله بن مسعود رضی الله عنه قال سالت رسول الله صلی الله علیه وسلم ای العمل
احب الی الله قال الصلاة علی وقتها قلت ثم ای قال بر الوالدین قلت ثم ای قال الجهاد فی
سبیل الله رواه البخاری ومسلم رحمهما الله وعن ابی هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله
صلی الله علیه وسلم لا یجزی ولد والدا الا ان یجده مملوکا فیشتریه فیعتقه رواه
ابو داود وغیره وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضی الله عنهما قال جا رجل الی النبی صلی
الله علیه وسلم فاستاذنه فی الجهاد فقال أحی والداک قال نعم قال ففیهما فجاهد رواه
البخاری ومسلم وغیرهما وفی روایة لمسلم اقبل رجل الی رسول الله صلی الله علیه وسلم
فقال ابایعک علی الهجرة والجهاد ابتغی الاجر من الله قال نعم فقال فهل من والدیک احد

حي قال نعم بل كلاهما حي. قال فتبتغي الاجر من الله قال نعم قال فارجع الى والديك فاحسن صحبتهما. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت ابايعك على الهجرة وتركت ابوای يبكيان. قال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما. رواه ابو داود. وعن ابی سعيد الخدری رضی الله عنه ان رجلا من اهل اليمن هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل لك احد باليمن قال ابواي. قال اذنا لك قال لا قال فارجع اليهما فاستاذنهما فان اذنا لك فجاهد والا فبرهما. رواه ابو داود وغيره. وعن انس رضي الله عنه قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اشتهي الجهاد ولا اقدر عليه. قال هل بقي من والديك احد قال امي. قال قاتل الله في برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتمر ومجاهد. رواه ابو يعلى والطبراني رحمهما الله. وروى عن طلحة ابن معاوية السلمي رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني اريد الجهاد في سبيل الله. قال امك حية. قلت نعم. قال النبي صلى الله عليه وسلم الزم رجلها فثم الجنة. رواه الطبراني. وعن ابی امامة رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما. قال هما جنتك ونارك. رواه ابن ماجة. وعن معاوية بن جاهمة رضي الله عنه ان جاهمة اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اردت ان اغزو وقد جئت استشيرك. فقال هل لك من ام. قال نعم. قال فالزمها فان الجنة تحت رجلها. رواه ابن ماجة والنسائي والطبراني. ولفظه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم استشيره في الجهاد فقال النبي صلى الله عليه وسلم الك والدان قال نعم قال الزمهما فان الجنة تحت ارجلهما. وعن ابی الدرداء رضي الله عنه ان رجلا اتاه فقال ان لي امراة وان ابي تامرني بطلاقها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد اوسط ابواب الجنة فان شئت فاضع ذلك الباب او احفظه. رواه ابن ماجه والترمذي. ورواه ابن حبان في صحيحه. ولفظه ان رجلا اتى ابا الدرداء فقال ان ابي لم يزل بي حتى زوجني وانه الان يامرني بطلاقها. قال ما انا بالذي آمرك ان تعق والديك ولا بالذي امرك ان تطلق امراتك غير انك ان شئت حدثتك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول الوالد اوسط ابواب الجنة فحافظ على ذلك

ان شئت اودع. قال فاحب عطآ قال فطلقها. وعن ابن عمر رضی الله عنهما قال کنت تحت
امراة احبها وکان عمر یکرهها فقال لی طلقها فابیت فاتی عمر رسول الله صلی الله علیه وسلم
فذکر ذلک له فقال لی رسول الله صلی الله علیه وسلم طلقها. رواه ابوداود وغیره. وعن
انس بن مالک رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم من سره ان یمد له فی عمره
ویزاد فی رزقه فلیبر والدیه ولیصل رحمه. رواه الامام احمد. وعن ابی هریرة رضی الله عنه
عن النبی صلی الله علیه وسلم قال عفوا عن نسآ الناس تعف نساوکم وبروا آباکم تبرکم
ابنآوکم. ومن اتاه اخوه متنصلا فلیقبل ذلک. محقا کان اومبطلا. فان لم یفعل لم یرد
علی الحوض. رواه الحاکم. وعن ابی هریرة رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم قال
رغم انفه ثم رغم انفه ثم رغم انفه فقیل من یا رسول الله. قال من ادرک والدیه عند
الکبر احدهما ثم لم یدخل الجنة. رواه مسلم. وعن جابر بن سمرة رضی الله عنه قال صعد
النبی صلی الله علیه وسلم المنبر فقال آمین آمین آمین. قال اتانی جبریل علیه السلام فقال
یا محمد من ادرک ابویه او احدهما فمات فدخل النار فابعده الله. فقل آمین. فقلت آمین. قال یا
محمد من ادرک شهر رمضان فمات فلم یغفر له فادخله الله النار. فابعده الله. قل آمین.
فقلت آمین. ومن ذکرت عنده فلم یصل علیک فمات فدخل النار فابعده الله. قل آمین.
فقلت آمین. رواه الطبرانی. وعن مالک بن عمرو القشیری رضی الله عنه قال سمعت رسول
الله صلی الله علیه وسلم یقول من اعتق رقبة مسلمة فهی فداوه من النار. ومن ادرک
احد والدیه ثم لم یغفر له فابعده الله واسحقه. رواه الامام احمد. وعن عبد الله بن عمر
رضی الله عنهما قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم رضی الله فی رضی الوالد. وسخط الله فی
سخط الوالد. رواه الترمذی. وعن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما قال اتی النبی صلی الله علیه
وسلم رجل فقال انی اذنبت ذنبا عظیما فهل لی من توبة. فقال هل لک من ام. قال لا. قال
فهل لک من خالة. قال نعم. قال فبرها. رواه الترمذی وابن حبان. وعن ابی اسید مالک
ابن ربیعة الساعدی رضی الله عنه قال بینما نحن جلوس عند رسول الله صلی الله علیه وسلم
اذ جاءه رجل من بنی سلمة فقال یا رسول الله هل بقی من بر ابوای شئ ابرهما بعد موتهما قال

مطلب اكبر الكبائر

مطلب ثلاثة حرم الله عليهم الجنة

نعم الصلوة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما واكرام صديقهما رواه ابو داود وابن حبان وزاد ابن حبان فى آخره قال رجل ما الكبائر هذا يا رسول الله واطيبه قال فاعمل به وعن ابى بكره رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس ٥ وفى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الذى كتبه الى اهل اليمن وبعث به مع عمرو بن حزم رضى الله عنه وان اكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المومنة بغير الحق والفرار فى سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين وزنى المحصنة وتعلم السحر واكل الربا واكل مال اليتيم رواه ابن حبان فى صحيحه وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق لوالديه والديوث والرجلة رواه النسائى والبزار ٥ والديوث بتشديد الياء هو الذى يقر اهله على الزنا مع علمه بهم والرجلة بفتح الراء وكسر الجيم هى المترجلة المتشبهة بالرجال وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة العاق لوالديه ومدمن الخمر والديوث الذى يقر الخنا فى اهله رواه الامام احمد والبزار وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراح ريح الجنة من مسيرة خمسماية عام ولا يجد ريحها منان بعمله ولا عاق ولا مدمن خمر رواه الطبرانى وعن ابى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا تقبل الله منهم صرفا ولا عدلا عاق ومنان ومكذب بقدر رواه ابن ابى عاصم وعن عمرو بن مرة الجهنى رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله شهدت ان لا اله الا الله وانك رسول الله وصليت الخمس وادت زكاة مالى وصمت رمضان فقال النبى صلى الله عليه وسلم من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ونصب اصبعيه مالم يعق والديه رواه الامام احمد والطبرانى وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال اوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال لا تشرك بالله شيا وان قتلت او حرقت ولا تعقن والديك وان امراك ان تخرج من اهلك ومالك

الحدث ۵ رواه الامام احمد وغيره۔ وعن جابر بن عبد الله رضی الله عنهما قال خرج علينا
رسول الله صلی الله علیه وسلم ونحن مجتمعون فقال یا معشر المسلمین اتقوا الله وصلوا ارحامکم
فانه لیس من ثواب اسرع من صلة الرحم واياكم والبغی فانه لیس من عقوبة اسرع من عقوبة
البغی واياكم وعقوق الوالدین فان ریح الجنة یوجد من مسیرة الف عام والله لا یجدها
عاق ولا قاطع رحم ولا شیخ زان ولا جار ازاره خیلاء انما الكبریاء لله رب العالمین والكبر
كلمة اثم الا ما انتفعت به مومنا ودفعت به عن دین وان فی الجنة لسوقا لا یباع فیها ولا
تشتری لیس فیها الا الصور فمن احب صورة من رجل او امراة دخل فیها۔ رواه الطبرانی ۵
وعن ابی بكرة رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم قال كل الذنوب یوخر الله ما شاء منها
الی یوم القیامة الا عقوق الوالدین فانه یعجل لصاحبه فی الحیاة قبل الممات۔ رواه الحاكم ۵
وروی عن عبد الله بن ابی اوفی رضی الله عنه قال كنا عند النبی صلی الله علیه وسلم فاتاه ات
فقال شاب یجود بنفسه فقیل له قل لا اله الا الله فلم یستطع فقال له صلی الله علیه وسلم اكان
یصلی قال نعم یا رسول الله فنهض رسول الله صلی الله علیه وسلم ونهضنا معه فدخل علی الشاب
فقال له قل لا اله الا الله فقال لا استطیع قال لم فقال كان یعق والدته فقال رسول الله صلی
الله علیه وسلم احیة والدته قالوا نعم یا رسول الله قال ادعوها فدعوها فجاءت فقال هذا ابنك
قالت نعم یا رسول الله قال ارایت لو اججت نارا ضخمة فقیل لك ان شفعت له خلینا عنه والا
حرقناه بهذه النار اكنت تشفعین له قالت یا رسول الله اذا اشفع قال فاشهدی الله واشهدی
انك قد رضیت عنه قالت اللهم انی اشهدك واشهد رسولك انی قد رضیت عن ابنی فقال له
رسول الله صلی الله علیه وسلم یا غلام قل لا اله الا الله وحده لا شریك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله فقالها فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم الحمد لله الذی انقذه من النار۔ رواه
الطبرانی وعن العوام بن حوشب رضی الله عنه قال نزلت مرة حیا والی جانب ذلك الحی
مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل راسه راس الحمار وجسده جسد انسان
فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق علیه القبر واذا عجوز تغزل شعرا او صوفا فقالت لی امراة ترى
تلك العجوز فقلت ما لها قالت تلك ام هذا قلت وما كان قصته قالت كان یشرب الخمر فاذا

سطلب كل الذنوب یوخر الله ما شاء منها

سطلب حكایة بلیغة

سطلب قصة عظیمة

راح تقول له امه يا بنى اتق الله الى متى تشرب الخمر فيقول لها انما انت تنهقين كما تنهق الحمار
قالت فمات بعد العصر قالت فهو ينشق عنه القبر بعد صلاة العصر كل يوم فينهق ثلاث
نهقات ثم ينطبق عليه القبر رواه الاصبهانى وغيره ٥ والاحاديث فى عقوق الوالدين كثيرة
وفيما ذكرناه كفاية لمن وفقه الله ٥ قوله تعالى وذى القربى قال العلماء رضى الله عنهم
عطف سبحانه ذى القربى على الوالدين والقربى بمعنى القرابة وهو مصدر كالرجعى والعقبى
اى وامرناهم بالاحسان الى القرابات بصلة ارحامهم قال العلماء لان حق القرابات تابع لحق
الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين وسياتى ذكرهم فى سورة الانفال ٥ عن
ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له فى رزقه
وان ينسا له فى اثره فليصل رحمه رواه البخارى والترمذى ولفظه قال تعلموا من انسابكم
ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل مثراة فى المال منساة فى الاثر قال
الترمذى حديث غريب ومعنى منساة فى الاثر يعنى به الزيادة فى العمر وعن على بن ابى طالب
رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يمد له فى عمره ويوسع له فى رزقه
ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه رواه الحاكم والبزار وعن انس رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة وصلة الرحم تزيدان الله بهما فى العمر ويدفع بهما ميتة
السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور رواه ابو يعلى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الاموال وما نظر
اليهم منذ خلقهم بغضا لهم قيل وكيف ذاك يا رسول الله قال بصلتهم ارحامهم رواه الطبرانى
وعن دُرَّة بنت ابى لهب رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله من خير الناس قال اتقاهم لربه
واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر رواه البيهقى وعن ابى ذر رضى الله
قال اوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير اوصانى ان لا انظر الى من هو فوقى وان
انظر الى من هو دونى واوصانى بحب المساكين والدنو منهم واوصانى ان اصل رحمى وان
ادبرت واوصانى ان لا اخاف فى الله لومة لائم واوصانى ان اقول الحق وان كان مرا
واوصانى ان اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة رواه الطبرانى ٥

وعن ميمونة رضي الله عنها انها اعتقت وليدة ولم تستاذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت اشعرت يا رسول الله اني اعتقت وليدتي قال اوقد فعلتِ قالت نعم قال اما انكِ لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك رواه البخاري وغيره
وعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم اني بك فلا اقطع والامانة تقول اللهم اني بك فلا اخان والنعمة تقول اللهم اني بك فلا اكفر رواه البزار وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله رواه البخاري ومسلم وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته او قال بتته رواه ابو داود والترمذي

معلق بمضارعة سامع صلة ارحام

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لكِ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم رواه البخاري ومسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرحم شجنة من الرحمن تقول يا رب اني قطعت يا رب اني اسيء الي يا رب اني ظلمت يا رب فيجيبها الا ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك رواه الامام احمد وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرحم حجنة متمسكة بالعرش تتكلم بلسان ذلق اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني فيقول الله تبارك وتعالى انا الرحمن الرحيم وانا شققت الرحم من اسمي فمن وصلها وصلته ومن بتكها بتكته رواه البزار قوله صلى الله عليه وسلم الرحم حجنة معلقة بالعرش قال العلما الحجنة بفتح الحا المهملة والجيم وتخفيف النون هي شنارة المغزل وهي الحديدة العقفا التي يعلق بها الخيط ثم يفتل المغزل

وعن
والله اعلم سعيد بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اربى الربا
الاستطاله في عرض المسلم بغير حق. وان هذه الرحم شجنه من الرحمن عز وجل فمن قطعها
حرم الله عليه الجنة. رواه الامام احمد والبزار. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس الواصل بالمكافي. ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه
وصلها. رواه البخاري وغيره. وعن ابي هريره رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة
اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي. واحلم عنهم ويجهلون علي فقال ان كنت كما
قلت فكانما تسفهم المل. يعني الرماد الحار. وعن ام كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح. والكاشح هو الذي
يضمر عداوته في كشحه وهو خصره. ومعنى الحديث ان افضل الصدقة على ذي الرحم المضمر
العداوة في باطنه. وعن ابي هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وادخله الجنة برحمته. قالوا وما هي يا رسول الله بابي
انت وامي قال تعطي من حرمك. وتصل من قطعك. وتعفو عن من ظلمك. فاذا فعلت ذلك دخلت
الجنة. رواه البزار وغيره. وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
ادلكم على اكرم اخلاق الدنيا والآخرة. ان تصل من قطعك. وتعطي من حرمك. وتعفو عن من
ظلمك. رواه الطبراني. وعن ابي هريره رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان اعمال بني ادم تعرض على كل خميس ليله الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم. رواه الامام احمد.
وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل عليه السلام
فقال هذه ليلة النصف من شعبان ولله تعالى فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب. لا
ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن. ولا الى قاطع رحم. ولا الى مسبل. ولا الى عاق لوالديه.
ولا الى مدمن خمر. رواه البيهقي. وعن ابي موسى الاشعري رضي الله ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر. وقاطع رحم. ومصدق بالسحر. رواه ابن حبان.
وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قاطع.
قال سفيان يعني قاطع رحم رواه البخاري وغيره. وعن الاعمش رحمه الله قال كان ابن مسعود

مطلب حساب يسير

ادلكم

رضي الله عنه جالسا بعد الصبح في حلقة فقال انشد الله قاطع الرحم لما قام عنا فانا نريد
ان ندعو ربنا وان ابواب السما مرتجة دون قاطع رحم رواه الطبراني وقوله وان
ابواب السما مُرْتَجَة بضم الميم وفتح التا المثناة فوق وتخفيف الجيم اى مغلقة وروى
عن عبد الله بن ابى اوفى رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا
يجالسنا اليوم قاطع رحم فقام فتى من الحلقة فاتى خالة كان بينهما بعض الشي فاستغفر
لها واستغفر له ثم عاد الى المجلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرحمة لا
تنزل على قوم فيهم قاطع رحم رواه الاصبهاني والطبراني رحمهما الله والاحاديث في قطع الرحم
كثيرة وفيما ذكرناه كفاية والله اعلم وقوله تعالى واليتامى جمع يتيم وهو الذى مات
ابوه وهو طفل فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم قال العلما رضي الله عنهم ويجب رعاية حقوق
اليتيم لملازمة امور الصغره ويتمه ولخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو ان ينتفع
بنفسه ولا يقوم بحوائجه وقال بعضهم اليتم في بني آدم بفقد الاب وفي البهايم بفقد
الام وحكى الماوردي ان اليتم يقال في بني ادم في فقد الام والقول الاول هو المعروف واصل
اليتم الانفراد يقال صبي يتيم اى مفرد من ابيه ويقال انضاست يتيم اى ليس قبله ولا بعده
شي من بيوت الشعر ودُرة يتيمة اى ليس لها نظير وقال بعضهم اصل اليتم الابطا انسي
به اليتيم لان البر يبطى عنه ويقال يَتُمَ يَيْتُمُ يُتْمًا مثل عَظُمَ يَعْظُمُ ويَتِمَ يَيْتَمُ يُتْمًا
ويَتِمَ مثل سمع يسمع وقد ايتمه الله قال العلما وهذا يدل على الرافة باليتيم والحث
على كفالته وحفظ ماله على ما ياتي بيانه في سورة النسا ان شا الله فصل في الاحاديث
الوارده في رحمة اليتيم والشفقه عليه وكفالته عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابه والوسطى وفرج
بينهما رواه البخاري وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من عال ثلاثه من الايتام كان كمن قام ليلة وصام نهارة وغدا وراح شاهرا سيفه
في سبيل الله وكنت انا وهو في الجنة اخوان كما ان هاتين اختان والصق اصبعيه السبابة
والوسطى رواه ابن ماجة وعن عمرو بن مالك القشيري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول من ضم يتيما بين ابوين مسلمين الى طعامه وشرابه حتى يستغني
عنه وجبت له الجنة. رواه الامام احمد والطبراني. وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فيقرب قصعتهم الشيطان.
رواه الطبراني. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب البيوت
الى الله تعالى بيت فيه يتيم يحسن اليه. رواه الطبراني. وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه. وشر بيت في المسلمين
بيت فيه يتيم يساء اليه. رواه ابن ماجة. وعن ابي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من مسح على راس يتيم لم يمسحه الا لله كان له في كل شعرة مرت عليها يده حسنات.
ومن احسن الى يتيمة او يتيم عندي كنت انا وهو في الجنة كهاتين. وفرق بين اصبعيه السبابة
والوسطى. رواه الامام احمد. وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
رجل يشكو قسوة قلبه. قال ايتحب يلين قلبك وتدرك حاجتك ارحم اليتيم. وامسح راسه.
واطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك. رواه الطبراني. وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم
اليتيم ولان له في الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله.
رواه الطبراني. وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياكم وبكاء اليتيم فانه يسري بالليل والناس نيام. رواه الاصبهاني. وعن انس رضي الله
عنه رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال ليعقوب عليه السلام ما الذي اذهب
بصرك واحنا ظهرك. قال اما الذي اذهب بصري فالبكاء على يوسف. واما الذي حنا ظهري
فالحزن على اخيه بنيامين. فاتاه جبريل عليه السلام فقال اتشكو الله تعالى. قال انما
اشكو ابثي وحزني الى الله. قال جبريل عليه السلام اعلم ما قلت منك. قال ثم انطلق جبريل
ودخل يعقوب عليه السلام بيته. فقال اي رب اما ترحم الشيخ الكبير اذهبت بصري وحنيت
ظهري فارد علي ريحانتي فاشمه شمة واحدة ثم اصنع بي بعد ما شئت. فاتاه جبريل
عليه السلام فقال يا يعقوب ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول ابشر فانهما لو كانا ميتين

لنشر تهما لك لأقر بهما عينك. ويقول لك يا يعقوب انظر ذى لم اذهبت بصرك وحنيت ظهرك
ولم فعلت اخوة يوسف بيوسف ما فعلت. قال لا. قال انه اتاك يتيم مسكين وهو صابر
جايع وذبحت انت واهلك شاة فاكلتموها ولم تطعموه. ويقول لك انى لم احبت من خلقى
شيا حبى اليتامى والمساكين. فاصنع طعاما وادع المساكين. قال انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان يعقوب كلما امسى نادى مناديه من كان صايما فليحضر طعام يعقوب.
واذا اصبح نادى مناديه من كان مفطرا فليفطر على طعام يعقوب. رواه الحاكم والبيهقى
رحمهما الله وفيما ذكرناه كفاية والله تعالى اعلم. وقوله تعالى والمساكين جمع مسكين.
ومعنى قوله تعالى والمساكين اى وامرناهم بالاحسان الى المساكين. وهم الذين اسكنتهم الحاجة
وذللتهم. قال العلما وهذا يتضمن الحض على الصدقة والمواساة وتفقد احوال المساكين
والضعفا ودليل ما روى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله. واحسبه قال وكالقايم لا يفتر وكالصايم
لا يفطر. قال ابن المنذر وكان طاوس رضى الله عنه يرى السعى على الاخوات افضل من الجهاد
فى سبيل الله. وسيأتى بيان المساكين ان شا الله تعالى. وقوله تعالى وقولوا للناس
حسنا قال العلما رضى الله عنهم فى هذا المعنى وجهان احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود
فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم. فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور. والمعنى قولوا حقا وصدقا
فى شان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمن سالكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموه.
وهذا قول ابن عباس رضى الله عنه. الثانى ان المخاطبين به هم الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام
واخذ عليهم الميثاق. وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله تعالى حتى اذا
كنتم فى الفلك وجرين بهم. وقيل الا لة حذف تقديره وقلنا لهم فى الميثاق وقولوا للناس
حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر. وقال بعضهم هو اللين فى القول وحسن
الخلق. وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وقولوا للناس حسنا اى قولوا لا اله الا الله
ومروهم بها. وقال ابو العالية معناه قولوا للناس الطيب من القول. وجاوروهم بما يحبون
ان يحاوروا به. قال العلما وهذا كله حض من الله عز وجل على مكارم الاخلاق. فينبغى للانسان

ان يكون قوله للناس لينا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر والسني والمبتدع من غير
مداهنة ومن غير ان يتكلم معه بكلام فيظن انه يرضى مذهبه لان الله تعالى قال لموسى
وهرون عليهما السلام فقولا له اى لفرعون قولا لينا وليس هو بافضل من موسى وهرون
والفاجر ليس بأخبث من فرعون وقد امر الله تعالى موسى وهرون باللين معه ٥ وقال
طلحة بن عمر قلت لعطآ انك رجل تجتمع عندك اناس ذوو اهوآ مختلفة وانا رجل حوكى
جيدة فاقول لهم بعض القول الغليظ فقال لا تفعل ان الله عز وجل يقول وقولوا للناس حسنا
فدخل في هذه الاية اليهود والنصارى فكيف بالحسنى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لعايشة رضي الله عنها لا تكوني فحاشة فان الفحش لو كان رجلا لكان رجل سوء ٥
وعنها رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق في الامر
كله رواه البخاري وفي رواية لمسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي
على العنف وما لا يعطي على ما سواه وعنها رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الرفق لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه رواه مسلم وعن جرير بن عبد الله رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه الله عز وجل ليعطي على
الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت حرموا الرفق
الا حرموا الخير رواه الطبراني وعن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد
حرم حظه من الخير رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابي امامة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين على العنف
رواه الطبراني وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يا عايشة
ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت خيرا ادخل عليهم الرفق رواه الامام احمد والبزار وعن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخرق شوم
رواه الطبراني وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من
كن فيه نشر الله عليه كنفه وادخله جنته رفق بالضعيف وشفقه على الوالدين واحسان

الى المملوك. رواه الترمذي وقال حديث غريب. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بمن يحرم على النار او بمن تحرم عليه النار. تحرم على كل هين ليّن
سهل. رواه الترمذي وقال حديث حسن. وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضي الله عنهم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلايق نادا مناد اين اهل الفضل. قال فيقوم
ناس وهم يسير. فينطلقون سراعا الى الجنة. فتلقاهم الملايكة. فيقولون انا نراكم سراعا الى
الجنة فمن انتم. فيقولون نحن اهل الفضل. فيقولون وما فضلكم. فيقولون كنا اذا ظلمنا
صبرنا. واذا اسيء الينا حلمنا. فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين. رواه الاصبهاني.
وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف
شيا ولو ان تلقى اخاك بوجه طليق. وعن الحسن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان من الصدقة ان تسلم على الناس وانت طليق الوجه. رواه ابن ابي الدنيا. وعن جابر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة. وان من المعروف ان
تلقى اخاك بوجه طلق. وان تفرغ من دلوك في اناء اخيك. رواه الترمذي. وقال حديث حسن صحيح.
وعن ابي جري الهجيمي رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
انا قوم من اهل البادية فعلمنا شيا ينفعنا الله به. قال لا تحقرن من المعروف شيا ولو ان
تفرغ من دلوك في اناء المستسقي. ولو ان تكلم اخاك ووجهك اليه منبسط. واياك واسبال
الازار. فانه من المخيلة. ولا يحبها الله. وان امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما
تعلم فيه. فان اجره لك. ووباله على من قاله. رواه ابو داود والترمذي. وقال حديث حسن
صحيح. وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار
ولو بشق تمرة. فمن لم يجد فبكلمة طيبة. رواه البخاري ومسلم. وعن المقدام بن شريح
عن ابيه عن جده رضي الله عنهم قال قلت يا رسول الله حدثني بشي يوجب لي الجنة. قال موجب الجنة
اطعام الطعام. وافشا السلام. وحسن الكلام. رواه الطبراني. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من
ظاهرها. فقال ابو مالك الاشعري لمن هي يا رسول الله. قال لمن اطاب الكلام. واطعم الطعام.

وبات قائما والناس نيام رواه الطبراني والحاكم رحمهما الله والاحاديث في هذا الباب كثيرة والله اعلم
وقوله تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكوة قال العلماء رضي الله عنهم لما امرهم الله
عز وجل بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده مما التزموا به اخبر عنهم انهم ما
وفوا بذلك بقوله تعالى ثم توليتم اي اعرضتم عن العهد الا قليلا منكم يعني من الذين امنوا
منهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد وانتم معرضون اي كاعراض ابائكم
وقد تقدم الكلام على معنى اقامة الصلاة وايتاء الزكوة في اول السورة بما فيه كفاية وسياتي ايضا
فيما ياتي بعد من ذكر الصلاة والزكاة ان شاء الله تعالى قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم
قال بعض العلماء هذا خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقال بعضهم
هو خطاب لاسلافهم وفيه تقريع لهم لا تسفكون دماءكم اي لا تسفك بعضكم دم بعض
وقيل معناه لا تسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم
فكانكم انتم سفكتم دماء انفسكم فان قيل وهل يسفك احد دمه ويخرج نفسه من
داره قيل له لما كانت ملتهم واحدة وامرهم واحدا وكانوا في الامر كالشخص الواحد
جعل قتل بعضهم لبعض واخراج بعضهم بعضا قتلا لانفسهم ونفيا لها وقيل
المراد القصاص اي لا يقتل احد فيقتل قصاصا فكانه سفك دمه وتقدم معناه وكذلك
لا يزنون ولا يرتدون فان ذلك يسيح الدم ولا يفسد فينفى فيكون قد اخرج نفسه من ديارهم
وهذا التاويل فيه بعد وان كان صحيح المعنى وذلك ان الله تبارك وتعالى قد اخذ على بني
اسرائيل في التوراة ميثاقا ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا سفيه ولا يسترقه ولا يخدعه
يسترق الى غير ذلك من الطاعات وهذا كله محرم علينا وقد وقع ذلك كله بالفتن فينا
فانا لله وانا اليه راجعون قال الله عز وجل او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض
وقال بعض العلماء وقد يجوز ان يريد به الظاهر ومعناه لا تقتل الانسان نفسه ولا
تخرج من داره سفها كما تفعل الهند انفسها او يقتل الانسان نفسه من جهد وبلاء
يصيبه او يهيم في الصحراء او لاواوي البيوت جهلا في دينه وسفها في حلمه من غير ان
يكون من اهل التصرف والولاية فهو عموم في جميع ذلك وقد روي ان عثمان بن مظعون

رضی الله عنه بایع فی عشره من اصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم فعزموا ان یلبسوا المسوح
وان یهیموا فی الصحرا ولا یاووا البیوت ولا یاکلوا اللحم والدسم ولا یغشوا النسا فبلغ ذلک
النبی صلی الله علیه وسلم فجا الی دار عثمان بن مظعون فلم یجده فقال لامراته ما حدث بلغنی
عن عثمن وکرهت ان تفشی سر زوجها وان تکذب رسول الله صلی الله علیه وسلم فقالت یا رسول
الله ان کان بلغک شی فهو کما بلغک فقال صلی الله علیه وسلم قولی لعثمان اخلاف لسنتی ام علی
غیر ملتی انی اصلی وانام واصوم وافطر واغشی النسا وآوی البیوت وآکل اللحم فمن رغب
عن سنتی فلیس منی فرجع عثمان واصحابه عما کانوا علیه فذلک قوله تعالی لا تسفکون
دمآکم ولا تخرجون انفسکم من دیارکم ای لا تخرج بعضکم بعضا من داره وقیل لا تفعلوا
شیا تخرجوا سببه من دیارکم ثم اقررتم ای بهذا العهد انه حق واعترفتم علی انفسکم بلزومه
وانتم تشهدون یعنی انتم یا معشر الیهود الیوم تشهدون علی ذلک یعنی علی اقرار اسلافکم
بهذا المیثاق ثم انتم هولآ یعنی یا هولا الیهود تقتلون انفسکم ای یقتل بعضکم بعضا وتخرجون
فریقا منکم من دیارهم ای لا تخرج بعضکم بعضا من دیارهم تظاهرون علیهم بالاثم والعدوان
ای تتعاونون علیهم بالمعصیة والظلم والاثم هو الفعل الذی یستحق علیه صاحبه الذم
والعدوان هو الافراط والتجاوز فیه وقرا اهل المدینه واهل مکه تظاهرون بالتشدید
وقرا الکوفیون تظاهرون بالتخفیف وقرا قتاده تظهرون علیهم وهذا کله راجع الی معنی
التعاون ومنه قوله تعالی وکان الکافر علی ربه ظهیرا وقوله والملایکه بعد ذلک ظهیر
وقوله تعالی وان یاتوکم اسارای تفدوهم یعنی یفدوهم بالمال وهو استنقاذهم بالشرا
وقری تفادوهم ای تبادلوهم وهو مفاداة الاسیر بالاسیر قال العلما والاسیر مشتق
من الاسار وهو القد الذی یشد به المحمل فسمی اسیرا لانه یشد وثاقه واما الاسر
فی قوله تعالی وشددنا اسرهم فمعناه الخلق واسرة الرجل رهطه لانه یتقوی بهم
وقوله تعالی وهو محرم علیکم اخراجهم قال بعض المفسرین فی الکلام تقدیم وتاخیر تقدیره
وتخرجون فریقا منکم من دیارهم تظاهرون علیهم بالاثم والعدوان وهو محرم علیکم اخراجهم
وان یاتوکم اسارای تفدوهم قال السدی رحمه الله ومعنی الایة ان الله عز وجل اخذ علی بنی

اسرآئل فی التوراة ان لا یقتل بعضهم بعضا ولا یخرج بعضهم بعضا من دیارهم وایما عبد
اوامة من بنی اسرآئل وجدتموه اسیرا فاشتروه مما قام من ثمنه فاعتقوه وکانت قریظة
حلفآء الاوس والنضیر حلفآء الخزرج وکان بین الاوس والخزرج حروب عظیمة فکانت
بنو النضیر تقاتل مع حلفآئهم وبنو قریظة تقاتل مع حلفآئهم فاذا غلب احد الفریقین
اخرجوهم من دیارهم واخربوها وکان اذا اسر رجل من الفریقین حملوا له حتی یفدوه
به فعیرتهم العرب وقالوا کیف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفدیهم وحرما
فقالوا کیف تقاتلونهم فقالوا انا نستحی ان یستذل حلفآؤنا فعیرهم الله عز وجل فقال
ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسکم وتخرجون فریقا منکم من دیارهم تظاهرون علیهم بالاثم والعدوان
وان یاتوکم اسارى تفدوهم وهو محرم علیکم اخراجهم قال العلمآء فکان الله عز وجل اخذ
علیهم اربعة ترک القتل وترک الاخراج وترک المظاهرة علیهم مع اعدآئهم وفدآء اسراهم
فاعرضوا عن کل ما امروا به الا الفدآء فقال الله عز وجل افتؤمنون ببعض الکتاب
وتکفرون ببعض قال العلمآء معناه ان وجدتموهم فی ید غیرکم فدیتموهم وانتم تقتلونهم
بایدیکم فکان ایمانهم الفدآء وکفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم سبحانه علی مناقضة
افعالهم لا علی الفدآء لانهم اتوا ببعض ما وجب علیهم وترکوا البعض قال الله عز وجل
فما جزآء من یفعل ذلک منکم یا معشر الیهود الا خزی فی الحیاة الدنیا ای عذاب وهوان
فکان خزی بنی قریظة القتل والسبی وخزی بنی النضیر الاجلآء والنفی من منازلهم الی
اذرعات واریحا من ارض الشام ویوم القیامة یردون الی اشد العذاب یعنی عذاب النار
وقال بعضهم اشد العذاب هو الذی لا روح فیه ولا فرج وقیل الی اشد من عذاب الدنیا
وما الله بغافل عما تعملون قال العلمآء وفی هذا وعید وتهدید اولئک الذین اشتروا ای
استبدلوا الحیاة الدنیا بالآخرة قال العلمآء وذلک لان الجمع بین لذات الدنیا والآخرة
غیر ممکن فمن اشتغل بتحصیل لذات الدنیا فاتته لذات الآخرة وقوله تعالی فلا یخفف
عنهم العذاب ای فلا یهون علیهم ولا هم ینصرون ای ولا یمنعون من عذاب الله تعالی
وقیل لا ینصرهم احد بالدفع عنهم والله تعالی اعلم قوله عز وجل ولقد آتینا موسی

الكتاب يعني التوراة جملة واحدة وقفينا اى واتبعنا والتقفية الاتباع والارداف
ماخوذ من اتباع القفا وهو موخر العنق تقول استقفيته اذا جيت من خلفه ومنه
سمي قافية الشعر لانها تتلو سائر الكلام وقوله تعالى من بعده اى من بعد موسى
بالرسل يعني رسولا بعد رسول قال العلما وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى
عليهما السلام متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض والشريعة واحدة وهذه الاية مثل قوله
تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترا وكل رسول جا بعد موسى فانما جا باثبات التورية والامر
بلزومها الى زمن عيسى عليه السلام وقال بعض العلما ان الرسل بعد موسى يوشع بن
نون واشمويل وداود وسليمان وارميا وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم
صلوات الله عليهم وكانوا يعملون ويحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله عيسى عليه السلام
فجاهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة فذلك قوله تعالى وآتينا عيسى بن
مريم البينات اى الحجج والدلالات الواضحات وهي المعجزات كاحيا الموتى وابرا الاكمه
والابرص والاخبار عن المغيبات وهي التي ذكرها الله عز وجل في سورة آل عمران والمايدة
وقوله تعالى وايدناه اي وقويناه وأعناه بروح القدس اختلف المفسرون في
روح القدس ما هو فقال الربيع بن انس وغيره هو الروح الذي نفخ فيه اضافة تعالى الى
نفسه تكريما وتخصيصا وتشريفا كما يقول عبد الله وامة الله وبيت الله وناقة الله وقال
ابن عباس وسعيد بن جبير روح القدس هو اسم الله الاعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى
ويري الناس تلك العجايب وقال ابن زيد هو الانجيل لان به حياة القلوب سماه روحا
كما سمى القران روحا بقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا الآية وروي عن
ابن عباس ومعمر وقتادة ان روح القدس هو جبريل عليه السلام وانشد حسان بن ثابت
وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء وقال بعضهم سمي جبريل روحا
واضيف الى القدس لانه كان بتكوين الله عز وجل له روحا من غير ولادة والد ولده
وكذلك سمي عيسى روحا لهذا وقال الحسن ومجاهد القدس هو الله عز وجل وروحه
جبريل عليه السلام وقال السدي القدس البركة وقد اعظم الله عز وجل بركة جبريل اذ

انزل وحيه الى انبيائه على لسانه. قال العلما وتاييد عيسى بجبريل هو انه كان قرينه
سير معه حيث ما سار وانه صعد به الى السما. وقال بعضهم سمى جبريل روحا للطافته
لانه روحانى خلق من النور. وقيل سمى روحا لمكانه من الوحى الذى هو سبب حياة القلوب.
وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لان الله تعالى قال وايدناه بروح القدس اى قويناه
بجبريل. وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث شا فلم يفارقه حتى صعد به
الى السما وتقدم هذا المعنى. وقال المفسرون لما سمعت اليهود يذكر عيسى قالوا للنبى صلى الله
عليه وسلم يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت. ولا كما تقص علينا من اخبار الانبيا فعلت
فاتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا. قال الله عز وجل افكلما جاكم يعنى يا معشر اليهود
رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم اى تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم يعنى مثل
عيسى وسيدنا محمد صلى الله عليهما وسلم وفريقا تقتلون يعنى مثل زكريا ويحيى وسائر من
قتلوه. وذلك ان اليهود كانوا اذا جاهم رسول بما لا يهوون كذبوه. فان تهيا لهم قتله
قتلوه. وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة فيها. قوله تعالى
وقالوا يعنى اليهود قلوبنا غلف قال المفسرون غلف بسكون اللام جمع اغلف. وهو الذى
عليه غشاوة فلا يفقه ولا يعى. وقال عكرمه غلف اى عليها طابع. وقال اهل اللغه يقال
غلفت السيف اذا جعلت له غلافا. ويقال قلب اغلف اذا كان مستورا عن الفهم والتمييز.
وقال بعضهم معنى قولهم قلوبنا غلف يعنى عليها غشاوة فلا تعى ولا تفقه ما تقول يا محمد.
وهذا قول مجاهد. ودليل قوله تعالى وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه. وقال الكلبى
يريدون قلوبنا اوعيه لكل علم فهى لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك يا محمد لا تعيه
ولا تعقله. فلو كان فى حديثك خير لفهمته ولوعته. وقال ابن عباس رضى الله عنهما قالت
اليهود قلوبنا ممتلية علما لا نحتاج الى علم محمد ولا غيره. وقال بعضهم غلف جمع غلاف.
ومعناه قلوبنا اوعيه للعلم فما بالها لا تفهم عنك وقد وعينا علما كثيرا. فرد الله عز وجل
عليهم بقوله بل لعنهم الله بكفرهم اى طردهم وابعدهم من كل خير. قال العلما وسبب
كفرهم انهم اعترفوا بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم

الله فقليلا ما يومنون اى لم يومن منهم الا قليل. لان من آمن من المشركين كان اكثر منهم.
وقال معمر لا يومنون الا بقليل مما فى ايديهم ويكفرون باكثره. وقال الواقدى لا يومنون
قليلا ولا كثيرا. قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله يعنى القران مصدق لما
معهم يعنى التوراة. وهذا التصديق فى صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. لان نبوته
وصفته ثابتة فى التوراة وكانوا يعنى اليهود من قبل يعنى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه
وسلم يستفتحون اى يستنصرون به على الذين كفروا يعنى مشركى العرب. قال العلماء والاستفتاح
هو الاستنصار. يقول استفتحنا اى استنصرت. وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستفتح بصعاليك المهاجرين اى يستنصر بدعائهم وصلاتهم. ومنه قوله فعسى الله ان
ياتى بالفتح اى بالنصر. وروى النسائى عن ابى سعد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال انما نصر الله هذه الامة بضعفتها بدعوتهم وصلاتهم واخلاصهم. وروى
النسائى ايضا عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ابغونى الضعيف فانكم انما ترزقون بضعفايكم. قال ابن عباس رضى الله عنهما كان
يهود خيبر تقاتل غطفان. فلما التقوا هزمت يهود. فعاذت يهود بهذا الدعاء. وقالوا
اللهم انا نسالك بحق النبى الامى الذى وعدتنا ان تخرجه لنا فى آخر الزمان الا نصرتنا عليهم.
قال فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان. فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم
كفروا. فانزل الله عز وجل وكانوا اى اليهود يستفتحون على الذين كفروا يعنى بك يا محمد
الى قوله فلعنة الله على الكافرين. وقال بعض المفسرين ايضا كان اليهود اذا حزبهم امر او
دهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبى المبعوث فى اخر الزمان الذى نجد صفته فى
التورية. فكانوا ينصرون. وكانوا يقولون لاعدايهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج نصدقه
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم. قال الله عز وجل فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اى
جحدوه وانكروه بغيا وحسدا. قال العلماء معنى قوله تعالى فلما جاءهم يعنى سيدنا محمدا صلى الله عليه
وسلم من غير بنى اسرائيل وعرفوا نعته وصدقه كفروا به بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين
اى سخط الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم يعنى بئس الذى اختاروا لانفسهم حين استبدلوا

الباطل بالحق والكفر بالايمان. واشتروا معنى باعوا. والمعنى بئس ما باعوا به حظ انفسهم
ان يكفروا بما انزل الله يعني القران بغيا اى حسدا. وهذا قول قتاده والسدى. وهو ماخوذ
من قولهم قد بغى الجرح اذا فسد. وقال بعضهم اصل البغى الطلب. ولذلك سميت الزانية بغيا.
وقوله تعالى ان ينزل الله من فضله يعني الكتاب والنبوه على من يشآء من عباده يعني
سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فباءو اى رجعوا بغضب على غضب اى مع غضب. قال
ابن عباس رضى الله عنهما الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها. والغضب الثانى بكفرهم
بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وقال قتاده الغضب الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثانى
بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقران. وقيل الغضب الاول بعبادتهم العجل. والثانى بكفرهم
بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وقال قوم المراد التابيد وشره الحال عليهم لانه اراد غضبين
مطلقين بقصتين وللكافرين عذاب مهين قال العلما معناه وللجاحدين نبوه سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب مهين اى يهانون فيه ولا يعزون. قال المفسرون ومهين
ماخوذ من الهوان. وهو ما اقتضى الخلود فى النار ابدا. وهذا بخلاف خلود العصاه من
المسلمين فان ذلك يمحيص لهم وتطهير. وذلك كرجم الزانى وقطع السارق. فانه تطهير وتمحيص
وكفاره على ما ياتى بيانه فى سوره النسآ من حديث ابى سعيد الخدرى ان شا الله. قوله تعالى
واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعني بالقران. وقيل بكل ما انزل الله قالوا نومن بما انزل
علينا يعنون التوراة وما انزل على انبيايهم ويكفرون بما وراه اى بما سواه من الكتب. وقيل
ما بعده يعني الانجيل والقران. وهذا قول الفرا وقتادة وهو الحق يعني القران مصدقا لما
معهم يعني التوريه قل اى قل لهم يا محمد فلم تقتلون انبيآ الله من قبل قال العلما هذا
رد من الله عز وجل عليهم فى قولهم انهم امنوا بما انزل عليهم. وتكذيب منه لهم وتوبيخ له
ومعناه كيف قتلتم وقد نهيتم عن ذلك. وهذا الخطاب لمن حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اليهود. والمراد اسلافهم. وانما يوجه الخطاب لابنايهم لانهم كانوا يتولون اولئك الذين
قتلوا. كما قال تعالى ولو كانوا يومنون بالله والنبى وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء. فاذا
تولوهم فهم منزلتهم. وقيل لانهم رضوا فعلهم فنسب ذلك اليهم. قال العلما اذا عملت

المعصية فى الارض فمن كرهها وانكرها برئ منها ومن رضيها كان من اهلها، وقوله تعالى
ان كنتم مومنين يعنى ان كنتم معتقدين الايمان فلم رضيتم قتل الانبياء وقيل ان كنتم مومنين
بالتوراة وفيها انكم نهيتم عن قتل الانبياء والله اعلم قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى
بالبينات قال العلماء اللام لام القسم، والبينات هى الدلالات الواضحات، والعلامات الواضحات،
والمعجزات الباهرات كالعصا واليد البيضاء والسنون والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع
وفلق البحر، وقيل البينات هى التوريه وما فيها من الدلالات، قال الله عز وجل ثم اتخذتم العجل
من بعده اى من بعد موسى لما ذهب الى الميقات، قال العلماء وهذا توبيخ وتقريع بليغ، لانه ذكر
اتى فيه بثم التى هى ابلغ من الواو وفى التقريع، والمعنى انكم اتخذتم العجل بعد النظر فى الايات
والايقان بما اتخذتم، وهذا يدل على انهم انما فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر فى الآيات،
وذلك اعظم لجرمهم، وقوله تعالى وانتم ظالمون قال العلماء انما كرره تبكيتا لهم، وتاكيدا
للحجة عليهم، والله اعلم قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا تقدم تفسير هذا، ومعنى قوله واسمعوا اى اطيعوا فيما
امرتم به، وليس معناه الامر بادراك القول فقط، وانما المراد اعملوا بما سمعتم والتزموه،
ومنه قوله سمع الله لمن حمده اى قبل واجاب، قال الشاعر
دعوت الله حتى خفت ان لا يكون الله يسمع ما اقول، اى يقبل، وقال آخر
والسمع والطاعة والتسليم خير واعفى لبنى تميم، وقوله تعالى حاكيا عنهم قالوا
سمعنا وعصينا يعنى سمعنا قولك وعصينا امرك، وقيل انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم، ولكن
لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم، وهذا قول اهل المعانى، قال الله
عز وجل واشربوا فى قلوبهم العجل اى حب العجل، ومعناه تداخل حبه فى قلوبهم والحرص
على عبادته كما تتداخل الصبغ فى الثوب، قال العلماء وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن امر
العجل فى قلوبهم، وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تعرض الفتن على القلوب كالحصير
عودا عودا، فاى قلب اشربها نكت فيه نكتة سوداء الحديث اخرجه مسلم، ويقال اشرب قلبه
حب كذا، قال الشاعر فصحونت عنها بعد حب داخل، والحب يشربه فواد كالدوا

قال العلما انما عبر سبحانه عن حب العجل بالشرب دون الاكل لان شرب الما تتخلل في الاعضا حتى يصل الى باطنها والطعام مجاولها وغير متخلل فيها وقد زاد على هذا المعنى احد التابعين فقال في زوجته عثمة وكان عتب عليها في بعض الايام فطلقها وكان محبا لها

قال تخلل حب عثمة في فوادي ... فبادية مع الخافي يسير

تخلل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور

اكاد اذا ذكرت العهد منها ... اطير لو ان انسانا يطير

وقال ابن جريج والسدي ان موسى عليه السلام برد العجل وذراه في الهوا وفي اليم اي البحر وامرهم ان شربوا من ذلك الما فشرب جميعهم فمن كان يحب العجل خرجت برادة الذهب على شفتيه وروي انه ما شرب منه احد الا جن حكاه القشيري قال بعض العلما اما تذريته في البحر فقد دل عليه قوله تعالى ثم لننسفنه في اليم نسفا واما شرب الما وظهور البرادة على الشفاه فيرده قوله تعالى في قلوبهم قال الخرنوبي وفائدة تكرار ذكر الميثاق وقصة الجبل والعجل لاتصال كل اية بقرينه ليست في الاخرى وقوله تعالى بكفرهم اي بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه قل بيس ما يامركم به ايمانكم ان تعبدوا العجل العجل من دون الله قال العلما بيس ما امركم به ايمانكم الذي زعمتم في قولكم نؤمن بما انزل علينا وهو التوريه وليس في التوريه عباده العجل وقال بعضهم هذا الكلام خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامر بتوبيخهم ومعناه قل لهم يا محمد بيس هذه الاشيا التي فعلتم وامركم بها ايمانكم وهذا تهكم بهم وقوله تعالى ان كنتم مومنين يعني بزعمكم وذلك انهم قالوا نومن بما انزل علينا كما تقدم فكذبهم الله عز وجل وهذا القول شكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم والله تعالى اعلم بمراده قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين قال المفسرون سبب نزول هذه الاية ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة حكاها الله عز وجل عنهم في كتابه العزيز كقوله كقولهم تعالى وقالوا لن يمسنا النار الا اياما معدودة وقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقوله تعالى وقالوا نحن ابنا الله واحباوه فكذبهم الله عز وجل والزمهم

اكجه فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اى قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الآخرة
يعنى الجنة خالصة اى خاصة لكم من دون الناس فتمنوا الموت اى فاطلبوه واسألوه
لان من علم ان الجنة ماواه وانها له حق اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوا
بالتمنى ان كنتم صادقين فى قولكم محقين فى دعواكم لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها
تخلصا من الدار ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرة بالجنة ان كل واحد منهم كان يحب
الموت ويحن اليه رضى الله عنهم ومن اعتقد انه من اهل الجنة كان الموت احب اليه من الحياة
فى الدنيا وذلك لما يصير اليه من نعيم الجنة ويزول عنه من اذى الدنيا ولما اخبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليهود بهذا احجموا عن تمنى الموت فرقا من الله تعالى لقبح اعمالهم ومعرفتهم
بكفرهم فى قولهم بحن ابنا الله واحباؤه اى كفوا وحرصهم على الدنيا ولهذا قال الله تعالى مخبرا عنهم
بقوله الحق ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم يعنى من الاعمال السيئة بحقها لكذبهم
وايضا لو تمنوا الموت لماتوا جميعا ورأوا مقاعدهم من النار ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقى على وجه
الارض يهودى الا مات وقال بعضهم ان الله تبارك وتعالى صرفهم عن اظهار التمنى وقصرهم
على الامساك ليجعل ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما
فى قوله تعالى فتمنوا الموت اى ادعوا الموت على اكذب الفريقين منا ومنكم فامتنعوا لعلمهم
بكذبهم قال صاحب الكشاف لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة
الوصول الى النعيم والتخلص من الدار دار الشوايب كما رُوى عن المبشرين بالجنة كما تقدم وكما
رُوى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه كان يطوف فى القتال بين الصفين فى غلالة فقال له
ابنه الحسن رضى الله عنه ما هذا بزى المحاربين فقال يا بنى لا يبالى ابوك على الموت سقط او على
سقط الموت ورُوى عن حذيفة رضى الله عنه انه كان يتمنى الموت فقال لما حضره الموت حبيب
جاء على فاقة لا افلح من ندم يعنى على التمنى وقال عمار بن ياسر رضى الله عنه يوم صفين الآن
القى الاحبة محمدا وحزبه وقيل لاعرابى انك تموت فقال والى اين اذهب فقالوا الى الله
عز وجل قال ما اكره ان اذهب الى من لم ار الا خيرا الا منه ورُوى عن مالك بن مغول رضى الله عنه

قال للغني ان اول سرور يدخل على المومن الموت لما يرى من كرامة الله عز وجل. وروى ان
ابرهيم عليه السلام لما جاه ملك الموت لقبض روحه. قال له ابرهيم هل رايت خليلا تقبض روح
خليله. فاوحى الله اليه هل رايت خليلا يكره لقا خليله. قال فاقبض روحي الساعة. وقال
سفيان الثوري رحمة الله عليه ينبغي لمن كان له عقل اذا اتى عليه عمر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يهيي كفنه. ويروى ان هرم بن حيان قال لاويس القرني اوصني. قال له توسد الموت
اذا نمت. واجعله نصب عينيك اذا قمت. وروى عن حاتم الاصم رحمة الله عليه انه كان
يقول ما من صباح الا ويقول لي الشيطان ما تاكل. وما تلبس وان تسكن. فاقول له اكل الموت.
والبس الكفن واسكن القبر. وقال الغزنوي وفي الآية دلالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وذلك ان الله تعالى اخبر ان اليهود لا يتمنونه ابدا. وفي ذلك اعجاز القران عما يعتادونه
من قبيل كوضع اليد على الراس ونحو ذلك. وهذا كما ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا نصارى
نجران الى المباهلة كما قال الله عز وجل له فمن حاجك فيه من بعد ما جاك من العلم فقل
تعالوا ندع ابنانا وابناكم ونسانا ونساكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل. فلم يباهلوه وامتنعوا
خوفا من الهلاك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله لو باهلوني لاضطرم عليهم الوادي
نارا. وفي بعض الاخبار لو باهلوا لهلكوا كلهم حتى العصافير في سقوفهم. وقال الغزنوي
ايضا ومما يويد هذه الدلالة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان ترك اليهود
تمني الموت لا يخلوا من احد امرين اما ان تركوه لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم نبي وانهم
لو تمنوا الموت لماتوا. اولان الله تعالى وفقهم الى ترك تمني الموت وعجزهم عن ذلك.
قال العلما وانما اضاف الله عز وجل العمل الى اليد بقوله بما قدمت ايديهم لان جنايات الانسان
اكثرها تكون بيده. فان قيل فالتمني يكون باللسان تارة وبالقلب اخرى. فمن اين علم انهم لم
يتمنوه بقلوبهم قيل له نطق القران العظيم بذلك في قوله تعالى ولن يتمنوه. ولو تمنوه
لاظهروه بالسنتهم ردا على النبي صلى الله عليه وسلم وابطالا لحجته. وهذا بين. وقوله
تعالى والله عليم بالظالمين قال العلما في هذا تخويف وتهديد لهم. وانما خصهم بالظلم لانه
اعم من الكفر. لان كل كافر ظالم. وليس كل ظالم كافرا. فلهذا كان اعم. وكانوا اولى به. والله اعلم.

زيادة

قوله تعالى ولتجدنهم يعني اليهود والام لام القسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد احرص الناس على حياة اى حياة متطاولة والحرص اشد الطلب قال العلماء وانما كانت اليهود احرص من العرب على طول الحياة لما قد علموا انهم افسدوا اخرتهم بالكفر بسبب محمد صلى الله عليه وسلم وانهم صايرون الى النار فلهذا احبوا طول الحياة لان هذه الدنيا جنتهم وقوله تعالى ومن الذين اشركوا اى واحرص من الذين اشركوا وهذا متصل بما قبله ومعطوف عليه فان قيل الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس فى قوله احرص الناس فلم افردهم بالذكر قيل له افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يومنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزا كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استيناف تقديره ومن الذين اشركوا اناس يود احدهم وهم المجوس لو يعمر الف سنة وذلك لان المجوس يقولون بالنور والظلمة وكانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو قول الاعاجم هزار سال وقيل الذين اشركوا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله وقوله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة قال العلماء هذا بيان لزيادة حرصهم والمعنى يتمنى احدهم تعمير الف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود وقيل لانها تخته المجوس فما بينهم يقولون زه هزار سال اى عش الف سنة او الف نيروز او الف مهرجان فهذه تحيتهم ومعنى الآية ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك وقوله تعالى وما هو بمزحزحه اى بمباعده من العذاب اى من النار والزحزحة الابعاد والتنحية يقال زحزحته فتزحزح اى باعدته فتباعد ويكون لازما متعديا قال الشاعر فى المتعدى

يا قابض الروح من نفس اذا احتضرت ... وغافر الذنب زحزحنى عن النار

وقال آخر فى اللازم

خليلى ما بال الدجا لا يتزحزح ... وما بال ضوء الصبح لا يتوضح

وروى النسائى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من صام يوما فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفا وقوله تعالى ان يعمر معناه لو عمر طول عمره لاستقله من العذاب والله بصير بما يعملون اى لا تخفى عليه خافية من اعمالهم فيجازيهم بها وقيل

وقيل والله بصير بما يعمل هولا الذين يود احدهم ان يعمر الف سنة ۝ قال العلما رضي الله عنهم
ان الله تبارك وتعالى وصف نفسه بانه بصير على معنى انه عالم بخفيات الامور ۝ والبصير في
كلام العرب هو العالم بالشي الخبير به ۝ ومنه قولهم فلان بصير بالطب ۝ بصير بالفقه وبصير
بمعلاقاه الرجال ۝ وقال الشاعر ۝

وان تسالوني بالنسا فانني بصير بأدواء النسا طبيب ۝ ۝ وقال الخطابي البصير هو العالم ۝
والبصير ايضا هو المبصر ۝ وقيل وصف سبحانه وتعالى نفسه بانه بصير على معنى جاعل
الاشيا المبصره ذوات ابصار يعني مدركه للمبصرات بما خلق لها من الآلة المدركه والقوة ۝
فالله تعالى بصير بعباده اى جاعل عباده مبصرين ۝ والله اعلم ۝ قوله عز وجل
قل من كان عدوا لجبريل الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما سبب نزول هذه الآية الكريمة
ان حبرا من احبار اليهود يقال له عبد الله بن صوريا حاج النبي صلى الله عليه وسلم وساله
عن اشيا فلما توجهت الحجه عليه قال يا محمد اى ملك يا تيك من السما قال صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه السلام ولم يبعث الله عز وجل نبيا الا وهو وليه ۝ فقال ابن صوريا ذلك عدونا
من الملايكه ولو كان يا تيك ميكائيل مكانه لآمنا بك وصدقناك ۝ وذلك ان جبريل ينزل بالشده
والعذاب والخسف والقتل وانه عادانا امرارا كثيره ۝ وكان اشد عداوته علينا ان الله تبارك
وتعالى انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بخت نصر ۝ فاخبرنا الوقت
الذي يخرب فيه ۝ فلما كان وقته بعثنا رجلا من اقوينا بني اسرآيل الى بخت نصر ليقتله فانطلق
يطلبه حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا ليست له قوة فاخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبريل
وقال لصاحبنا ان كان ربكم هو الذي اذن بهلاكهم وامره بذلك فلن تسلط عليه ۝ وان لم
يكن هو فعلى اى حق تقتله ۝ فصدقه صاحبنا ورجع الينا ۝ فلما كبر بخت نصر وقوى غزانا
وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا ۝ فانزل الله عز وجل هذه الايه ۝ وقيل ان اليهود قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى امر جبريل ان يجعل النبوه فينا فجعلها في غيرنا يعنون العرب
فاتخذناه عدوا ۝ وقال قتادة وعكرمة والسدي في سبب نزولها ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان له ارض بالعالي المدينة وكان ممره اليها على مدراس اليهود ۝ وكان عمر اذا اتى ارضه يجلس اليهم

ويستمع منهم ويكلمهم. فقالوا له يوما يا عمر ما في اصحاب محمد احب الينا منك. واذا اصحاب
محمد يمرون بنا ويوذوننا وانت لا توذينا وانا لنطمع فيك. فقال لهم عمر رضي الله عنه
والله ما آتيكم لحبكم. ولا اسالكم لانى شاك في ديني. وانما ادخل اليكم لازداد بصيرة في امر
سيدي محمد صلى الله عليه وسلم واترى اثاره في كتابكم. فقالوا من صاحب محمد الذي يأتيه
من الملايكة. قال لهم صاحبه جبريل عليه السلام. فقالوا ذاك عدونا. وهو الذي يطلع محمدا
على اسرارنا. وهو صاحب كل عذاب وخسف وقحط وشدة. وان ميكايل يجي بالخصب والسلامة.
فقال لهم عمر رضي الله عنه تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم. قالوا نعم. قال
فاخبروني عن منزلة جبريل وميكايل من الله تعالى. قالوا جبريل عن يمينه. وميكايل عن يساره.
وميكايل عدو لجبريل. فقال عمر رضي الله عنه فاني اشهد ان من كان عدو الجبريل فهو عدو
لميكايل. ومن كان عدو الميكايل فهو عدو لجبريل. ومن كان عدوا لهما كان الله عز وجل
عدوا له. ثم رجع عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي.
فقرا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية. وقال له صلى الله عليه وسلم لقد وافقك
ربك يا عمر. فقال عمر رضي الله عنه والله لقد رايتني بعد ذلك في دين الله اوقال في ديني اصلب
من الحجر. قال الله عز وجل تصديقا لعمر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قل اي قل يا محمد
من كان عدوا لجبريل اي مبغضا له. قال العلما جبريل اسم اعجمي لا ينصرف. وفيه ثلاث لغات.
الاولى فتح الجيم وكسر الراء الثانى فتح الجيم والرا والهمزة مع الاشباع. الثالث كسر الجيم والرا
بلا همز. وهو الاكثر. والمانع له من الصرف التعريف والعجمة. ومعناه عبد الله. لان جبر
هو العبد بالسريانية. وايل هو الله عز وجل. وكذلك ميكائل. والدليل على هذا ما روى عن
معوية بن رفعه قال انما جبريل وميكايل كقولك عبد الله وعبد الرحمن. وقيل جبريل ماخوذ
من جبروت الله. وميكائل من ملكوت الله. وقوله تعالى فانه يعني جبريل نزله يعني
القران. وهو كناية عن غير مذكور. وقيل معناه فان الله نزل جبريل. واضمار ما لم يسبق ذكره
كنحو هذا الاضمار مشعر بالتفخيم حيث تجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه. ويكتفى عن اسمه
الصريح بذكر شي من صفاته. والله اعلم وقوله على قلبك اي حفظه اياك يا محمد. قال العلما

رضی الله عنهم خص الله تعالی القلب لانه محل الحفظ كقوله نزل به الروح الامين على قلبك وقيل
على عقلك وكان حق الكلام ان يقول فانه نزله على قلبي ولكن جاز على حكاية كلام الله عز وجل
كما تكلم به قال العلما وانما استقام ان يقع قوله فانه نزله جزا للشرط لان تقديره ان
عادى جبريل احدا من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه
فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له ما صنعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم وقوله
باذن الله اى بامر الله ويا تى ايضا بمعنى علمه مصدقا لما بين يديه اى لما قبله من الكتب
وهدى وبشرى للمومنين اى في القران هداية للمومنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب
عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتوا بها وفي هذا رد على اليهود حين قالوا ان جبريل
ينزل بالحرب والشدة فقيل وانه ينزل بالهدى والبشرى ايضا ثم قال عز وجل من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال قال المفسرون لما بين الله عز وجل في الاية
الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقران على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وجب ان يكون عدوا لله لان الله تعالى هو الذي نزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فبين تعالى
في هذه الاية ان كل من كان عدوا لاحد هولاء فانه عدو لجميعهم وبين ان الله تعالى عدوه
بقوله فان الله عدو للكافرين فاما عداوتهم لله تعالى فانها لا تضره ولا تو ثر وعداوة
الله تعالى لهم تو ديهم الى العذاب الاليم الذي لا ضرر اعظم منه وقال بعضهم المراد من
عداوتهم لله تعالى عداوة اوليايه واهل طاعته وقوله تعالى وملائكته ورسله يعني ان من
عادى واحدا من هولاء فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم فان قيل
لم خص الله تعالى جبريل وميكايل بالذكر وان كان ذكر الملائكه قد عمهما قيل له انما
خصهما بالذكر وان كانا داخلين في جملة الملائكه لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم
جبريل على ميكايل لفضله عليه ولان جبريل عليه السلام ينزل بالوحي الذي هو غذا الارواح
وميكايل ينزل بالقطر الذي هو سبب غذا الابدان وفي ميكايل ست لغات الاولى ميكائيل
وهي قراءة نافع الثانية ميكاييل بيا بعد الهمزة وهي قراءة حمزة وميكالَ وهي قراءة ابي عمرو
وحفص عن عاصم وهي لغة اهل الحجاز وروي عن ابن كثير اللغات الاوجه وانشد لعبد بن مالك

ويوم بدر لقتنا كم لنا مدد فيه مع النصر ميكال وجبريل ٥ وقال آخر
عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبريل وكذبوا ميكالا ٥ اللغة الرابعة ميكئيل
مثل ميكعل وهي قراءة ابن محيصن اللغة السادسة ميكايل بياآن وهي قراءة الاعمش بخلاف
عنه اللغة الخامسة ميكاآل كما يقال اسرآل بهمزة مفتوحة وهو اسم اعجمي فلذلك
لم ينصرف وذكر ابن عباس ان جبر وميكا واسراف كلها بالاعجمية بمعنى عبد ومملوك
وايل هو اسم الله تعالى ومنه قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع سجح مسيلمة
الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من إل وقال الله عز وجل لا يرقبون في مومن الا ولا
ذمة في احد الثاء ولين وساني سانه وقال الماوردي ان جبريل ومكاسل اسمان احدهما
عبد الله والآخر عبيد الله لان ايل هو الله عز وجل وجبر هو عبد وميكا هو عبد ايضا فكان
جبريل عبد الله ومكاسل عبيد الله وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وروي عن عايشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم رب جبريل ومكاسل واسرافيل
اعوذ بك من حر النار وعذاب القبر والله تعالى اعلم ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
ولقد انزلنا اليك آيات بينات قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا جواب لابن صوريا حيث قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جيتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من اية بينة فنتبعك
لاجلها فانزل الله عز وجل ولقد انزلنا اليك آيات بينات اي واضحات مفصلات بالحلال
والحرام والحدود والاحكام وما يكفر بها الا الفاسقون يعني وما يجحد بهذه الايات الا
الخارجون عن طاعتنا وما امروا به ثم قال عز من قايل اوكلما عاهدوا عهدا نبذه
فريق منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم
من العهود في النبي محمد صلى الله عليه وسلم وان يومنوا به قال مالك بن الصيف ونقال فنه
ابن الصيف قال والله ما اخذ علينا عهد في كتابنا ان نومن بمحمد قط ولا ميثاق فانزل الله
تعالى هذه الاية وقال بعض العلما ان اليهود عاهدوا ان ظهر محمد لنومنن به ولنكونن معه
على مشركي العرب فلما بعث كفروا به وقال عطا هي العقود التي كانت بين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير بدليل قول الله تعالى الذين

عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون قال العلماء في قوله عز وجل
اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق اي طرح العهد ونبذه فريق من اليهود والواو في قوله او
كلما واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام كما تدخل على الفا في قوله افحكم الجاهلية
افانت تسمع الصم افتتخذونه وذريته وعلى ثم في قوله اثم اذا ما وقع وهذا قول سيبويه
وهو الصحيح وهذا الاستفهام هو استفهام انكار وعهدهم الذي عاهدوه هو قولهم قد
اظل زمان نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها
والنبذ هو الطرح والالقاء ومنه النبيذ والمنبوذ وقال الشاعر ٥
ان الذين امرتهم ان يعدلوا نبذوا كتابك واستحل المحرم قال العلماء وهذا مثل يضرب
لمن يستخف بالشيء فلا يعمل به تقول العرب اجعل هذا خلف ظهرك واجعله دبر امنك وتحت
قدمك اي اتركه واعرض عنه ومنه قوله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا وقوله تعالى
بل اكثرهم لا يومنون يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق
ثم قال تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله يعني سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق
لما معهم اي مصدق لصحة التوراة وبنبوة موسى عليه السلام وقيل ان التوراة بشرت
بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان محمد مبعثه مصدقا
للتوراة وقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم قال
السدي نبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحرها اروت وماروت وقال سفين بن
عيينة انهم ادرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها وقيل كانوا يقرونها
ولا يعملون بما فيها وقيل اراد سبحانه بالكتاب القران والاقرب انه اراد به التوراة لان
النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقران وقوله تعالى كانهم لا يعلمون يعني
انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله
عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان
اولئك النفر القليل والله اعلم ٥ قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني ان اليهود
نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين ومعنى تتلوا اي تقرا من التلاوة وقيل معناه

تفترى وتكذب على ملك سليمان وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك
سليمان اى على عهده وزمانه وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على
لسان آصف هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ودفنوه تحت كرسيه وقيل
تحت مصلاه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل ان بنى اسرآئيل اشتغلوا
بتعلم السحر فى زمان سليمان عليه السلام فمنعهم من ذلك واخذ كتبه ودفنها تحت كرسيه
فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما صلحآء
بنى اسرآئيل وعلمآؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله ان يكون هذا من علم سليمان واما
السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان فاقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيآئهم وفشت
الملامة لسليمان عليه السلام فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه
وسلم وانزل عليه براءة سليمان فقال عز من قآئل واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك
سليمان يعنى بالسحر ولم يعمل به فان السحر كفر قال العلماء وفى هذا تنزيه الله تعالى سليمان عليه السلام عن السحر وذلك ان اليهود انكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وتسخير
له الجن والانس بسبب السحر وقيل ان السحرة من اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان
عليه السلام فبراه الله عز وجل عن ذلك وقال محمد بن اسحق لما ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم سليمان فى المرسلين قال بعض احبار اليهود الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا
والله ما كان الا ساحرا فانزل الله عز وجل فانزل الله عز وجل وما كفر سليمان يعنى ان كون سليمان
نبيا بينا فى كونه ساحرا كافرا ثم بين تعالى ان الذى براه منه لاحق بغيره فقال عز من قآئل
ولكن الشياطين كفروا يعنى ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا فاثبت سبحانه كفرهم
بتعلم السحر ثم بين تعالى سبب كفرهم بقوله يعلمون الناس السحر يعنى ما كتب لهم
الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعنى اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا
قال العلماء رضى الله عنهم وسمى السحر سحرا لخفآء سببه ولانه يفعل فى خفية وقيل معنى
السحر الازالة وصرف الشى عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا اى ما صرفك عنه فكان
الساحر لما أرى الباطل فى صورة الحق فقد سحر الشى عن وجهه اى صرفه هذا اصله

وما كفر سليمان؟

اللغة ۰ واما حقيقته فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل ۰ وقال بعضهم اصله
التمويه بالخيل والتخاييل ۰ وهو ان يفعل الساحر اشيا ومعانى فيخيل للمسحور انها بخلاف
ما هى به كالذى يرى السراب من بعيد فيخيل اليه انه ماء غمر ما رآه ۰ واخلف ما رجاه ۰ وكراكب
السفينة السايرة سيرا حسنا يخيل اليه ان ما يرى من الاشجار والجبال سايره معه ۰ وقال
بعضهم السحر هو العلم والحذق بالشئ قال الله عز وجل وقالوا ايها الساحر ادع لنا ربك ۰ وقال
بعضهم اصله الاستمالة ۰ وكل من استمالك فقد سحرك ۰ وقال بعضهم فى قوله بل نحن قوم مسحورون
اى سحرنا فازلنا بالتخييل عن معرفتنا ۰ وقال الجوهرى السحر الاخذ ۰ وكل ما لطف ماخذه
ودق فهو سحر ۰ ويقال سحره يسحره سحرا ۰ والساحر العالم ۰ وسحره ايضا بمعنى خدعه ۰
وقال ابن مسعود رضى الله عنه كنا نسمى السحر فى الجاهلية العضه ۰ والعضه عند العرب
هو شرة البهت وتمويه الكذب ۰ قال الشاعر ۰

اعوذ برتى من عضه العاضه المعضه ۰ واختلف العلما رضى الله عنه هل للسحر
حقيقة ام لا ۰ فذكر الغرنوى فى عيون المعانى له ان السحر عند المعتزله خدع لا اصل له ۰
ومذهب اهل السنة ان له وجود وحقيقة والعمل به كفر ۰ وذلك اذا اعتقد ان الكواكب
هى المؤثره فى قلب الاعيان ۰ وروى عن الامام الشافعى انه قال ان السحر وسوسة وامراض او
قال تخييل وتمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به ۰ وسياتى خلاف العلما فى ذلك ۰ وقيل
ان السحر يؤثر فى قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب ۰ وقد
يطير الساحر فى الهوا ۰ وهذا ضعيف عند اهل السنة ۰ قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل
لهذه الاشيا عند عمل الساحر لذلك ۰ لا ان الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها ۰ والاصح
ان السحر تخييل ويؤثر فى الابدان بالامراض والجنون والموت والموت ۰ والدليل على ذلك
ان للكلام تاثيرا فى الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحمر ۰ وقد مات قوم بكلام سمعوه ۰
فالسحر يمتزله الحلل فى الابدان ۰ وسياتى بيان هذا مفصلا وبيان احكامه ۰ قال بعض العلما
ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذه ۰ وقال ابن فارس فى كتاب المجمل الشعوذه ليست
من كلام اهل البادية وهى خفة فى اليدين واخذة كالسحر ۰ ومنه ما يكون كلاما يحفظ ۰

ورقى من اسمآ الله عز وجل. وقد يكون من عهود الشياطين. ويكون ادوية وادخنة وغير
ذلك. والله اعلم ٥ قال العلمآ رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى الفصاحة فى
الكلام واللسانة فنه سحرا فقال ان من البيان سحرا. قال العلما وذلك لان فنه تصويب الباطل
حتى يتوهم السامع انه حق. فعلى هذا يكون قول النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا
خرج مخرج الذم للبلاغة والفصاحة اذ شبههما بالسحر. وقيل انه خرج مخرج المدح
للبلاغة والتفصيل للبيان. وهذا قول جماعة من اهل العلم. والقول الاول اصح بدليل
قول النبى صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض. وقوله ان ابغضكم
الى الثرثارون المتفيهقون. قال العلما الثرثرة كثرة الكلام وترديده. يقال ثرثر الرجل
فهو ثرثار اى مهذار. والمتفيهق مثله. قال ابن دريد يقال فلان يتفيهق فى كلامه اذا
توسع فيه وتنطع. قال واصل التفيهق الفهق وهو الامتلآ كانه ملا به فمه ٥ وبهذا
المعنى الذى ذكرنا فسره عامر الشعبى وصعصعة بن صوحان فقال اما قوله صلى
الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا فهو ان الرجل يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب
الحق فيسحر الحاكم والقوم ببيانه فيذهب بالحق. والحال ان الحق يكون عليه لازما له. وانما
يحمد العلمآ البلاغة واللسانة ما لم يخرج الى حد الاطناب والاسهاب وتصوير الباطل فى
صوره الحق. وهذا بين والحمد لله ٥ قال العلمآ ومن السحر ما يكون كفرا من فاعله مثل
ما يدعون من تغيير صور الناس واخراجهم فى هيئة بهيمة. وقطع مسافة شهر فى ليلة.
والطيران فى الهوآ. فكل من فعل هذا ليوهم الناس انه محق فذلك كفر منه. قال ابو نصر
عبد الرحيم القشيرى قال ابو عمرو ومن زعم ان الساحر يقلب الحيوان من صورة الى صورة
فيجعل الانسان حمارا ونحوه ويقدر على نقل الاجسام وهلاكها وتبديلها فهو يرى
قتل الساحر لانه كافر بالانبيآ عليهم السلام يدعى مثل اياتهم ومعجزاتهم. ولا يتهيا مع هذا
علم صحة النبوة اذ قد يحصل مثلها بالحيلة. واما من زعم ان السحر خدع ومخاريق وموهة
وتخييلات فلا يجب على اصله قتل الساحر الا ان يقتل بفعله احدا فيقتل به ٥ وذهب
اهل السنة الى ان السحر ثابت وله حقيقة خلافا للمعتزلة. وقد ذكرنا ذلك اول الباب. ولا حجة

فيه وقولهم انه تخييل وتمويه وايهام لكون الشئ على ما هو به وانه ضرب من الخفه والشعوذه
كما قال الله عز وجل يخيل اليه من سحرهم انها تسعى على الحقيقه ولكن قال يخيل اليه وقال
عز وجل ايضا سحروا اعين الناس اجاب اهل السنة عن قولهم هذا بانه لا حجة فيه قالوا
لانا لا ننكر ان يكون التخييل من حملة السحر لكن ثبت وراء ذلك امور يجوزها العقل وورد
بها السمع فمن ذلك ما جاء في هذه الآية من ذكر السحر وتعليمه ولو لم يكن له حقيقه لم يمكن
تعليمه ولا اخبر الله تعالى انهم يعلمونه الناس فدل هذا على ان له حقيقه وايضا قوله
تعالى في سحرة فرعون وجاءوا بسحر عظيم وسورة الفلق مع اتفاق المفسرين على ان سبب
نزولها هو ما كان من سحر لبيد بن الاعصم اليهودي وهو مما خرجه البخاري ومسلم وغيرهما
عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال
له لبيد بن الاعصم الحديث وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما حل السحر ان الله شفاني
والشفاء انما يكون برفع العلة وزوال المرض فدل هذا على ان للسحر حقا وحقيقة فهو
مقطوع به باخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه وعلى هذا اهل الحل والعقد
الذين ينعقد بهم الاجماع ولا عبرة مع اتفاقهم بخالفة المعتزله ومخالفتهم اهل الحق
ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان وتكلم الناس فيه ولم يبرأ من الصحابة ولا
من التابعين رضي الله عنهم انكار لاصله وقال سفين وغيره من كذب به فهو كافر
مكذب لله ورسوله منكر لما علم مشاهدة وعيانا والله تعالى اعلم وقال الامام فخر
الدين الرازي رحمه الله جوز اهل السنة ان يقدر الساحر على ان يطير في الهوا وتقلب الانسان
حمارا والحمار انسانا الا انهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق لهذه الاشياء عند ما يقرأ الساحر
رقى مخصوصة وكلمات معينة لا الفلك ولا النجوم وقال الزمخشري قال الجاحظ
وكان مسيلمة لعنه الله فضل التنبؤ يدور في الاسواق التي كانت بين دور العرب والعجم
كسوق الابلة وسوق بقة وسوق الانبار وسوق الحيرة يلتمس الحيل والنيرنجيات
واختيالات اصحاب الرقى والنجوم وقد كان احكم حيل الحراة واصحاب الزجر والخط
فمن ذلك انه صب على بضعة من خل حاذق فلانت حتى امتدت واستطالت واسترقت

لعله صدق به

لا لحلك ثم ادخلها قارورة ضيقة الراس وتركها حتى انضمت واستدارت وعادت كهيتها الاولى
فاخرجها الى قومه وهم قوم اعراب وادعى النبوة وامن به جماعة. وانشد فيه ٥
ببيضة قارورٍ وراثة سادن ٭ وتوصيل مقصوص من الطير حاذق ٭ قال الزمخشري
يريد براثة السادن الراثة التي يعملها الصبي من القرطاس الرقيق ويجعل لها ذنبا وجناحا
ويرسلها يوم الريح بالخيوط الطوال. كان مسيلمة يعمل راثات من هذا الجنس ويعلقها
الحلاجل ويرسلها في ليلة الريح ويقول الملائكة تنزل علي. وهذه يعني الجاجل خشخشة الملائكة
وزجلها. وكان يصل جناح الطاير المقصوص بريش معه فيطير الدجاجة ٥ هذا اخر كلام
الجاحظ. وقال اصحاب الامام مالك رحمهم الله لا ينكر ان يظهر على يد الساحر خرق العادات
مما ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو الى غير ذلك مما
قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات العباد. وقالوا ايضا ولا يبعد في السحران
يستدق جسم الساحر حتى يتولج في الكوات والخوخات. والانتصاب على راس قصبة والجري
على خيط مستدق والطيران في الهوا والمشي على الماء وركوب كلب وغير ذلك. ومع ذلك فلا
يكون السحر موجبا لذلك ولا علة لوقوعه ولا سببا موكدا. ولا يكون الساحر مستقلا به
وانما خلق الله تبارك وتعالى هذه الاشيا وخرقها عند وجود السحر كما خلق سبحانه الشبع
عند الاكل والري عند شرب الماء. وروى سفيان عن عمار الدهني ان ساحرا كان عند الوليد
ابن عقبة يمشي على الحبل ويدخل في است الحمار ويخرج من فمه فاشتمل له جندب على
السيف فقتله ٥ وجندب هذا هو جندب بن كعب الازدي ويقال البجلي وهو الذي قال
في حقه النبي صلى الله عليه وسلم يكون من امتي رجل يقال له جندب يضرب ضربة بالسيف
يفرق بين الحق والباطل. وكانوا يرونه جندبا هذا قاتل الساحر. واجمع المسلمون على
انه ليس في السحر ما يفعل الله عنده انزال الجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقلب العصا
ثعبانا واحيا الموتى وانطاق العجما وامثال ذلك من عظيم امانات الرسل عليهم السلام. فهذا
ونحوه مما يجب القطع به لانه لا يكون ولا يفعله الله عز وجل عند ارادة الساحر. وقال القاضي
ابو بكر بن الطيب وانما منعنا ذلك الاجماع ولولاه لاجزناه. واما الفرق بين السحر والمعجزة

فقال العلماء ان السحر يوجد من الساحر وغيره. وقد يكون جماعة يعرفونه ويمكنهم الاتيان به في وقت واحد. والمعجزة لا يمكن الله احدا ان يأتي بمثلها ومعارضتها. ثم الساحر لم يدع النبوة والتحدي بها والذي يصدر من الساحر متميز عن المعجزة. فان المعجزة شرطها اقتران دعوى النبوة والتحدي بها كما قدمناه في مقدمة هذا الكتاب. والله تعالى اعلم. واختلف العلماء رضي الله عنهم في حكم الساحر المسلم والذمي. فذهب الامام مالك رحمه الله الى ان المسلم اذا سحر نفسه بكلام يكون كفرا يقتل ولا يستتاب. ولا تقبل توبته. لانه امر يستتر به. كالزنديق والزاني. ولان الله تعالى سمى السحر كفرا بقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر. وهذا قول الامام احمد بن حنبل. وابي اسحق. والامام الشافعي. والامام ابي حنيفة رحمهم الله. وروي قتل الساحر عن عمر. وعثمان. وابن عمر. وحفصة. وابي موسى وقيس ابن سعد رضي الله عنهم. وروي ايضا عن شعبة من التابعين. والسحر على قسمين احدهما سحر يكفر به صاحبه. وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو الموثر. او يعتقد ان الكواكب هي الموثرة الفعالة. فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله. ويجب قتله لما روي عن جندب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف. اخرجه الترمذي. والقسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي يشاكل النيرنجات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب هي الموثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو الموثر. فهذا القدر لا يكفر به صاحبه. ولكنه معصية. وهو من الكبائر. ويحرم فعله. فان قتل بسحر قتل قصاصا. لما روي عن الامام مالك انه بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فامرت بها فقتلت. اخرجه الامام مالك في الموطا. وروي ابن المنذر عن عائشة رضي الله عنها انها باعت ساحرة كانت سحرتها وجعلت ثمنها في الرقاب. قال المنذر واذا اقر الرجل انه سحر بكلام يكون كفرا وجب قتله ان لم يتب. وكذا لو ثبت عليه ببينة ووصفت البينة كلاما يكون كفرا. وان كان الكلام الذي ذكر انه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله. قال ابن المنذر واذا اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلة وجب اتباع اشبههم بالكتاب والسنة. وقد يجوز ان يكون السحر الذي

امر من امر منهم بقتل فاعله يكون كفرا فيكون ذلك موافقا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحتمل ان يكون عائشة رضى الله عنها امرت ببيع ساحرة لم يكن سحرها كفرا. فان احتج محتج
بحديث جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال حد الساحر ضربة بالسيف قلنا يحتمل ان
يكون صلى الله عليه وسلم امر بقتل الساحر الذى يكون قتله كفرا. فيكون ذلك موافقا للاخبار
الذى جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث. قال بعضهم
وهذا اصح لان دما المومنين محظوره لاستباح الا بيقين. وليس مع الاختلاف يقين. والله اعلم.
وقال بعض العلما ان قال اهل الصناعة ان السحر لا يتم الا مع الكفر والاستكبار او تعظيم
الشيطان فالسحر اذا دل على الكفر على هذا التقدير والله اعلم. وروى عن الامام الشافعى
رحمه الله انه قال لا نقتل الساحر الا ان نقتل سحره ونقول تعمدت القتل. وان قال لم اتعمده
لم نقتل وكان فيه الدية كقتل الخطا. وان اضر السحر بالمسحور ادب الساحر على قدر ذلك
الضرر. والله اعلم. وقال الامام مالك رحمه الله فان جا الساحرا والزنديق تايبا قبل ان يشهد
عليهما قبلت توبتهما بدليل قول الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا. وهذا يدل على
انه كان ينفعهم ايمانهم قبل نزول العذاب فكذلك هذان. والله اعلم. وروى البخارى ومسلم
عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات.
قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله. والسحر. وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق. واكل
مال اليتيم. واكل الربا. والتولى يوم الزحف. وقذف المحصنات الغافلات المومنات. فدل
هذا الحديث وغيره من الاحاديث واقاويل العلما على ان السحر من الكبائر كما قدمناه. لان النبى صلى الله
عليه وسلم عد السحر من الكبايز. وثناه بالشرك. وامر باجتنابه. وقوله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا
السبع الموبقات يعنى المهلكات. والله اعلم. واما ساحر اهل الذمة. فقال بعض العلما انه
يقتل. وقال الامام مالك لا نقتل الا ان قتل بسحره. ويضمن ما جنى. ونقل ان جا منه ما لم
يجاهد عليه. وقيل ان الرواية عن الامام مالك مختلفة. فمره يقول يستتاب وتوبته الاسلام.
ومرة يقول يقتل وان اسلم. والله اعلم. واما الحربى فلا نقتل اذا تاب. وكذلك قال الامام مالك
فى ذمى سب النبى صلى الله عليه وسلم يستتاب وتوبته الاسلام. وقال مرة يقتل ولا يستتاب

كالمسلم. وقال ايضا في الذمي اذا سحر بعاقب الا ان يكون قتل بسحره او احدث حدثا فيوخذ منه بقدره. وقال غيره يقتل لانه قد نقض العهد ٥ ولا يرث الساحر ورثته لانه كافر الا ان يكون سحره لا يسمى كفرا. وقال الامام مالك في المراة تعقد زوجها عن نفسها او عن غيرها انها تنكل ولا تقتل. والله تعالى اعلم ٥ واختلف العلما ايضا في الساحر هل يسال حل السحر عن المسحور ام لا. فاجاز ذلك سعيد بن المسيب على ما ذكره البخاري. والى هذا مال المزني وكره ذلك الحسن البصري. وقال الشعبي لا باس بالنشره. قال ابن بطال وفي كتاب وهب بن منبه رضي الله عنه ان ياخذ يعني المسحور الذي ربط عن اهله سبع ورقات من سدر اخضر فيدق فيها بين حجرين ثم يضربها بالماء ويقرا فيه اية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل بما بقي منه فانه يذهب عنه كل ما به ان شا الله. قال وهو حسن للرجل اذا حبس عن اهله والله تعالى اعلم. وقال العلما رضي الله عنهم قد انكر معظم المعتزلة السياطين والجن. ودل انكارهم على قلة مبالاتهم وركاكة ديانتهم. وليس في اثبات الشياطين والجن مستحيل عقلي. وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على اثباتهم. وحق على اللبيب المعتصم بالدين وبحبل الله المتين ان يثبت ما قضى العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته. قال الله عز وجل ولكن الشياطين كفروا. وقال تعالى حاكيا عن سليمن عليه السلام ومن الشياطين من يغوصون له الى غير ذلك من الايات. وسورة الجن تقضي بذلك. وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم. وقد انكر هذا الخبر كثير من الناس واحالوا روحين في جسد والعقل لا يحيل سلوك الشيطان في الانسان اذا كانت اجسامهم يعني الجن رقيقة بسيطة على ما يقوله بعض الناس بل اكثرهم. ولو كانوا كثافا لصح ذلك ايضا منهم كما يصح دخول الطعام والشراب في الفراغ من الجسم. وكذلك الديدان قد تكون في بني ادم وهي احياء والله تعالى اعلم. وما ذكرناه من التفسير والاحاديث وغيره دال على قول الله عز وجل وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر. بقي الكلام على قوله تعالى وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت قال المفسرون بتقدير الكلام ويعلمون الذي انزل على الملكين. والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم. يعني ما ألهما وعلماه. وقرى في الشواذ وما انزل على الملكين بكسر اللام. قال هما

ان باب الطلاق واسع وحبذ ان تكون دخول الشيطان عبارة عن دخول وسوسته لحسن تاثيرها تاما فالمراد دخول لهم الوقوع فيوا وقع بالفعل

رجلان ساحران كانا ببابل وقيل كانا عِلجان ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة
المشهورة بفتح اللام فان قيل كيف يجوز ان يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملايكة
وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر قيل له قال ابن جرير الطبري ان الله تبارك وتعالى عرّف
عباده جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم امرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يومرون به
وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى الله
عباده من بني آدم عنه فغير ممكن ان يكون الله تعالى علمه الملكين الذين سماهما في تنزيله وجعلها
فتنة لعباده من بني ادم كما اخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا
تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن الكفر بتوسن المرء وزوجه فيتمحص المومن
بتركه التعلم منهما وتخزى الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما ويكون الملكين في تعليمهما ما علّما
من ذلك مطيعين لله تعالى اذا كانا عن اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضائر هما سحر من
سحر ممن يعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذا كانا قد
ادّيا الى ما امرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه
ويامران باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما
وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله تبارك وتعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من
تعلم السحر منهما فكفر به والسعيد من تركه فبقي على ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء
كما امتحن بني اسرآيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني والله اعلم
فذلك قوله تعالى وما انزل على الملكين قال العلما ما نافية والواو عاطفة على قوله تعالى
وما كفر سليمان وذلك ان اليهود قالوا ان الله تعالى انزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك
وفي الكلام تقديم وتاخير تقديره وما كفر سليمان وما انزل على الملكين ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر ببابل هروت وماروت هما روت وماروت بدل من الشياطين في قوله
تعالى ولكن الشياطين كفروا وهذا اولى ما حملت عليه الاية من التاويل واصح ما قيل فيها ولا
يلتفت الى سواه فالسحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ودقته افهامهم واكثر ما يتعاطاه
من الانس النساء وخصوصا في حال طمثهن اي حيضهن وقد قال الله عز وجل من شر النفاثات في العقد

مسئلہ حکایۃ عجیبہ

وهن السواحر ۰ وقال الشاعر اعوذ برتبی من النافثات ۰ والله تعالی اعلم وقوله
تعالی ببابل ۰ قال العلما هی قطر من الارض وهو العراق وما والاه ۰ وقال ابن مسعود رضی الله عنه
لاهل الکوفة انتم بین الحیرة وبابل ۰ وقال قتاده ارض بابل هی من نصیبین الی راس العین ۰
وقال قوم هو جبل نهاوند ۰ والله اعلم ۰ واختلف العلما فی تسمیته بابل ۰ فقیل سمی بذلک
لتبلبل الالسن بها حین سقط صرح نمرود ۰ وقال بعضهم سمی بابل لان الله تعالی لما اراد
ان یخالف بین السنة بنی ادم بعث ریحا فحشرتهم من الآفاق الی بابل فبلبل الله بها السنتهم
ثم فرقتهم تلک الریح فی البلاد ۰ والبلبلة التفریق ذکر هذا المعنی الخلیل بن احمد ۰ وقال
ابو عمر بن عبد البر من اخصر ما قیل فی البلبلة واحسنه ما رواه ابن ابی هند عن علباء بن
احمر عن عکرمة عن ابن عباس رضی الله عنهما قال ان نوحا علیه السلام لما هبط الی اسفل الجودی
ابتنی قریة وسماها ثمانین ۰ فاصبح ذات یوم وقد تبلبلت السنتهم علی ثمانین لغة احدها
السان العربی ۰ وکان لا یفهم بعضهم عن بعض ۰ والله تعالی اعلم ۰ روی عن عبد الله بن یسر المازنی
رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم اتقوا الدنیا ۰ فوالذی نفسی بیده انها لاسحر
من هاروت وماروت ۰ قال العلما رضی الله عنهم انما کانت الدنیا اسحر من هاروت وماروت لانها
تتحرک بخدعها ۰ وتکتمل فتنتها ۰ فتدعوک الی التخارض علیها والتنافس فیها والجمع لها
والمنع ۰ حتی تفرق بینک وبین طاعة ربک ۰ وتفرق بینک وبین روئة الحق ورعایته ۰ فالدنیا
اسحر من هاروت وماروت ۰ لانها تاخذ بقلبک عن الله تعالی وعن القیام بحقوقه وعن وعده
ووعیده ۰ قال بعض العارفین سحر الدنیا محبتها والتلذذ بشهواتها وتمنیک باما نیها الکاذبة
حتی تاخذ بقلبک ۰ ولهذا قال رسول الله صلی الله علیه وسلم حبک الشی یعمی ویصم ۰ والله تعالی اعلم ۰
وقوله تعالی هاروت وماروت ۰ قال العلما هو اسم اعجمی لا ینصرف ۰ وجمعه هوارت وموارت ۰
مثل طواغیت ۰ وتقال ایضا هوارته وهوارٍ ۰ وموارته ومَوارٍ ۰ ومثله جالوت وطالوت ۰
وروی عن علی بن ابی طالب رضی الله عنه قال ایه والذی انزل علی الملکین ۰ وان الملکین لیعلمان
الناس تعلیم انذار لا تعلیم دعا الیه یعنی السحر ۰ قال الزجاج وهذا القول هو الذی علیه
اکثر اهل العلم والنظر ۰ ومعناه انهما یعلمان الناس علی النهی فیقولان لهم لا تفعلوا کذا ۰ ولا

تحتالوا بكذا لتفرقوا بين المرء وزوجه . والذي أنزل عليهما هو النهي كانه يقول قولا للناس لا تعملوا كذا فيكون قوله يُعَلِّمان بمعنى يُعْلِمان . كما قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم بمعنى اكرمنا ذكر قصة هاروت وماروت على ما ذكره ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وكعب الاحبار والسدي والكلبي وغيرهم رضي الله عنهم قالوا ان الملائكة لما راوا ما يصعد الى السما من اعمال بني ادم الخبيثة . وفي رواية لما كثر الفساد من اولاد ادم عليه السلام وذلك في زمن ادريس عيرتهم الملائكة بذلك ودعوا عليهم . وقالوا الهنا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم وهم يعصونك . فقال الله عز وجل للملائكة اما انكم لو كنتم مكانهم وقال لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لعملتم مثل اعمالهم وركبتم مثل ما ركبوا . فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله عز وجل لهم فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم . وقال الكلبي قال الله عز وجل اختاروا ثلاثة احدهم هاروت وكان اسمه عزا . والثاني ماروت وكان اسمه عزاما . والثالث اسمه عزابيل . وركب الله عز وجل فيهم الشهوة التي ركبها في اولاد ادم واهبطهم الى الارض وامرهم ان يحكموا بين الناس بالحق وينهاهم عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمر . فاما عزا فرسل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه عز وجل وسأله ان يرفعه الى السما فاقاله الله عز وجل ورفعه الى السما فنجد اربعين سنة ثم رفع راسه من السجود بعد اربعين سنة . ولم يزل بعد ذلك مطاطئا راسه حيا من الله عز وجل . واما الآخران فانهما ثبتا على ذلك . وكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السما . قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا . وقيل بل افتتنا في اول يوم . وذلك انه اختصم اليهما خاتن يوم الزهرة وكانت من اجمل النسا . وكانت من اهل فارس وكانت ملكة في بلدها . فلما راها هاروت وماروت اخذت بقلوبهما . فقال احدهما لصاحبه هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال له نعم . فراودا عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت اليهما في اليوم الثاني فراودا عن نفسها فابت . وقالت لا الا ان تعبدا ما اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر . فقالا لا سبيل الى هذه الاشيا فان الله عز وجل قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح

مطلب قصة هاروت

فاختاروا ثلاثة فج

من خمر و فی انفسهما من المیل الیهما ما فیهما فراودا هما عن نفسها فعرضت علیهما ما قالت لا من
فقالا الصلاة لغیر الله عظیم و قتل النفس عظیم و اهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فانتشیا
و وقعا بالمراة فزنیا بها فلما فرغا راهما انسان و هما یزنیان بها فقتلاه خوف الفضیحة
و ان یفشی علیهما ما فعلا. قال الربیع بن انس و سجدا للصنم و قال بعض المفسرین جاءتهما
امراة من احسن النساء تخاصم زوجها فقال احدهما للآخر هل سقط فی نفسک مثل الذی سقط
فی نفسی قال نعم قال هل لک ان تقضی لها علی زوجها. قال له صاحبه کیف تقضی علی زوجها بغیر
حق اما تعلم ما عند الله من العقوبة و العذاب. فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو
و الرحمة فسالاها نفسها فقالت لا الا ان تقضیا لی علی زوجی فقضیا لها ثم سالاها نفسها.
فقالت لا الا ان تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة و العذاب فقال
له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو و الرحمة فقتلاه. ثم سالاها نفسها فقالت لا الا
ان لی صنما اعبده ان انتما صلیتما معی عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه مثل القول الاول.
فرد علیه مثله فصلیا معها عنده فمسخها الله عز و جل کوکبا. و قال علی بن ابی طالب
و السدی و الکلبی رضی الله عنهم انها قالت لهما لن تدرکانی حتی تخبرانی بالذی تصعدان به
الی السماء فقالا نصعد باسم الله الاکبر قالت فما انتما بمدرکانی حتی تعلمانی ایاه. فقال احدهما
للآخر علمها فقال انی اخاف الله فقال الاخر فانا ارجو رحمة الله. فعلماها ذلک فتکلمت به و صعدت
الی السماء فمسخها الله تعالی کوکبا. و ذهب بعضهم الی انها هی الزهرة بعینها. و قالوا هی هذه
الکوکبة الحمراء. و اسمها بالفارسیة ناهید. و بالنبطیه بیدخت و بالعربیة الزهرة. و استدلوا
بما روی عن علی بن ابی طالب رضی الله عنه قال کان النبی صلی الله علیه وسلم اذا رای سهیلا قال
لعن الله سهیلا انه کان عشارا بالیمن و لعن الله الزهرة لانها فتنت الملکین. و قال مجاهد
کنت مع ابن عمر رضی الله عنهما ذات لیلة فقال لی ارمق الکوکبة فاذا طلعت فایقظنی فلما
طلعت ایقظته فجعل ینظر الیها و یسبها سبا شدیدا. فقلت رحمک الله تسب نجما سامعا مطیعا
لله عز و جل. فقال ان هذه کانت بغیا فلقی الملکان منها ما لقیا. و قال نافع کان ابن عمر رضی الله عنه
اذا رای الزهرة قال لا مرحبا و لا اهلا. و روی ابو عثمان النهدی عن ابن عباس رضی الله عنهما

واكثر اهل السنة ايضا قصة هاروت وماروت على ما نقله بل بما نقل احبار اليهود كما قاله البيضاوي لان الله تعالى قال في حق الملائكة لا يعصون الله ما امرهم الآية وشنع العلماء علينا قلها بحيث لا يكاد يتم تعطيل

ان المراة التي فتنتهما الملكان مسخت فهي هذه الكوكبة الحمرا يعني الزهرة، قال وكان اسمها بيدخت، وانكر الآخرون هذا القول وقالوا ان الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله عز وجل قواما للعالم واقسم بها فقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والذي فتنت هاروت وماروت كانت امراة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله عز وجل شهابا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر هذه المراة لموافقة الاسمين فلعنها، وكذلك سهيل العشار كان رجلا عشارا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم ذكره فلعنه، ويدل على هذا ما روى قيس بن عباد عن ابن عباس في هذه القصة كانت امراة فضلت على الناس بالحسن كما فضلت الزهرة على سائر الكواكب، ومثله قال كعب الاحبار، والله اعلم قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنبين هما بالصعود الى السما فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام واخبراه بامرهما وسالاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل، وقالا له انا رايناك يصعد لك من العباد مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى ربك، ففعل ذلك ادريس عليه السلام، فخيرهما الله عز وجل بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع، فهما ببابل يعذبان، واختلف العلما في كيفية عذابهما، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة، وقال قتادة كبلا من اقدامهما الى اصول افخاذهما، وقال مجاهد جبت ملئت نارا فجعلا فيها، وقال خصيف انهما معلقان منكسان في السلاسل، وقال عمير بن سعيد يضربان بسياط الحديد، وقال بعضهم ان جميع دخان الارض يدخل في افواههم ويخرج من ادبارهم، وروى ان رجلا اراد تعلم السحر فقصدهما هاروت وماروت فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة جلودهما ليس بين السنتهما وبين الماء الا قدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش، فلما راى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله، فلما سمعا كلامه قالا له من انت، قال رجل من الناس، قالا من اي امة، قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم، قالا وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم، قالا الحمد لله، واظهرا الاستبشار، فقال الرجل ومم استبشارهما، قالا انه بقي من الساعة وقدرنا انقضاء عذابنا، قالوا ومن ثم استغفار الملائكة لبني ادم، وروى

مطلب هاروت وماروت

عن الاوزاعي قال بلغني ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي (١٧٠
صلى الله عليه وسلم يا جبريل صف لي النار فقال جبريل ان الله تعالى اوقد عليها الف عام
حتى اسفت ثم اوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي
سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها والذي نفسي بيده بالحق لو ان ثوبا من شراب اهل
النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب في ماء الارض جميعا
لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله عز وجل وضع على جبال الارض جميعا
لذابت ولو ان رجلا دخل النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه
وعظمه فبكا النبي صلى الله عليه وسلم وبكا جبريل لبكايه وقال ابتكي يا محمد وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا ثم قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكيت يا جبريل وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال
اخاف ان ابتلى بما ابتلي به هروت وماروت فهو الذي منعني على البكاء على منزلتي عند ربي
فاكون قد امنت مكره قال فلم يزالا بكيان حتى نودي من السماء ان يا جبريل ويا محمد ان الله
عز وجل قد آمنكما ان تعصياه فيعذبكما قال العلماء ففضل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
على الانبياء كفضل جبريل على ملايكة السماء والله تعالى اعلم قوله تعالى وما يعلمان
من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر قال المفسرون نقدير الكلام وما يعلمان احدا
حتى ينصحانه اولا وينقولا انما نحن فتنة اي ابتلاء ومحنة فلا تكفر بتعلم السحر فتعمل به فتكفر
وقيل انهما يقولان انما نحن فتنة انما نحن فتنة سبع مرات فان ابى قبول نصحهما
وصمم على التعليم يقولان له ايت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع
في السماء فذلك الايمان والمعرفة وينزل شيء اسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك
غضب الله عز وجل وقال مجاهد ان هاروت وماروت لا يصل اليهما احد وتختلف فيما بينهما
شيطان في كل مسالة اختلافة واحدة وقال يزيد بن الاصم يسيل المختار هل يرى اليوم احد
هاروت وماروت قال اما منذ ايتفكت بابل ايتفاكها الآخر لم يرهما احد وقال الفرنوي
في قوله فلا تكفر دليل على ان العمل بالسحر كفر لان الملكين انما يعلمانه اياه ليلا يعمل به ويجتنبه

فصار قوله فلا تكفر متروكة فى معنى قوله فلا تعمل به. قال رحمه الله واحكام السحرة تختلف باختلاف السحر فان السحر ينقسم على اقسام مختلفة القسم الاول سحر اهل بابل كانوا يعبدون الكواكب السبعة ويعتقدون ان حوادث العالم كلها من افعالها. وكانوا يجعلون اصنامهم على اسما الكواكب السبعة. فكان من اراد شيا من الخير والصلاح تقرب بما يوافق المشترى من الدخن والرقى والعقد والنفث عليها. ومن طلب شيا من الشر والخراب والموت والبوار لغيره تقرب بنزعمه الى ما يوافقه من ذلك. واذا اراد القتل والحرق والطاعون تقرب بنزعمه الى المريخ بما يوافقه من ذلك من ذبح بعض الحيوانات. وكانوا يسمون كل كوكب من الكواكب السبعة الها فاتخذوا لها منعما. وكانوا يدعون ويتضرعون ويصومون ويتركون اللذات والشهوات. وكان عندهم انهم اذا فعلوا ذلك اجابتهم الكواكب الى ما يريدون من خير وشر ومحبة وبغض. فمن العامة من يزعم انهم يقلبون الانسان حمارا او كلبا ثم اذا شاوا اعادوه. وانهم يركبون البيضة والمكنسة والخابية ويطيرون فى الهوا الى ما شاوا من البلدان. ثم يرجعون فى ليلهم. وذلك تلبيس من السحرة على العوام. القسم الثانى سحر قوم فرعون يزعمون انهم يعترفون بالله عز وجل ويصدقون رسوله ويدخلون على الناس من باب ان الجن انما تطيعهم بالرقى التى هى اسما الله تعالى فتخبرهم بالغيوب من السرق والجنايات وانها تقدر على تغيير صور الحيوان بالطيران فى الهوا والمشى على الما وما جرى مجرى ذلك. وهذا الفريقان كافران يقتلان. فان الفريق الثانى جوز وجود مثل اعلام الانبيا من الكذابين المتخرصين. وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم من اتى كاهنا فصدقه فيما يقول فهو كافر بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم. فاذا كان المصدق به كافرا فكيف لا يكون فاعله كافرا. القسم الثالث من السحر هو العمل بالادوية والتميمة والسعاية والشعوذة اذا لم يدع فاعله معجزة واعترف ان ذلك تخييل ومخاريق لم يصر كافرا ما لم يعتقد اباحته. فيؤدب ويزجر عن ذلك. فاما اذا اعتقد اباحته كفر. وهذا كمن يعتقد اباحة سايرالمعاصى التى نص الله تعالى على النهى عنها. وروى عن عمرو بن شعيب ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اخذ ساحرا فدفنه الى صدره وتركه حتى مات مدفونا. وروى ان جارية لحفصة سحرتها فوجدوا سحرها واعترفت

بذلك فامرت عبد الرحمن بن زيد فقتلها وقد تقدم حكم الساحر هل تقتل وهل تستتاب
امرلا والله اعلم واما كيفية تعلم السحر فقد ورد فيه خبر جامع وهو ما روى
هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها انها قالت قدمت علىّ امراة من اهل دومة
الجندل جاءت تبتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته لتسأله عن شئ دخلت فيه من
امر السحر ولم تعمل به فقال عائشة رضى الله عنها لعروة يا ابن اختى فراتها تبكى حين لم
تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكى حتى انى لارحمها تقول انى اخاف ان اكون هلكت
قالت كان لى زوج فغاب عنى فدخلت علىّ عجوز فشكوت ذلك اليها فقالت ان فعلتِ ما آمرك
به فاجعله باتيكِ فلما كان الليل جاءتنى بكلبين اسودين فركبت احدهما وركبت الآخر
فلم يكن كثيرا حتى وقفا ببابل فاذا برجلين معلقين بارجلهما فقالا لما جاءبك قالت لتعلم
السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفرى وارجعى فابيت وقلت لا قالا فاذهبى الى ذلك التنور
فبولى فيه فذهبت ففزعت ولم افعل ورجعت اليهما فقالا فعلتِ قلت نعم قالا لم
رايتِ شيأ قلت لم ارشيأ فقالا كذبتِ لم تفعلى ارجعى الى بلادك فلا تكفرى فابيت فقالا
اذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت فاقشعر جلدى فرجعت اليهما فقلت قد فعلت
فقالا هل رايت شيأ قلت لم ارشيأ فقالا كذبت لم تفعلى شيأ ارجعى الى بلادك ولا تكفرى
فانك على راس امرك فابيت فقالا اذهبى الى التنور فبولى فيه فذهب اليه فبلت فيه فرات
فارسا مقنعا بالحديد خرج منى حتى ذهب فى السما وغاب عنى حتى ما اراه فجيئهما فقلت قد
فعلت فقالا ما رايتِ قلت رايت فارسا مقنعا بالحديد خرج منى فذهب فى السما حتى ما
اراه قالا صدقتِ ذاك ايمانك خرج منك اذهبى فقلت للمراة والله ما اعلم شيأ وما قالا
لى شيأ فقالت بلى لن تريدى شيأ الا كان خذى هذا القمح فابذريه فبذرت فقلت اطلعى
فطلعت فقلت احقلى فحقلت ثم قلت افركى فافركت ثم قلت اطحنى فاطحنت ثم قلت
اخبزى فاختبزت فلما رايت انى لا اريد شيأ الا كان سقط فى يدى وندمت والله يا امير المؤمنين
ما فعلت شيأ ولا افعله ابدا والله تعالى اعلم واما وجه الاتية وحكمها على التاويل
الصحيح فقال بعضهم ان الملكين لا تعلمان تعليم السحر ولكنهما يصفانه ويذكران بطلانه

بكلبين
اطلعى

وبامران باجتنابه. وفي هذا حكمة. وهي ان السايل ما الزنا لوجب ان يوقف عليه ويعلم
انه حرام. فكذلك اعلام الملكين الناس وامرهما باجتنابه بعد الاعلام انه كفر حرام فيتعلم
الشقي منهما في خلال صفتهما ويترك موعظتهما ونصيحتهما. ولا يكون على هذا التاويل كفرا.
ولكن العمل به كفر. كما ان من عرف الزنا لم يأثم. وانما يأثم العامل به ٥ والقول الآخر
الناس ٩ وهو الاصح ان الله تبارك وتعالى امتحن الملكين في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والايمان
ان يقبل القابل تعلم السحر فيكفر بتعلمه ويومن بترك التعلم. ويزداد المعلمان عذابا
عليمة فيكون ذلك ابتلا للمعلم والمتعلم. ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شا فله الحكم والامر.
كما امتحن بني اسرايل بالنهر في قوله تعالى ان الله مبتليكم بنهر. ويدل عليه قوله تعالى انما نحن
فتنة. وهذان القولان حكاهما الزجاج واعتمدهما. والله اعلم ٥ وحكى الزمخشري في
ربيع الابرار قال كان ببابل سبع مدائن في كل مدينة اعجوبة. في احداها تمثال الارض. فاذا
التوى على الملك بعض اهل مملكته. خراجهم خرق انهارها عليهم في التمثال فلا يطيقون سد
الفتق حتى يعتدلوا ويذعنوا. وما لم يسد في التمثال لم يسد في ذلك البلد. وفي المدينة
الثانية حوض اذا اراد الملك ان يجمعهم لطعامه اتى كل واحد بما احب من شراب فصبه في
ذلك الحوض فاختلطتا لا تشربه. فكل من سقي منه كان شرابه الذي جا به. وفي المدينة
الثالثة طبل اذا ارادوا ان يعلموا حال الغايب عن اهله قرعوه فان كان حيا صوت وان
كان ميتا لم يسمع له صوت. وفي المدينة الرابعة مرآة اذا ارادوا ان يعلموا حال الغايب
نظروا فيها فابصروه على اي حالة هو عليها كانهم يشاهدونه. وفي المدينة الخامسة اوزة
من نحاس فاذا دخل غريب صوتت تلك الاوزة صوتا سمعه اهل المدينة كلهم. وفي المدينة
السادسة قاضيان جالسان على الما فيا تي الخصمان فيمشي المحق على الما حتى يجلس
مع القاضي. ويرتطم المبطل. وفي المدينة السابعة شجرة عظيمة ضخمة لا تظل الا
ساقها. فاذا جلس تحتها احد اظلته الى الف رجل. فان زاد على الالف واحد تقلص ظلها
عن الجميع وصاروا كلهم في الشمس. والله تعالى اعلم ٥ وقوله تعالى فيتعلمون منهما ما
يفرقون به بين المرء وزوجه اي يعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه. وهو علم

السحر الذى يكون سببا فى التفرق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث فى العقد ونحو
ذلك مما يحدث الله تعالى عنده البغضاء والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله عز وجل
لان السحر له تاثير فى نفسه بدليل قوله تعالى وما هم بضارين به اى
بالسحر من احد يعنى احدا الا باذن الله اى بعلمه وقضايه وتكوينه فالساحر يسحر والله
تعالى يقدر ويكون وذلك بقضاء الله وقدرته ومشيته لا بامره لانه تعالى لا يامر بالفحشاء
ويقضى على الخلق بها. وقال الزجاج فى قوله تعالى الا باذن الله يعنى الا بعلم الله وقوله
تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم يعنى السحر لانهم يقصدون به الشر. قال
العلماء معنى الاية يعلمون ما يضرهم فى الآخرة وان اخذوا به نفعا قليلا فى الدنيا اذا عثر
عليه لانه يوديه ويزجر ويلحقه شوم السحر قال العلماء اللام الاولى التى فى قوله ولقد
علموا للتوكيد والتى فى قوله لمن اشتراه لام يمين وهى للتوكيد ايضا. ومن بمعنى الذى وقال
الفراء هى للمجازاة. وقال الزجاج ليس هذا بموضع شرط. ومن بمعنى الذى. وقوله تعالى من خلاق
قال بعضهم من زايدة. والتقدير ما له فى الاخرة خلاق. ولا يزاد فى الواجب. وهذا قول البصريين.
وقال الكوفيون يكون من زايدة فى الواجب. واستدلوا بقول الله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم.
والله تعالى اعلم. والخلاق هو النصيب. وهذا قول مجاهد. فان قيل كيف اثبت سبحانه لهم
العلم اولا فى قوله ولقد علموا على التوكيد القسمى ثم نفاه عنهم آخرا فى قوله لو كانوا يعلمون.
قيل له قد علموا ان من اشترى السحر ما له فى الاخرة من خلاق. ثم مع هذا العلم خالفوا
واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله عز وجل وما جاءت به الرسل عبادا منهم وبغيا.
وذلك على معرفة منهم لمن فعل ذلك من العقاب. فجعلهم حين لم يعملوا بعلمهم كانهم مسلخين
منه. والله اعلم. وقوله تعالى ولو انهم يعنى اليهود آمنوا يعنى بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
والقران واتقوا يعنى اليهودية والسحر وما يوثمهم لمثوبة من عند الله اى لكان ثواب الله
اياهم خير اى خير لهم وهو الثواب لو كانوا يعلمون اى لو كانوا يعلمون ذلك. والله اعلم بمراده.
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال المفسرون ان الله تبارك وتعالى
ذكر شيا آخر من جهالات اليهود. والمقصود نهى المسلمين عن مثل ذلك. وسبب نزول هذه الاية

ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الاخرة من خلاق

ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعِنا يا رسول الله من المراعاة
اى ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود ومعناها
عندهم اسمع لا سمعت وقيل راعنا من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا
يعنى احمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين اغتنموها وفرحوا وقالوا فيما
بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا له الان الشتم وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضى الله عنه ففطن لها
وكان يعرف لغتهم فقال لليهود عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده يا معشر اليهود لئن سمعتها
من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها
فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا لكى لا يجد اليهود بذلك سبيلا
الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولوا انظرنا اى قولوا بدل راعِنا انظرنا اى انظر
الينا وقيل معناه انتظرنا وتانّ بنا وفهمنا واسمعوا اى ما تومرون به واطيعوا قال
العلماء رضى الله عنهم ان الله تبارك وتعالى نهى عباده المومنين ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم راعنا ليلا يتطرق احد الى شتمه وامرهم بتوقيره وتبجيله وتعظيمه وان يتخيروا
لخطاب نبيه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعانى ارقها وان سالوه فليسالوه
بتبجيل وتعظيم ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود ٥ وقال العلماء رضى الله عنهم فى هذه الآية
دليلان احدهما تجنب الالفاظ المحتملة التى فيها التعريض للتنقيص والغض وتخرج
من هذا فهم القذف بالتعريض وذلك يوجب الحد عند الامام مالك رحمه الله خلافا للامام
ابى حنيفه والامام الشافعى واصحابهما فانهم قالوا التعريض محتمل للقذف وغيره والحدود
تدرا بالشبهات وسيابى فى سوره النور الكلام على هذا واختلاف العلماء فيه ان شا الله تعالى الدليل
الثانى هو التمسك بسد الذرايع وحمايتها وهو مذهب الامام مالك ايضا واصحابه ومذهب
الامام احمد بن حنبل فى رواية عنه والدليل على هذا الاصل الكتاب والسنة والذريعة عبارة
عن امر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع فى ممنوع اما دليل الكتاب فهذه الاية
ووجه التمسك بها ان اليهود كانوا يقولون راعنا وهو سب بلغتهم فلما علم الله ذلك منهم منع من

اطلاق ذلك اللفظ لانه ذريعه للسبب. وقوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون
الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فمنع من سب الهتهم مخافة مقابلتهم مثلهم ذلك. وقوله
تعالى واسالهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الآية. فحرم سبحانه عليهم الصيد فى يوم السبت
فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا. يعنى ظاهره فسدوا عليهم يوم السبت واخذوها
يوم الاحد. وكان السد ذريعة للاصطياد فمسخهم الله قرده وخنازير. فذكر الله عز وجل
لنا ذلك فى معنى التحذير عن ذلك. وكذلك قوله تعالى لادم وحوا ولا تقربا هذه الشجرة وقد
تقدم. واما دليل السنة فاحاديث كثيرة ثابتة صحيحة منها حديث عائشة رضى الله عنها
ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة راتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على
قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله. اخرجه البخارى ومسلم.
قال العلماء فعل ذلك اوائلهم لئلا ينسوا برؤية تلك الصوره ويتذكروا احوالهم الصالحة
فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم فمضت لهم بذلك ازمان.
ثم انهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا اغراضهم ووسوس لهم الشيطان ان اباءكم واجدادكم
كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها. فحذر النبى صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك وشدد
النكير والوعيد على من فعل ذلك. وسد الذرايع المودية الى ذلك. فقال صلوات الله عليه
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد. وقال اللهم لا تجعل قبرى وثنا
يعبد. وروى مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات فمن اتقى الشبهات استبرا لعرضه
ودينه. ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه الحديث
فمنع صلى الله عليه وسلم من الاقدام على الشبهات مخافة الوقوع فى المحرمات. وذلك سد
للذريعه. وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به
حذرا مما به الباس. وقال صلى الله عليه وسلم ان من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا يا
رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه.

مثل م

فجعل صلى الله عليه وسلم التعريض لسبب الآباء سببا لآبائه وقال صلى الله عليه وسلم اذا
تبايعتم بالعينه واخذتم اذناب البقر وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم
حتى ترجعوا الى دينكم قال الهروي العينه هي ان يبيع رجل من رجل سلعة بثمن معلوم
الى اجل مسمى ثم يشتريها منه باقل من الثمن الذي باعها به قال فان اشترى بحضرة
طالب العينة سلعة من آخر بثمن معلوم وقبضها ثم باعها من طالب العينه بثمن اكثر مما
اشتراه الى اجل مسمى ثم باعها المشترى من البايع الاول بالنقد باقل من الثمن فهذه
ايضا عينة وهي اهون من الاولى وهو جايز عند بعضهم وسميت عينة لحصول النقد
لصاحب العينة وذلك ان العين هو المال الحاضر والمشترى انما اشتراها ليبيعها بعين حاضر
يصل اليه من فوره وروى ابن وهب عن الامام مالك رحمه الله ان ام ولد لزيد بن ارقم
ذكرت لعاشة رضي الله عنها انها باعت من زيد عبدا بثمان مائة الى العطاء ثم ابتاعته منه
بستمايه نقدا فقالت عاشة رضوان الله عليها بيس ما شريت وبيس ما اشتريت ابلغي زيدا
انه قد ابطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم يتب ومثل هذا لا يقال بالراى
لان ابطال الاعمال لا تتوصل الى معرفتها الا بالوحي فثبت انه مرفوع الى النبي صلى الله عليه
وسلم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعوا الربا والريبة ونهى ابن عباس رضي الله عنهما
عن دراهم بدراهم بينهما جريرة فهذه الادلة للامام مالك واصحابه على سد الذرايع وعليه
بنوا كتاب الآجال وغيره من المسايل في البيوع وغيرها والله هو الموفق رجعنا الى التفسير
وقوله تعالى وللكافرين عذاب اليم اى مولم يصل المه الى قلوبهم والمراد بهم اليهود
قوله تعالى ما يود اى ما يحب وقيل ما يتمنى الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود
ولا المشركين يعني عبدة الاوثان ومن عبد غير الله تعالى ان ينزل عليكم من خير من ربكم
اى ما يحب هو لا انزال الوحي والنبوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء وانما كرهت
اليهود ونباعهم من المشركين ذلك بغيا وحسدا منهم على المومنين وذلك ان المسلمين قالوا
لحلفايهم من اليهود امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اما هذا الذي تدعونا اليه
بخير مما نحن فيه ولو دنا لو كان خيرا فانزل الله عز وجل هذه الآية تكذيبا لهم وقال بعضهم

المراد بقوله تعالى من خير من ربكم هو الحكمة والقران والنصرة والغلبة والله يختص برحمته
من يشآ يعنى ان الله تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشآ من عباده وبتفضل بالايمان
والهداية على من احب من خلقه رحمة منه لهم وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه الرحمه
هنا هى النبوة خص الله بها سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وقال قوم الرحمة هى القران اى والله
يختص بالقران من يشا من عباده وقال بعض المفسرين الرحمة فى هذه الآية عامة لجميع انواعها
التى قد منحها الله عز وجل عباده قديما وحديثا يقال رحم يرحم اذا رق والرحم والرحمة
معنى واحد وقال بعضهم رحمة الله لعباده انعامه عليهم وعفوه لهم والله ذو الفضل
العظيم يعنى ان كل خير ناله عباده فى دينهم ودنياهم فانه منه ابتدآ وتفضلا عليهم من غير
استحقاق منهم ذلك بل له الفضل والمنة على جميع خلقه والله تعالى اعلم بمراده ٥

قوله عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها قال
المفسرون هذه الاية الكريمة عظمى الاحكام وسبب نزولها ان المشركين واليهود لما
حسدوا المسلمين فى التوجه الى الكعبه وطعن المشركون فى الاسلام وقالوا الا ترون الى محمد
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه وبقول لهم اليوم قولا ويرجع عنه غدا
ما هذا القران الا كلام محمد يقوله من تلقا نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضا كما اخبر الله
عز وجل عنهم بقوله واذا بدلنا آية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وانزل تعالى
هذه الاية ما ننسخ من اية الى آخرها وسن سبحانه وتعالى بها وجه الحكمة فى النسخ وانه من عنده
سبحانه وتعالى لا من عند نبيه صلى الله عليه وسلم واصل النسخ فى كلام العرب على وجهين
احدهما ان النسخ هو النقل والتحويل كنقل كتاب من آخر فعلى هذا يكون القران كله منسوخا
لانه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جمله واحدة الى سما الدنيا وهذا لا مدخل له فى هذه الاية
ومنه قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اى نامر بنسخه واثباته الوجه الثانى
ان النسخ هو الابطال والازاله وهو المقصود هنا وهو منقسم فى اللغة على ضربين احدهما
ابطال الشى وزواله واقامة آخر مقامه وفى رواية هو ازاله شى بشى يعقبه كنسخ الشمس الظل
والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القران منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من

حكم هذه الآية وهو ازالة الحكم بحكم يعتقبه. وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم تكن نبوة قط الا تناسخت. اي تحولت من حال الى حال يعني امر الامة. ومنه ايضا تناسخ الورثة. وهو ان يموت ورثة بعد ورثة واصل الميراث قائم لم يقسم. وكذلك تناسخ الازمنة والقرون. والضرب الثاني هو ازاله الشيء دون ان يقوم اخر مقامه كقولهم نسخت الريح الاثر. ومن هذا المعنى قوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يزيله فلا يتلى ولا يثبت في المصحف بدله. وزعم ابو عبيد ان هذا النسخ الثاني قد كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم السورة فترفع فلا تتلى ولا تكتب. ومنه ما روي عن ابي بن كعب وعائشة رضي الله رضوان الله عليهما ان سورة الاحزاب كانت تعدل البقرة في الطول على ما ابي مبينا هناك ان شاء الله. ومما يدل على هذا ما روى ابن الانباري عن ابيه قال حدثنا نصر بن داود قال حدثنا ابو عبيد. قال حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس وعقيل عن ابن شهاب قال حدثني ابو امامة بن سهل بن حنيف في مجلس سعيد بن المسيب رضي الله عنه ان رجلا قام من الليل ليقرأ سورة من القرآن فلم يقدر على شيء منها. وقام آخر فلم يقدر على شيء منها. وقام اخر فلم يقدر على شيء منها. فغدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهم قمت الليلة يا رسول الله لاقرأ سوره من القرآن فلم اقدر على شيء منها. فقام الآخر فقال وانا والله كذلك يا رسول الله. وقام اخر فقال وانا والله كذلك يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها مما نسخ الله البارحة

فصل في حكم النسخ

قال العلماء رضي الله عنهم معرفة باب النسخ اكيدة وفائدته عظيمة لا يستغني عن معرفته العلماء ولا ينكره الا الجهلاء الاغبياء لما يترتب عليه من النوازل في الاحكام. ومعرفة الحلال والحرام. وروى ابو المختري قال دخل علي رضي الله عنه المسجد فاذا رجل يخوف الناس فقال ما هذا قالوا رجل يذكر. فقال ليس برجل يذكر الناس ولكنه يقول انا فلان بن فلان فاعرفوني. فارسل اليه فقال له اتعرف الناسخ من المنسوخ فقال لا. قال فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه. وفي رواية اخرى قال له أعلمت الناسخ والمنسوخ فقال لا. قال هلكت واهلكت. ومثله ايضا عن ابن عباس رضي الله عنه. واعلم ان النسخ في اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر عنه.

والنسخ جايز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود. فان منهم من لم ينكره عقلا لكنه منعه سمعا. وشذت طائفة قليله من المسلمين فانكرت النسخ. واجمع الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلايل قد دلت على نبوه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع النسخ. وهو نسخ شرع من قبله. فوجب القطع بالنسخ. ولنا على اليهود الزامات. القولام
منها ان الله تبارك وتعالى حرم عليهم العمل في السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم. ومنها انه جا في التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من السفينه اني جعلت كل دابة ماكولا لك ولذريتك واطلقت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تاكلوه. ثم انه تعالى حرم على بني اسرايل وعلى موسى كثيرا من الحيوانات. ومنها ان ادم عليه السلام كان يزوج الاخ للاخت. وقد حرمه على من بعده وعلى موسى. ومنها ان الله تعالى امر ابرهيم عليه السلام بذبح ولده. ثم قال له لا تذبحه. ومنها ان موسى عليه السلام امر بني اسرايل ان يقتلوا من عبد العجل. ثم امرهم برفع السيف عنهم. ومنها ان بنوته غير متعبد بها قبل بعثه. ثم يعبد بها بعد ذلك الى غير ذلك. وليس هذا من باب البدا بل هو من نقل العباد من عباده الى عباده وحكم الى حكم لضرب من المصلحة اظهار الحكمته وكمال مملكته. ولا خلاف بين العقلا ان شرايع الانبيا عليهم السلام قصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية. قال العلما وانما كان يلزم البدا لو لم يكن عالما بمآل الامور. واما العالم بذلك فانما تتبدل خطاباته بحسب تبدل المصالح. وهذا كالطبيب المراعي لاحوال العليل. فمراعي سبحانه ذلك في خليقته بمشيته وارادته لا اله الا هو. فخطابه يبدل وعلمه وارادته لا يتغير. فان ذلك محال في حقه الله سبحانه وتعالى. واما اليهود فانهم جعلوا النسخ والبدا شيا واحدا. ولذلك لم يجوزوه فضلوا. والفرق بين النسخ والبدا ان النسخ تحويل العباده من شي الى شي قد كان حلالا فيحرم او كان حراما فيحلل. واما البدا فهو ترك ما عزم عليه. كقولك امض الى فلان اليوم. ثم تقول لا تمض اليه. فيبدوا لك عن القول الاول. وهذا انما يلحق البشر لنقصانهم. وكذلك ان قلت ازرع كذا في هذه السنة. ثم قلت لا تزرع فهذا هو البدا. والله تعالى اعلم بمراده فثبت بهذه الدلايل

جواز النسخ . وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القران نسخ
جميع الشرايع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما . والصحيح الذى عليه جمهور
العلما ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر ياتى بعده وهو المراد بقوله
تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها . لان الآية اذا اطلقت فالمراد بها اية
القران لانه هو المعهود عندنا . واعلم ان الناسخ فى الحقيقة هو الله تعالى . ويسمى الخطاب
الشرعى ناسخا تجوزا . اذ به يقع النسخ . كما قد يتجوز فيسمى المحكوم فيه ناسخا . فيقال صوم
صوم رمضان ناسخ لصوم عاشورا . فالمنسوخ هو المزال . والمنسوخ عنه هو المتعبد
بالعباده المزالة وهو المكلف ٥ والمنسوخ عند اهل السنة هو الحكم الثابت نفسه لا مثله
كما يقوله المعتزله بانه الخطاب الدال على ان مثل الحكم الثابت فيما يستقبل بالظن المتقدم
زايل . واختلف العلما رضى الله عنهم فى الاخبار هل يدخلها النسخ . فالجمهور على ان النسخ انما
هو مختص بالاوامر والنواهى . والخبر لا يدخله النسخ لاستحاله الكذب على الله عز وجل . وقال
بعضهم ان الخبر اذا تضمن حكما شرعيا جاز نسخه كقوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا . وهناك ياتى القول فيه ان شا الله تعالى ٥ واعلم انه قد يرد فى الشرع
اخبار ظاهرها الاطلاق والاستغراق كقوله تعالى واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب
دعوة الداعى اذا دعانى . فهذا الحكم ظاهره خبر عن اجابة كل داع على كل حال . لكن قد جا ما
قيده فى موضع آخر كقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شا . فقد يظن من لا بصيرة
عنده ان هذا من باب النسخ فى الاخبار . وليس كذلك . بل هو من باب الاطلاق والتقييد . وسياتى
لهذه المسله زيادة بيان فى موضعها ان شا الله ٥ وقال العلما رضى الله عنهم جايز نسخ الاثقل
الى الاخف كنسخ الثبوت لعشره بالثبوت لاثنين . ويجوز نسخ الاخف الى الاثقل كنسخ يوم
عاشورا والايام المعدودة برمضان على ما سنا بيانه فى تفسير آية الصيام ان شا الله ٥
وينسخ الشى بمثله ثقلا وخفة كالقبله . وينسخ الشى لا الى بدل كصدقة النجوى . وينسخ
القران بالقران والسنة بالعباده . وهذه العباده يراد بها الخبر المتواتر القطعى . ولا
ينسخ خبر الواحد بخبر الواحد . وحكى اتفاق الامة على ان القران ينسخ بالسنة . وذلك

موجود فی قوله صلی الله علیه وسلم لا وصیة لوارث. وهو ظاهر قول الامام مالک وغیره.
وابی ذلک الامام الشافعی. وقال الکتاب لا ینسخ بالسنة المتواتره. واستدل لهذه الاته وهو
ان الله تعالی قال ما ننسخ من اٰیة او ننساها نات بخیر منها او مثلها. وذلک یفید انه هو الاتی والاتی
به هو من جنس القران. وما کان من جنس القران فهو قران. وقوله تعالی نات بخیر منها یفید
انه هو المنفرد بالاتیان بذلک الخیر وهو القران الذی هو کلام الله عز وجل دون السنة.
ولان السنة لا تکون خیرا من القران ولا مثله. واحتج الجمهور علی جواز نسخ الکتاب
بالسنة بان اٰیة الوصیة للاقربین منسوخة کما قدمناه بقوله صلی الله علیه وسلم لا وصیة
لوارث. ن والحذاق ایضا علی ان السنة تنسخ بالقران. وذلک موجود فی القبله. فان الصلاه
الی الشام لم تکن فی کتاب الله تعالی. والحذاق ایضا علی تجویز نسخ القران بخبر الواحد عقلا.
واختلفوا هل وقع شرعا ام لا. فذهب ابو المعالی وغیره الی وقوعه فی نازلة مسجد قبا.
علی ما یاتی ان شا الله. وابی ذلک قوم من العلما. ولا یصح نسخ نص بقیاس. اذ شرط القیاس ان
لا یخالف النص. وهذا کله فی مدة النبی صلی الله علیه وسلم. واما بعد موته واستقرار
الشریعة فاجمعت الامة انه لا نسخ. ولهذا کان الاجماع لا ینسخ ولا ینسخ به. اذ انعقاده
بعد انقطاع الوحی. فاذا وجدنا اجماعا یخالف نصا فنعلم ان الاجماع استند الی نص ناسخ
لا نعلمه نحن وان ذلک النص المخالف متروک العمل به وان مقتضاه نسخ وبقی سنة
یقرا ویروی. کما اٰیة عدة السنة فی القران تتلی فتامل هذا فانه نفیس. ویکون من باب
نسخ الحکم دون التلاوة. ومثله صدقة النجوی. وقد تنسخ التلاوة والحکم معا.
ومنه قول الصدیق رضی الله عنه کانقرا لا ترغبوا عن ابایکم فانه کفر. ومثل هذا کثیر.
والذی علیه الحذاق ان من لم یسلفه الناسخ فهو متعبد بالحکم الاول. کما یاتی بیانه فی
تحویل القبله ان شا الله. والحذاق ایضا علی جواز نسخ الحکم قبل فعله. وهو موجود فی
قصة الذبح علیه السلام. وفی فرض خمسین صلاة قبل فعلها خمسا علی ما یاتی بیانه فی سوره الاسرا
وفی سوره الصافات ان شا الله تعالی. واعلم ان لمعرفة الناسخ طرقا منها ان یکون فی اللفظ
ما یدل علیه کقوله صلی الله علیه وسلم کنت نهیتکم عن زیارة القبور فزوروها. ونهیتکم

عن الاشربة الا في ظروف الادم فاشربوا في كل وعا غير ان لا تشربوا مسكرا ونحوه ومنها
ان يذكر الراوي التاريخ مثل ان يقول سمعت عام الخندق وكان المنسوخ معلوما قبله او
يقول نسخ حكم كذا بكذا ومنها ان يجمع الامة على حكم انه منسوخ وان ناسخه متقدم
وهذا الباب مبسوط في اصول الفقه وقد اقتصرنا على ما فيه كفاية والله هو الموفق ۞
وعبر بعض المفسرين عن النسخ بعبارة اخرى لا تخلو من فايدة قالوا النسخ في القران على
وجوه احدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روى عن ابي امامة بن سهل ان قوما من
الصحابة رضي الله عنهم قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم
فغدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك سورة رفعت تلاوتها وحكمها اخرجه البغوي رحمه الله وقيل ان سورة الاحزاب
كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما الوجه الثاني ما رفع تلاوته
وبقي حكمه مثل آية الرجم بدليل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال عمر بن الخطاب
رضوان الله عليه وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى بعث سيدنا
محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل الله عليه اية الرجم
فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى
ان طال بالناس زمان ان يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها
الله وان الرجم في كتاب الله حق على من زنا اذا احصن من الرجال والنسا اذا قامت البينة او
كان الحبل او الاعتراف اخرجه مسلم وللبخاري نحوه الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت
خطه وتلاوته وهو كثير في القران مثل آية الوصية للاقربين نسخت باية الميراث عند الامام
الشافعي وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت باية اربعة اشهر وعشرا
وآية القتال وهي قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين الآية نسخت بقوله تعالى
الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير في القران والله تعالى اعلم واما
معنى الاية فقوله تعالى ما ننسخ من اية اي نرفعها او نرفع حكمها او ننسأها قرا ابن عمرو
وابن كثير بفتح النون والسين والهمز وهي قراءة عمر وابن عباس وعطا ومجاهد وابي بن كعب

وعبيد بن عمير والنخعي وابن محيصن ومعناه نؤخر نسخ لفظها اى نتركه في ام الكتاب فلا
يكون وهذا قول عطاء وقال غيره معناه او ننسأها ونؤخرها عن النسخ الى اجل معلوم من
قولهم نسأت هذا الامر اذا اخرته قال ابن فارس ويقال نسأ الله في اجلك وانسأ الله اجلك
بمعنى اخر الله اجلك ويقال انسأ القوم اذا تاخروا وتباعدوا وتقول نسأتهم اذا اخرتهم
فيكون المعنى على هذا نؤخر نزولها او ننسخها على ما ذكرنا وقيل نذهبها عنكم حتى لا تقرأوها
تذكر وقرا الباقون او ننسِها بضم النون من النسيان الذي بمعنى الترك اى نتركها
فلا نبدلها ولا ننسخها وهذا قول ابن عباس والسدي ومنه قوله تعالى نسوا الله
فنسيهم اى تركوا عبادته فتركهم في العذاب واختار هذه القراءة ابو عبيد وابو حاتم
وقال ابو عبيد سمعت ابا نعيم القارئ يقول قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المنام بقراءة ابي عمرو يعني برواية ابي عمرو فلم يرد علي الا في حرف قال قرأت عليه فقالوا
ارنا الله جهرة فعال صلى الله عليه وسلم ارِنَا وقرأت او ننساها فقال او ننسِها قال ابو
عبد فيما احسب ومعنى ننسِها اى نامر بتركها يقال انسيته الشيء اى امرت بتركه ونيته
تركته قال الشاعر ان عليّ عقبةً اقضيها لستُ بناسِيها ولا منسِيها اى ولا
آمر بتركها وقيل معناه نثبتها على قلبك والله اعلم وقوله تعالى نات بخير منها اى بما
هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان اية خير من اية لان كلام الله كله
واحد وقال بعضهم لفظة خيرٍ هنا صيغة تفضيل والمعنى نات بانفع لكم ايها الناس
في عاجلٍ ان كانت الناسخة اخف وفي آجلٍ ان كانت اثقل ومثلها ان كانت مستوية
وقال الامام مالك محكمة مكان منسوخه وقيل ليس المراد بخيرٍ التفضيل لان كلام
الله عز وجل لا يتفاضل وانما هو مثل قوله من جا بالحسنة فله خير منها اى نفع واجر
وقوله تعالى او مثلها اى في المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر كان اسهل في العمل
كالذي كان على المومنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم في عاجلهم لسقوط
التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان اكمل في الثواب كالذي عليهم من صيام ايام
معدودات في السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل

سنة اثقل على الابدان واشق من صيام ايام معدودات فكان ثوابه اكمل واكثر واما
المثل فكنسخ التوجه الى ست المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستووا الاجر فى ذلك لان
على المصلى التوجه الى حيث امره الله تعالى وقوله تعالى الم تعلم ان الله على كل شى قدير
اى من النسخ والتبديل والمعنى الم تعلم يا محمد انى قادر على تعويضك مما نسخت من احكامى وغيرته
من فرايضى التى كنت افترضتها عليك ما اشآء مما هو خير لك ولعبادى المومنين وانفع لك ولهم
عاجلا وآجلا الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فهو تعالى يملك امورهم ويدبرها
وهو المتصرف فى السموات والارض بالايجاد والاختراع والملك والسلطان ونفوذ الامر والارادة
دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما مما شآء من امر ونهى ووضع ورفع وقبض وبسط ونسخ وتبديل
قال العلما وهذا الخبر وان كان خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب للهود الذين
انكروا النسخ وجحدوا ابنوه عيسى وسيدنا محمد صلى الله عليهما وسلم فاخبرهم الله تعالى ان له ملك
السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم ما يشآ وعليهم السمع والطاعة
وقوله تعالى وما لكم يعنى يا معشر الكفار عند نزول العذاب من دون الله اى مما سوى الله
من ولى اى من قريب وصديق وقيل من والٍ وهو القيم بالامور ولا نصير اى ناصر يمنعكم
من العذاب وقيل معنى الاية وليس لكم ايها المومنون بعد الله من قيم يامركم ولا نصير
يويدكم ويقويكم على اعدايكم وقال الشاعر ٥

يا نفس مالكِ هُوَنَ الله مِن واقٍ ومَا على حَدَثانِ الدهرِ من باقٍ ٥ قوله تعالى
ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل قال بعض المفسرين انزل الله عز وجل
هذه الاية فى قريش وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا ارض
مكة فنهاهم الله تعالى ان يقترحوا على رسوله الايات كما اقترح قوم موسى عليه السلام حين قالوا
اجعل لنا الها وقال بعضهم انها نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يا محمد ايتنا بكتاب من السما جملة كما اتى موسى بالتورية وقيل ان كفار مكة سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نومن لك حتى ياتى بالله والملايكة قبيلا كما سال قوم موسى
موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اتريدون وقيل يل تريدون

ان تسالوا رسولكم يعني سدنا محمدا صلى الله عليه وسلم كما سئل موسى من قبل. وذلك ان موسى عليه السلام سأله قومه فقالوا ارنا الله جهرة. ففي الاية منعهم ونهيهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة سدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وقوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل اى اخطأ قصد الطريق. وقيل ان قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمومنين واعلمهم ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمومنين المكاره. فنهاهم الله عز وجل ان يقبلوا من اليهود شيا ينحوهم به في الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطأ قصد السبيل. قوله عز وجل ودّ كثير من اهل الكتاب الى آخرها. قال المفسرون انزل الله عز وجل هذه الآية في نفر من اليهود منهم فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس. وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تر ما اصابكم يا اصحاب محمد. ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا. فقال لهم عمار رضي الله عنه كيف نقض العهد فيكم يا معشر اليهود. قالوا شديد. فقال اني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت. فقالت اليهود اما هذا فقد صبا. وقال حذيفة رضي الله عنه اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا. ثم انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال لهما صلى الله عليه وسلم اصبتما الخير وافلحتما. وانزل الله عز وجل هذه الآية. اى تمنى كثير من اهل الكتاب يعني اليهود لو يردونكم يعني يا معشر المومنين من بعد ايمانكم كفارا اى ترجعوا الى ما كنتم عليه من الكفر حسدا اى يحسدونكم حسدا من عند انفسهم اى من تلقاء انفسهم من غير ان يجدوه في كتاب ولا امرهم الله تعالى به من بعد ما تبين لهم الحق يعني في التوراة ان قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا تشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا. قال العلماء واصل الحسد تمني زوال نعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها. والحسد على نوعين مذموم ومحمود. فالمذموم ان تتمنى زوال نعمة الله عن اخيك المسلم وسواء تميل مع ذلك ان تعود النعمة اليك ام لا. وهذا النوع هو الذي ذمه الله عز وجل

فی کتابه العزیز بقوله ام یحسدون الناس علی ما آتاهم الله من فضله. قال العلما وانما
کان الحسد مذموما لان فیه تسفیه الحق سبحانه وتعالی وانه انعم علی من لا یستحق.
واما الحسد المحمود فهو ما جا فی الحدیث الصحیح من قول النبی صلی الله علیه وسلم لا
حسد الا اثنتین رجل آتاه الله القران فهو یقوم به انا اللیل وآنا النهار. ورجل اتاه الله
مالا فهو ینفقه آنا اللیل وآنا النهار. قال العلما وهذا الحسد معناه الغبطه. وحقیقه
الغبطه ان تتمنی ان یکون لک ما لاخیک المسلم من الخیر والنعمة ولا تزول عنه خیره. ویجوز
ان یسمی هذا منافسة. ومنه قوله تعالی وفی ذلک فلیتنافس المتنافسون. وروی
عن انس بن مالک رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان الحسد یاکل الحسنات
کما تاکل النار الحطب. یقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتی متسخط لفعلی غیر راض
بقسمتی التی قسمت بین عبادی. قال الاصمعی رات اعرابیا بلغ عمره مائة وعشرین سنة.
فقلت له ما اطول عمرک. فقال ترکت الحسد فبلغت هذا العمر او قال فبقیت. وقال الشاعر
یا طالب العیش فی امن وفی دعة ... رغدا بلا قتر صفوا بلا رنق
خلص فوادک من غل ومن حسد ... فالغل فی القلب مثل الغل فی العنق
وقال بعضهم الحسد حسک. من تعلق به هلک. ویقال ان الله تبارک وتعالی لما خلق ادم علیه السلام
عجن طینته ثلاثة اشیا الحرص والحسد والطمع. فمن یجری فی اولاده الی یوم القیامة.
فالعاقل یخفیها والجاهل یبدیها. والمعنی ان الله تعالی خلق فیه هذه الثلاثة فیه. والله تعالی اعلم.

فصل فی ذم الحسد عن ابی هریره رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال قال رسول
الله صلی الله علیه وسلم ایاکم والظن فان الظن اکذب الحدیث. ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا
ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وکونوا عباد الله اخوانا کما امرکم. المسلم
اخو المسلم لا یظلمه ولا یخذله ولا یحقره التقوی ها هنا. التقوی ها هنا. التقوی ها هنا.
ویشیر الی صدره بحسب امری من الشر ان یحقر اخاه المسلم. کل المسلم علی المسلم حرام دمه
وعرضه وماله. رواه الامام مالک والبخاری ومسلم واللفظ له. وهو اتم الروایات. وعنه
رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ایاکم والحسد فان الحسد یاکل الحسنات کما

مطلب حسد

تاكل النار الحطب • او قال العشب • رواه ابو داود • وعن ضمرة بن ثعلبه رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا • رواه الطبرانى •
وعن عبد الله بن كعب رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ذئبان جائعان
ارسلا فى زريبة غنم بافسد لها من الحرص على المال والحسد فى دين المسلم • وان الحسد
ليأكل الحسنات كما تاكل النار الحطب • وعن الزبير رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء هى الحالقة • اما انى لا اقول تحلق
الشعر • ولكن تحلق الدين • رواه البزار والبيهقى • وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال
لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى ان قدرت على ان تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لاحد
فافعل • رواه الترمذى • وروى عن الحسن رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان بدل امتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة ولا صوم ولا صدقة • ولكن دخلوها برحمة الله
تعالى وسخاوة الانفس وسلامة الصدور • رواه ابن ابى الدنيا • وعن ابى ذر رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اخلص قلبه للايمان • وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا •
ونفسه مطمئنة • وخليقته مستقيمة • رواه الامام احمد والبيهقى • والله تعالى اعلم • قال العلما
رضى الله عنهم اذا انعم الله عز وجل على عبد نعمة فتمنى اخر زوالها فهذا هو الحسد • وهو حرام •
فان استحسان تلك النعمة على الكفر والمعاصى فتمنى آخر زوالها عنه فليس بحسد • ولا يحرم
ذلك • فانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة • بل من حيث انه توصل تلك النعمة
الى الشر والفساد • والله تعالى اعلم • وقوله تعالى فاعفوا واصفحوا اى فتجاوزوا عما
كان منهم من اساءة وحسد • قال العلما وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يؤمر صلى
الله عليه وسلم بالقتال • قال العلما والعفو هو ترك المواخذة بالذنب • والصفح ازالة اثره
من النفس • تقول صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه • وتقول اعرضت عنه صفحا اذا اعرضت
عنه وتركته • ومنه قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا • قال العلما وهذه الآية منسوخة
بآية السيف • قال ابو عبيد كل اية فيها ترك القتال ففى مكيه منسوخة بالقتال • قال ابن عطيه
وحكمه ان هذه الاية مكيه ضعيفة لان معاندات اليهود انما كانت بالمدينة • قال بعضهم وهذا

هو الصحيح ويدل عليه ما روى البخارى ومسلم عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على قطيفة فدكيه وارداف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد
ابن عباده فى بنى الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر فسار حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابى
ابن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن ابى فاذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبده
الاوثان واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر
عبد الله بن ابى انفه بردائه وقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف
فنزل ودعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القران فقال له عبد الله بن ابى ابن سلول ايها المرء
انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا توذنا به فى مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك منا
فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشانا به فى مجالسنا فانا نحب ذلك
فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على
سعد بن عباده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تسمع الى ما قال ابو حباب يريد عبد الله
ابن ابى قال كذا وكذا فقال يا رسول الله بابى انت وامى اعف عنه واصفح فوالذى انزل عليك الكتاب
بالحق لقد جاءك الله بالحق الذى انزل عليك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه
بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذى اعطاك شرق بذلك فذلك الذى فعل به ما رايت فعفى عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يعفون
عن المشركين واهل الكتاب كما امرهم الله عز وجل ويصبرون على الاذى كما قال تعالى ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلما غزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بدرا وقتل الله بها من قتل من صناديد قريش قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه سالمين منصورين ومعهم اسارى بدر من صناديد الكفار وسادات قريش قال
عبد الله بن ابى ومن معه من المشركين وعبده الاوثان هذا امر قد توجه فبايعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسلموا فذلك قول الله تعالى فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره اى
بعذابه وهو القتل والسبى لبنى قريظة والاجلاء والنفى لبنى النضير قال ابن عباس رضى الله عنهما

موامر الله تعالى له بقتالهم فى قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية ان الله على كل شى قدير فهو يقدر على الانتقام منهم وفى هذا وعيد وتهديد لهم قوله تعالى واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة قال العلما رضى الله عنهم ان الله تبارك وتعالى لما امر المومنين بالعفو والصفح عن اليهود امرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتآء الزكوة الواجبتين ونبه بذلك على سايرالواجبات وقد قدمنا الكلام على الصلاة والزكوة فى اول السورة فاستغنينا عن اعادته ثم قال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله قال العلما معناه وما تقدموا لانفسكم من طاعة وعمل صالح تجدوا ثوابه ونفعه عند الله وقيل اراد سبحانه بالخير المال يعنى صدقه التطوع لان الزكوة تقدم ذكرها وقوله تجدوه عند الله اى تجدوا ثوابه واجرة حتى التمرة واللقمة مثل احد ان الله بما تعملون بصير اى لا يخفى عليه شى من قليل الاعمال وكثيرها فلا يضيع عنده عمل عامل ففيه ترغيب فى الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصى وفى الحديث ان العبد اذا مات قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم وخرج البخارى والنساى عن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم مال وارثه احب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا من احد الا ماله احب اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس احد منكم من احد الا الاموال وارثه احب اليه منها له مالك ما قدمت ومال وارثك ما اخرت لفظ النساى ولفظ البخارى قال عبد الله قال النبى صلى الله عليه وسلم ايكم مال وارثه احب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا احد الا ماله احب اليه قال فان ماله ما قدم ومال وارثه ما اخر وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بن ابى طالب الدار وانشد يقول

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذى دون الفراق قليل

وان افتقادى واحدا بعد واحد ... دليل على ان لا يدوم خليل

ثم دخل رضى الله عنه المقابر فقال السلام عليكم يا اهل القبور اموالكم قسمت ودوركم سكنت ونساوكم نكحت وهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم فهتف هاتف وعليكم السلام

اى تجدوا ثوابه فلا تخافوا فواته وفيه اشارة الى التعظيم

اذا تصدق الرجل بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله تعالى الا الطيب فان الرحمن يتقبلها بيمينه فيربيها كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل العظيم والفلو المهر وخصه بالذكر لكونه يزنى بالاكرام غالبا سعيد ابن حوزى نور

سطر موعظة بليغة

انفقنا

ما اكلنا ربحنا، وما قدمنا وجدنا، وما خلفنا خسرنا ۝ ووقع مثل هذا ايضا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك انه مر يوما سقيع الغرقد فقال السلام عليكم اهل القبور، أخباركم ما عندنا ان نساءكم قد تزوجن، ودوركم قد سكنت، واموالكم قد قسمت، فهتف به هاتف يا ابن الخطاب اخبار ما عندنا ان ما قدمنا وجدنا، وما انفقنا فقد ربحنا، وما خلفنا فقد خسرنا ۝ ولقد احسن القائل ۝

قدم لنفسك قبل موتك صالحا ؛ واعمل فليس الى الخلود سبيل ؛ وقال آخر،
قدم لنفسك توبة مرجوة ؛ قبل الممات وقبل حبس الالسن ؛ وقال اخر،
ولدتك اذ ولدتك امك باكيا ؛ والقوم حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم تكون فيه اذا بكوا ؛ في يوم موتك ضاحكا مسرورا ؛ وقال اخر،
سابق الى الخير وبادر به ؛ فانما خلفك ما تعلم ؛ وقدم الخير فكل امرئ على الذي قدمه يقدم ؛
واحسن من هذا كله قول ابي العتاهية ۝

اسعد بمالك في الحياة فانما ؛ يبقى وراك مقلد او مفسد ؛
واذا تركت لمفسد لم يبقه ؛ واخو الصلاح قلبه يتزيد ؛
فان استطعت فكن لنفسك وارثا ؛ ان الموروث نفسه لمسدد ؛

مطالب عجايبات

وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا رواه البخاري وغيره، وعن ابي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما طلعت شمس قط الا وبجنبتها ملكان ينادیان اللهم من انفق فاعقبه خلفا، ومن امسك فاعقبه تلفا رواه الامام احمد وغيره، وفي رواية للبيهقي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلعت شمسه الا وكان بجنبتها ملكان ينادیان ندا يسمعه ما خلق الله كلهم غير الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر والهى، ولا آبت شمس الا وكان بجنبتها ملكان ينادیان ندا يسمعه ما خلق الله كلهم غير الثقلين اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا، وعن بلال رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله

مطلب دعاء ملكان

مطلب ملكان

علیہ وسلم یا بلال مُت فقیرا ولا تمُت غنیا۔ قلت وکیف لی بذلک۔ قال مہما رزقت
فلا تخبا۔ ومہما سئلت فلا تمنع۔ قلت یا رسول اللہ وکیف لی بذلک۔ قال ہو ذاک او النار۔
رواہ الطبرانی۔ وعن طلحۃ بن یحیی عن جدتہ سعدی قالت دخلت یوما علی طلحۃ تعنی
ابن عبید اللہ فرایتُ منہ ثِقلا۔ فقلت مالک لعلک رابک منی شی فیعتبک۔ قال لا۔
ولنعم خلیلۃُ المرءِ المسلمۃ انتِ۔ ولکن اجتمع عندی مال ولا ادری کیف اصنع بہ۔ قلت
وما یغمک منہ ادع قومک فاقسمہ بینہم۔ فقال یا غلام علیّ قومی۔ قالت فقالتُ
الخازن کم قسمہ قال اربعمائۃ الف۔ رواہ الطبرانی۔ وروی عن ابن عباس رضی اللہ عنہما
قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم نشر اللہ تعالی عبدین من عبادہ اکثر لہما من المال
والولد۔ فقال تعالی لاحدہما ای فلانُ بن فلان۔ قال لبیک رب وسعدیک۔ قال الم اکثر لک
من المال والولد۔ قال بلی ای رب۔ قال وکیف صنعت فیما آتیتک۔ قال ترکتہ لولدی
مخافۃ العیلۃ۔ قال تعالی اما انک لو تعلم العلم لضحکت قلیلا ولبکیت کثیرا۔ اما ان الذی
تخوفتَ علیہم قد انزلتُ بہم۔ ویقول تعالی للآخر ای فلانُ بن فلان۔ فیقول لبیک
ای رب وسعدیک۔ قال الم اکثر لک من المال والولد۔ قال بلی ای رب۔ قال فکیف صنعت
فیما آتیتک۔ قال انفقتہ فی طاعتک۔ ووثِقتُ لولدی من بعدی حُسنَ طولک۔ قال تعالی
اما انک لو تعلم العلم لضحکت کثیرا ولبکیت قلیلا۔ اما ان الذی وثقتَ بہ قد انزلتہم۔
رواہ الطبرانی۔ وعن مالک الدارمی ان عمر بن الخطاب رضی وہو خلیفۃ اخذ اربعمائۃ
دینار فجعلہا فی صُرۃ۔ وقال للغلام اذہب بہا الی ابی عبیدۃ بن الجراح ثم تلہّ فی البیت
ساعۃ لتنظر ما یصنع۔ فذہب بہا الغلام الیہ۔ فقال یقول لک امیر المومنین اجعل
ہذہ فی بعض حاجتک۔ فقال وصلہ اللہ ورحمہ۔ ثم قال تعالی یا جاریۃ اذہبی بہذہ السبعۃ
الی فلان۔ وبہذہ الخمسۃ الی فلان۔ وبہذہ الخمسۃ الی فلان حتی انفذہا۔ ورجع الغلام الی عمر
فاخبرہ فوجدہ قد اعدّ مثلہا لمعاذ بن جبل رضی اللہ عنہ۔ فقال اذہب بہا الی معاذ بن جبل
وتلہّ فی البیت حتی ینظر ما یصنع۔ فذہب بہا الیہ۔ فقال یقول لک امیر المومنین اجعل ہذہ
فی بعض حاجتک۔ فقال رحمہ اللہ ووصلہ۔ تعالی یا جاریۃ اذہبی الی ست فلان بکذا واذہبی

مطلب

الى ست فلان بكذا، واذهبي الى ست فلان بكذا، فاطلعت امراة معاذ وقالت نحن والله مساكين فاعطنا، فلم يبق في الخرقة الا دينار، فدحا بهما اليها، ورجع الغلام الى عمر فاخبره، فسر بذلك، فقال انهم اخوة بعضهم من بعض ٥ رواه الطبراني، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة دنانير وضعها عند عائشة، فلما كان عند مرضه قال يا عائشة ابعثي بالذهب الى علي، ثم اغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشغل عائشة ما به حتى قال ذلك مرارا، كل ذلك يغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشغل عائشة ما به، فبعثت الى علي فتصدق بها، واسى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديد الموت ليلة الاثنين، فارسلت عائشة مصباح لها الى امراة من نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول لها اهدي لنا في مصباحنا من عكتك السمن، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسى في حديد الموت ٥ اراد ان ترسل لها في السراج سمنا لتشرجه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله وفاته، اذ لم يكن عندها ما تشتري به ٥ رواه

وعن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيا لغد، رواه ابن حبان وغيره، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال لي ابو ذر رضي الله عنه يا ابن اخي كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بيده، فقال لي يا اباذر ما احب ان لي احدا ذهبا وفضة انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت ادع منه قيراطا، قلت يا رسول الله قنطارا، قال يا اباذر اذهب الى الاقل وتذهب الى الاكثر اريد الاخرة وتريد الدنيا، قيراطا قيراطا، ثلاث مرات يعيدها علي صلى الله عليه وسلم، رواه البزار، وعن ابي ذر ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت الى احد فقال والذي نفسي بيده ما يسرني ان احدا تحول لآل محمد ذهبا انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت ادع منه دينارين الا دينارين ادعهما للدين ان كان، رواه الامام احمد، وفيما ذكرناه كفاية لمن يقدم لنفسه خيرا يجده امامه ٥

مطلب

قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى قال المفسرون

مطلب

وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من يهوديا، ولا دين الا دين اليهودية، وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا النصرانية، وقيل ان هذه الآية نزلت في وفد

نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب
بعضهم بعضا فى دعواه. وذلك ان كل فريق منهم ادعى ان لا دين الا دينه. فقال الله تعالى
تلك امانيهم اى تلك شهواتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق. وقيل معنى امانيهم
اى اباطيلهم بلغة قريش. وقيل اقاويلهم وتلاوتهم. والامنية افعولة من التمنى مثل
الاضحوكة. قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اى قل يا محمد هاتوا برهانكم
اى هلموا حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا او نصرانيا دون غيرهم
ان كنتم صادقين يعنى فيما تدعون. ثم قال تعالى ردا عليهم واثباتا لما نفوه من دخول
غيرهم الجنة وتكذيبا لهم بلى اى ليس الامر كما يزعمون ولكن من اسلم وجهه لله وهو
محسن فانه الذى يدخل الجنة وينعم فيها. قال العلما ومعنى اسلم وجهه لله اى اخلص دينه
لله. وقيل اخلص عبادته لله. وقيل فوض امره الى الله. وقيل خضع وتواضع لله. لان اصل
الاسلام الاستسلام وهو الخضوع. وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضا. واذا جاد
الانسان بوضع وجهه على الارض فى السجود فقد جاد بجميع اعضايه. وانشد زيد من عمرو بن نفيل
واسلمت وجهى لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا
واسلمت وجهى لمن اسلمت. له المزن تحمل عذبا زلالا يعنى بذلك استسلمت لطاعة
من استسلم لطاعته الارض والمزن. وعبر بعض المفسرين فقال انما خص الله تعالى الوجه
بالذكر لكونه اشرف ما يرى من الانسان. ولانه موضع الحواس. وفيه يظهر العز والذل. والعرب
تخبر عن الوجه عن جملة الشى. ويصح ان يكون الوجه فى هذه الآية المقصد. والله تعالى اعلم
وقوله تعالى وهو محسن اى فى عمله لله فله اجره عند ربه اى ثواب عمله. قال العلما
وهذا جواب من اسلم. وهو كلام مبتدا متضمن لمعنى الشرط ولا خوف عليهم يعنى فى الآخرة ولا
هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. والمعنى انهم من اهل الجنة. وهذه الصفة حاصلة لاسباب
السعادة. فلا يخافون فى الآخرة. ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. والله اعلم بمراده قوله
عز وجل وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود
على شئ يعنى ان كل فريق منهم ادعى ان صاحبه ليس على شى وانه احق برحمة الله منه. قال

المفسرون انزل الله تعالى هذه الاية فى يهود المدينة ونصارى نجران لما قدموا على النبى صلى
الله عليه وسلم وذلك انهم لما قدموا اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم
فقالت اليهود للنصارى ما انتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى
لليهود ما انتم على شئ من الدين وكفروا بموسى والتورية فانزل الله عز وجل وقالت اليهود ليست
النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب يعنى وكلا الفريقين
يقراون الكتاب وليس فى كتابهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه
على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذى يدين بصحته النصارى يحقق ما
فى التورية من نبوة موسى عليه السلام وما فرض الله فيها على بنى اسرائيل من الفرائض وان
التورية التى يدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى عليه السلام وما جاء به من عند ربه من
احكام ثم كلا الفريقين قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ
وقالت النصارى ليست اليهود على شئ مع علم كل واحد من الفريقين سطلان ما قاله وكان
سفين الثورى رحمة الله عليه اذا قرا هذه الاية قال صدقوا جميعا والله ثم قال عز وجل
كذلك قال الذين لا يعلمون يعنى مشركى العرب قالوا فى بنيهم سدا يا محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه ليسوا على شئ مثل قولهم يعنى مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقال
ابن جريج قلت لعطا اخبرنى عن قول الله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون من هم قال امم
كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح وشعيب ونحوهم قالوا فى بنيهم انه
ليس على شئ وان الدين دينا وقال العلما وفى هذه الاية توبيخ عظيم لاهل الكتاب حيث نظموا
انفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم فالله يحكم بينهم يوم القيامة اى يقضى بين المحق والمبطل
فيما كانوا فيه يختلفون يعنى من امر الدين وقيل يحكم بين اليهود والنصارى بما يقسم
لكل فريق منهم من العقاب اللائق به والله اعلم بمراده قوله تعالى ومن اظلم
ممن منع مساجد الله الآية قال المفسرون وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه جرى فيما
تقدم ذكر اليهود والنصارى ومشركى العرب فرد بعضهم هذه الآية الى ذكر اليهود والنصارى
وبعضهم ردها الى مشركى العرب قال العلما ونزلت هذه الاية فى خراب بيت المقدس وذلك ان

طيطوس بن اسبسيانوس الرومى واصحابه غزوا بنى اسرآيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا
ذراريهم وحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه
الخنازير فلم يزل خرابا الى ان بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانزل الله
عز وجل الايه وقال قتاده والسدى هو بخت نصر واصحابه غزوا اليهود وخربوا بيت
المقدس واعانهم على ذلك النصارى طيطوس واصحابه من اهل الروم قال السدى من اجل
انهم قتلوا يحيى بن زكريا عليه السلام وقيل حملهم بعض اليهود على معاونة بخت نصر فانزل
الله عز وجل ومن اظلم يعنى ومن اكفر واعتى ممن منع مساجد الله يعنى بيت المقدس ومحاربيه
ان يذكر فيها اسمه اى يعبد ويصلى له فيها وسعى فى خرابها اى عمل فى خرابها اولئك ما
كان لهم ان يدخلوها الا خائفين قال العلما وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى
وزيارتهم قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يدخلها بعد عمارتها رومى او نصرانى الا خائفا
ان علم به قتل وقيل اخيفوا بالقتل والجزيه فالجزية على الذمى والقتل على الحربى
وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينيه ورومية وعمورية وقال قتاده
ومقاتل لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة لو قدر عليه عوقب
ونهك ضربا لهم فى الدنيا خزي يعنى الصغار والذل والقتل والسبى ولهم فى الاخرة
عذاب عظيم يعنى النار عن ابى هريره رضى الله عنه قال لا تقوم الساعة حتى تفتح مدسة هرقل
يعنى القسطنطينيه ويوذن فيها الموذنون ويقسم فيها المال بالاترسة فيقبلون باكثر اموال
رآها الناس قط فبينما هم كذلك اذ اتاهم الصريخ ان الدجال قد خلفكم فى اهليكم فيلقون ما
فى ايديهم ويجيونه فيقاتلونه وروى عطا وعبد الرحمن بن زيد ان الايه نزلت فى مشركى
مكه واراد سبحانه بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه ان يصلوا فيه فى ابتدا الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاه فيه عام الحديبيه
واذا منعوا من عمره بذكر الله تعالى والصلاه فيه فقد سعوا فى خرابه يعنى مشركى مكه فيقول
الله تعالى انا افتحها عليكم ايها المسلمون حتى يدخلوها وتكونوا اولى بها منهم ففتحها الله عز وجل
عليهم وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينادى فى الموسم لما نزلت براءة الا لا يحجن بعد

الحام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. فان قيل كيف قيل مساجد الله. وانما وقع التحريم والمنع على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد الحرام. قيل له الجواب يجوز ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا. كما تقول لمن آذى صالحا واحدا. ومن اظلم ممن آذى الصالحين. فان قيل اى القولين ارجح. قيل له رجح الطبري القول الاول وقال ان النصارى هم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس. بدليل ان مشركى مكة لم يسعوا فى خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات من الصلاة فيه. وايضا فان الآية التى قبل هذه وبعدها فى ذم اهل الكتاب ولم يجز لمشركى مكة ذكر ولا للمسجد الحرام. فتعين ان يكون المراد بهذه بيت المقدس. ورجح غيره القول الثانى بدليل ان النصارى معظمون بيت المقدس اكثر من اليهود. فكيف يسعون فى خرابه وهو موضع حجهم. وذكر ابن العربى فى احكام القران قولا ثالثا وهو ان المراد به سائر المساجد. وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد او ببعض الازمنة محال. قال العلماء رضى الله عنهم دلت هذه الآية الكريمة على تعظيم امر الصلاة والمساجد. وان الصلاة لما كانت افضل الاعمال واعظمها اجرا كان منعها اعظم اثما. وقالوا ايضا كل موضع يمكن ان يعبد الله فيه ويسجد له يسمى مسجدا. قال النبى صلى الله عليه وسلم جعلت لى الارض طهورا ومسجدا اخرجه الائمة. واجمعت الامة على ان البقعة اذا عينت للصلاة بالقول خرجت عن جملة الاملاك المختصة بربها وصارت عامة لجميع المسلمين. فلو بنى رجل فى داره مسجدا وحجره على الناس واختص به لنفسه لبقى على ملكه ولم يخرج الى حد المسجدية. ولو اباحه للناس كلهم كان حكمه حكم سائر المساجد العامة وخرجت عن اختصاص الاملاك. عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى بنا يعبد الله فيه من مال حلال بنى الله له بيتا فى الجنة من در وياقوت. رواه البزار وغيره ۝ وانشد بعضهم ۝

بنى مسجدا لله من غير حله ... فكان بحمد الله غير موفق ۝ ۝

وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا فيه قصبة من الانصار تذرعون المسجد بقصبة. قالوا نريد ان نعمر مسجدك. فاخذ صلى الله عليه وسلم القصبة فرمى بها. وقال خشيبات وثمامات وعريش

كعرش موسى والشأن اقرب من ذلك. وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكل شئ قمامة وقمامة المسجد لا والله وبلى والله. وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من علق قنديلا فى المسجد صلى عليه سبعون الف ملك
حتى ينكسر ذلك القنديل. ومن بسط حصيرا فى المسجد صلى عليه سبعون الف ملك حتى يقطع
ذلك الحصير. وقال مالك بن دينار ان المنافق فى المساجد كالعصافير فى القفص ٥
وقال النبى صلى الله عليه وسلم يأتى فى آخر الزمان ناس من امتى يأتون المساجد فيقعدون
فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة. وقال النبى
صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى ان بيوتى فى الارض المساجد وان زوارى فيها عمارها.
فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره. وقال سعيد
ابن المسيب رضى الله عنه من جلس فى المسجد فانما يجالس ربه عز وجل فما حقه ان يقول الا
خيرا. والله تعالى اعلم قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله
قال ابن عباس رضى الله عنهما سبب نزول هذه ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانوا فى سفر وذلك قبل ان تحول القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة.
فتحروا القبلة وصلوا فمنهم من صلى قبل المشرق ومنهم من صلى قبل المغرب فلما ذهب
الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا. فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت
هذه الاية. وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فى ليلة
مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله. فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت فاين ما تولوا فثم وجه الله. وروى عن عبد الله بن عامر ايضا قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلا فجعل الرجل يأخذ
الاحجار فيجعل مسجدا يصلى فيه فلما اصبحنا اذا نحن صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة فانزل الله
تعالى هذه الاية. وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فى المسافر يصلى التطوع حيث
ما توجهت به راحلته تطوعا. ويدل على هذا ما روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ. وكان ابن عمر يفعله.

وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على دابته وهو مقبل من مكه الى المدينة
حيث ما توجهت. وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله الاية. وقال عكرمة نزلت في
تحويل الى الكعبة. وذلك ان اليهود عيرت المومنين وقالوا ليست لهم قبله معلومة فتارة
يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا. فانزل الله عز وجل هذه الاية. وقيل انها نزلت
في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه ليصلوا حيث شاءوا من النواحي. ثم انها نسخت بقوله
تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام. واعلم انه لا خلاف بين العلماء في جواز النافلة على
الراحلة لما تقدم من الاحاديث. ولا يجوز لاحد ان يدع القبله عامدا بوجه من الوجوه
الا في شدة الخوف على ما ياتي بيانه. واجمعوا على انه لا يجوز لاحد صحيح ان يصلي فريضه الا
بالارض الا في الخوف الشديد خاصة على ما ياتي بيانه. واختلفوا في المسافر سفرا لا تقصر
في مثله الصلاة. فقال الامام مالك واصحابه وسفين الثوري لا يتطوع على الراحلة الا في سفر
تقصر في مثله الصلاة. لان الاسفار التي حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتطوع
فيها كان مما تقصر فيه الصلاة. وقال الامام ابو حنيفه والامام الشافعي واصحابهما والليث
ابن سعد وداود بن علي يجوز التطوع على الراحلة خارج المصر في كل سفر. وسواء كان مما تقصر
فيه الصلاة ام لا. لان الآثار ليس فيها تخصيص سفر من سفر. فكل سفر جايز ذلك فيه. الا
ان يخص شيء من الاسفار بما يجب التسليم له. وقال ابو يوسف يصلي في المصر على الدابه بالايماء
لحديث يحيى بن سعيد عن انس بن مالك رضي الله عنه انه صلى على حمار في ازقه المدينه يومي ايماء.
وقال الطبري يجوز لكل راكب وماش حاضر كان او مسافر ان يتنفل على دابته وراحلته
وعلى رجليه. وحكي عن بعض اصحاب الامام الشافعي جواز النفل على الدابة في الحضر والسفر.
وسيل الامام احمد بن حنبل عن الصلاة على الدابة في الحضر فقال اما في السفر فقد سمعت. واما
في الحضر فلم اسمع. والله تعالى اعلم. وقال بعض المفسرين في سبب نزول الاية ان اليهود كانوا
قد استحسنوا صلاة النبي صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس وقالوا ما اهتدى محمد الا بنا.
فلما حول صلوات الله عليه الى الكعبة قالت اليهود ما ولاهم عن قبلتهم. فنزلت هذه الاية.
ووجه نظم الاية على هذا القول ان اليهود لما انكروا امر القبله بين الله تعالى ان له ان يتعبد

عباده حيثما شاءا فان شاءا مرهم ان يتوجهوا الى بيت المقدس وان شاءا التوجه الى الكعبة فعل
لا حجر عليه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون. وقال بعضهم ان الاية منسوخة بقوله تعالى
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره. وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما. فكانه كان فى الابتدا
يجوز ان يصلى المرء حيث شاء ثم نسخ. وقال قتادة الناسخ قوله تعالى فول وجهك شطر
المسجد الحرام اى تلقاءه. حكاه ابو عيسى الترمذى. وروى عن مجاهد والضحاك ان الاية
محكمة والمعنى اين ما كنتم من شرق او غرب فثم وجه الله الذى امرنا باستقباله وهو الكعبة
وروى عن مجاهد وابن جبير لما نزلت ادعونى استجب لكم قالوا الى اين. فنزلت فاينما
تولوا فثم وجه الله. وروى عن ابن عمر والنخعى ان المعنى اين ما تولوا فى اسفاركم ومتصرفاتكم
فثم وجه الله. وقيل ان الاية متصلة بقوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله الى آخرها.
والمعنى ان بلاد الله ايها المومنون تسعكم فلا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله ان تولوا
وجوهكم نحو قبلة الله اين ما كنتم من ارضه. وقال بعضهم ان الاية نزلت حين صد رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الحديبية فاغتم المسلمون لذلك. والله اعلم بمراده. واختلف
العلما رضى الله عنهم فى الوجه المضاف الى الله تعالى فى القران العظيم والسنة الشريفة. فقال
الحذاق ان ذلك راجع الى الوجود. والعبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام اذ كان الوجه
اظهر الاعضا فى الشاهد واجلها قدرا. وقال ابن فورك قد تذكر صفة الشى والمراد
به الموصوف توسعا. كما يقول القايل رايت علم فلان اليوم ونظرت الى علمه. وانما
نريد بذلك رايت العالم ونظرت الى العالم. كذلك اذكروا الوجه هنا. والمراد من له
الوجه اى الوجود. وعلى هذا تتناول انما نطعمكم لوجه الله. لان المراد به انما نطعمكم لله
الذى له الوجه. وكذلك قوله تعالى الا ابتغا وجه ربه الاعلا. اى الذى له الوجه. وقال
ابن عباس رضى الله عنه الوجه عبارة عنه عز وجل. كما قال ويبقى وجه ربك. وقال بعض الائمة
تلك صفة ثابتة بالسمع زايدة على ما توجبه العقول من صفه القدم تعالى. قال ابن
عطيه وضعف ابو المعالى هذا القول. وكذلك هو ضعيف. وانما المراد وجوده. وقيل
المراد بالوجه هنا الجهة التى وجهنا سبحانه اليها وهى القبلة. وقيل الوجه هو الفضل

وقيل المعنى فاينما تولوا فثم رضى الله وثوابه كما قال تعالى انما نطعمكم لوجه الله اى لرضاه وطلب ثوابه ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة وقوله صلى الله عليه وسلم نجا يوم القيامة بصحف مختمة فتنصب بين يدى الله تعالى فيقول الله عز وجل لملائكته القوا هذا واقبلوا هذا فقال فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا الا خيرا وهو اعلم فيقول تعالى ان هذا كان لغير وجهى ولا اقبل من العمل الا ما ابتغى به وجهى اى خالصا اخرجه الدارقطنى وقيل المراد فاينما تولوا فثم الله والوجه صلة وهو كقوله وهو محكم وهذا قول الكلبى والقتبى ونحوهذا قول المعتزلة والله تعالى اعلم باسرار كلامه العظيم وقوله تعالى ان الله واسع عليم اى واسع الرحمة لا يتعاظم مغفرته ذنب لقوله تعالى ان ربك واسع المغفرة وقال الفرا الواسع هو الجواد الذى يسع عطاؤه كل شئ وقيل الواسع هو العالم الذى يسع علمه كل شئ قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض وقيل الواسع هو الذى يوسع على عباده فى دينهم ولا يكلفهم ما ليس فى وسعهم وقيل الواسع هو المتفضل على عباده الغنى عن اعمالهم يقال فلان يسع ما يسأل اى لا يبخل قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته اى ليتفضل الغنى مما اعطاه الله والعليم هو العليم بنياتهم واعمالهم حيث ما صلوا ودعوا لا يغيب عنه منها شئ قال بعض السلف دخلت ديرا فجاء وقت الصلاة فقلت لبعض من فى الدير من النصارى دلنى على بقعة طاهرة اصلى فيها فقال لى طهر قلبك عما سواه وصل حيث شئت قال فخجلت منه وقوله تعالى الآية وهى ان المسافر اذا كان فى مفازة او فى بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد فى طلبها بنوع من الدلايل ويصلى الى الجهة التى ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق فى البحر اذا بقى على اللوح فانه يصلى على حسب حاله وتصح صلاته وكذا المصلوب على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال والله تعالى اعلم قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه قال المفسرون نزلت هذه الاية فى يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفى نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفى مشركى العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه الله

فنزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه بقوله سبحانه اي
تنزيها لله. وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال
الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك. فاما تكذيبه اياي
فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان. واما شتمه اياي فقوله لي ولد. فسبحاني ان اتخذ
صاحبة او ولدا. قال العلما سبحان منصوب على المصدر. ومعناه التبرية والتنزيه
والمحاشاة من قولهم اتخذ الله ولدا بل هو تعالى واحد في ذاته. احد في صفاته. لم يلد فيحتاج
الى صاحبة. انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شي. ولم يولد فكون مسبوقا.
جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا بل له ما في السموات والارض
يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيهما. وقيل ان الولد لابد ان يكون
من جنس الوالد. فكيف يكون للحق سبحانه ان يتخذ ولدا من مخلوقاته. وهو تعالى لا شبهة شي.
وقد قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا. كما قال هنا بل له ما في السموات
والارض فالولدية تقتضي الجنسية والحدوث. والقدم يقتضي الوحدانية والثبوت. فهو
سبحانه القديم الازلي الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا احد.
وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره. والله تعالى
منزه عن ذلك كله. فاضافة الولد اليه محال. ثم قال ان البنوة تنافي الرق والعبودية على
ما اتى بيانه في سورة مريم ان شا الله. وقوله تعالى كل له قانتون يعني ان اهل السموات
والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية. وقال بعضهم المخلوقات كلها تقنت لله.
اى تخضع وتطيع. والجمادات قنوتهم في ظهور الصنعة عليهم وفيهم. قال بعض العلما
اصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع. وقال بعضهم اصل القنوت القيام. ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت. فعلى هذا يكون معنى الآية كل له
قايمون بالشهادة مقرون له بالوحدانية. وقيل قانتون اي منقادون مسخرون لما
خلقوا له. واختلف العلما في حكم الآية. فقال بعضهم هو خاص. ثم سلكوا في تخصيصه
طريقين احدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملايكة. الثاني قال ابن عباس رضي الله عنهما

هو راجع الى اهل طاعته دون سائر الكفار. وذهب جماعة الى ان حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة. ثم سلكوا في الكفار طريقين احدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه. الثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة. ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية اجاب عن لفظة كل بانها لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شيء يعني بلقيس ولم تؤت ملك سليمان. فدل هذا على ان لفظة كل لا تقتضي ذلك. وقال بعضهم في كل من الخلايق آثار صنع الله تعالى ودلائل ربوبيته فهم كلهم مسخرون مقهورون لا يقدرون على تغيير جبلة انفسهم. وقال مجاهد رحمه الله طاعة الكفار في سجود ظلهم وهذا مثل ما روي عن الحسن رضي الله عنه انه قال يا ابن ادم كيف تعصي ربك وظلك يسجد له. والله اعلم بمراده قوله تعالى بديع السموات والارض اي منشئها وموجدها ومبدعها ومخترعها على غير مثال سبق. وقيل البديع هو الذي يبدع الاشياء اي يحدثها مما لم تكن. قال العلما وكل من فعل ما لم يسبق اليه يقال له ابدعت. ولهذا قيل لمن خالف السنة والجماعة مبتدع. لانه ياتي في دين الاسلام بما لم يسبقه اليه الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم اجمعين. وقال بعضهم انما سميت البدعة بدعة لان قايلها ابتدعها من غير فعل او مقال امام. قال العلما وكل بدعة صدرت من مخلوق فلا تخلوا اما ان يكون لها اصل في الشرع او لا. فان كان لها اصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله تعالى اليه وحض رسوله عليه فهي في حيز المدح. وان لم يكن مثاله موجودة كنوع من الجود والسخا وفعل المعروف فهذا فعله من الافعال المحمودة. وان لم يكن الفاعل قد سبق اليه. ويعضد هذا قول عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه يعني قيام رمضان. فلما كانت هذه البدعة من افعال الخير وداخلة في حيز المدح وهي وان كان النبي صلى الله عليه وسلم قد صلاها الا انه تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس عليها. فمحافظة عمر رضي الله عنه عليها وجمع الناس لها وندبهم اليها بدعة. لكنها بدعة محمودة ممدوحة. وان كانت في خلاف ما امر الله به ورسوله فهي في حيز الذم والانكار. ذكر هذا المعنى الخطابي وغيره. قال بعضهم وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته وشر الامور محدثاتها. وكل بدعة ضلالة. يريد صلى الله عليه وسلم ما لم

يوافق كتابا او سنة او عمل الصحابة رضي الله عنهم. وقد سن هذا بقوله صلى الله عليه وسلم
من سن في الاسلام سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من
اجورهم شيء. ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده
من غير ان ينقص من اوزارهم شيء. وهذا اشارة الى ما ابتدع من قبيح وحسن. وهو اصل
هذا الباب. وبالله العصمة والتوفيق لا رب غيره. قوله تعالى واذا قضى امرا اي
قدره واراد خلقه. وقيل اذا احكم امرا وحتمه واتقنه كما سبق في علمه قال له كن.
قال ابن عرفه رحمه الله قضا الشيء احكامه وامضاوه والفراغ منه. وبه سمي القاضي لانه
اذا حكم فقد فرغ من الخصمين. وقال الازهري قضى في اللغة على وجوه مرجعها الى
انقطاع الشيء وتمامه. وانشد الشماخ في عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
قضيت امورا ثم غادرت بعدها بوايق في اكمامها لم تفتق. قال العلما قضى لفظ
مشترك يكون بمعنى الخلق. قال الله تعالى فقضاهن سبع سموات اي خلقهن. ويكون ايضا بمعنى
الاعلام. قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب اي اعلمناه. ويكون ايضا بمعنى الامر
كقوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه. ويكون ايضا بمعنى الالزام وامضا الحكم.
ومنه يسمى الحاكم قاضيا. ويكون ايضا بمعنى توفيه الحق. قال الله تعالى فلما قضى موسى
الاجل. ويكون ايضا بمعنى الارادة كقوله تعالى في هذه الاية واذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون يعني اذا اراد خلق شيء. قال ابن عطية قضى معناه قدر. وقد يجيء بمعنى امضى
ويتجه في هذه الاية المعنيان على مذهب اهل السنة قدر في الازل وامضي فيه. وعلى
مذهب المعتزلة امضى عند الخلق والايجاد. والله اعلم. وقوله تعالى امره قال المفسرون
الامر واحد الامور. وليس هو مصدر امر يامر. قال العلما والامر في القرآن ينصرف على
اربعة عشر وجها. الاول المراد به الدين. قال الله تعالى حتى جا الحق وظهر امر الله يعني
دين الله وهو الاسلام. الثاني المراد به القول. ومنه قول الله تعالى فاذا حا امرنا اي قولنا.
وقوله تعالى فتنازعوا امرهم يعني قولهم. الثالث المراد به العذاب. ومنه قوله تعالى
وقال الشيطان لما قضي الامر يعني لما وجب العذاب لاهل النار. الرابع المراد به عيسى

علیه السلام قال الله تعالی فاذا قضی امرا یعنی عیسی وکان فی علمه تعالی ان یکون من غیر اب
الخامس المراد به القتل یوم بدر قال الله تعالی فاذا جاء امر الله یعنی القتل بدر وقوله
تعالی لیقضی الله امرا کان مفعولا یعنی قتل کفار مکة السادس المراد به فتح مکه شرفها الله
قال الله تعالی فتربصوا حتی یاتی الله بامره یعنی فتح مکه السابع المراد به قتل بنی قریظة
واجلاء بنی النضیر قال الله تعالی فاعفوا واصفحوا حتی یاتی الله بامره ای بالقتل والاجلاء
الثامن المراد به القیامة قال الله تعالی اتی امر الله التاسع القضاء قال الله تعالی یدبر
الامر یعنی یدبر القضاء العاشر الوحی قال الله تعالی یدبر الامر من السما الی الارض ای ینزل
الوحی من السما الی الارض وقال تعالی تنزل الامر بینهن یعنی الوحی الحادی عشر المراد
به امر الخلق قال الله تعالی الا الی الله تصیر الامور یعنی امور الخلایق الثانی عشر المراد به
النصر قال الله تعالی یقولون هل لنا من الامر من شیء یعنون النصر وقال تعالی قل ان الامر کله
لله یعنی النصر الثالث عشر المراد به الذنب قال الله تعالی فذاقت وبال امرها یعنی جزا
ذنبها الرابع عشر المراد به الشان والفعل قال الله تعالی وما امر فرعون برشید
یعنی فعله وشانه وقال تعالی فلیحذر الذین یخالفون عن امره ای عن فعله وقوله والله اعلم
وقوله تعالی فانما نقول له کن قال العلما الکاف من کینونته والنون من نوره وهی
المراد بقوله صلی الله علیه وسلم اعوذ بکلمات الله التامات من شر ما خلق وروی اعوذ بکلمة
الله التامة علی الافراد فالجمع لما کانت هذه الکلمة فی الامور کلها فاذا قال تعالی لکل امر
کن ولکل شی کن فهی کلمات بدلیل ما روی عن ابی ذر رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم
فیما یحکی عن ربه تبارک وتعالی قال عطایای کلام وعذابی کلام خرجه الترمذی فی حدیث
فیه طول والکلمة علی الافراد بمعنی الکلمات ایضا لکن لما تفرقت الکلمة الواحدة فی الامور
فی الاوقات صارت کلمات ومرجع الکلمات الی کلمة واحدة وانما قیل تامة لان اقل الکلام
عند اهل اللغة علی ثلاثة احرف حرف مبتدا وحرف تحشی به الکلمة وحرف یسکت علیه
واذا کان علی حرفین فهو عندهم منقوص کید وفم ودم وانما نقص لعلة فهی من الادیین
من المنقوصات لانها علی حرفین ولانها کلمة ملفوظة بالادوات ومن ربنا تبارک وتعا

تامة لانها بغير الادوات تعالى الله عن شبه المخلوقين. وقوله تعالى فيكون يعني
نقول له احدث فيحدث. وقال بعضهم اذا احكم امرا وحتمه فانما نقول لذلك كن فيكون
ذلك الامر على ما اراد الله وجوده من غير امتناع ولا توقف كالمامور المطيع الذي يؤمر
فيمتثل ولا يكون منه اباء. وقال الطبري امره تعالى للشيء بكن لا يتقدم الوجود ولا
يتاخر عنه. فلا يكون الشيء مامورا بالوجود الا وهو موجود بالامر. ولا موجود الا هو
مامور بالوجود. قال ونظيره قيام الناس من قبورهم لا يتقدم دعاء الله ولا يتاخر عنه
كما قال تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون. وضعف ابن عطية هذا القول
من جهة المعنى قال لانه يقتضي ان القول مع التكوين والوجود. والتلخيص المعتقد في هذه
الآية ان الله تبارك وتعالى لم يزل آمرا للمعدوم بشرط وجودها قادرا مع تاخر
المقدورات عالما مع تاخر المعلومات. فكل ما في الآية يقتضي الاستقبال فهو بحسب المامورات
اذ المحدثات تجيء بعد ان لم تكن. وكل ما يسند الى الله تعالى من قدرة وعلم فهو قديم لم
يزل. والمعنى الذي يقتضيه عباره كن هو قديم قائم بالذات. وهذا قول الماوردي رحمه الله
فان قيل ففي اي حال يقول له كن. افي حال عدمه ام في حال وجوده فان قال
في حال عدمه استحال ان يامر الا مامورا. كما يستحيل ان يكون الامر الا
من آمر. وان كان في حال وجوده فتلك حال لا يجوز ان يامر فيها بالوجود والحدوث
لانه موجود حادث. قيل له للعلماء عن هذا السؤال ثلاثة اجوبة. احدها انه خبر
من الله تعالى عن نفوذ امره في خلقه الموجود. كما امر تعالى في بني اسرائيل ان يكونوا قردة
خاسيين. ولا يكون هذا واردا في ايجاد المعدوم. الثاني ان الله عز وجل عالم بما
هو كائن قبل كونه. فكانت الاشياء التي لم تكن وهي كائنة بعلمه قبل كونها متشابهة
التي هي موجودة. فجاز ان تقول لها كوني ويامرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود
لتصور جميعها له ولعلمه بها في حال العدم. الثالث ان ذلك خبر من الله تعالى عام عن
جميع ما يحدثه ويكونه اذا اراد خلقه وانشاءه كان ووجد من غير ان يكون هناك قول يقوله
وانما هو قضاء يريده. فعبر عنه بالقول وان لم يكن قولا. وهذا كقول ابي النجم ٥

قد قالت الانساع للبطن الحقي ۞ وليس هناك قول ۞ وانما اراد ان الظهر قد لحق بالبطن ۞
وكقول عمرو بن خمامة الدوسي ۞
فاصبحت مثل النسر طارت فراخه ۞ اذا رام تطيارا يقال له قع ۞ وكما قال الاخر ۞
قال جناحاه لساقيه الحقا ۞ ونجيا لحمكما ان يمزقا ۞ والله تعالى اعلم بمراد كلامه العلم
قوله تعالى وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين
كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وقال مجاهد هم النصارى ۞ لانهم المذكورون
في الآية اولا ۞ وقال الربيع والسدي وقتادة هم مشركوا العرب ۞ قال العلما ان الله نفر
نفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به ۞ قالوا لولا يكلمنا الله اي هلا يكلمنا الله عيانا بانك يا
محمد رسوله فنعلم انك نبي فنؤمن بك او تاتينا آية اي دلالة وعلامة على صدقك ۞ قالوا
ذلك جحودا ۞ فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم كذلك قال الذين من قبلهم يعني
كفار الامم الخالية مثل قولهم وذلك ان اليهود سالوا موسى عليه السلام ان يريهم الله
جهرة وان يسمعهم كلام الله عز وجل ۞ وسالوا من الآيات ما ليس لهم مسالته ۞ فاخبر الله تعالى
عن الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم
تشابهت قلوبهم اي قلوب هولا ومن قبلهم في العمى ۞ وقيل ان المكذبين للرسل ۞
تشابهت اقوالهم وافعالهم ۞ وقيل تشابهت قلوبهم في الكفر والقسوة والتكذيب وطلب
المحال ۞ وقيل تشابهت في التعنت والاقتراح وترك الايمان ۞ وقال الفرا تشابهت في
اتفاقهم على الكفر قد بينا الآيات اي الدلالات على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوم
يوقنون يعني لقوم ينصفون فيوقنون انها ايات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفا
بها عن غيرها ۞ ومعنى بينا الآيات اي نصبنا الادلة وانزلنا من القران ما عجزتم عن الاتيان
بمثله ۞ واليقين علم يثلج به الصدر ۞ قال بعض العلما ان آيات القران العظيم وما جا به
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالب اليقين ۞ قال
العلما وانما خص سبحانه اهل الايقان بالذكر لانهم هم اهل التثبت في الامور ومعرفة الاشيا
على يقين ۞ والله تعالى اعلم ۞ قوله عز وجل انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ۞

قال المفسرون في قوله تعالى انا ارسلناك بالحق اى بالصدق وقال ابن عباس بالقران وقال
ابن كيسان بالاسلام وقيل معناه انا لن نرسلك عبثا بل انا ارسلناك بالحق بشيرا اي
مبشرا للمومنين بالثواب وقيل لاوليای واهل طاعتی بالثوابت العظيم ونذيرا اى منذرا
ومخوفا لاعدآي واهل معصيتی بالعذاب الاليم قوله تعالى ولا تسال عن اصحاب الجحيم
اى عن اهل النار قال العلما وسمت النار الجحيم لشدة تاججها وقيل الجحيم معظم النار وقال
مقاتل ان النبی صلى الله عليه وسلم قال لو انزل الله باسه باليهود لآمنوا فانزل الله عز وجل
ولا تسال عن اصحاب الجحيم برفع تسال وهی قرآه الجمهور وقری ولا تسالْ بالجزم على
النهی قال ابن عباس ومحمد بن كعب رضی الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعری
ما فعل ابوای فنزلت هذه الآية وفی تاويل قراة الجزم وجهان احدهما انه صلى الله عليه
وسلم نهی عن السوال عمن مضی وكفر من الاحيآ لانه قد يتغير حاله فيسفل عن الكفر الى الايمان
وعن المعصية الى الطاعة والثانی وهو الاظهر انه صلوات الله عليه نهی عن السوال عمن
مات وهو على كفره ومعصيته تعظيما لحاله وتفظيما لشانه كما يقال لا تسال عن فلان
اى قد بلغ فوق ما تحسب قال القرطبی رحمه الله وقد ذكرنا فی كتاب التذكره ان الله
تبارك وتعالى احيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وامه حتى آمنا به وصدقاه ولله الحمد والمنه
قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قال ابن عباس رضی الله عنه
انزل الله عز وجل هذه الاية فی شان القبله وذلك ان يهود المدينة ونصاری نجران كانوا
يرجون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلی الى قبلتهم فلما صرفت القبله الى الكعبه شق
ذلك عليهم ويئسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله عز وجل هذه الآية وقيل ان اليهود
والنصارى كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم
اتبعوه فانزل الله عز وجل هذه الاية والمعنى انك ان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون
ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم يعنی ما يرضی عنك هو ولا اليهود الا باليهودية
ولا النصاری الا بالنصرانية وقيل تمسك بهذه الاية جماعة من العلما منهم الامام ابو حنيفة
والامام الشافعی والامام احمد فی احدی الروايتين عنه وداود الى ان الكفر كله ملة واحده

لقوله تعالى في هذه الاية ملتهم بتوحيد الملة. وقوله تعالى ايضا لكم دينكم ولي دين. ويقول
النبي صلي الله عليه وسلم لا يتوارث اهل ملتين على ان المراد به الاسلام والكفر بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر. وذهب الامام مالك والامام احمد في الرواية
الاخرى الى ان الكفر ملل شتى فلا يرث اليهودي النصراني. ولا يرثان المجوسي. والدليل على ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث اهل ملتين. والله تعالى اعلم. ثم قال تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم قل اي يا محمد ان هدى الله يعني دين الله الذي هو الاسلام هو الهدى اي يصح
ان يسمى هدى. وقيل المعنى ما انت عليه يا محمد من هدى الله الحق الذي يضعه في قلب من
يشاء هو الهدى الحقيقي لا ما يدعيه هؤلاء. والذين يدعون الى اتباعه ما هو هدى. وانما
هو هوى. الا ترى الى قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم يعني اهواء هؤلاء اليهود والنصارى
فيما يرضيهم عنك. وقيل اهواءهم يعني اقوالهم التي هي اهوا وبدع بعد الذي جاءك من العلم
اي البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابرهيم عليه السلام وهي الكعبة
زادها الله شرفا مالك من الله من ولي يعني يلي امرك ويقوم به ولا نصير اي ينصرك من
عقابه. وقال بعضهم في قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم انه خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد به امته. والمعنى اياكم اخاطب. ولكم اوذب. وانهى فقد علمتم ان نبيي محمدا
صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا انتم اهواء الكافرين. ولئن
اتبعتم اهواءهم بعد الذي جاءكم من العلم والبيان ما لكم من الله من ولي ولا نصير. قوله
تعالى الذين آتيناهم الكتاب قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في اهل السفينة الذين
قدموا مع جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه. وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة
وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب. وقيل هم مومنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن
سلام واصحابه. وقال عكرمة هم اصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة. وقيل
هم المومنون عامة. وقوله تعالى يتلونه حق تلاوته اي يقرأونه كما انزل لا يغيرونه ولا
يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل معناه
يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويومنون بمتشابهه

ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله عز وجل. وقيل معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا
في معانيه وحقايقه واسراره. وقال ابن حرى من شبح القران يهبط به على رياض الجنة.
وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه في قوله تعالى يتلونه حق تلاوته. قال هم الذين اذا مروا
باية رحمة سالوها من الله. واذا مروا باية عذاب تعوذوا. وقال بعضهم يقرؤونه حق قراءته.
معنى يرتلون الفاظه ويفهمون معانيه. فان تفهم المعانى يكون هو الاتباع لمن وفقه الله.
وقوله تعالى اولئك يعنى من هذه صفتهم وهم الذين يتلونه حق تلاوته يومنون به اى
يصدقون به. فان قلنا ان الاية في اهل الكتاب فيكون المعنى ان المومن بالتوراة الذى
يتلوها حق تلاوتها هو المومن بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لان في التوراة نعته وصفته
وان قلنا انها نزلت في المومنين عامة فظاهره. والله اعلم. وقوله تعالى ومن يكفر به
اى يجحد ما فيه من فرائض الله عز وجل ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاولئك هم
الخاسرون اى خسروا انفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان والهدى بالضلالة. وقيل
خسرانهم المصير الى النار. والله تعالى اعلم. قوله تعالى يا بنى اسرآيل اذكروا نعمتى التى
انعمت عليكم اى اذكروا ايادي لديكم وصنعى بكم واستنقاذى اياكم من ايدى عدوكم في
نعم كثيرة انعمت بها عليكم وانى فضلتكم على العالمين اى واذكروا تفضيلى اياكم على عالمى زمانكم.
قال العلما وفي هذه الاية عظة لليهود الذين كانوا في زمن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكررها سبحانه في اول السورة وهنا للتوكيد وتذكيرا للنعم. وقوله تعالى واتقوا
يوما لا تجزى نفس عن نفس شيا قال المفسرون المعنى واتقوا يوما اى احذروا عذاب يوم.
لا تجزى اى لا تقضى. ولا تغنى فيه نفس عن نفس شا من الشدايد والمكاره. وقيل المعنى يا معشر
بنى اسرآيل المبدلين كابى المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تقى فيه نفس عن نفس شيا ولا يقبل
منها عدل اى ولا يوخذ منها فدآ كما كانوا ياخذون في الدنيا ولا تنفعها شفاعة
اى ولا تشفع لها شافع. قال العلما وهذا من العام الذى يراد به الخاص. لقوله تعالى ولا
تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له. ومعنى الاية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب
ولم يستحق سواه. وقيل انه رد على اليهود في قولهم ان ابآنا تشفعون لنا. وقوله

معصية اورثت ذلا و افتقارا خير من طاعة اورثت عزا و استكبارا ابن عطا
لان الذل و الافتقار من اوصاف العبودية و العز و الاستكبار منافيان لها شرح

تعالى وَلَاهُمْ يُنصَرُونَ اى ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم ۝ والله
تعالى اعلم بمراده واسرار كلامه العظيم ۝ ۝ هذا آخر الكراس
الاول من كتاب فتح المنان في تفسير القرآن للعلامي رحمه الله وغفر له

وتلوه في اول الجزء الثاني تفسير قول الله عز وجل
واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن
والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا
وباطنا سرا وعلانيه ۝

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين ۝

وحسبنا الله ونعم الوكيل ۝

العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان ابن عطا
عطية الخلق لك حرمان على التحقيق لما فيه من ركونك لغير الله ووقوفك مع حظوظك وشهواتك
ومنع الله لك احسان لانه انزعك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت
العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود الحجب لهم عن ذكره وتقلد منتهم واخذ عطيتهم والمنع من
الله تعالى احسان فانه حبيبك وكل ما يفعله المحبوب بمحبوب لذيذ ومن قال ولا البس الشعر وغيره البس
ولا اقبل الدنيا وغيرك واهبه وذو وصية على رضي الله عنه لا تجعل بينك وبين الله منعما
واعد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء حمل المنن اثقل من الصبر على العدم وقال آخر
عز السؤال ساعة اشرف من سرور الغائبة شرح ابن عطا